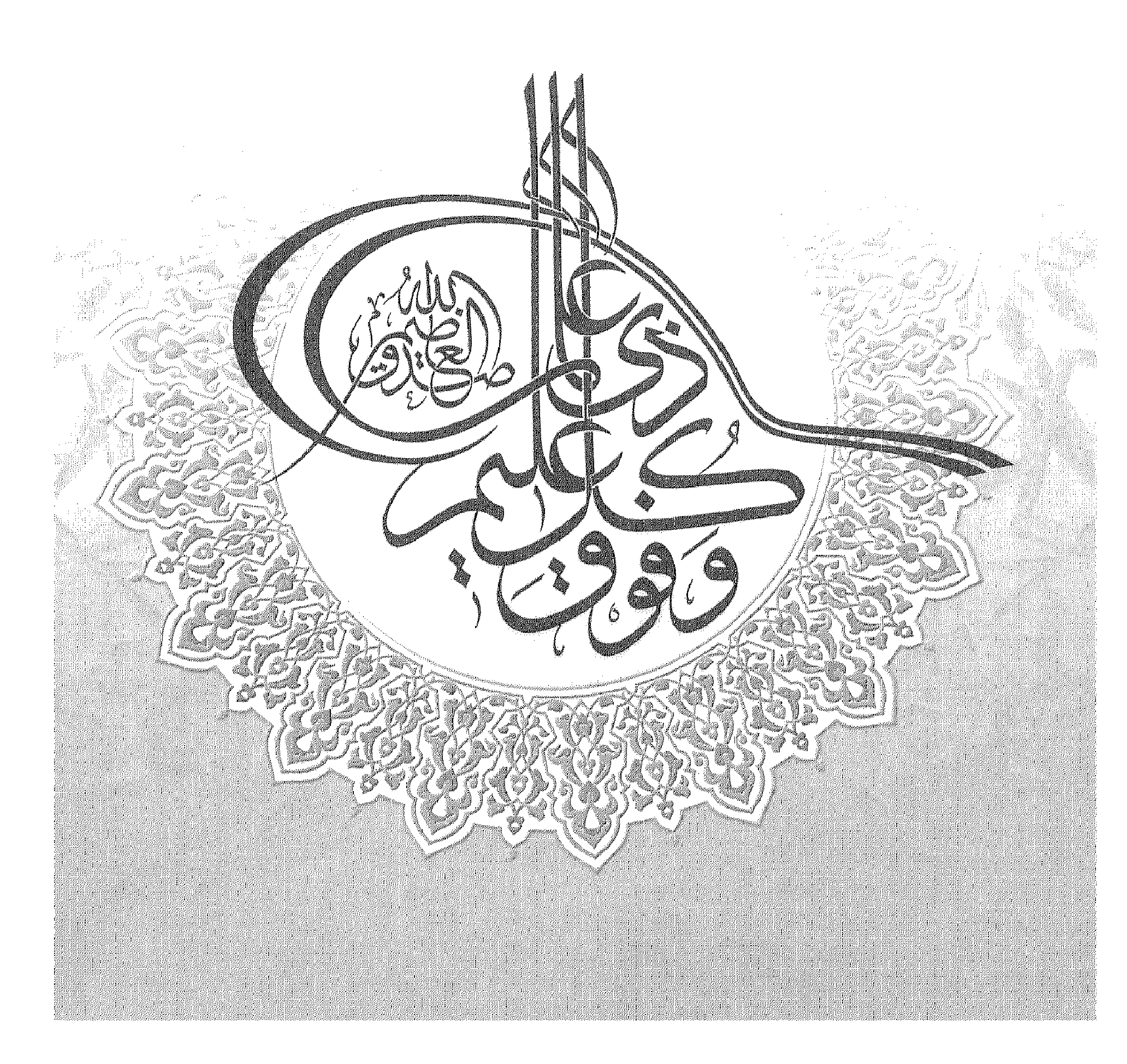

10
التواصل
AT-TAWASUL
فصلية ثقافية شاملة
السنة الثالثة - العدد العاشر - الصيف 1374 من وفاة الرسول ﷺ يونيو 2006 مسيحي
د. محمد سامورا / سيراليون
مساهمة الحوار
في دعم السلم
ليبيا
بعيون اسبانية
احمد مختار لو / السنغال
النخبة الافريقية ومعضلة
البحث عن بدائل الهوية
أ. الصديق بشير نصر / ليبيا
حقيقة انجيل يهوذا
د. حسن الباش / سوريا
هل تحكم الايديولوجيا
اختلاف المعايير؟
ابراهيم حياني / كندا
التطور التاريخي لانتشار
الإسلام في كندا
أبعد من تمبكتو


وفوق كل ذي علم عليم
صدق الله العظيم



بسم الله الرحمن الرحيم

د. عبد العاطي محمد عبد الجليل *

هل حقاً هنالك (آخر) في المنظور الاسلامي؟!

❖ آلة الإعلام في الدول القوية نجحت نجاحاً ملموساً في مجال تصنيع وتسويق المصطلحات، واستطاعت أن تجعل عدداً من المصطلحات غير الواضحة في دلالتها شبه مسلمات، واستطاعت أن تحشد عدداً من الباحثين والكتّاب والصحفيين وربما السياسيين بهدف تعميق عدد من المصطلحات، والخروج بها من زاوية ضيقة إلى فضاء إعلامي واسع، وربما مؤثر في بعض الاحيان.

❖ آلة الإعلام في الدول القوية تعتمد إعلاماً مؤسساً على عقيدة الاقصاء، من حيث تقسيم الشعوب والأمم والحضارات والعقائد: فهناك على سبيل المثال في نظر الإعلام بالدول القوية: شعوب العالم الثالث، ولا ندري أين اختفت شعوب العالم الثاني مثلما لا ندري شيئاً عن المعايير التي تمّ اعتمادها حين وضعت شعوب معينة في المرتبة الأولى.. وعلى سبيل المثال هناك في نظر الإعلام في الدول القوية الأمم المتخلفة، دون الاتفاق على معيار واضح يحدد التخلف.. هل هو تخلف أخلاقي أم تقني أم إبداعي؟. هناك أيضاً في قاموس الإعلام في الدول القوية الحضارات الصدامية دون تحديد واضح لمعنى الصدام وأهدافه ونتائجه.. وهناك العقائد المسؤولة عن الارهاب دون إيضاح معنى الارهاب وتحديد أسبابه، وكونه فعلاً لا يرتبط بالضرورة بعقيدة دون أخرى..

هذه بعض خطوط الإعلام الاقصائي لدى الدول القوية..

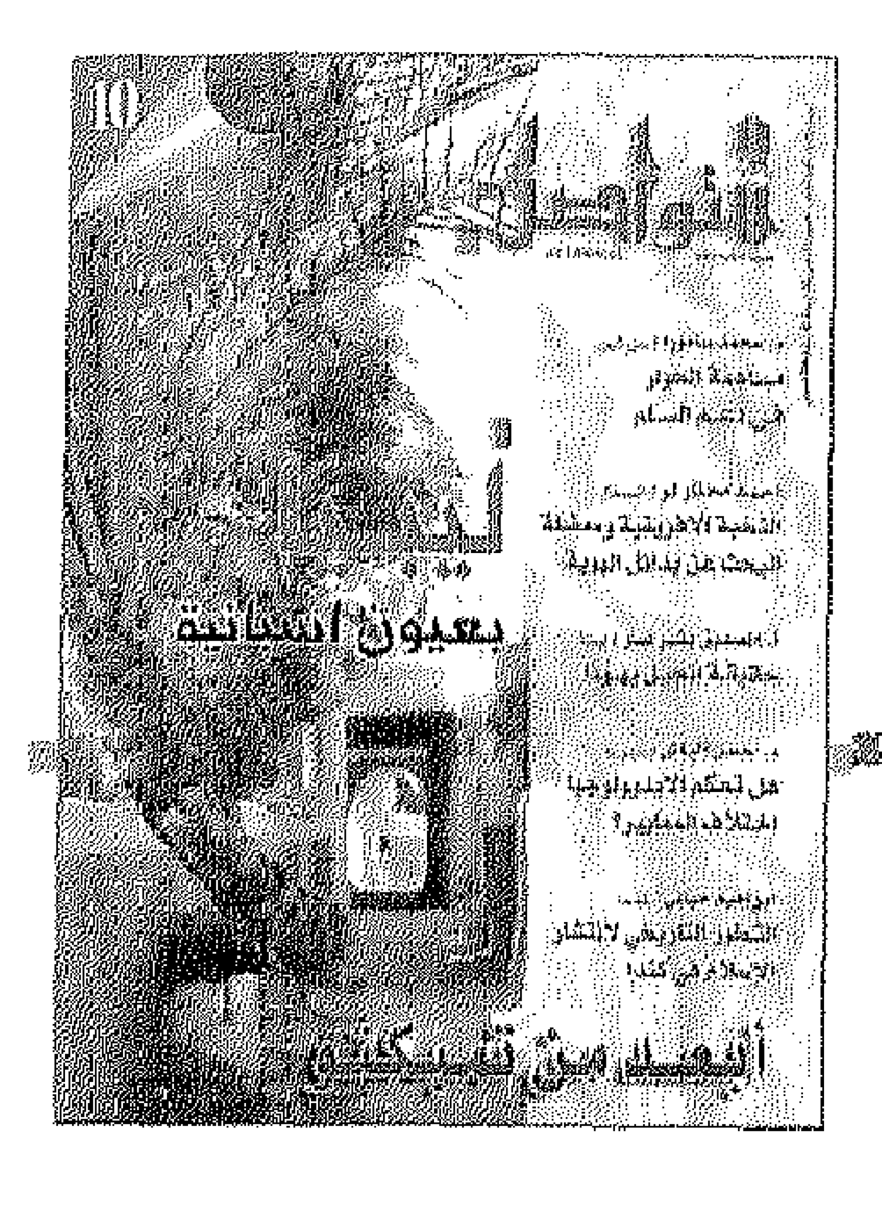
❖ وسائل الإعلام في الدول القوية صنعت وفرضت بكل الوسائل والطرق مصطلحات أصبحت لصيقة بهذه الأمة أو تلك، وبهذه العقيدة أو تلك.. وعلى سبيل المثال فإن الدين الاسلامي والعقيدة المسيحية في جوهر كل واحد منهما لا يمكن تلمس مصطلح (الآخر).. ذلك أن هذا المصطلح إقصائي في دلالته، عدائي في منهجه، سلبي في نتيجته..

(الآخر) يبقى كذلك لأنه المغاير، لأنه النقيض في بعض الاحيان، لأنه المقياس الذي بناءً عليه يقيس الطرف الأول كل مواصفاته.. فهل هناك (آخر) في الاسلام؟ أما بالنسبة للمسيحية فلا أزعم أنني أستطيع طرح السؤال ذاته لأن الأمر برمته مناط بالكاثوليك والبروتستانت والارثوذوكس والاقباط وغيرهم..

وإقدامي على طرح السؤال بالنسبة للإسلام مردّه أنني لم أجد مبرراً مقنعاً وقوياً وواضحاً يجعلني أقبل دون نقاش معمق ومنتج أن يقول مسلم هنا أو مسلمة هناك مصطلح (الاسلام والآخر).. إنه تساؤل بهدف البحث عن الحقيقة بعيداً عن آلة الاعلام في الدول القوية...

---

* كاتب وصحفي وأستاذ جامعي/ ليبيا



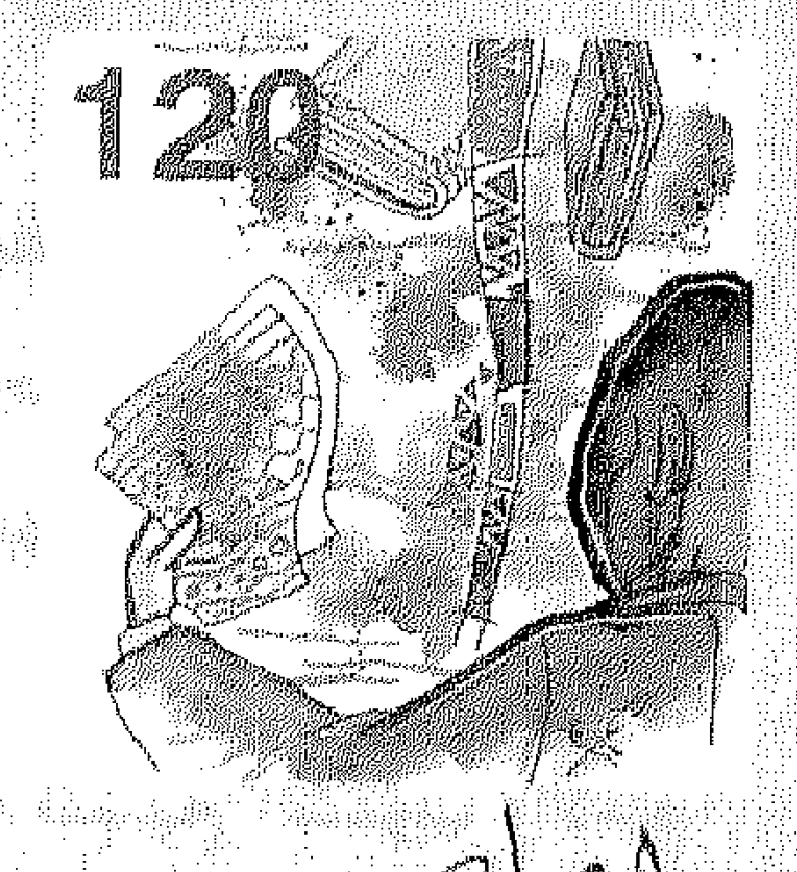


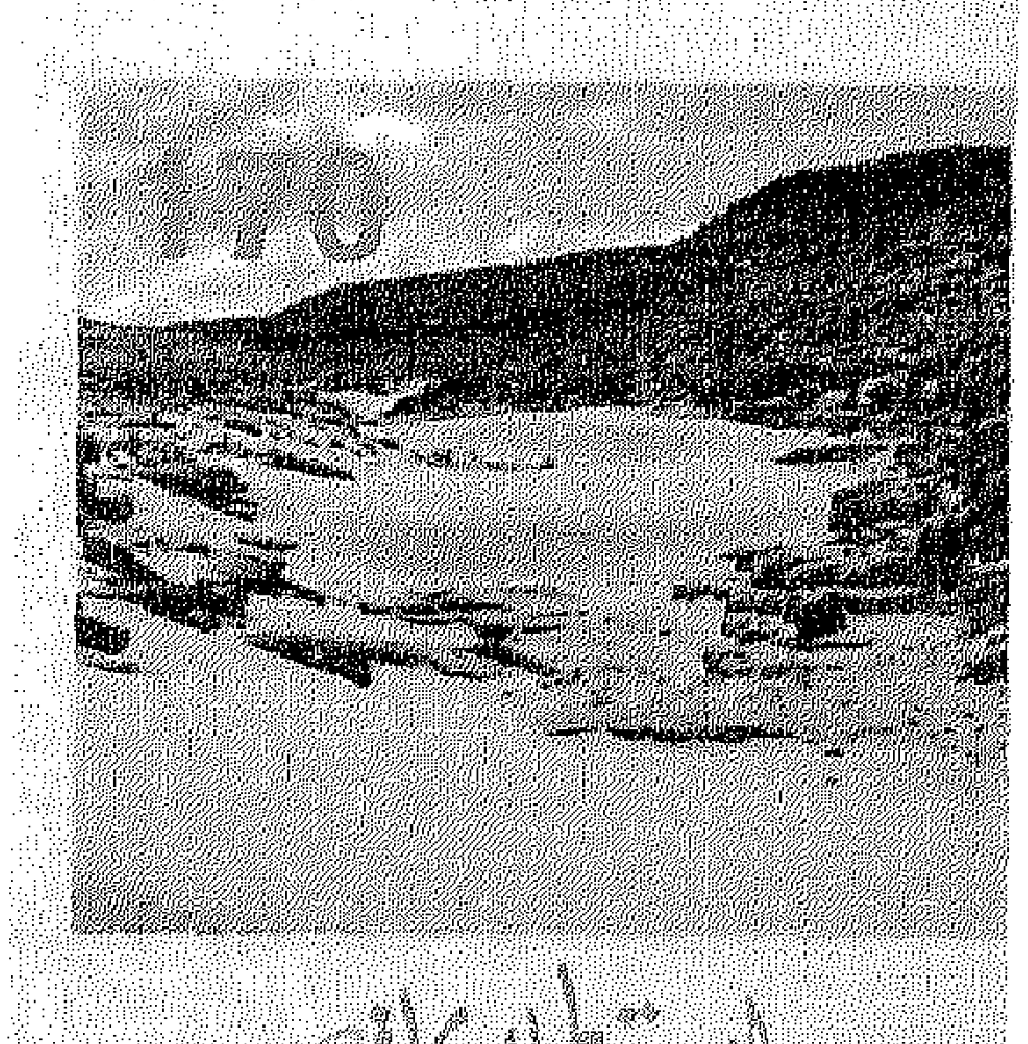
في هذا العدد

الافتتاحية

مقالات

الملف: أبعد من تبمكتو







التواصل

AT-TAWASUL

تصدر عن

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الثالثة ـ العدد العاشر

الصيف 1374 من وفاة الرسول ﷺ

يونيو 2006 مسيحي

المراسلات باسم

أمين هيئة التحرير

طريق السواني ـ كلم 5

هاتف: 4800730 / 4808461.5

بريد مصور: 4800736 – 4800730

ص.ب: 86086

طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني

INFO@AT-TAWASUL.INFO

ARAA@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الانترنت

WWW.AT-TAWASUL.INFO

شـــروط النـشـر فـي مجـلـة

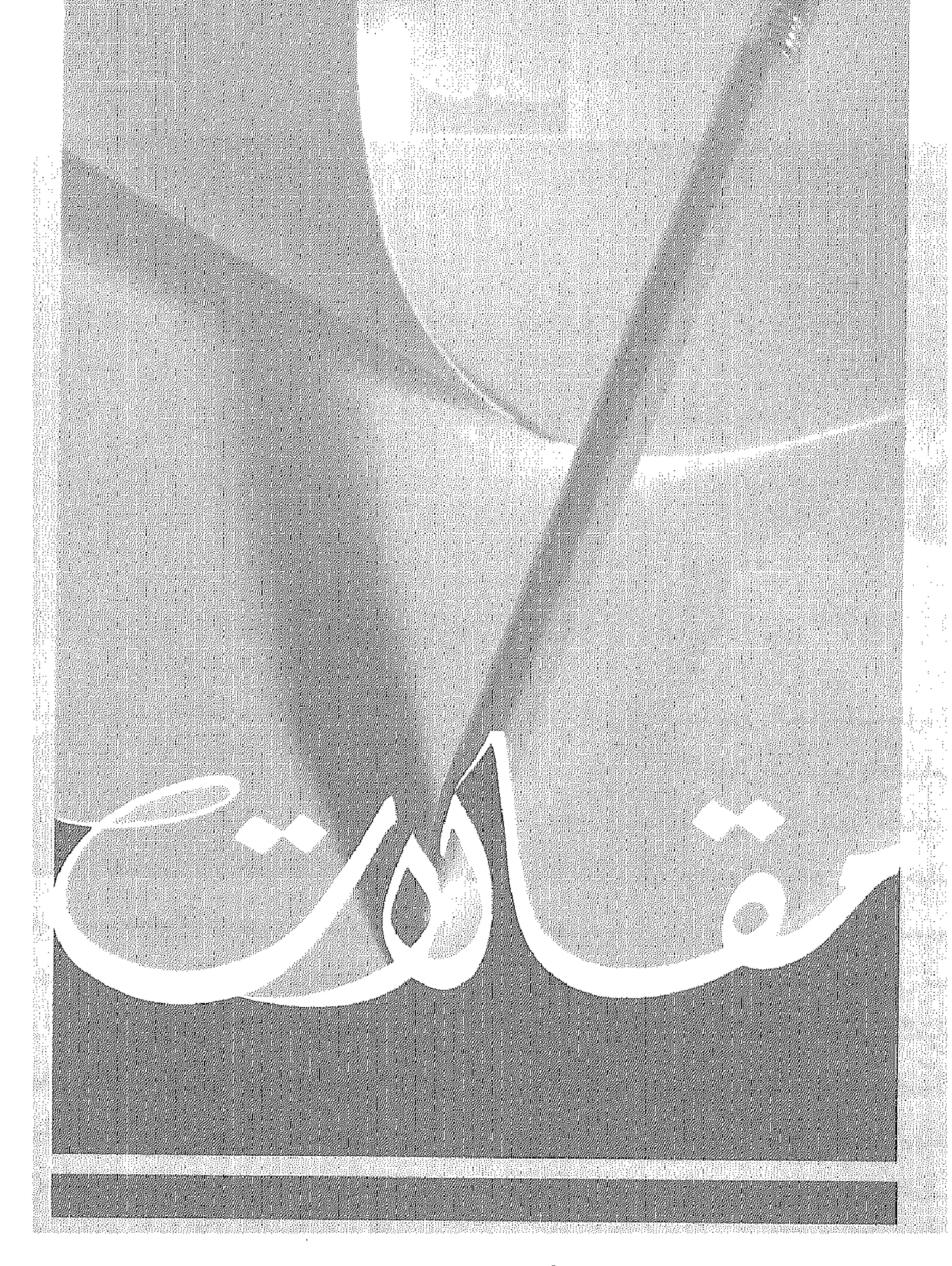
التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- ❖ أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.
- ❖ أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النّبوية في البحوث التي تتضمنها.
- ❖ أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ❖ ألاّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ❖ ألاّ يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى.
- ❖ أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- ❖ أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- ❖ في حالة الترجمة لا بدّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدّمة للمجلة على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافآت مالية مناسبة.



- مساهمة الحوار وتفاعل الأديان في دعم السلم والتنمية
- من مأدبة الله
- النخبة الإفريقية ومعضلة البحث عن بدائل الهوية (الزنوجة نموذجاً)
- الإسلام والغرب.. تواصل أم قطيعة
- أين إنجيل برنابا؟
- بعد 1700 عام الكشف عن إنجيل يهوذا
- حقيقة إنجيل يهوذا
- حوار الحضارات.. هل تحكم الأيديولوجيا اختلاف المعايير؟



مساهمة الحوار وتفاعل الأديان في دعم السلم والتنمية *

د. محمد ساموراً **

تعيش البشرية اليوم مرحلة من عدم الإستقرار، في عالم تسوده الكثير من المظاهر غير الإنسانية، والتي تُنذر بنتائج وخيمة في تاريخنا المعاصر، وقد تضاعفت حدة الآلام والجراح عبر العالم بسبب هذه الآفة دون أن تعالج بشكل حاسم، وفي رأيي المتواضع فإن هذه الوضعية لتشكل مأساة خطيرة ومظهراً من مظاهر الظلم الصارخ.

المضطهدون والمعذبون في أفريقيا وآسيا وبلدان الكاريبي، بل حتى في ما يسمى بأوروبا وأمريكا المتحضرتين مازالوا يعانون في صمت.

ولهذا فإن نداء من أجل ثقافة الحوار بين الأديان لتحقيق السلم والتنمية الإنسانية، بدأ يجد آذاناً صاغية أكثر فأكثر، واليوم يتعين على اتباع الديانات أن يتعاونوا ويعملوا سوية حتى تتحول هذه الآلام إلى تقدم وسلم ورخاء.

كما يتعين على الجماعات الناشطة في مجال الحوار بين الأديان أن تعمل على تحقيق هذه الأهداف من الآن فصاعداً إذا نحن أردنا أن نجنب أنفسنا والأجيال القادمة هذه الويلات كما يتعين علينا مواجهة وفضح التطرف الديني والعرقي والقبلي وعلينا أن لا نخلط بين الحق والباطل، كما يتعين علينا مواصلة النضال في سبيل التسامح والحوار والعدل والمساواة التي تشكل كلها حلقات في سلسلة ظهرت قبل أن نولد وستستمر بعد رحيلنا من هذا العالم.

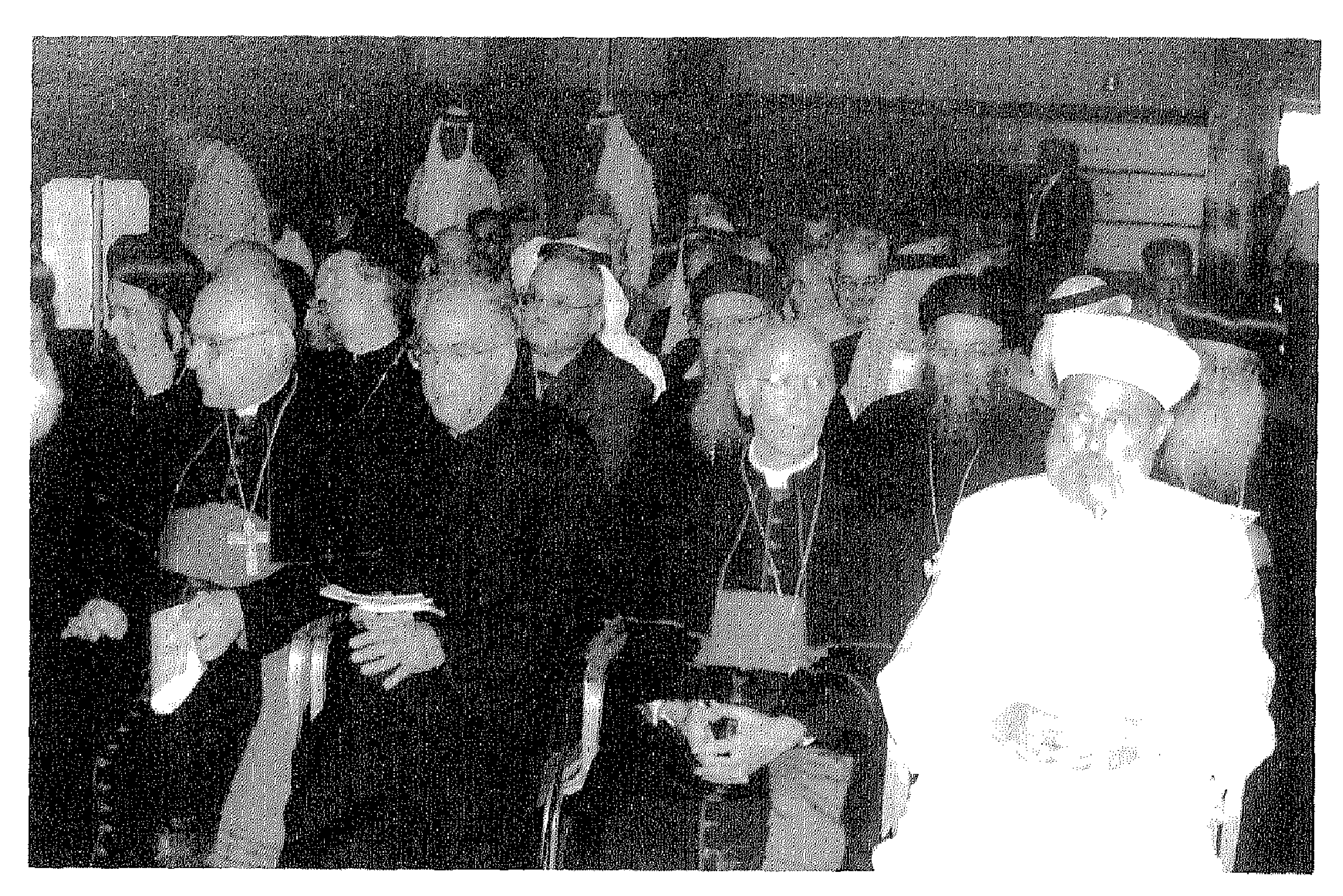
إن التاريخ سيذكرنا بما نتشبث به من مبادئ، وليس من خلال مواقفنا، كما لن يذكرنا التاريخ بسبب معتقداتنا وانتماءاتنا السياسية، سواءً إلى الوسط أواليسار أو اليمين، أو بإظهار تشدد ديني محافظ، بل بإيماننا بالحق ومناصرته ومناهضة الباطل.

إن مأزقاً كهذا، سواءً كان ذا طابع ديني أو غيره، من شأنه أن يستمر طيلة عقود وعقود، وإن السبيل الوحيد للخروج من هذا المأزق، يكمن في إقامة حوار صادق وشامل من أجل الاتفاق على أهداف مشتركة ومقبولة.

بيد أن هذه الأهداف المشتركة، يجب أن تأخذ في الحسبان الظروف المتغيرة التي تسود العالم ، فعلى سبيل المثال، فإن انهيار جدار برلين كان بمثابة منعطف هام، حيث ساهم في تغيير مسار السياسة الدولية وهذا في حد ذاته برهان ساطع على أن

* ورقة قدّمت في ندوة (حوار الأديان في خدمة التنمية) طرابلس: 2006/3/8 مسيحي.

** عضو المجلس العالمي للدعوة الإسلامية / سفير سيراليون لدى الجماهيرية العظمى.



جدران الإسمنت لا يمكن أن يحقق السلم وحسن الجوار.

بصفتي مبشراً أولاً ودبلوماسياً ثانياً أشعر دائماً بسعادة خاصة عندما يشاطرني قارئ (التواصل) تجاربي وأفكاري. ويرجع هذا إلى أني أنتمي إلى بلد فقير مسالم، يقع على الساحل الغربي للقارة الأفريقية، ألا وهو سيراليون، هذا البلد الذي قاسى الأمرين من جُرم سُلِّط علينا من قِبل الأجانب الذين نكّلوا بشعبنا ونهبوا خيراته وأتوا على البنية التحتية بشكل همجي والتي كانت جد متقدمة. وكان هذا بمثابة علقم يصعب طبعاً ابتلاعه. إن ما حدث في وطني الحبيب بين 1991 و 2001 م لم يكن حرباً أهلية كما يدّعي الإعلام الغربي ويعمل جاهداً على إقناعنا به لم يكن حرباً من أجل تحرير الشعب من الاضطهاد، بل كما كان الشأن في جنوب أفريقيا وزيمبابوي وليبيريا والموزمبيق، على سبيل الذكر لا الحصر، بل وكما قال الرئيس،، الدكتور أحمد تجان كابا،، لقد تم التخطيط لذلك تخطيطاً محكماً من الخارج بهدف واحد، ألا وهو استغلال الثروات المشروعة للشعب من أجل النهب والسيطرة على خيرات البلاد من ألماس وغيره.

كما أن هذه الحرب التي فُرضت علينا فرضاً لم تكن حرباً قبلية ولا دينية، فالتاريخ يشهد أن بلدنا كانت تسود أبناءه المحبة والوئام والتآخي والعيش في انسجام تام وتقاسم كل ما نملكه بين المسلمين والمسيحيين. وعلى عكس ما يفخر به الذين نصَّبوا أنفسهم شرطي العالم فنحن المسلمون في سيراليون نتشبث بتعاليم ديننا الحنيف ومن هذه التعاليم ما جاء في الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

[سورة الحجرات، الآية:13]

وكما ورد في الإنجيل المقدس الذي يحثنا على معاملة الآخرين بمثل ما نود أن نُعامل به ..

إن الإسلام كان دائماً أهم دين في سيراليون، فالإحصائيات الدينية المنشورة حديثاً تؤكد على أن

عدد المسلمين في سيراليون يصل إلى 75 ٪، وهم في تزايد مستمر كما أن المسلمين والمسيحيين يحتفلون جميعاً بالأعياد الدينية دون أي تمييز كما يحدث أحياناً في جهات أخرى من العالم. إننا نحمد الله سبحانه وتعالى وندعوه أن يستمر هذا الحال جيلاً بعد جيل.

كما نحمد الله ونشكره على الدور الذي لعبه الدين في وضع حد للحرب القذرة التي كنا ضحية لها من قبل، إن الدين قادر على أن يلعب دوراً مؤثرا في دعم السلم في مناخ تسوده الحقيقة والتسامح الديني وهذا بالذات ما تعتز به سيراليون. إننا نعتبر التسامح الديني إحدى ثرواتنا الوطنية، إننا نحترم ونُكبر تعددنا الديني ومرة ثانية كما قال الرئيس كابا (إن هذا الاحترام الذي نبديه للتعدد الديني هو الذي دفع بالقادة الدينيين من مسيحيين ومسلمين من مختلف المشارب الدينية لتنظيم لقاء بين الأديان من اجل النهوض بمساعي السلام، وكان يحدوهم في ذلك إيمانهم المشترك بوحدانية الله والسلم والنوايا الحسنة) هذه القيم التي يدعو إليها القرآن الكريم والإنجيل المقدس.

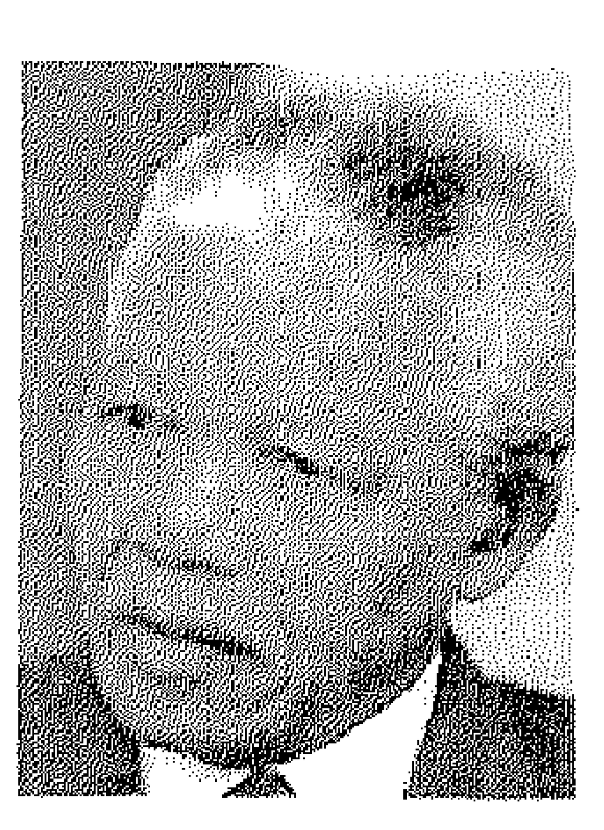

أحمد تيجان كابا

إن مجلس الديانات السيراليوني الذي أُنشئ سنة 1997 مسيحي بادر إلي إقامة حوار غير رسمي بين الحكومة والمتمردين وقد كان للمواقف الروحانية الدينية للزعماء الدينيين تأثيراً على الطرفين اللذين قبلا بأن يتحاورا ويتفقا على نقاط الخلاف.

ويحظى مجلس الأديان في سيراليون باعتراف من قِبل قادة المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا وذلك نظراً للدور الفعال الذي ما فتئ يقوم به في منطقة (نهرمانو) التي تتكون من ليبيريا المجاورة وغينيا كوناكري وسيراليون، ومن أجل دعم مبدأ التسامح الديني في سيراليون فإن معظم المسلمين الذين يحتلون مناصب نافذة في البلد والمجموعة الدولية، بمن فيهم رئيسنا الحالي، أتوا من القرى والمدن المسلمة في الشمال من أجل الدراسة في مدارس داخلية في العاصمة (فري تاون)، وأنا كذلك سبق أن درست في المدرسة الثانوية (سانت أروردز) في فري تاون وأنا فخور بالتخرج من تلك المؤسسة الكاثوليكية الشهيرة.،

إن القساوسة الذين قدِموا من إيرلندا لقنونا أحسن ما يكون التلقين في مختلف المواد بما في ذلك الرياضيات والعلوم واللغة الإغريقية والثقافة الرومانية وغيرها، وذلك دون أن يرغمونا على اعتناق الديانة المسيحية، وحتى لو كانت نيتهم كذلك فلم يبينوا عنها إطلاقاً وهذا بالذات ما أقصد به من معاني التسامح الديني كما أن جنوب أفريقيا كانت بدورها بلداً غير مستقر لعب فيها الدين دوراً أساسياً من أجل بناء السلم والتسامح بين الأغلبية السوداء والأقلية البيضاء التي كانت تضطهد السود.

إن (نلسون مانديلا) الذي يعد من ابرز قادة عصرنا والذي زُجَّ به في السجن من طرف هذه الأقلية البيضاء لأكثر من سبع وعشرين سنة قد ساهم في تحرير عقول المضطَهَدين والمضطهِدين، إن (لجنة الحقيقة والتصالح) التي شكلت في جنوب أفريقيا تمثل مكسباً رئيسياً من أجل تمكين الدين من لعب دوره في حل النزاعات، فقد كان للمفهومين الحقيقة والتسامح دوراً حاسماً في حل النزاع في جنوب إفريقيا، إن أهمية العدالة المستعادة كأداة من أجل تحقيق التصالح وبناء البلد، قد تم التأكيد عليها من طرف الأسقف (دزمون توتو) الذي يعتبر من أكبر الرموز والمفكرين في إفريقيا ،


نسلون مانديلا



فقد قال دزمون توتو: (إن شعبنا التزم بإقامة التصالح بحيث نستعمل العدالة المستعادة بدل العدالة الرادعة والتي هي شكل من أشكال العدالة التي تقول إننا نسعى إلى تضميد الجراح وإعادة العلاقات، إننا نسعى إلى فتح الجراح، نعم نريد فتحها لنتمكن من تطهيرها، حتى لا تتعفن، نقوم بتطهير هذه الجراح ثم نسكب عليها الزيت، وآنذاك يمكننا أن نمضي قدماً نحو مستقبل زاهر، مستقبل فتحه أمامنا الله سبحانه وتعالى. إن هذا الرجل المسيحي ما فتئ يضع في المقدمة صوت وقوة الدين في جميع خطاباته وذلك بهدف تضميد الجراح بشكل نهائي ليس جراح بلاده فقط بل جراح العالم ككل.

إن الديمقراطية والعدل والسلم وحقوق الإنسان التي هي بمثابة ركائز من أجل تأسيس عالم أفضل لا يمكن تحقيقها بدون تفاهم يقوم على الدين ويبنى على التسامح وينبذ الانتقام، كما قال أحد الكتاب إن مسلسل التصالح يركز على ضرورة إعادة العلاقات والبدء في مسلسل من شأنه أن يفضي إلى علاج اجتماعي، وروحي كما هو الشأن بالنسبة لجنوب أفريقيا وروندا وسيراليون واليمن وإيرلندا ولبنان وغيرها، فإن التصالح تم تحقيقه من خلال الارتكاز على القيم الدينية التي تتمثل في الحقيقة والصفح والعدالة المستعادة من أجل تضميد الجراح وبناء السلم.

في عالمنا المعاصر وعندما يسود التسامح الديني داخل مجتمعاتنا فإننا نتساءل فيما إذا كان الدين يشكل في حد ذاته جواباً للبشرية جمعاء ؟ ففي الشرق الأوسط بصفة خاصة نقف شهود عيان كل يوم أمام مآسي تطال أبناء إبراهيم عليه السلام.. إن اليهودية والمسيحية والإسلام تدعو كلها إلى إقامة السلم وإشاعة قيم التسامح. غير أن بعض هذه الجماعات تُستغل من طرف جهات خارجية لإذكاء

الحقد والكراهية والعنف.فإذا استعملوا الحلول التي انتهجتها كل من جنوب أفريقيا وسيراليون وإلى حد ما لبنان واقتنعوا أن للدين دوراً فعالاً في بناء مجتمع مدني متسامح فبإمكانهم آنذاك أن يهزموا أولئك الذين يسعون إلي بث عوامل الفرقة بينهم .

إنني سعيد وأشعر بتفاؤل حذر لأن القادة الذين يمثلون المنظمات الدولية المعنية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية ومنظمة الأمم المتحدة وغيرها إنهم يلتقون أحيانا من أجل دراسة هموم وانشغالات الشعوب المؤمنة.

ومن أبرز هؤلاء القادة أذكر كوفي عنان أمين عام الأمم المتحدة الذي عبر خلال اللقاء الثاني الذي جمع خبراء رفيعي المستوى من أجل تحالف الحضارات الذي نظم في الدوحة - قطر 26 - فبراير (النوار) 2006 مسيحي والذي عبر عن مساندته لضرورة إقامة حوار لتدارس الخلافات التي تتصاعد بين شعوب تتعدد فيها الديانات وضرورة التعاون من أجل تجاوز تلك الخلافات .

في عالمنا المعاصر وعندما يسود التسامح الديني داخل مجتمعاتنا فإننا نتساءل فيما إذا كان الدين يشكل في حد ذاته جواباً للبشرية جمعاء؟

وفي الوقت الذي يتزايد فيه عدد معتنقي الديانات المختلفة ، يجب أن نأخذ في عين الاعتبار القوة والتأثير الذي يمكن للدين وللقادة الدينيين وللأشخاص الدينيين أن يقوموا به في إحداث تغيير اجتماعي وسلمي إيجابي.

يجب أن يعتبر مسلسل بناء السلم على أساس الدين بمثابة حافز للشعوب لتحقيق ما هو ممكن خاصة عندما يوظف حوار الأديان من أجل خدمة السلم والتنمية، يجب أن نتذكر دوماً ما تعلمناه من التاريخ والأحداث التي ميزت عصرنا أن السلم القائم بين الحكومات لن يكون كافياً في حد ذاته بل يحتاج إلى تحقيق الوفاق والتعاون بين الشعوب ذات التعددية الدينية التي تمس حاجتها إلي هذا النوع من التلاحم الوطني وهذا السلم على مستوى الأفراد من أجل تحقيق السلم الحقيقي والدائم، ولا يخامرني أي شك في أن القادة الدينيين بما في ذلك قادة جميع المعتقدات الأخرى يتعين عليهم أن يلعبوا دوراً هاماً في بناء السلم العالمي من أجل تطبيق القانون الدولي ومحاربة الظلم ومن أجل بناء عالم تسوده الرفاهية بعيداً عن الفقر والمرض والجوع، عالم ينتصر فيه الحوار والحقيقة على الخوف، عالم يسوده الاعتدال والتسامح بدل التطرف والغلو، عالم يهيمن عليه الوفاق وتزول عنه النزاعات.

في الختام أذكِّر القارئ بما قاله كوفي عنان في الدوحة - قطر - حرفياً: (إنني لآمل أن تتقدموا باقتراحات خاصة وعملية من أجل الدفع قدماً بهذا الحوار حتى نحفز شعوبنا لا لتكون فقط مجموعة من أشخاص طيبين يتفقون فيما بينهم بل أناسا يحملون رسالة ستدوي عبر العالم، إن هذه الرسالة يجب أن تقول إن حرية الخطاب تعني ذلك الإنصات والكلام، يجب على هذا الخطاب أن يقول للناس معتنقي جميع الديانات والمعتقدات أنه في تاريخنا المشترك قد فات الأوان للعودة إلى الحروب الدينية وحثهم على السؤال فيما كانوا يرغبون في أن يترعرع أبناؤهم داخل عالم من الحقد والكراهية كما يجب أن يكون خطابنا خطاباً دينياً وألا يُسمع أثناء حدوث زلزال أو حريق أو ريح عاتية فقط ، بل يجب أن يُسمع فيه على مدار الساعة .

نحن في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، كما كنا دائماً مستعدين للمساهمة والعمل في سبيل الله سبحانه تعالى وفي سبيل البشرية، والمشاركة مع قادة المنظمات الدولية التي تسعى إلى الحوار بين الأديان ..

من مأدبة الله

1 / في المأدبة والأدب

أ. د. مهدي امبيرش *

م من المأثور عن الرسول ﷺ أنه وصف القرآن الكريم بأنه (مأدبة الله)، وهذا الوصف المرتبط بحقيقة القرآن، والمتعلق بوسائل وطرائق وأساليب الدعوة وشرائط ومواصفات الداعية، يستدعي معالجة مصطلح الأدب، وعلاقة هذا المصطلح بدلالة مصطلح القرآن، تمهيداً لعناصر هذا البحث التي اشرنا إليها، والتي تستدعي توسعاً في تناول المصطلحات والمفاهيم، وفي محاولة مقاربة منهج القرآن في الدعوة، مع ضرورة ربط هذا المنهج، أو هذه المقاربة، بمدارس الدعوة عند الأنبياء، كما عرضها القرآن، ومدرسة الدعوة عند الرسول محمدﷺ، لا باعتبار القرآن الشريعة التي اكتمل بها البناء الإسلامي، ولا باعتبار الرسول خاتم الأنبياء والرسل فحسب، بل إن منهج القرآن وأسلوب الرسول في الدعوة، هو ذاته المنهج والأسلوب الخاتم، الذي يقع ضمن السُّنة الواجبة الإتباع من الدعاة، الذين يتحملون مسؤولية الدعوة، والذين هم ورثة الأنبياء، لعلمهم بمفهوم ومحتوى الرسالة موضوع الدعوة، والمناهج والطرق والأساليب التي طبقها الرسول في سبيل نشر الدعوة.

إن معالجة مفاهيم المصطلحات العربية، لا يمكن أن تتم خارج اللسان العربي، وخارج بناء الجملة العربية، فالقرآن يؤكد أنه بلسان عربي مبين، وأن هذا اللسان غير ذي عوج، وبذلك فإن عربية القرآن تقف في مواجهة الأعجمية، التي لا يجب أن ينظر إليها بمنظور الانتماء العرقي، فالعروبة منهج تفكير إنساني، يؤسس على البيان، والله تعالى اقتضت حكمته ورحمته، كما أكد على ذلك في (سورة الرحمن)، أنه أي:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ * ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾

[سورة الرحمن، الآيات 1ـ9]

علَّم القراءة، وأنه خلق الإنسان، كل الإنسان، وعلَّمه البيان، ثم يأتي بعد البيان الحسابات والأرقام، التي يستدل عليها من خلال الحركة، أي من خلال حركة الشمس التي تحدد حسابات الزمن النهاري، والقمر الذي يحدد مع الشمس حسابات الزمن الليلي من خلال التعاقب، ومن خلال الولوج والإيلاج، وسنعود إلى تناول هذه الأطروحات في حينها.

---

* باحث، كاتب، أستاذ جامعي، الأمين المساعد لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية/ ليبيا

إن مصطلح الأدب، هذا إذا نظرنا إلى أن المصطلح، هو صلاحية اللفظ لتأدية المعنى، والصلاحية مرتبطة بالصلاح، ومفهوم الصلاح يعطي هذه القابلية لامتداد الأثر والتأثير، إلى ما بعد المحدود الظرفي، الإنساني، الزماني، المكاني، ومن ثم يرتبط الصلاح والفلاح بالأيمان، مثلما يرتبط الأيمان، الذي يضع الإنسان في الغيب، الذي تحقق والذي سيتحقق، بحيث يتأكد الوعي في أعلى درجاته، ويرتفع الإنسان إلى أعلى مكانات التكريم، فالغيب يستوعب الحاضر، أو الواقع، أو الآني، ولكن الحاضر لا يستوعب الغيبي، وبذلك فإن دلالة مصطلح العمل في العربية، أبعد من دلالة مصطلح الفعل، الذي يرتبط بالظرفية، كما أن العمل يقتضي العلم، الذي يرتبط بالغيب، وإذا كان الفعل تحدده المعرفة، فإن العمل يوسع مداه العلم، وكلما تقدم الإنسان في المعرفة، أدرك مدى جهله ومحدودية ما عنده من العلم، فاتجه إلى الله، إلى الغيب، إلى كلي العلم، طالباً الاستزادة: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه، الآية: 114]

حيث:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 85]

وخشية العلماء تأتي من إدراكهم وعلمهم بجهلهم

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سورة فاطر، الآية: 28]

إن دلالة المصطلحات وفق هذا المفهوم تنتقل بداهة من الآني والحسي إلى ما هو أبعد من ذلك، فالإنسان يبدأ حسياً، تقع ضمن مداركه المدركات الحسية المادية، وبالتعبير القرآني (الدنيا)، أي الدانية والقريبة، والعاجلة، ثم يتقدم الإدراك والوعي،... إلى الآتي والأبعد، أي إلى الآخرة، فالآخرة مرتبطة بتقدم في المعرفة والإدراك والوعي، وهذا يستدعي بداهة، تقدماً في دلالة المفاهيم والمصطلحات، وهذا يخرجنا من التعريف السائد أن للفظ دلالة لغوية وأخرى اصطلاحية، كدلالة الصلاة، أو الصوم، أو الزكاة، وغيرها من الفرائض والعبادات، بل دلالة مصطلح الفريضة والعبادة، وفي



اللسان العربي، وبنعمة هذا التقدم المعرفي الذي وضع القرآن الإنسان فيه، كان من البيان أن يتقدم المعنى، من الحسي إلى ما هو ابعد، ومن الدنيا إلى الآخرة، وهذا لا يعني أن الآخرة تلغي الدنيا، بل إن الآخرة هي التي تحدد نهاية الحياة الدنيا بدخول الإنسان الخلد.

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾[سورة القصص، الآية:77]

وعلى مستوى دلالة اللفظ والتقدم في الصلاحية، فإن المعنى الأبعد لا يلغي المعنى القريب، بل إن المعنى القريب يظل ماثلاً، ودليلاً على هذا المعنى البعيد، والأبعد، والغيبي.

إن هذا المفهوم هو ما نتوخاه، عند معالجتنا لمصطلح الأدب، بل وغيره من المصطلحات، يضاف إلى ذلك ظاهرة هامة في اللسان العربي قد تجد لها مظاهر في الألسنة الأخرى، مع الفرق بين الظاهرة، وهو التكرار الذي يمكن أن نضع له قواعد، وبين المظهر، الذي هو العرض، الذي قد يتكرر وقد لا يتكرر، ونقصد بذلك ما يسمى بظاهرة (الجناس التصحيفي)، والذي يتم من قلب الأصوات، من خلال قلب الحروف التي هي رمز هذه الأصوات، وهي الظاهرة التي سوف نطبقها عند تناول المصطلحات.

معالجة مفاهيم المصطلحات العربية لا يمكن أن تتم خارج اللسان العربي، وخارج بناء الجملة العربية

مصطلح أدب في اللسان العربي، بدأ ذا دلالة حسية، فالأدب، الدعوة إلى الطعام، والآدب، هو من يدعو الآخرين للطعام، وبهذا فإن الأديب هو صيغة تعبر عن المبالغة في الدعوة، فالأديب هو الإنسان الكريم، الذي يكثر من دعوة الضيوف إلى الطعام، بل قد يتوسع في هذه الدعوة لتكون مشاعة للجميع، ومن هذا المفهوم جاء قول الشاعر العربي القديم، طرفة ابن العبد:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى
لا ترى ألآدِبَ فينا ينتقر

ومعنى البيت الذي هو في الفخر، أن طرفة وقومه يدعون في فصل الشتاء القارس البرد، وما يعطي هذا من دلالات مشقة إعداد الطعام، ومن صعوبة الحصول عليه، سواء عند الداعي، أو الآدب، أو المدعو، فطرفة وقومه في هذا الظرف، يدعون الجفلى، أي أنهم لا يخصون نفرًا، أو أضيافاً بالدعوة، وهذا المعنى يؤكده قوله (إن الآدب لا ينتقر) أي لا يختار من يدعوهم للطعام في المشتاة، فإذا أضفنا إلى ذلك بيتاً آخر للشاعر نفسه، طرفة بن العبد، وفي هذا السياق - أي سياق الدعوة إلى الطعام - أدركنا بعد المفهوم والدلالة، فهو يقول:

ولست بحلال التلاع مخافةً
ولكن متى يسترفد القوم أرفد

والمعنى، أنه لا يفهم من اتخاذ طرفة بيته في أعلى التلال، أنه يخاف طوارق الليل وعاديات الليالي، ولكن ذلك حتى يمكن أن يراه الناس من بعيد، فيقصدونه طلب الرفادة، التي لا يقصر في القيام بها (ولكن متى يسترفد القوم أرفد).

على أن هذه الدلالة الحسية لمفهوم الأدب، بمعنى الدعوة إلى الطعام، تتقدم لتصير الدعوة إلى مكارم الأخلاق، ويمكن أن نلحظ العلاقة بين دلالة المكارم، ودلالة الكرم، في ثقافة الإنسان العربي، وتقدم دلالة الأخلاق على دلالة الخلقة، ومن ثم فإن الأدب يأخذ هذا المضمون القيمي والأخلاقي، الذي لا يغادره الكرم، حتى في الدلالة الحسية، بمعنى الدعوة إلى الطعام، ويتسع مفهوم الأدب، ليشمل الخطاب الشعري والنثري، وبذلك يبتعد مصطلح الأدب، عن أن يوضع مقابلاً للمصطلح الإنجليزي مثلاً، الذي هو (Literature)، فالأخير يدل على العمل النثري والشعري المكتوب، ولا علاقة له بمفهوم الأدب في المصطلح العربي، وهنا نحذر من أن كثيرًا من ترجمات معاني الألفاظ العربية القرآنية، إلى غير

العربية، قد فقدت الكثير، وأحياناً كل المعنى، عند عملية النقل والترجمة، مما يستدعي نهوضاً جديداً، في تناول القرآن، تناولاً عربياً بمقتضى دلالات المصطلح وبناء الجملة العربية، خاصة وأن الكثيرين يحاولون إجراء خصائص الألسن الأعجمية التركيبية، على اللسان العربي البنائي البياني، وهذا ذاته ما سنعالجه في مقالات أخرى، تحت عنوان هذا المبحث.

إن الجناس التصحيفي لمصطلح أدب، سيعطي مفاهيم أبعد لهذا المصطلح، فمادة أدب هي (الألف، والدال المهملة، والباء - أ، د، ب)، وبهذا التصحيف نصل إلى كلمة (بدء)، وكلمة (دأب)، وكلمة (أبد)، وكلمة (آبد)، فالأدب بدء، أي ابتداء وشروع، ومن هذا المفهوم يكون (المبتدأ)، والذي وفق النحو العربي، انتقال الإسم من الدلالة العامة، أي من أنه إسم عام، إلى الإبتداء، أو إلى المبتدأ، الذي يقتضي إخباراً، هذا الإخبار الذي يتنوع بتنوع أحوال ومقتضيات الخبر، دون أن يحدث تغييراً في المبتدأ، ومن المبتدأ يكون المبدأ، فالمبتدأ والمبدأ بمعنى، والحفاظ على المبدأ هو ضمن الأدب.

نحذر من أن كثيراً من ترجمات معاني الألفاظ العربية القرآنية، إلى غير العربية، قد فقدت الكثير

على أن هذا المبدأ، أو المبتدأ، أو الإبتداء، يقتضي دأباً، أي استمراراً، فالانقطاع، حتى ضمن الدلالة النحوية للمبتدأ، سيخرج المبتدأ من حالة ابتدأ، إلى حالة الإسم العام، والأديب لا يكون أديباً إلا بهذا الدأب والاستمرار، إن الدأب والاستمرار، يقودنا إلى دلالة مفهوم الأبدية، فالأديب، سواء بالمفهوم الحسي، من خلال الدعوة إلى الطعام والكرم، أو من خلال العمل الأدبي الإبداعي، سيكتب لنفسه الشهرة والأبدية، وربما هذا هو المفهوم، الذي كان في ذهن (حاتم الطائي)، الذي يضرب به المثل في الكرم، وهو يعلل سر كرمه، الذي وصل إلى حد الإسراف «ويبقى من المال الأحاديث والذكر».

على أن هذا كله ليس بالأمر السهل، إذ فيه مشقة تقتضي قوة وغلبة، أي قوة تقضي على نوازع البخل في النفس الإنسانية، الأمّارة بالسوء، والتي كما صورها القرآن، تحب المال حباً جما، وترغب في القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والأنعام المسوّمة والحرث، وفي شأن الأدب بمعنى الدعوة إلى مكارم الأخلاق، فإن هذا يقتضي مشاهدة ويقتضي كرماً، وأريحية تؤسس على حب الناس، إذ لا يدعو إلى الخير إلا ذووه، ومن هذا تأتي دلالة (الآبد)، وفي العربية فإن الأوابد هي الحيوانات العُصم، التي تستعصم بالأعالي من الجبال، والتلال، والتلاع، حيث يكون من الصعب اقتناصها، وهذا هو المعنى الذي قصده (إمرؤ القيس الكندي)، وهو يصف حصانه، ويمتدح ضمناً نفسه، باعتباره الفارس لهذا الفرس، ثم لا يلبث أن يصرح بذلك في الأبيات التي تلي هذا البيت، يقول إمرؤ القيس:

وقد أغتدي والطير في وَكَناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكل

إن خصائص الأدب، هي ما يمكن أن نجملها في هذه الدلالات، التي يقدمها لنا الجناس التصحيفي، والذي يؤسس على الدلالة الأصلية لكلمة أدب، ذات المضمون الحسي القيمي، والذي تقدم ليصير دلالة قيمية تقتضي أساليب للدعوة، وطرائق، ومقتضيات مكان وزمان، فلا غرو أن صار الأدب يقتضي من ضمن دلالاته هذا الخطاب الشعري النثري، والذي يجعل من وصف الرسول للقرآن، الذي هو خطاب للناس كافة، دون انتقار، مأدبة الله، مع وضعنا في الاعتبار، أن مصطلح المأدبة ما يزال يستخدم في اللسان العربي، بدلالة ما يقدم للضيوف من طعام، وإن كان هذا نفسه يقتضي أدباً وخلقاً وقيماً.

(يتبع)

النخبة الأفريقية ومعضلة البحث عن بدائل الهوية

الزنوجة نموذجاً

أحمد مختار لو *

شهدت العلاقات الدولية غداة الكشوف الجغرافية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر المسيحيين توازنات جديدة على مختلف الأصعدة، وتحولات دقيقة في موازين القوى والتحكم، سهلت الاحتكاك المباشر بين الحضارات والثقافات، وقضت - إلى حد بعيد - على معوقات الاتصال والتواصل بين الشعوب، الأمر الذي كان من الطبيعي أن يقود إلى سيادة قيم بديلة في التسامح والمثاقفة وقبول الاختلاف والتنوع. غير أن لغة الحوار والتعاون السلمي تبدو أكثر وقعاً لدى الحلقة الأضعف في المعادلة، ولا يكاد القوي يفقهها قولاً ولا عملاً.. وبالتالي أفرز هذا الاحتكاك غير المتوازن بين إفريقيا كمنظومة سياسية واقتصادية هشة، و(الميتروبوليات) الكبرى في ما وراء البحر الأبيض؛ تفككاً واهتزازا شديدين في بنى الأولى الاجتماعية والثقافية، سيما وأن الطرف الأقوى ظل على مدى قرون عديدة - ولا يزال - يختزن في مخيلته أنه بصدد التبشير بمشروع تنويري حضاري، ينهي الفوضى الدينية والاجتماعية والسياسية المتجذرة في عموم إفريقيا، ويمهد لربط بلادها بالمنظومة الرأسمالية المتقدمة، كما تؤكد الدراسات الاستفراقية في علمي الإناسة والتاريخ، وحملات التدجين والتنويم التي مارستها الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانتية لتبرير الاسترقاق والاستعمار، وسياسة التفرقة العنصرية المطبقة بأعتى صورها في الطرف الجنوبي من القارة.

وبما أن التعليم ظل لفترة طويلة في قبضة الاستعمار، والإرساليات المتحالفة معه؛ فقد وظف توظيفاً مقنعاً لتمرير هذه الأفكار والرؤى التيئيسية، وتنمية مركب التبعية والشعور بالذنب والنقص في العقلية الأفريقية، حيث تجد نفسها في النهاية مترددة متمزقة، غريبة وضائعة في عقر دارها دون هوية ولا انتماء؛ مما يقود حتماً إلى بروز ردة فعل عكسية، ورحلة طويلة نحو تعزيز الوجود، والبحث عن الهوية والجذور، بحثاً قد لا يقود في نهاية المشوار إلى شاطئ النجاة، وتحقيق الذات، بما يحفظ الذاكرة ويصون الشخصية من التشرد والضياع والغربة، كما هو واضح في مختلف البدائل التي تطرحها النخبة

---

* مدير ومؤسس المركز الأفروعربي للدراسات والبحوث، دكار / السنغال

الإفريقية لمواجهة الذوبان واللاانتماء، كالإفريقانية الأنجلوفونية، والإسلام المتأفرق، والزنوجة التي هي: محل حديثنا الآن..

أولاً: الزنوجة مفهوما ومرجعية

ثانياً: موقفها من الدين والعقيدة

ثالثاً: موقفها من اللغة والثقافة

رابعاً: الزنوجة وقضايا التحرر

أولا: الزنوجة.. مفهومها ومرجعيتها

تصنف الزنوجة ضمن الدعوات العرقية التي عرفتها البشرية أيام كان للقومية وقعها وصداها في آذان الرأي العام العالمي،حيث ولدت وترعرعت في الحي اللاتيني بباريس مع ولوج العقد الرابع من القرن العشرين المسيحي على أيدي رواده الثلاثة «إيمي سيزار وليون داماس المارتينيكيين» و «ليوبولد سيدار سنغور» السنغالي.. ويعزى سبب ظهورها كحركة أدبية وسياسية إلى العداء المرير الذي كانت فرنسا تكنه للثقافات الإفريقية، وسياسة الاستيعاب التي ركزت عليها سلطاتها السياسية لإلغاء الآخرين وتمييعهم في المشروع الفرانكفوني الكبير.

ليوبولد سيدار سنغور

في ظل هذه الظروف القاتمة، ولد هذا الاتجاه الجديد في الثقافة والسياسة، والذي عرفه منظره الرئيس (سنغور) بأنه ينأى بنفسه عن العنصرية والإلغاء، ويسعى لإبراز الوجه الإنساني للحضارة الأفريقية، فالزنوجة لديه لا تتعدى «إدراك القيم الثقافية الإفريقية» والدفاع عنها وتطويرها وأنها المجموع الكلي لحضارة العالم الأفريقي فهي ليست عنصرية، وإنما ثقافة[1].

ويبني سنغور تعريفه للزنوجة أو الشخصية الإفريقية على فرض أن إفريقيا ما قبل الديانات السماوية الوافدة، شهدت وحدة القيم الثقافية والروحية بين مجتمعاتها، وتفردت بخصوصيات ميزتها عن غيرها، وبقيت عنوانا لها وللسمات الأساسية للشخصية الأفريقية الزنجية، وخصائصها النفسية والروحية، والتي تتلخص في الآتي:

1 / وحدة العقيدة الدينية والقيم الروحية (الروحانية الزنجية).

2/وحدة العنصر، كالاشتراك في لون البشرة، وفصيلة الدم، والخصائص (الفيزيولوجية) المشابهة.

3/ وحدة الشعور، والنفسية، والتفكير، أي الوعي اللاشعوري والعقل الجماعي[2].

وتشكل هذه المكونات في نظره العقلية الزنجية المقابلة للهيلينية الأوروبية التحليلية، أي أن الزنجي طبيعي عاطفي حدسي، بينما الأوروبي عقلاني تحليلي، يميل الأول نحو الرقص والطرب، والألعاب البهلوانية، ترويحاً للآخر الذي يصرف جل وقته في التفكير الدقيق المنظم للوصول إلى حل ألغاز الكون والحياة، وهي أوصاف تعبر عن احتقار شديد للعقلية الزنجية، وحط من كرامة الشخصية الإفريقية، ونتاجها الذي يتشدق به سنغور، كما أنها تكرار صريح للأطروحات العرقية التي بلورها الخطاب الاستشراقي والاستفراقي المعني بقضايا الإناسة والتاريخ البشري العام،



1 ـ علي شلش، الأدب الأفريقي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، رقم 171، ط 1993 م،ص :71.

2 ـ خالد عبد المجيد مرسي، التيار الإسلامي في الأدب السنغالي الحديث، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، ليبيا، ط1989، ص :111.

بالإضافة إلى جهله قوانين العلم التجريبي؛ إذ أن فصيلة الدم ليست معيارا دقيقا لتصنيف البشر وفرزهم لوناً أو عرقاً.

مرجعيتها:

اتضح فيما سبق أن الزنوجة لا تتعدى ردة فعل عكسية تجاه الاحتقار الثقافي الذي عانى منه الرعيل الأول من النخبة الفرانكفونية، نمت وربت في حضن الفكر الفرانكفوني، فتأثرت به كثيرا في الطرح والمعالجة، واستلهمت من أدبياته الكثير من المعاني والأطروحات؛ مما أوقعها في تذبذب واضطراب، ومحاولات توفيقية يائسة؛ إذ يعترف أبو الزنوجة (سنغور) في إحدى مقالاته بأنهم ظلوا عالة على المستغرقين الأوروبيين الذين أناروا لهم درب البحث عن المخزون الثقافي الأفريقي، أي: « أن الزنجية ـ كما نفهمها ـ تعني الشخصية الجمعية الزنجية الإفريقية التي كشف عنها أوروبيون مرموقون قد صدقوا فيما ذهبوا إليه، أمثال موريس ديلافوس، وليوفردينوس، وقد اكتفينا نحن بدراستها، بل ومعايشتها ومنحناها اسماً هو الزنجية [3].



ولا يتورع سنغور عن وصف هؤلاء بالأساتذة والمعلمين الذين كشفوا عن ثروات إفريقيا الثقافية المخبأة، في الوقت الذي يتجاهل فيه دور العلماء المسلمين في تطوير وتهذيب التصور الأفريقي، وتوثيقهم الدقيق لمختلف أحداث القارة ووقائعها من خلال مصادر اعتمد عليها (ديلافوس) ورفاقه في كتاباتهم التاريخية و(الأنثربولوجية)؛ ككتاب (تاريخ السودان) للمؤرخ المالي عبد الرحمن السعدي، ومخطوطة (زهور البساتين في تواريخ السوادين) للشيخ موسى كمار، والذي ضيع (ديلافوس) النسخة الأصلية منه في باريس، مما اضطر الشيخ لإعادة كتابته لاحقاً.

3 ـ نفس المرجع، ص :112

إن هذا التوكؤ المفرط للزنوجة على المدرسة الاستشراقية الفرنسية، قد حولها بمرور الزمن إلى أداة طيعة لخدمة مصالح وأطماع الاستعمار الغربي، وساقها نحو الانجراف خلف نظريات (رينان) وتقسيمه المعوج للسلالة البشرية، ومن ثم تصنيف العقليات إلى ابتكارية تحليلية، وعاطفية انفعالية.

ثانياً: موقفها من الدين والعقيدة

بما أن الزنوجة كانت تمثل ردة فعل عكسية غير ناضجة، أو عنصرية مرتدة، حسب وصف الفيلسوف الوجودي الفرنسي (جان بول سارتر)؛ فإن تقييمها للدين والعقائد ظل غامضاً مشوشاً، وخصوصاً فيما يتصل بالإسلام الذي أضحى أحد أهم مكونات العقلية الإفريقية، وعنصراً رئيساً يصعب تجاهله في معركة الحضارة والثقافة، إذ ينظر إليه على أنه عنصر غريب ودخيل يمكن الاستغناء عنه والاكتفاء بقيم الحضارة اللاتينية على حد تعبير الزنوجي السنغالي (على جوب) في قوله: «إن الحضارة اللاتينية هي أشهر تلك الحضارات وأغناها، خاصة وأن إرثها هو الذي انبثقت عنه العلوم السياسية والتاريخية والفلسفية الحديثة، كما انبثق عنه نمط الثقافة المسيحية الحديث. فتاريخها هو اليوم أكبر تاريخ للحضارات هيبة ونفوذا، كما أنها أكثر الحضارات وأعلاها وعياً بذاتها واعتداداً بنفسها، هل أقول بأنها أكثرها زهوا بنصرها كذلك؟» (4).

هل حقاً أن الحضارة اللاتينية هي أشهر الحضارات وأغناها؟

وبعد هذا المدح المسهب لما أسماه بالحضارة اللاتينية ذات القيم المسيحية؛ يدعو بطريقة ملتوية إلى اعتبار الإسلام عقيدة عربية صرفة يستحيل على الزنوجة استلهام قيم حضارية منها قائلا: «... بيد أن الزعامة الروحية للإسلام تقع في حيز الإسلام، وتنجم عن ذلك مسؤوليات تقع بالضرورة على عاتقها، ومن بينها - على وجه الخصوص - أن نقر بأن الإسلام ليس حضارة لكل المسلمين وإنما هو دينهم..»(5)

وهكذا تبدو الزنوجة بمفهومها السنغوري مضطربة وغير منصفة في موقفها من الإسلام الذي يعد الآن أهم عامل محرك لتاريخ إفريقيا السياسي والاقتصادي والاجتماعي، والعنصر الحضاري الأعمق أثرا بالنسبة للإنسان الأفريقي على حد تعبير المؤرخ الغيني (إبراهيم بابا كاكا كي) حتى إن عميد المؤرخين الأفارقة في هذا العصر (كي زيربو) يصف فترة حكمه في الممالك بالعصور العظمى والمضيئة، ويتأسف كثيراً عن تأخر مجيء الرحالة العرب الذين كانوا السباقين إلى تدوين التاريخ الأفريقي.

إذن يهدف هذا الطرح الزنوجي الأحادي لمركز الإسلام في التصور الأفريقي إلى اغتيال الذاكرة، وتأكيد غربة الزنوجة، وصولاً إلى محاصرتها في عمقها الاستراتيجي، وتحويلها إلى محل سخرية واشمئزاز من عدد كبير من المواطنين والمفكرين السود. فها هو ذا (الشيخ حامدو كان) السنغالي في روايته المشهورة (المغامرة الغامضة)، يشكك في مدى صدق هذه الدعوة، وقدرتها على تمثيل القيم النبيلة للمجتمع الإفريقي المسلم، حيث يرد بطل الرواية (سمبا ديللوا) على الملاحظة المثارة تجاه

4 ـ خالد عبد المجيد مرسي، التيار الإسلامي، مرجع سابق، ص :126

5 ـ نفس المرجع، ص :126

شخصيته: «أعتقد أنك متمسك بزنجيتك» (6) معترضاً بعنف «أنا لا أحب سماع هذه الكلمة التي أجهل حقيقة مغزاها... ناظرا إلى الفتاة المتسائلة بعين حرقي وقلب مشمئز، مخاطبا إياها: «أنا أعتقد أنني أفضل الله على أمي»(7)، وكأنه يستشعر قوله تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة التوبة، الآية:24]

وهكذا استطاع (كان) - في روايته التي اكتسبت شهرة عالمية - تأكيد انتصار الإسلام وقيمه على كل بدائل الهوية التي يراد توطينها في أفريقيا، وإشغال النخبة بها لاحيا للثقافة الإفريقية، وحرصا على الأصالة والقيم، بقدر ما هو سعى تلفيقي، وتمييع مقنع، يرمي بها في النهاية إلى أحضان الفرانكفونية، والانتماء المتذبذب، والأطروحات الخاوية عن مدعمات واقعية.

مقصودٌ للغات الوطنية في الإبداع والتعليم، والفرز الوظيفي، بل تجاوز بالبعض الحد إلى اعتبار الفرنسية إنجيل أفريقيا المقدس، والظهور أمام العالم بمظهر يعبر عن سواد بشرة مغلفة بأقنعة بيضاء، على حد وصف الدكتور (فرانز فونان) في كتابه الشهير (معذبو الأرض). وهكذا اعتبرت الزنوجة - في نظر الثوار الأفارقة - مهزلة فكرية مستهجنة، سيما وأنها تعبر بنفسها بلغة مستوردة أو مستعارة، دون أن تشعر بحرج أو ضيق من ذلك المثال، وتخاطب قومها بأدبيات هم في غنى عنها.


فرانز فونان

ولعل سر هذا التعلق، والارتماء المخجل بالفرانكفونية، يكمن في عمق تأثير الثقافة الفرنسية في هذه النخبة، وهي ثقافة لا تعترف بمركز الآخر المختلف المخالف، وليست مستعدة للحوار المفضي إلى الاعتراف بالحق في التعدد والتنوع، بل يتمادى لتمييعه واستيعابه ضمن ما أسماه بسياسة الاندماج الثقافي الاجتماعي في المنظومة الفرانكفونية الكبرى.

ثالثاً: موقفها من اللغة والثقافة

رغم أن اللغة هي العنصر الأبرز والأعمق مركزية لدى العديد من الدعوات القومية؛ فإن خطاب الزنوجة جنح نحو تجاهلها، وعدم التطرق إليها إلا على استحياء؛ نفاقاً أو حذراً من إحراج حليفتها التقليدية التي وصفها (سنغور) بإنسانية القرن العشرين، ودافع باستماتة عن تعليم اللغة اللاتينية القديمة في المدارس السنغالية، باعتبارها لغة كلاسيكية لا غنى عنها، في وقت توالى فيه إهمالٌ

رابعاً: موقفها من الاستعمار وقضايا التحرر

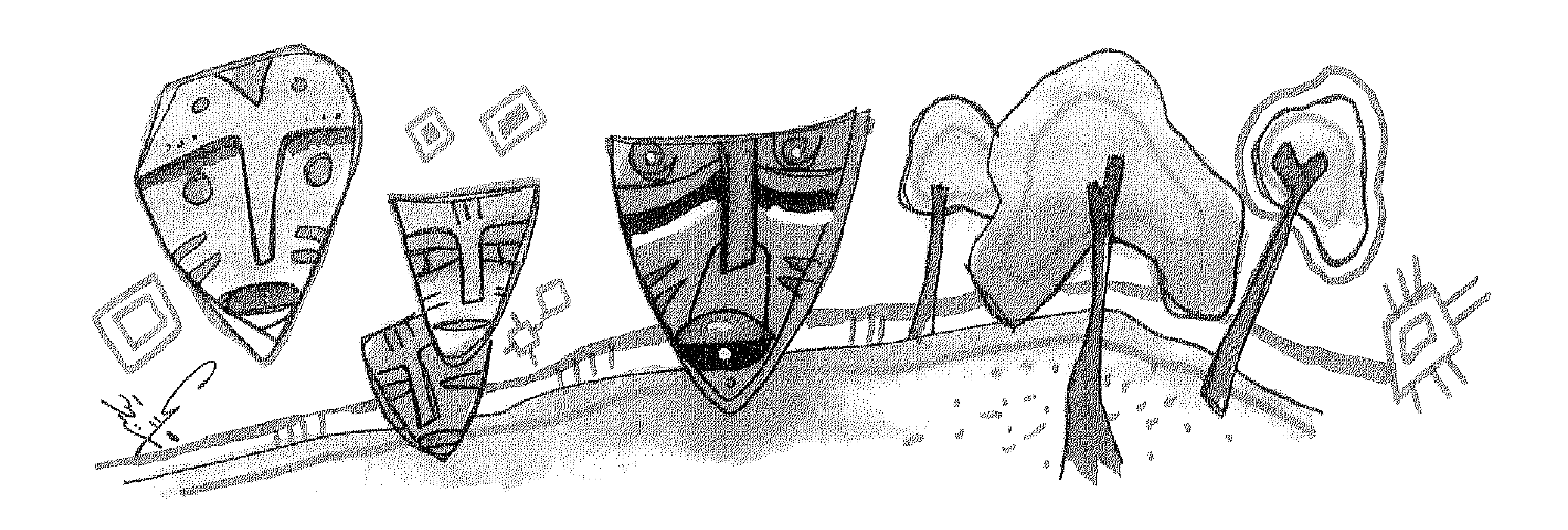
رغم تظاهر الزنوجة بالإفريقانية، والدفاع عن قضايا السود الثقافية والسياسية؛ فإن موقفها من الاستعمار ظل مهادناً مستسلماً. فقد تحاشت التطرق للمسألة الإفريقية ومعالجتها نضالياً، بل فضّل تمجيده والتماس العذر والمغفرة له، كما يصرح (سنغور) في كثير من قصائده التي يمتدح فيها باريس ونيويورك(8). ما جعل العديد من الأدباء والكُتّاب الأفارقة يبدون توجسا وريبة منها، معتبرين

---

6 - Cheikh Hamidoucan 1 avnture ambigue, Paris: 2002, p155

7 - Ibid, pp 155-156

8 - ينظر Leopold Sedar Senghor, œuvre poetique, editions du seuil, 1990, p.16



إياها مجاملة فارغة لا ضرورة لها، وتنصلا من المعركة الإفريقية الكبرى من أجل التحرر، وقطع أية صلة بالاستعمار القديم والجديد. و قد اتخذ الأدباء الأفارقة (الأنجولوفون) موقفًا مشابهاً ينم عن استغراب من زنوجة تتغنى بالقشور والثانويات، وتنأى بنفسها عن دائرة المواجهة الشاملة، وبالتالي: «رفضوا هذه الدعوة، واعتبروا تكشر الزنجي عن أنياب العرقية مجرد هراء لا طائل تحته، يقول الشاعر (وول سوينكا): «النمر لا يتبختر هنا وهناك مفتخراً بمزيته، بل ينقض على فريسته، وعليه فلا داعي للزنجي أن يعرض عضلاته الثقافية، بل يعبر عنها مباشرة» (9).

وول سوينكا

وبعد هذا التتبع المتسلسل للزنوجة ومواقفها المترددة تجاه محاور عديدة، نستخلص أنها تواجه مستقبلاً غامضًا ومعقدا،لاعتبارات عديدة، أهمها:

- غربة الخطاب في البيئة الإفريقية التي لا تكاد تفقهه إلا بشق الأنفس، وتتعاطى معه بسلبية وازدراء.
- عدم إنصافها في تقويم العقائد وتصور الكون والحياة؛ وضعها في موقع التيارات الفكرية الهدامة المضادة لدعوة الإسلام التي تخطت حواجز اللون والجنس.
- اعتمادها الكبير على مرجعية خارجية؛ أثار حولها شكوكًا وريبة، ونقاط استفهام، وساهم إلى حد كبير في إضعاف شوكتها مع أفول الوجودية ومدارس اللامعقول في فرنسا.

ونعوذ بالله من فتنة الخنا والزلل.

9 ـ امباي لو بشير، قضايا اللغة والدين في الأدب الأفريقي، مركز دراسات المستقبل الأفريقي، القاهرة، ط 1996 م، ص.ص: 58 ـ 59

أهم المراجع :

1 ـ امباي لو بشير: قضايا اللغة والدين في الأدب الأفريقي، مركز دراسات المستقبل الأفريقي، القاهرة، ط 1996م

2 ـ خالد عبد المجيد مرسي، التيار الإسلامي في الأدب السنغالي الحديث، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، ط 1989 م

3 ـ علي شلش، الأدب الأفريقي، عالم المعرفة، الكويت، رقم 17،ط 1993 م

4 ـ Cheikh Hamidoucan; l avnture ambigue , imprime en francParis: 2002, p 155.

5 ـ Leopold Sedar Senghor ,oeuvre poetique, éditions du seuil ,1990, p.16.

الإسلام والغرب.. تواصل أم قطيعة؟

الدين الحق ليس ظاهرة فكرية أو اجتماعية

د. سالمة عبد الجبار *



لقد مر الفكر الإنساني بمراحل تاريخية محددة، اتسمت بخصوصيات، وكانت انعكاسًا طبيعيًا لواقع الإنسان في كل تلك المراحل، لذلك جاء التاريخ الإنساني، مرتبطًا ارتباطًا قويًا بتلك المعطيات البيئية، وتلون التاريخ بلون العقل الإنساني، أثناء تحديد عصوره، فكان ما يعرف بالعصر الحجري، والعصر الجاهلي - نسبة إلى ما وصلت إليه البشرية من تطور - وكذلك عصر الفتوحات الإسلامية، والعصر المدرسي عند المسيحيين، وعصر التصنيع، وعصر النهضة والتنوير، وهناك عصور الظلام، وعصر الحرب الباردة، وكذلك الساخنة؛ وفي ضوء هذه المعطيات، يمكن وصف عصرنا هذا بعصر التديّن، أو عصر الصحوة، وهو عند البعض عصر نهاية التاريخ، أو عصر صدام الحضارات عند آخرين، أو هو عصر العولمة، أو النظام العالمي الجديد، أو النظام الأحادي الجديد، وأيًا كانت النعوت والمسميات، فإن الدراسات التاريخية والفكرية، الراصدة لتطور المجتمع الإنساني، تؤكد موقع التدين عمومًا كظاهرة بارزة في الفكر الإنساني، كذلك مكانة الإسلام كحركة فاعلة في الخارطة العالمية.

والإسلام - على العكس مما يذهب البعض - ليس ظاهرة فكرية واجتماعية قد تبرز وتختفي، شأنها في ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى، بل هو حركة قوية تنمو وتتزايد، متجاوزة حدود ما يعرف بالعالم الإسلامي إلى كل أرجاء المعمورة.

ولعل ما يفسر هذه الحقيقة، الاهتمام المتزايد الذي يوليه مفكرو العالم «للمد الإسلامي وللحركة الإسلامية»، في محاولة لفهمها واستبطان جوهرها، بغية التعامل معها، وسهولة احتوائها، ومن هنا برز هذا الجمع الكبير من الباحثين والمفكرين الغربيين، في دراسة الحركة الإسلامية، بتعليل عوامل النشأة وأسباب الانتشار، وجوانب القوة والضعف فيها، كما أثروا القاموس السياسي المعاصر، بمعجم من المصطلحات تصب كلها في إطار الإسلام، مثل: الأصولية الإسلامية، والتطرف، والإسلام السياسي، والتاريخي، والتقدمي، والتحديث... إلى غير ذلك من المفاهيم.

* كاتبة وأستاذة جامعية/ ليبيا



إن القراءة المتأنية لهذه المصطلحات، تؤدي بنا إلى إفراز جملة من المفاهيم التي فرضت على الثقافة الإسلامية، فأحدثت ما يمكن وصفه بصراع القيم والمفاهيم، ذلك لأنها مصطلحات نحتت في مصانع الغرب، وصيغت على قوالب محددة وجاهزة، تتمشى مع الثقافة الغربية، ذات الفكر (الأيديولوجية) اليهودية والمسيحية، ولما أرادوا تطبيقها على العقل العربي الإسلامي، حدث هذا التوتر، ما أدى إلى أشكال مختلفة من الصدام، بسبب تعارض المفاهيم.

لقد جاءت هذه المفاهيم بنوع من التزاوج بين الإسلام وشتى أنواع النعوت، فهناك الإسلام الأسود والإسلام الأصفر، والإسلام الاشتراكي، والإسلام البرجوازي، والإسلام المتطرف، والإسلام المعتدل.

والحقيقة أنه لا مكان لمثل هذا المزج الغريب، بين الإسلام ونعوت أخرى، ذلك لأن الدين عند الله الإسلام، وهو القاسم المشترك، بين كل بني البشر في معتقدهم، ضمن الشمولية التي هي الخاصية الرئيسة للإسلام.

فلا يمكن القول بإسلام يتجه للأغنياء دون غيرهم، ولا إسلام خاص بالملونين، وغير ذلك من التمايز الطبقي، بل إن الخاصية الأساسية للإسلام، هي محو الفوارق بين الناس، وإزالة كل أنواع الطبقية المادية، وبذلك فالتمايز لا يتحقق بالإسلام كدين، وإنما ينصرف إلى درجة الفهم لهذا الإسلام من معتنقيه، وطريقة ممارسة الشعائر، والقدرة على تأويل النصوص، واستنباط الأحكام، والربط بينها وبين واقع الناس في تكاملية رائعة، وهي التي تجعل من الإسلام على خلاف باقي الديانات الأخرى دينًا ودنيا، يحقق في واقع الناس تعادلية متناسقة ومنسجمة تبدو غريبة على العقل الغربي، وذلك ما يثير إشكاليات حضارية، حول التواصل بين الغرب والإسلام، مما يصعب قبوله فكريًا.

من هذه الازدواجية، تبدأ معاناة الإسلام مع الغرب، وتبدأ معاناة المسلمين مع التصور الغربي للإسلام.

إن عقدة الغرب المستعصية على الحل، تتمثل في تعامله مع الإسلام، من منطلق اختزالي يحيل الإسلام إلى حركة تنشر العنف، وتشيع التطرف، وتغدو مجرد فكر (أيديولوجيا) أو برامج وألوان من الأنشطة، تصنع هذا الخطر الإسلامي الذي يخوف الغرب به نفسه والآخرين.

إن هذا الاختزال للإسلام ـ من جانب المفكرين الغربيين ـ هو الذي حدا ببعضهم إلى التحذير من الخطر الإسلامي القادم، على حد تعبير (فرانسوا أيوغارت FRANCOIS BURGAT) في دراسته التي تحمل عنوان: الإسلام الذي نواجهه، الخطر الإسلامي القادم. وهو ما جعل باحثًا مثل (جون اسبوزيتو JOHN EXPOSITO) يتحدث هو أيضًا، عن التهديد الإسلامي، ضمن كتابه المعنون: «الخطر الإسلامي بين الأسطورة والواقع.

The Islamic Meanace Mith or Reality.

OXFORD UNIVERSITY

هل هناك مكان لمثل ذلك المزج الغريب بين الإسلام ونعوت أخرى؟

إن فرنسوا بوغارت ـ وهو من المفكرين الغربيين المنصفين للإسلام ـ هو الذي يطرح تساؤلاً جريئًا عندما يقول: هل سيكون هذا الإسلام الخطير هو المفاوض الوحيد، أمام أوروبا في مستقبل قريب؟!

من هذه المقدمة يصل (بوغارت) إلى بعض النتائج التي يصوغها في الأحكام الآتية:

1 ـ ينبغي التنبيه إلى العنف الإستئصالي، ودوره في تغذية التطرف الإسلامي.

2 ـ كما ينبغي الإعتراف بالإسلاميين كترجيح سياسي بدهي، يقوم على قراءة التصاعد الإسلامي، والذي يتم بأدوات معرفية جديدة، وبعيون لا شرقية ولا غربية، وإنما بنظرات إنسانية عالمية وواقعية.

إن نقطة الضعف في رؤية الغربيين للإسلام هي: أنهم ينظرون إليه بمنظار كاثوليكي، ويحكمون على شعائره وقيمه من الرؤية الغربية، التي تقوم على مصلحة الغرب وأستراتيجيته في بسط نفوذه، ومحاولة إخضاع ما سواه لهيمنته، ومن هنا كان التباين واضحًا بين رؤيتنا للدين عمومًا، وللإسلام على وجه الخصوص.

ففي حين يتعامل الغرب مع الإسلام كخطر قادم، يبشر بالعنف وينذر بالحرب، ويرفع لواء العصيان في وجه مخططاته التوسعية، العَلْمانية، الاستئصالية، ننظر نحن للإسلام كحصن نلوذ به لحماية الذات، وإثبات وجودها وصيانتها من الذوبان والتلاشي.

وإذا كان الغرب يحاول تطبيق المنطق الكنسي على الإسلام، فإن صراع المفاهيم بيننا وبينه يبدأ من هذه النقطة، التي تعتبر العَلْمانية تعطيلاً أو إلغاء للشريعة، ومحاولة إبعادها من الحياة اليومية، في التعامل مع المواطن، أي: فصل الدين عن الدولة؛ فالأصل في المسيحية أنها تفرق بين الدين والدولة، تجسيدًا لشعار السيد المسيح -عليه السلام- القائل: أعطوا ما لله لله، وما لقيصر لقصير، ولذلك لا يمكن التلاقي والحالة هذه، مع الغرب المنزعج من مكونات الذات، التي قوامها العروبة والإسلام، والمحصنة بالدين. في هذه العلاقة القائمة بين الغرب والإسلام، تبرز حقيقة هامة هي: الفراغ الفكري (الأيديولوجي) لدى العقل المسلم، الذي فشل الغرب ـ بمنهجه الغريب عن الفكر الإسلامي ـ في ملئه في حين نجح الإسلام، من خلال القيم والمبادئ التي يقدمها للعقل المسلم، في محاولة الإجابة عن مختلف تساؤلات الشباب، العقائدية والسياسية والاقتصادية والثقافية، فكانت قوة الإسلام الأصلية وضعف المناهج الغربية الوافدة.

إن المعطيات النظرية لتصور الغرب للإسلام،

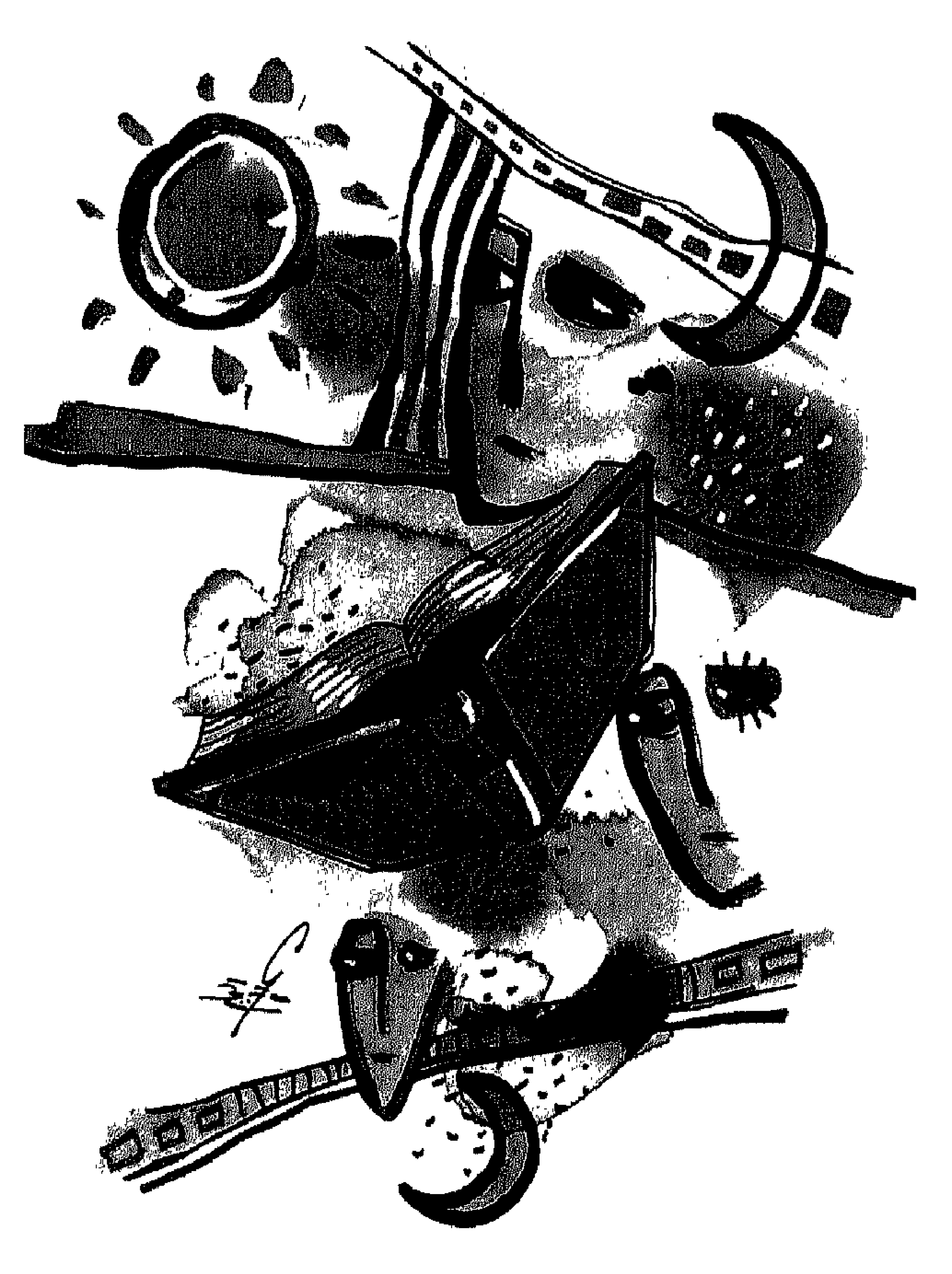
تلقي على العالم مسئولية كبيرة، تتمثل في المنهج التغييري للنظرة من الجانب الغربي، والمنهج التفسيري للإسلام، من حيث عرضنا له على الناس، إذ ما زالت الإشكالية قائمة بالنسبة لنا نحن المسلمين، في تبني أفضل الطرق وأنجع الأدوات المعرفية، لتقديم الإسلام أداته من خلال الطرق المتبناة التي تمكن من عرض الإسلام في قوالب متعددة: إما أنه الرافض لكل ما حوله ومن حوله، والكافر بعلوم الغرب وتقدمه المادي، في مجال التقنية، والمتقوقع المنغلق على أتباعه ومريديه، وهذا ما يمثل خيانة لروح الإسلام. أو هو دين المسلمين الخائفين الخاضعين المنسحبين من الواقع والمجتمع الإنساني، لا هدف لهم إلا الفناء في الله، وهو ما يجسد المفهوم الخاطئ لجوهر الإسلام ومبادئه.

هل يمكن تقديم الإسلام للناس على أنه دين القتل الجماعي، والإرهاب الأعمى وترويع الآمنين من البشر؟!... إن ألدّ أعداء الإسلام هم بعض من المنتسبين إليه الذين يلصقون به هذا الفهم الخاطئ ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

[سورة آل عمران، الآية:78]

مشكلة الإسلام مع بعض أتباعه إذن، تتمثل في جهلهم بالإسلام أصلاً، سواء من حيث ممارستهم الخاطئة لشعائره، أو فصلهم لأحكامه، وهو ما قد يحسبه غير المسلمين جزءاً من الإسلام، فيحملونه تبعات كل ذلك..

والحقيقة أن في المجتمع الإسلامي ماضويين تقليديين في خطابهم، يقدمون الإسلام للناس بطريقة تؤكد عجزهم عن مسايرة تقدم الفرد والمجتمع معًا، وفي المقابل نجد اليوم في المجتمع الإسلامي دعاة منهج تبليغي، يقلدون الآخر في



احتكاكهم بالإنسان داخل الأسرة وفي كل مكان، للتعايش مع مشاكلهم ومساعدتهم في حلها، لدعوتهم بعد ذلك للعودة إلى الدين، وإبلاغهم كلمة الله، وعيب هذا المنهج يكمن في عجز من يتطوعون للقيام به، فصاروا مثل الساعي إلى الهيجاء بدون سلاح، والحامل للرسالة دون امتلاك الاستعداد أو القابلية للتبليغ.

وهناك فريق آخر، يرفع شعائر تحرير الإنسان من كل القيود، المادية والسياسية، وبالتالي تحرير المجتمع نفسه، من عقدة الخوف والخضوع والتسلط، القائم على الظلم والقمع والإذلال.

إن هذا اللون من الفهم للإسلام في ممارسة الشعائر، هو القائم على تسييس الدين أو الإسلام

وهدفه تحرير الأرض والمجتمع، أو الأمة الإسلامية من التبعية للغرب، والعمل على التقليل من الفوارق الاجتماعية، بإثارة الأغلبية للضرب سياسيًا، على أيدي الأقلية التي تمتص خيرات الأمة، على حساب تنميتها وسعادتها. لقد خرج أنصار الإسلام (التغييري كحركة نابعة من رحم المجتمع) تترجم عمق أصالته، رافضة أن تكون حركة مستوردة أو تنفذ أوامر الغرب، تحت أي لون من ألوان التبعية أو العمالة، إنها تعتبر نفسها ترديداً لأصوات الجيل الجديد، الحائر المأزوم ضمن التوتر الذي يطبع علاقات الأجيال، ويبرز أزمة القيم في المجتمع الإسلامي.

لذلك هل يمكن اعتبار الحركة الإسلامية السياسية أقرب إلى المشاعر، لأنها تعبر أحيانًا عن تجسيد لعقم الأنظمة المتعسفة في ممارستها، بحيث أحدثت صدمة حضارية بين طموحات القوى الحية في الأمة وخاصة الشباب، وبين ما يعرض على هذه القوى من قشور حضارية غربية مستفزة لشعور وأخلاق وقيم المجتمع؟.

غير أن نقطة الضعف الجامعة بين مختلف أنصار المنهج التغييري الإسلامي، تتجلى فيما يمكن تسميته (عقدة المنهج) حيث لا يزال دعاة الحركة الإسلامية يعانون تمزقًا، أمام المنهج الذي ينبغي الأخذ به في تطبيق الشريعة.

هل يأخذون نصّية الخطاب في التطبيق؟ أم مقصدية هذا الخطاب في الهدف؟ هل يتبنون الفقه الحركي المنفتح والمتفاعل مع مشاكل الإنسان في الحياة؟ أم يأخذون الفقه المقاصدي الرافع لشعار: (حيث مصلحة الجماعة فثمة شرع الله)؟.

وعندما نخضع تجربة أصحاب هذا المنهج لعملية التحليل والنقد، في عرضه على الواقع النابع منه والهادف إلى تغييره، نصل إلى استخلاص النهج التكاملي الشمولي، الذي لا يؤمن بالتجزئة في العلاج، ولا بالاختزال في التشخيص، وإنما يكون منهجًا متكاملاً، ينظر إلى الإنسان نظرة كلية شاملة.

أين يقف فقه الفكر وفكر الفقه من أزمة المنهج، التي يعانيها الفقه الإسلامي اليوم، وسط حملات التشويه التي تستهدف الإسلام، وتنعت الحركة الإسلامية بشتى أنواع النعوت، كالإرهاب والعنف والغلو والتطرف؟ وهل يسلم دعاة الحركة الإسلامية بما ينعتون به، من عنف وإرهاب وتطرف وغلو؟

إن الغلو موجود لدى الطرفين، والعنف يمارس بطريقتين مختلفتين: الخطاب الإسلامي المعاصر من جهته يعاني عنفًا موجهًا ضد فئات معينة في المجتمع، مثل العلماء والمثقفين، وحتى الأغنياء والنساء، معتبرهم السبب المباشر في انحراف المجتمع، عن طريق الله، وعقبة في سبيل تطبيق الشريعة.

ما زالت الإشكالية قائمة بالنسبة لنا نحن المسلمين في تبني أفضل الطرق وأنجع الأدوات المعرفية لتقديم الإسلام

وعندما يناصب بعض الإسلاميين المرأة العداء، ويحرمونها من ممارسة حقها الاجتماعي في العمل والدراسة، وحرية اختيار الشريك، فإن ذلك تعطيل لطاقات مهمة في المجتمع، وقد ينصب هذا العنف لدى أصحاب هذا الخطاب على قضايا جزئية من حياة المجتمع، كالاختلاط بين الجنسين، ومسألة النقاب أو الحجاب، ومصافحة المرأة للرجل، وتحريم التصوير والفنون بأنواعها، وهي كلها قضايا أقل ما يقال فيها إنها قضايا فقهية خلافية، وقصارى القول فيها فتوى يصدرها مجمع فقهي، أو دار إفتاء أو عالم في مجال فقه العبادات والمعاملات.

ويتخذ الغلو في مواضع أخرى، طابع العنف حينما يعمد إلى تسييس الدين، فيحل التكفير محل التقدير،

ويتحول الدعاة إلى قضاة للحكم على إيمان العامة والبسطاء، وبذلك يوظف النص الديني لصالح النص السياسي.

أما الأسلوب الآخر للعنف، فهو الذي يمارس من طرف الحكام في شكل القمع والظلم، ومصادرة الحق في التعبير، أو المشاركة في اتخاذ القرار السياسي. إن هذا اللون من العنف قد أدى إلى رد فعل أعنف، تمثل في غلو الحركة الإسلامية في تكفير الحكام، واعتبار حكمهم حكم طواغيت، بل اتهام العلماء بموالاة الحكام ومساعدتهم في صياغة وممارسة إسلام تبريري يكون رهن النظام السياسي، يصدر الأحكام والفتوى حسب المقاس والطلب، ليؤدي إلى استيراد نموذج من التعامل مع الحكام، بمنهج يسالم ولا يهدد ويساوم ولا يقاوم.

وإلى عنف الحاكم يضاف العنف الإعلامي، ممثلاً في الإعتداء على عقول الناس، وتدمير قيمهم، وذلك ما يعتبر أخطر أنواع العنف ضد الإنسان المسلم في مجتمعه.

إن هذا العنف والعنف المضاد، قد أنتج في القاموس السياسي الذي وصفه (جيل كيبيل KIBEL GILLEA) في كتابه: مثقفو ومناضلو الإسلام المعاصر -

Intellectuels et militant de L'Islam cotemporain

بصراع المستضعفين والمستكبرين، ووصف (الشيخ القرضاوي) أتباعه بالظاهريين الجدد.

إن عجرفة المستكبرين وحلفائهم الذين أحلوا لأنفسهم إهدار المال العام، والتسبب في تبعية دولة غنية بمواردها، في خبزها على الاستيراد من الخارج، هذا العنف هو الذي ولد العنف المضاد، وكون طبقة في المجتمع من العلماء والفقهاء لخدمة أفكار أولئك المستكبرين... من هنا ضاع البحث عن فهم صحيح للإسلام، يقود إلى ممارسة سليمة للشعائر، تكون في مستوى الصفاء والنقاء والحكمة، التي جاء بها الإسلام... هذا الدين السماوي الذي يمزج الشريعة بالحياة، فيكون الإسلام هو المزاوجة بين الدين والحياة.... الدين بقيمة وأحكامه وقوانينه، والحياة بكل أشكالها وأنماطها في التنمية، والعلوم، والتقنية.



إنجيل برنابا وثقافة السلام العالمي

أين إنجيل برنابا؟

عمر بن محمد المجدوب*

هذا الإنجيل كان معروفاً بين المسيحيين وغيرهم بالشرق، أواخر القرن الخامس لميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ، عندما أصدر البابا «اجلاسيوس» الأول، منشوراً يحظر فيه على المسيحيين قراءة هذا الإنجيل، الذي يكاد أن يختفي نصه من تاريخ المقروءات بين الناس، وعندما ظهرت أول نسخة منه خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر في أوروبا أثار ظهورها ضجة بين الكنائس، والمفكرين باللاهوت، وأوروبا يومذاك في ولع فكري بكل جديد، كلازمة من لوازم الفكر وليد النهضة الأوروبية، وقد يكون هذا الفكر وقت ظهور نسخة الإنجيل في حال اهتمام بظاهرة التنظير الفلسفي عن الحياة ومتعلقاتها العلمية، لذلك يحفل المفكرون الأوروبيون بما في إنجيل برنابا من تميز مرجعي لفكر وثقافة ذات طابع إنساني تجمع البشرية في وحدة المعتقد الديني.

قراء تاريخ الأديان المعاصرون قد لا يعلم غالبيتهم ما يجب أن يعلم عن إنجيل «برنابا» وصاحبه، لأن الاهتمام به صار من «المحرمات الكنسية» فاستقر هذا التحريم بهامش شعور

* باحث/ ليبيا

الشخصية العامة لنصارى الغرب، وكان هذا التحريم محموداً بين مفكري اللاهوت اليهودي، ومع ذلك أبيح لفكر وفلسفة الإلحاد الشيوعية، أن تعتمل مع غيرها من نظريات الفلسفة الغربية، حتى أصبح «كارل ماركس» اليهودي الألماني، معروفاً بالإعلان الشيوعي والذي كان بمثابة إنجيل الانفلات الأمني ضد الدين وكرامة البشر وحريتهم.

وأجاز غير واحد من المفكرين الأوروبيين قبول نظرية «أصل الأنواع» وغيرها من النشاط الفكري حتى تنّكر بعضهم لمنظور منطق المعرفة العلمية في بعض ما ذهبوا إليه، والكثير من ذلك مدون بتاريخ الفلسفة الأوروبية وتراجم حياة المفكرين بالغرب.

ورغم أن إنجيل «برنابا» قد تُرجم إلى اللغة الانجليزية سنة 1784 مسيحي وهي فترة عُرفت بأنها بداية النشاط الفكري، وعلمية النظر إلى المعاني والأشياء، رغم كل ذلك فلم ينتظر من يدرك نمطية المنظور الفكري للغرب سوى مفهوم «الأنا» الديني المتعارف عليه بينهم في وحدة جمدت على تأليه البشر، أو أفضلية عرق على بقية البشر، وهو ما يُنكره إنجيل «برنابا» وينفيه بأقوى الأدلة نقلاً عن السيد المسيح (عليه السلام).

وفي الشرق وبين قرائه حدث سنة 1908 مسيحي أن وُفق الأستاذ محمد رضا[1] في الحصول على نسخة الإنجيل المترجمة عن اللغة الإنجليزية، واتفق مع صديقه الدكتور«خليل سعادة» بأن يُترجم الدكتور هذه النسخة إلى العربية، ونُشرت الترجمة في كتاب[2] فعرف قراء العربية إنجيل «برنابا» وأن صاحبه «برنابا» كان من أقرب المقربين في حواريي المسيح إليه، وقبل ذلك لم يكن معروفاً سوى الأناجيل الأربعة وإنجيل بولس[3].. إلخ.

جاء بالمقدمة أن «برنابا» من حواريي المسيح، وأقربهم إليه، وأنه حمل على «بولس» فيجوز أن تعتبر هذه الحملة هي سبب منع قراءة إنجيل «برنابا» منذ أواخر القرن الخامس مسيحي، وليس اتفاق ما جاء بالإنجيل البرنابي مع القرآن الكريم، لأنه عندما منع البابا «إجلاسيوس» الأول قراءة هذا الإنجيل لم يكن قد وُلد النبي ﷺ الذي نزل عليه الوحي بالقرآن الكريم.

وقد وصف «بولس» في هذا الإنجيل بـ «الضلال» لأنه هو الذي دعا المسيح (إلهاً أو مع الله) أو (التثليث) وكلها تُصوّر دعوة إلى تأليه المادة، أو الشرك، أو غير ذلك، وهو ما نفاه المسيح (عليه السلام) بقوله :

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [سورة المائدة، الآية:72]

ولقد قال أيضاً:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة، الآية: 73]

❖❖❖

تبين بسبب تدوين الإنجيل وتداوله بين الناس في نص الإنجيل نفسه كما يلي :

«بأن المسيح قد أوصى بأن يكتب الإنجيل درءاً لما قد يحدث من تقوّل ضد الحق، وبعد أن غاب يسوع تفرّق التلاميذ في أنحاء العالم المختلفة، أما الواقع المكروه من الشيطان فقد قهره الحق كما هي الحال دائماً، فإن فريقاً من الأشرار الذين ادعوا أنهم حواريون بين الناس، بأن يسوع مات ولا يقوم، وأن الآخرين أذاعوا بأنه مات حقيقة ثم قام، وآخرين قالوا ولا يزال يقولون بأن يسوع ابن الله، وكان ضمن هؤلاء

---

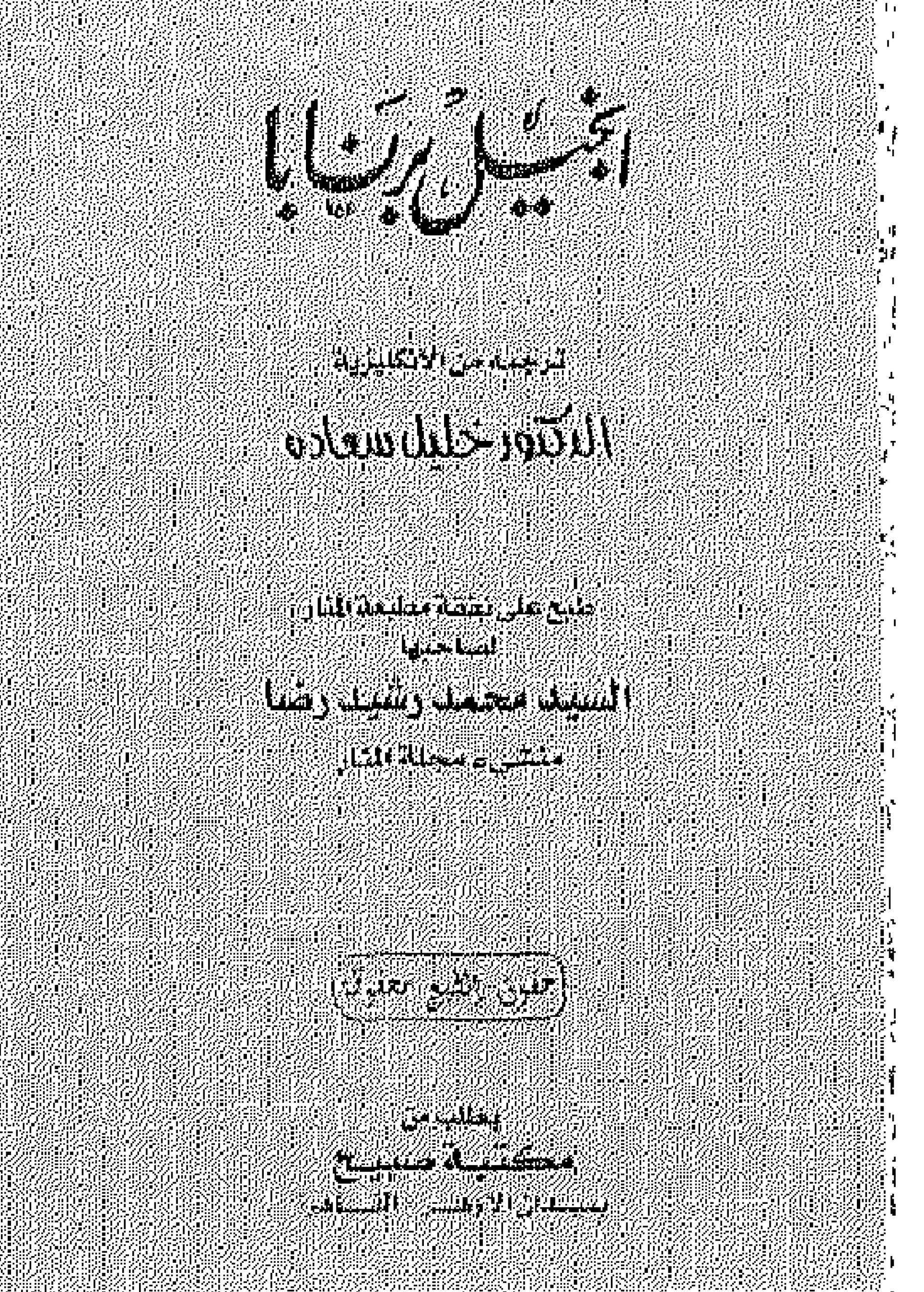
1 ـ الاستاذ : محمد رشيد رضا صاحب جريدة المنار.

2 ـ كتاب انجيل برنابا ترجمة الدكتور خليل سعادة: نشر محمد رشيد رضا سنة 1908 مسيحي.

3 ـ مقال بمجلة الحكمة الصادرة عن كلية التربية جامعة الفاتح سنة 1979 بقلم الدكتور عبد القادر محمود.

«بولس» أما نحن فإننا نُبشّر الذين يخافون الله ـ فيما كتبت ـ ليخلصوا في اليوم الآخر لدين الله ـ آمين».

بالعهد الجديد «برنابا» رسول يسوع الناصري المسمى المسيح يتمنى لجميع سكان الأرض سلاماً، أيها الأعزاء إن الله العظيم قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة ـ بنبيه ـ رحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، الذين ضل في عدادهم أيضا «بولس» الذي لا أتكلم عنه إلا بأسف، وهو الذي من أجله أسطر هذا الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع حتى تخلصوا فلا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دين الله وعلى ذلك فاحذروا، احذروا كل من يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه فتخلصوا خلاصاً أبدياً ولكن الله العظيم معكم، وليحرسكم من الشيطان ومن كل شر ـ «آمين» ـ انتهى نص الترجمة من الانجليزية إلى العربية في كتاب «إنجيل برنابا» المنشور سنة 1908 مسيحي، بالقاهرة.



هذا الإنجيل اتفق ـ فيما يخص عقيدة الإيمان بوحدة المعبود سبحانه وتعالى ـ مع دعوة رُسل الله من أولهم حتى آخرهم ـ صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين إلى البشر حتى يوم الدين.. والعقل الغربي في إنسانه وهو يعيش عصر العلم أحوج من غيره إلى أن يتخذ هذا الإنجيل ـ على الأقل ضمن مرجعيات التفكير - لبناء مركب ثقافة السلام لصالح أمن حياة أجياله وإنقاذهم من ويلات مركب ثقافة الماضي فيما يخص صورة نتائجها على تاريخ علاقة دول الغرب بشعوب أمة الإسلام، وعلى أمن حياة شعوب أوروبا ذاتها جراء كوارث الحروب التي لا يدل قرار قيامها إلا على شيء واحد وهو قصور الإدراك لقيمة معنى حياة الإنسان وقيمة معنى رموز الحضارات التي تزيلها معارك الحروب من الوجود.

في قراءة لمراحل تطور الفكر الديني لدى الغرب ما يستشعر حيرة فكرية وعقلية أيضاً، فقد تحكمت مرجعيات فكر التثقيف والتعليم في توجيه أجيال أمم الغرب وجهة غير آمنة على حياة البشر طوال قرون حتى تعايش معها الناس فكونت مزاجهم العقلي، وكان أساس تلك المرجعيات فكراً لاهوتياً مفارقاً بوضوح لأصول التوراة والإنجيل كما يُوضح هذه المفارقة «إنجيل برنابا» ثم القرآن الكريم.

ورغم تعايش المزاج العقلي للغرب مع ويلات نتائج ذلك التدين الصامت أمام الكوارث وظهور مرجع ديني يشجبها في نص إنجيل «برنابا» منذ ثلاثة عشر قرناً تقريباً، وما فيه من دعوة إلى الحق في المعتقد الديني والعدل، والأخوة الإنسانية بين البشر وكلها الموضوعية عينُها للأمن والسلام في منهج دعوة سيدنا المسيح ـ عليه السلام ـ وفكر اللاهوت النصراني واليهودي في ضلال التفاضل العرقي، والثالوث، أو غيره في عقيدة العبادة ونكران الرُسل، ولو لم يكن بتاريخ الحياة الفكرية عند الغرب إلا ما جاء بالتصوف العقلي بفلسفة «برتراند رسل» لكفى ممارسة التنظير الغربي رادعاً من الوقوع في جريمة وضع الأسباب لقيام الفتن، بل وإشعال نار الحروب في حياة البشر، وافتعال مبرراتها، دينياً، وعرقياً، وحتى باسم الحضارات ليصبح النزوع إلى الشر من القضايا المألوفة في حياة الأمم والشعوب ويتبع ذلك تدمير الحضارات وطمس قيمة معانيها في التاريخ وينتهي الوجود الآمن لحياة الناس.

وقرّاء عصر العلم يتساءلون اليوم، هل إن مستوى حرية المعتقد الديني، والفكر، بنظر اللاهوت النصراني الآن، هو نفس المستوى الذي كان بآخر القرن الخامس للميلاد، عندما حرم البابا «جلاسيوس»» الأول قراءة «إنجيل برنابا»..؟

عندما تُرجم هذا الإنجيل من الإيطالية إلى الإنجليزية أول مرة كانت الحياة الفكرية في أوروبا تمر بمرحلة نشاط حيوي ويُصدّق من يشبهها بمجرى الأنهار في موسم الفيضان، لأنها قد أخذت بمأخذ القبول بكل مطبوع يُنشر بين القراء، ولكن لم تكن ترجمة الإنجيل البرنابي على سمو معانيه ضمن المستجدات المقبولة، وقد استقبل الناس بأوروبا المنشور الأول لـ «كارل ماركس» استقبالاً حافلاً وهو ذو صبغة سياسية ودعوة إلحاد، ومع ذلك اتحد الفلاسفة والأدباء الأوروبيون حينذاك مع اللاهوت الكنسي في أوروبا في اتخاذ موقفهم معاً من إنجيل «برنابا» والمنشور الأول للشيوعية سلباً من الأول إيجاباً من الثاني، أي: استمرار تحريم قراءة الإنجيل، والسماح بتداول المنشور الشيوعي حتى أصبح فيما بعد إنجيلاً جديداً، وخاصة بمركزية القرارات الدينية بالفاتيكان فكانت هذه المركزية أرطب يداً مع الشيوعية منها مع إنجيل «برنابا» وهو منسوب إلى سيدنا المسيح ـ عليه السلام ـ..!!

تحكمت مرجعيات فكر التثقيف والتعليم في توجيه أجيال أمم الغرب وجهة غير آمنة على حياة البشر طوال قرون حتى تعايش معها الناس فكونت مزاجهم العقلي،

كيف ظهرت نسخة الإنجيل..؟

أسعف مترجم نص الإنجيل من الإيطالية إلى الإنجليزية قراء هذه الترجمة بمعلومة فقال: «أول من حصل على النسخة الإيطالية هو «كريمر» مستشار بروسيا، وكان مقيماً حينذاك في «امستردام» فأخذ النسخة سنة 1709م من مكتبة أحد وجهاء المدينة، وقد رأى أنها لا تُقدر بثمن، وأنه قد أهداها بعد أن أعارها إلى مكتب البلاط الملكي بفينيا سنة 1738م، حيث ترجمت إلى الإنجليزية مع نسخة إسبانية عُثر عليها بمطلع القرن الثامن عشر مسيحي، على أن النسخة الوحيدة المعروفة بالعالم إنما هي نسخة إيطالية في مكتبة بلاط فيينا، وهي التي تُعد من أنفس الذخائر بالآثار التاريخية، وتقع في مائتين وخمس وعشرين صفحة، يغطيها جلدان لونهما أدكن وضارب إلى الصُفرة النحاسية، ويُحيط بها على الحواف خطان مذهبان، وفي مركز الجلد نقش بارز عاطل من الذهب تُحيط به حافة مزدوجة من نقوش ذهبية متباينة الأشكال يُسميها الغربيون«الطراز العربي» ويستدلون من مجمل التجليد على أنه من طراز شرقي، إلا أن البعض منهم يذهب إلى أن التجليد قد يكون من صنع باريزي ماهر أرتأي «الدوق سافوي» الذي يملك هذه النسخة الفريدة، أن تكون في أجمل حلة، فجلب لها أمهر الصناع فجلّدها على هذه الصورة»[4].

هكذا كانت صورة تراكيب الحديث عن تجليد غلاف النسخة الفريدة للإنجيل البرنابي وفي ترجمة الدكتور «خليل سعادة» من نصارى العرب، حيث كانت من النسخة الإنجليزية كما تقدم ذكره، وقد ظهر في أسلوب الدكتور «سعادة» في مقدمة ترجمته الإنجيل إلى العربية سنة 1908 في كتاب إنجيل «برنابا» الذي نُشر بدار المنار للأستاذ «محمد رشيد رضا» آنذاك، وصياغة بعض الكلمات نالت من وجوب الحيدة، وقللت من ظل الهيبة التي تُضفيها معاني الكلمات المنسوبة إلى رُسل الله ـ عليهم السلام ـ، تركيب ألفاظ كلمات، وصف غلاف النسخة، قد جمع عناصر الإيحاء التشكيكي بمدخلية إسلامية في الإنجيل، ويبدو أن شيئاً من مضامين هامش شعور شخصية الدكتور «سعادة» أو سهو عن ذكر سبب غياب هذا الإنجيل في الزمن الذي مر ذكره، وأيضا عن تاريخ انتقال فنون الشرق إلى الغرب ومنه زخرفة أغلفة الكتب منذ أوائل القرن الثاني عشر وهو مما اختلف عن زخرفة المعمار الروماني، كل أو بعض ذلك،

4 ـ مجلة الحكمة المقال سابق الذكر ص 55.

قد لا يغيب عن ذاكرة أحد العلماء من أبناء الشرق، فيُكلف نفسه حشر هذا الكم من الاحتمالات من القول ويُسميها الغربيون بـ«الطراز العربي» ويستدلون على مجمل التجليد على أنه من طراز شرقي..!! إلا أن تاريخ منع قراءة هذا الإنجيل، وتاريخ ترجمته وخلو تاريخ علاقة الفكر الإسلامي بالفكر اللاهوتي، من ذكر هذا الإنجيل كل ذلك وأجمعه يدل عقلاً على أنه لا مدخلية لفكر إسلامي في نص إنجيل «برنابا» أما موضوع صحة إسناده فذلك أمر آخر.

وبينما أُجهد عقل الأجيال غرباً وشرقاً في البحث عن مدى مصداقية خير الإنسانية، في ذلك الكم من التنظيرات على زمن ظهورها ونشرها بين الناس، لم يُكتب لتلك الجهود أن تناولت بالبحث قضايا هذه المرجعية، ضمن الكتب التي وُصفت بالقداسة في تاريخ الأديان فيما قرأته بالموضوع.

ومما يُسيء إلى سلامة إدراك المفكرين ببناء ثقافة السلام العالمي أن يتجهوا باهتمام إلى قبول الإعلام الفكري بتنوع حملاته الممهدة لأعمال زعزعت وتزعزع أُسس الأمن للإنسانية في العالم. وقد كُتب لإنجيل «برنابا» أن تظهر بشائر السلام فيه منذ أوائل القرن الثامن عشر متزامناً مع طفرة الفلسفة الغربية، ثم نُشرت ترجمته إلى العربية في الشرق أول القرن العشرين، فإن لم يُسئ لسلامة الإدراك فإنه يدل على عدم الرغبة في بناء ثقافة سلام، ولأن الفكر الإعلامي كان يمثل مقدمة جيش الغزو وفساد الحياة الثقافية، وحتى الفكر الثقافي وهو سيد الحياة الثقافية لأنه يمثل حركة اللاسلم عالمياً والتعريف بهذه الحركة، موضوعه تاريخ الماسونية، وهي ذات هدف حكماء اليهود يعرفونه، والسلام العالمي هو العقبة في طريق الهدف وهو أن يحكم «شعب الله المختار» العالم، باختصار فهذه الكلمات عبّرت عن الكثير.

وكل مرجعيات فكر وثقافة السلام العالمي، وحتى الحضارة ذات المبنى الإنساني والاخوة، في وحدة نوع البشر «إرهابية»، يجب اقتلاع جذورها من حياة البشر لأنها الخصم المجسم في حياة البشرية، أمام هاجس الفكر اليهودي بأن يحكم وحده عالم البشر مستقبلاً، بعد أن يسقط الإجهاد «حصان طروادة»، الذي تمثله الآن لليهود، قوة الولايات المتحدة الأمريكية بحروبها، وسوق أبنائها لمذابح الحروب، ووصم تاريخهم بالجريمة.

تلكم هي بعض ملامح الأسباب الموضوعية لاستمرار العمل بإشعال نار العداء بين المسلمين والنصارى، وهي نفسها القاضية على سماع حقيقة، ما دعا إليه المسيح (عليه السلام) في إنجيل «برنابا»، وهو نفسه ما جاء في القرآن الكريم، فكان ابتكار مصطلحات العدوان على المسلمين والإسلام، ابتداء من الحروب الصليبية، «المشكلة الشرقية» و«صراع الحضارات»، وتخصيص المسلمين بالإرهاب، رغم وجود منظماته بأكثر من إقليم في العالم، وبأزمان مختلفة، فلم تدفع الجيوش إلى أوطانهم، ربما لأنهم غير مسلمين، كل ذلك افتعالاً مادياً ومعنوياً لتبرير الغزو المسلح، لمصادرة حق الإنسان في أن يعيش الحياة أو يطورها نحو الأفضل.

صياغة بعض الكلمات نالت من وجوب الحيدة، وقللت من ظل الهيبة التي تُضفيها معاني الكلمات المنسوبة إلى رُسل الله

في إنجيل «برنابا» كما في القرآن الكريم تناقض مع معنى الشر، ودعوة مستمرة الإلحاح، إلى الخير والأخوة في الإيمان والإنسانية، المسلمون مجتمع خير، لأن حياته دينه، وهذا الدين يُحرم الشر لأنه من أمر الشيطان، وإنه لأمر متناقض مع الحق أن يدعي شخص أو جماعة أو شعب في أمة، أنه من أتباع رسول من رُسل الله، ومع هذا الإدعاء تجري ممارسته لأعمال الشر، هذا تناقض مع ما جاء به الأنبياء بكل معيار تقييم للأسباب والنتائج.

وإذا ما صدق التأكيد بأن الخطاب الديني يُمثل نشأة وتطور ثقافات البشر، وأن الثقافة نتيجة لظاهرة حركة الفكر في النفس فإن مرجعيات الدين هي مُعامِل التقييم لآثار الفكر والثقافة في الحياة، وإن منطقية المعرفة العلمية لتسمح بتوجيه السؤال الآتي: «لماذا لم يكن إنجيل «برنابا» ضمن مرجعيات الخطاب الديني، أو حتى القضايا الفكرية بين المفكرين باللاهوت النصراني؟ وقد جرى تداول مستجدات فكرية اعتبرت لدى البعض نشاطاً فكرياً مثل البيان الأول الذي صاغه وأعلنه أحد اليهود الألمان «كارل ماركس» مؤسس الشيوعية في أوروبا، وهذا السؤال جوهري بمجال البحث عن مرجعية ثقافة سلام لدى الغرب.

نحن الآن بأول القرن الواحد والعشرين، وبيننا وبين أواخر القرن الميلادي الخامس خمسة عشر قرناً تقريباً، عند ذاك التاريخ حُرِّمت قراءة إنجيل «برنابا» ، ويفصلنا عن نهاية القرن 16 حقبة أربعة قرون وخمس سنوات عندما أعدمت محكمة التفتيش الكاثوليكية العالم الإيطالي «جورداني برونو» ـ أعدمته حرقاً بالنار وهو حي ـ، وكذلك ما لقيه على يد المحكمة عالم إيطالي آخر بنفس التهمة وهي إعلان رأي علمي في علم الفلك وهو «جاليليو» حيث عُذّب بالسجن مدة سبع سنين ثم حُددت إقامته في بيته حتى توفي عام 1632 مسيحي.

جميع رُسل الله ـ تعالى ـ وأنبيائه ـ عليهم الصلاة والسلام- جاءوا من لدن رب الناس بدعوته إلى الخير لجميع الناس، يعبدون الله وحده، والصالح يعملون، ولا يُفسدون في الأرض، وقد تمثل هذا في المزاج العقلي لأجيال علماء الأمة الإسلامية، فتغذى به فكر ثقافة الأمة على مدى تاريخ الإسلام، حتى أنقذوا أوروبا من دركات الإنحطاط بسبب جهلها لحقيقة قيمة، ما دعا الله الناس إليه في كتبه على ألسنة أنبيائه، ذلك لأن مرجعية المعقول الثابت لثقافة المسلمين، مستمد من القرآن الكريم وهو :

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾

[سورة فُصّلت، الآية:42]

وهو كتاب من الله إلى الناس جميعاً، أي: أنه دعوة من رب الناس إلى وحدة نوعهم البشري في وحدة عبادتهم لربهم ووحدة عملهم الخير التي جمعت البشر من آدم حتى انتهاء وجودهم من على سطح الأرض.

ويجوز القول أن هذا التأصيل كان وراء استمرار عدم انتفاع أوروبا بما في نص إنجيل «برنابا» من تأصيل عقيدة دينية تدعو للسلام في الأرض، والأخوة في الإنسانية للجميع، ومع هذا صار كما كان محظوراً على المتدينين بالمسيح اسماً، أن يقرأوه بعد ترجمته وحفظ نسخ منه بمكتبات المراجع الدينية، والسياسية بأوروبا وأمريكا.

في وقت شعوب الغرب أحوج ما تكون إلى نشر هذا الإنجيل، كمرجعية أصيلة لثقافة السلام، فهو مرجعية تُعبّر بصدق عن دعوة المسيح ـ عليه السلام ـ الناس إلى مطلوبات الله رب الناس جميعاً، وقد تكون ثقافة العصر كلها بحاجة إلى نشر هذه المرجعية، ولكنها مرجعية متناقضة مع ثقافة دعوى التفاضل العرقي، والتفاضل الديني، وفرض ذلك على الناس بالعنف المسلح والتدمير، حتى كاد استمراره في الحياة أن يصبح معتاداً.

إن ضمير الإنسانية، ليدعو العلماء الأوفياء بأمانة الخير في العالم، والأدباء والفنانين، أن يعملوا على تحرير هذا الإنجيل، لتنعم به الحياة الفكرية والثقافية في الغرب والعالم، فلعل ذلك يساهم في إضافة مرجعية تدعم ثقافة السلام العالمي.

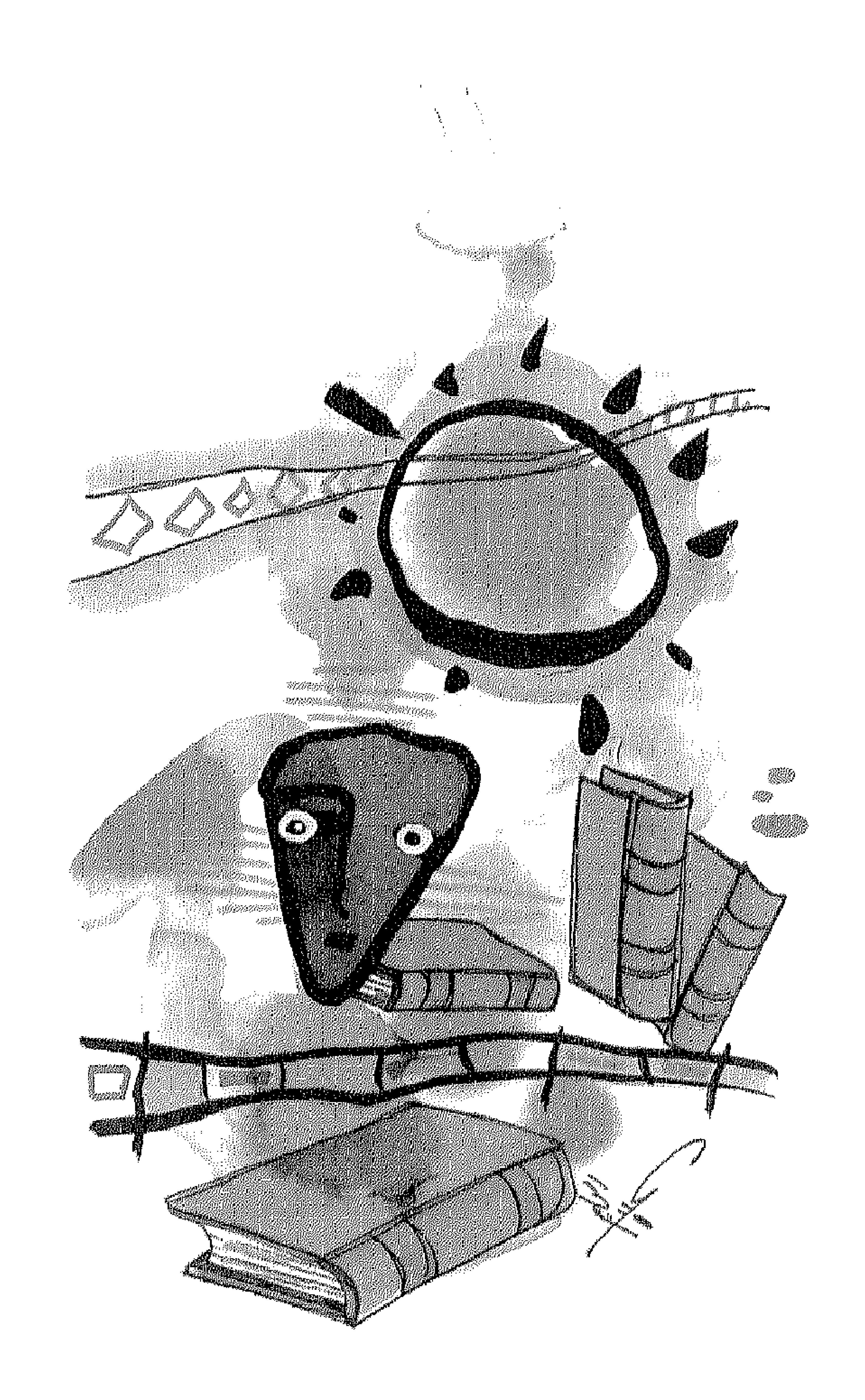
ولعل في عصر العلم هذا بقية من رغبة في الخير لجميع الناس في العالم.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة، الآيتان:7و8]

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين).

بعد 1700 عام
الكشف عن إنجيل يهوذا

د. محمد السماك*



في عام 1978 مسيحي اكتشف فلاح مصري، في قبر مهجور، بصحراء مصر، قرب مدينة المنيا، كتاباً مخطوطاً باللغة القبطية القديمة - لغة مصر قبل الإسلام - محفوظ داخل إطار جلدي.

باع الفلاح المصري، الكتاب بدريهمات معدودة، إلى أحد تجّار الآثار المصريين، الذي حاول بدوره بيعه - بعيداً عن مراقبة مديرية الآثار المصرية - إلى مهتمين بالآثار القديمة، ليجد المخطوط طريقه إلى الولايات المتحدة الأميركية.

هناك طلب التاجر المصري بيعه بثلاثة ملايين دولار، ولكنه لم يجد مبتاعاً فاحتفظ به في صندوق أمانات بأحد المصارف في انتظار الوقت المناسب.

مرّت عدة سنوات دون أن يعرف التاجر ولا الذين عرض عليهم بيعه مضمون هذا المخطوط، إلى أن اشترته سيدة أميركية، تدعى: فريدا نوسبرغر، وهي محترفة التجارة بالآثار) بمبلغ 300 ألف دولار، ليس لأنها عرفت مضمونه، ولكن لأنه كان مجرد نص قديم جداً.

خلال السنوات التي قضاها المخطوط في صندوق

(*) كاتب / رئيس لجنة الحوار الإسلامي ـ المسيحي ، لبنان

الأمانات بالمصرف، ازداد وضعه سوءاً، فهو مخطوط يتألف من (13 ورقة) من أوراق البَردي، تحمل كتابات على الوجهين.

لا أحد يعرف عمر هذا المخطوط ولا مضمونه، حاولت السيدة فريدا، بيعه إلى جامعة «يال» الأميركية، ولكن الجامعة رفضت العرض.

وفي عام 2001 مسيحي وافق تاجر تحف من مدينة أوهايو الأميركية، على شرائه بمبلغ (2,5 $ مليون دولار)، إلا أنه لم يتمكن من تأمين كامل المبلغ، فألغيت الصفقة، واستعادت السيدة Maecenas نوسبرغر المخطوط، وعقدت صفقة مع مؤسسة «ماسينس» البرازيلية، للفن القديم، لتحصل بموجبها على مبلغ (2,5$ مليون دولار) من Foundation for Ancient Art إستثمارات المخطوط.

حُمل المخطوط إلى مدينة «بال» في سويسرا حيث تم تحديد عمره بواسطة الكربون 14، فإذا به يبلغ 1700 عام، أي أنه يعود إلى السنوات الأولى بعد المسيح.

وبدأت عملية تجميع الأوراق المهترئة والمفتتة والتي وصلت إلى حوالي الألف قطعة.

وقد قام بها أستاذ العلوم القبطية «رودلف كاسر» Rudolf Kasser في جامعة جنيف بترجمتها بمساعدة البروفسور الأميركي تشارلز هيدريك Charles W. Hedrick أما عنوان المخطوط فكان إنجيل يهوذا الأسخريوطي.

وكانت المفاجأة الكبرى: كيف يكون ليهوذا إنجيل، وهو الذي خان المسيح، وسلمه إلى الرومان الذين حاكموه وصلبوه، كما تقول المسيحية؟

ثم تتالت المفاجآت: فالإنجيل يعطي يهوذا دوراً متقدماً على كل تلامذة المسيح الإثني عشر. وأن المسيح اختاره بنفسه لثقته به ولشدة محبته له ليقوم بالدور الذي ما كان لأي من التلامذة الآخرين أن يقوم به. وهذا الدور هو كما جاء في إنجيله على لسان السيد المسيح «ستتخطاهم جميعاً، ستضحي بالإنسان الذي يلبسني» وهذا يعني أن يهوذا لم يخن المسيح ولم يبعه بثلاثين من الفضة، كما تقول الأناجيل الاخرى، بل لبّى طلب المسيح في تحرير روحه من لباسه الجسدي عبر تسليمه إلى الموت لاكتمال الإرادة الإلهية.

ويروي إنجيل يهوذا أيضاً: رؤيا يقول فيها «إنه - أي يهوذا - فتح عينيه فرأى الغمام المضيء ودخل فيه»، علماً بأن الأناجيل الأخرى، تروي كيف أن يهوذا تاه على وجهه وهو يعاني من عذاب الضمير بسبب خيانة المسيح، إلى أن وضع حداً لحياته بالانتحار شنقاً.

ومن الملاحظ هنا أن إنجيل يهوذا لا يشير من قريب أو من بعيد، إلى ذكر الصليب.. وقيامة المسيح في اليوم الثالث من القبر، الأمر الذي يطرح كثيراً من التساؤلات في الأوساط الدينية المسيحية. مع ذلك فقد نشرت مجلة جمعية «ناشيونال جيوغرافيك ماغازين» الأميركية في عددها الصادر في الخامس من أبريل 2006 النصّ الكامل لإنجيل يهوذا الأسخريوطي باللغة الإنجليزية، مع قصة اكتشافه.

يبقى إنجيل مريم المجدلية أشدّها إثارة وأكثرها اهتماماً لا سيما أنه الإنجيل الوحيد المنسوب إلى امرأة، ولأن هذه المرأة بالذات دار ويدور حولها لغط شديد لم يتوقف منذ أيام المسيح وإلى يومنا هذا.

وتجري الآن ترجمته إلى اللغتين الفرنسية والألمانية. ومن المعروف أن المسيحية تعتمد أربعة أناجيل فقط هي: متى ومرقس ولوقا ويوحنا. إلا أنه كانت هناك عدة أناجيل متداولة في العهد الأول للمسيحية مما يدل على تنوّع في الفكر اللاهوتي. ولكن في العشرين من مايو عام 325 بعد المسيح دعا قسطنطين الأول، الامبراطور اليوناني الذي اعتنق المسيحية إلى عقد مؤتمر في مدينة نيقية (أو مدينة أزنيق بتركيا حالياً) كان المؤتمر المسكوني الأول، وخُصّص لبحث قضية تعدد الأناجيل التي بلغت في ذلك الوقت العشرات، منها إنجيل برنابا أحد تلامذة المسيح، ومنها إنجيل توماس، وإنجيل يهوذا، ومنها أيضاً إنجيل مريم المجدلية.

ورغم الحظر اللاهوتي المفروض على هذه الأناجيل، فقد أصبح شائعاً «التأمل» في أناجيل: فيليبس وبطرس وتوما المعروف باسم إنجيل الهند الموجود الآن في ضريح ترما بمدينة مادراس في الهند. والذي يعتقد أن بعض نصوصه ربما تكون سابقة لظهور المسيحية، ويبقى إنجيل مريم المجدلية أشدّها إثارة وأكثرها اهتماماً لا سيما أنه الإنجيل الوحيد المنسوب الى إمرأة، ولأن هذه المرأة بالذات، دار ويدور حولها لغط شديد لم يتوقف منذ أيام المسيح وإلى يومنا هذا.

لقد ظهرت مخطوطة إنجيل مريم في برلين بعد أن هرّبها في العام 1896 مسيحي، من مصر، العالم الألماني «رينهاردت». ويعتقد أن النص المخطوط في القرن الخامس، منقول عن نص سابق له يعود إلى 150 سنة بعد المسيح، وهو مكتوب مثل إنجيل يهوذا المكتشف اليوم باللغة القبطية القديمة (الصعيدية).

إن الموقف السلبي من مريم المجدلية، ينعكس بوضوح في إنجيلي: مرقس، ولوقا اللذين يؤكدان: «أن يسوع طرد منها سبعة شياطين».

ويبيّن النص الإنجيلي التالي، نظرة تلامذة المسيح إليها.

«وتكلم اندراوس متوجهاً إلى إخوته».

«ماذا تفكرون وهي تروي لنا كل ذلك؟ بالنسبة لي لا أصدق أن المعلم تكلم هكذا. أفكارها مختلفة عما عرفناه».

ويضيف بطرس: «هل من المعقول أن يكون المعلم باح بكل ذلك إلى إمرأة، وبأسرار نجهلها، هل علينا أن نغيّر عاداتنا ونصغي إلى هذه المرأة. هل هو اختارها وفضّلها علينا؟».

أما في إنجيل مريم المجدلية، فنقرأ النص التالي:

«وبكت مريم المجدلية وسألت بطرس: أخي بطرس ماذا يجول في رأسك، أتظن أني من مخيلتي اخترعت هذه الرؤيا؟ وهل حين أنقل تعاليم المعلم أتفوه بكلام كاذب؟ وتكلم لاوي: بطرس كنت دوماً غاضباً. وأراك اليوم تصبّ غضبك على المرأة كما يفعل أعداؤنا. فإذا المعلم جعلها مستحقة لنقل تعاليمه، فمن أنت لتنكرها؟ «المعلم أحبها أكثر منا لأنه أدرك ما فيها. فلنندم ونغدو متكاملين بأنسيتنا. دعوا المعلم يتجذر فينا ويعلو كما طلبه منا»». ثم قال «فلنذهب ونبشر بالإنجيل دون أن نضع سنناً خارج تلك التي أرادها شاهدة».

وفي مؤتمر مدينة نيقية الذي أشرنا إليه سابقاً تقرر تحريم تداول حوالي 14 إنجيلاً واعتبارها منحولة، واعتماد الأناجيل الأربعة فقط المعروفة اليوم على أنها الأناجيل الشرعية الوحيدة.

في ذلك الوقت أعطي أحد كبار آباء الكنيسة ايرانيوس أسقف ليون في القرن الثاني (130-208) وصفاً للأناجيل المرفوضة، ومنها أناجيل: برنابا، ويهوذا، ومريم المجدلية، بأنها أناجيل هرطقة. وكان من تعاليم إيرانيوس أن المسيح لم يعلم أي أحد من تلامذته بصورة سرية (علماً بأن إنجيل مرقس يقول إن المسيح كان أحياناً يشرح أموراً لبعض تلامذته بصورة منفردة). ولم يكشف رؤى سرية لأي منهم. وأن من يقول غير ذلك هرقطة: «إنهم يعلنون أن يهوذا الخائن هرقوطي. ويقول في كتابه أنه وحده كان يعرف الحقيقة كما لا أحد قد أتم سراً، كان على اطلاع بهذه الأمور الخيانية لأنه كان يعرف الحقيقة التي كان غيره يجهلها. لقد استنبطوا Le mystere قصة خيالية من هذا النوع دعوها إنجيل يهوذا».

في عام 1945 اكتشف في نجع حمادي في مصر

حوالي الخمسين نصاً مسيحياً لم تكن معروفة من قبل. وكانت من النصوص التي حرمت واعتبرت نصوصاً هرطوقية، أيضاً في مؤتمر نيقية. وكان لأسقف الاسكندرية أثاناسيوس دور أساسي في التأكيد على تحريم هذه النصوص التي كانت متداولة على نطاق واسع، وذلك في رسالة رعوية وجهها إلى مسيحيي مصر بمناسبة عيد الفصح، وطلب منهم فيها رفض ما أسماه «الكتب السرية وغير الشرعية». ولم يبق أثاناسيوس إلا على 27 نصاً حددها النص الشرعي للعهد الجديد المعتمد وحده ودون غيره في الكنائس. وقد لاحظ علماء اللاهوت أن أسلوب إنجيل يهوذا اللغوي المكتوب باللغة القبطية القديمة - الصعيدية - والنظريات التي أوردها تتلاقى مع المعطيات اللغوية ومع النظريات اللاهوتية التي كشفت عنها مخطوطات نجع حمادي الخمسين، والتي تعود إلى القرن الأول بعد المسيح.

ولكن خلافاً لما قال ايرانيوس، فإن إنجيل يهوذا يقول غير ذلك. إنه يقول إن المسيح أسرّ له بما لم يطلع عليه أحداً آخر من تلامذته، وانه كلفه بدور جعله الرسول الأقرب إليه والوحيد الذي فهم دون الآخرين معنى الرسالة وأبعادها الإلهية.

وفي الواقع فإن اتهام يهوذا الاسخريوطي بخيانة المسيح أثار جدلاً لاهوتياً طويلاً... قبل إن يصبح أساساً من أسس العقيدة نفسها. فانجيل يهودا الجديد - القديم - يبرزه وفياً ومتفوقاً على باقي الرسل لأنه كان يعلم أن لا غنى عن ذبيحة يسوع في افتداء العالم ولأنه كان الأقرب إلى المسيح فقد اختاره المسيح للمهمة الأصعب وهي أن يسلمه إلى الرومان ليكون الذبيحة، كما يقول أستاذ العهد الجديد في جامعة أكاديا في كندا، إلا أن Graig Evans البروفسور غريك ايفنز Daily أستاذ اللاهوت ومؤلف كتاب William Barclay أمّا البروفسور وليم باركلي فإنه يقدم تبريراً لخيانة يهوذا والتبرير هو أن يهوذا الذي ضاق ذرعاً Study Bible بمضايقات الرومان والذي يعرف القدرات الخارقة التي يتمتع بها المسيح، أراد أن يحشره في وضع يضطر معه المسيح إلى التخلي عن مهادنة الرومان وقلب الطاولة على رؤوسهم، ولكنه فوجئ باستسلام المسيح لهم إلى حدّ تقبّل التعذيب والصلب.

ويقول باركلي: إن يهوذا كان يتطلع إلى إله يبادر إلى الانتقام فإذا به أمام إله يقبل أن يُعذّب؟!

وبذلك ينفي باركلي عن يهوذا تهمة الخيانة وسوء النية من دون أن يبرئه من تهمة تسليم سيده إلى الرومان؟!

السؤال الآن: هل يفتح نشر إنجيل يهوذا.. وانجيل مريم المجدلية الباب أمام إعادة نشر الأناجيل الأخرى المصنفة هرطوقية، بما فيها إنجيل برنابا؟.

يبقى السؤال الكبير وهو إذا كان يهوذا خان المسيح من أجل أن يحصل على رشوة تجعل منه غنياً.. فلماذا تقول عنه الأناجيل الأربعة بأنه هام على وجهه ثلاث سنوات قبل أن يشنق نفسه؟.. بل لماذا شنق نفسه كما يروي إنجيل متى، الذي يُعتقد أنه كُتب قبل إنجيل يهوذا؟!

إن تلميذ المسيح يهوذا الإسخريوطي الذي احتل في الضمير الديني المسيحي موقع الخائن للمسيح، يبدو من خلال الإنجيل الجديد في موقع الأقرب إليه من كل تلامذته الآخرين. وهذا الانقلاب التصويري لا يتعلق بشخص يهوذا إنما بالمبدأ وبالدور الذي قام به على أساس هذا المبدأ. ومن هنا تأتي أهمية الجدل اللاهوتي الذي يدور حالياً منذ ترجمة النص ونشره بعد 1700 عام!!

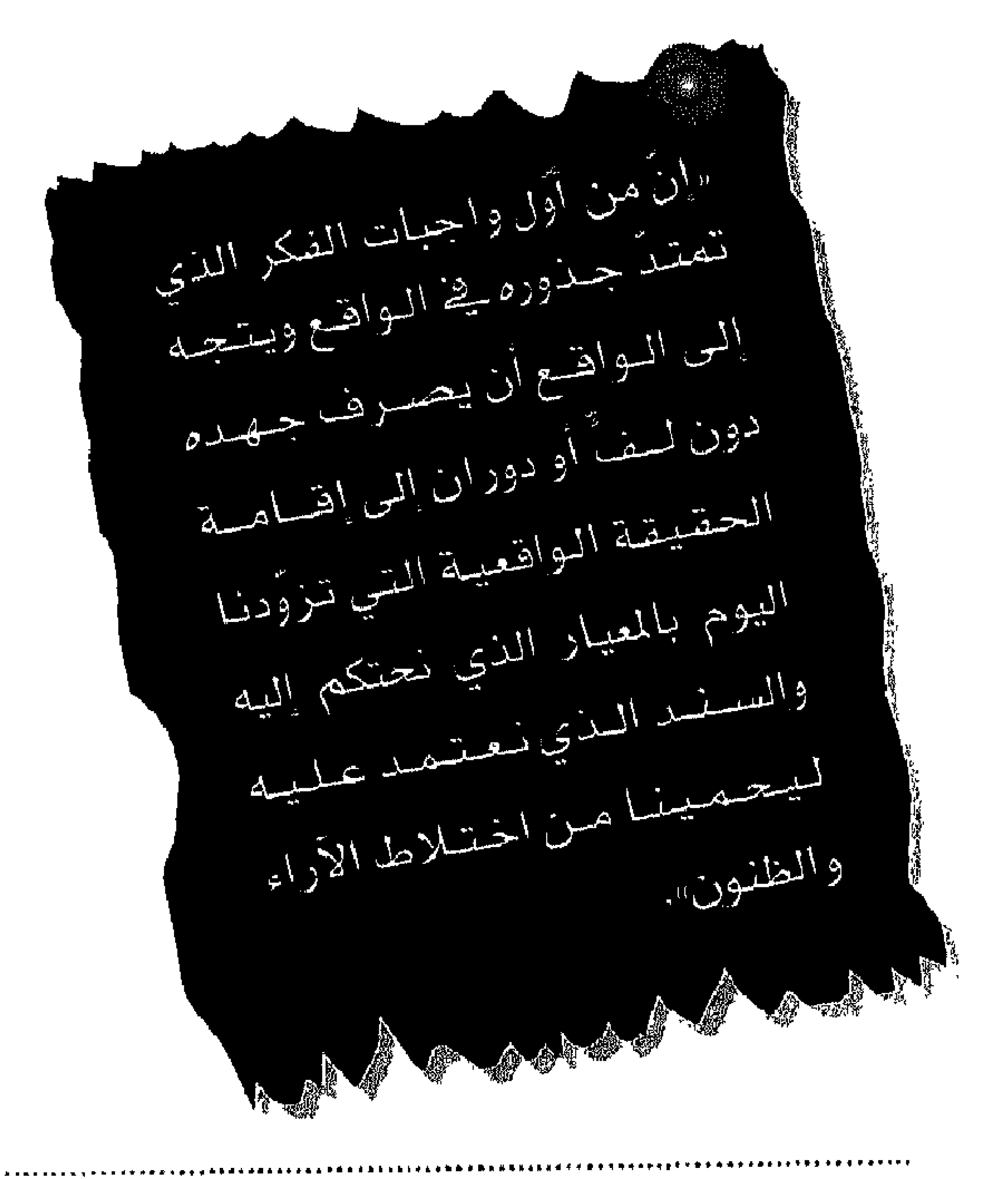
والسؤال الآن: هل يفتح نشر إنجيل يهوذا.. وانجيل مريم المجدلية الباب أمام إعادة نشر الأناجيل الأخرى المصنفة هرطوقية، بما فيها إنجيل برنابا؟... وهل إن حدوث ذلك يعود بالمسيحية إلى ما قبل مؤتمر نيقية؟..

مقالات

حقيقة إنجيل يهوذا

الصديق بشير نصر*

* إنجيل يهوذا: الحقيقة والزيف
* إنجيل يهوذا: صناعة غنوصية؟
* لماذا رحب اليهود بإنجيل يهوذا؟
* الأناجيل الأبوكريفية: مكتبة نجع حمادي
* من شفرة دافنشي إلى إنجيل يهوذا
* إنجيل يهوذا يتحول إلى أعمال أدبية



إنجيل يهوذا: الحقيقة والزيف

حكاية يهوذا الإسخريوطي

يهوذا الإسخريوطي Judas Iscariot رمز الخيانة والغدر كان أحد تلاميذ السيد المسيح الاثني عشر، وهو الذي تآمر على معلّمه مع رؤساء الكهنة، وقام بتسليمه إليهم نظير 30 قطعة من الفضّة.

وهو يهودي يُنسب إلى قريوت التي ورد ذكرها في سفر إرميا (48 - 24) وليس ثمة خلاف بين الأناجيل الأربعة في خيانة يهوذا.

وإسخريوط (Ish Kerayoth) عبرانية وتعني

* كاتب وباحث وأستاذ جامعي / ليبيا



لوحة العشاء الأخير

رجل قريوت. جاء في انجيل متى: «عندئذ ذهب واحدٌ من الاثني عشر، وهو المدعو يهوذا الإسخريوطيّ إلى رؤساء الكهنة، وقال: كم تعطونني لأسلمه إليكم؟ فوزنوا له ثلاثين قطعة من الفضة. ومن ذلك الوقت أخذ يهوذا يتحيّن الفرصة لتسليمه» (متى 16.14:26).

«وفيما هو يتكلّم، إذا يهوذا، أحد الاثني عشر قد وصل ومعه جمع عظيم يحملون السيوف والعصيّ، وقد أرسلهم رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وكان مُسَلِّمُه قد أعطاهم علامةً قائلاً: الذي أقبله فهو هو. فاقبضوا عليه» (متى 26: 47 ـ 48).وقد ورد مثل ذلك في إنجيل مرقس (14: 43 ـ 46)، وفي إنجيل لوقا (22: 47) وفي إنجيل يوحنا (18: 1 ـ 6).

وصورة يهوذا الخائن الملعون هي عينها في إنجيل آخر لا تعترف به الكنيسة، وهو إنجيل برنابا (2:214 10).

وانتهى الحال بيهوذا بأن شنق نفسه. متى (27: 3. 10)، وفي أعمال الرسل: «وكان يهوذا يعتبرُ واحداً منّا، وقد شاركنا في خدمتنا. ثم إنه اشترى حقلاً بالمال الذي تقاضاه ثمناً للخيانة، وفيه وقع على وجهه، فانشقّ من وسطه، واندلقت أمعاؤه كلّها. وعلم أهل أورشليم جميعاً بهذه الحادثة، فأطلقوا على حقله اسم» حقل دَمَخ «أي حقل الدمّ بلغتهم» أعمال الرسل (1: 17 ـ 20). هو ذا يهوذا الملعون في التراث الكنسي المسيحي، خيانة وغدراً. فهل جاء الإنجيل المفقود (المزعوم) ليعلن براءته من دم المسيح؟

يهوذا الإسخريوطي: القبلة المميتة

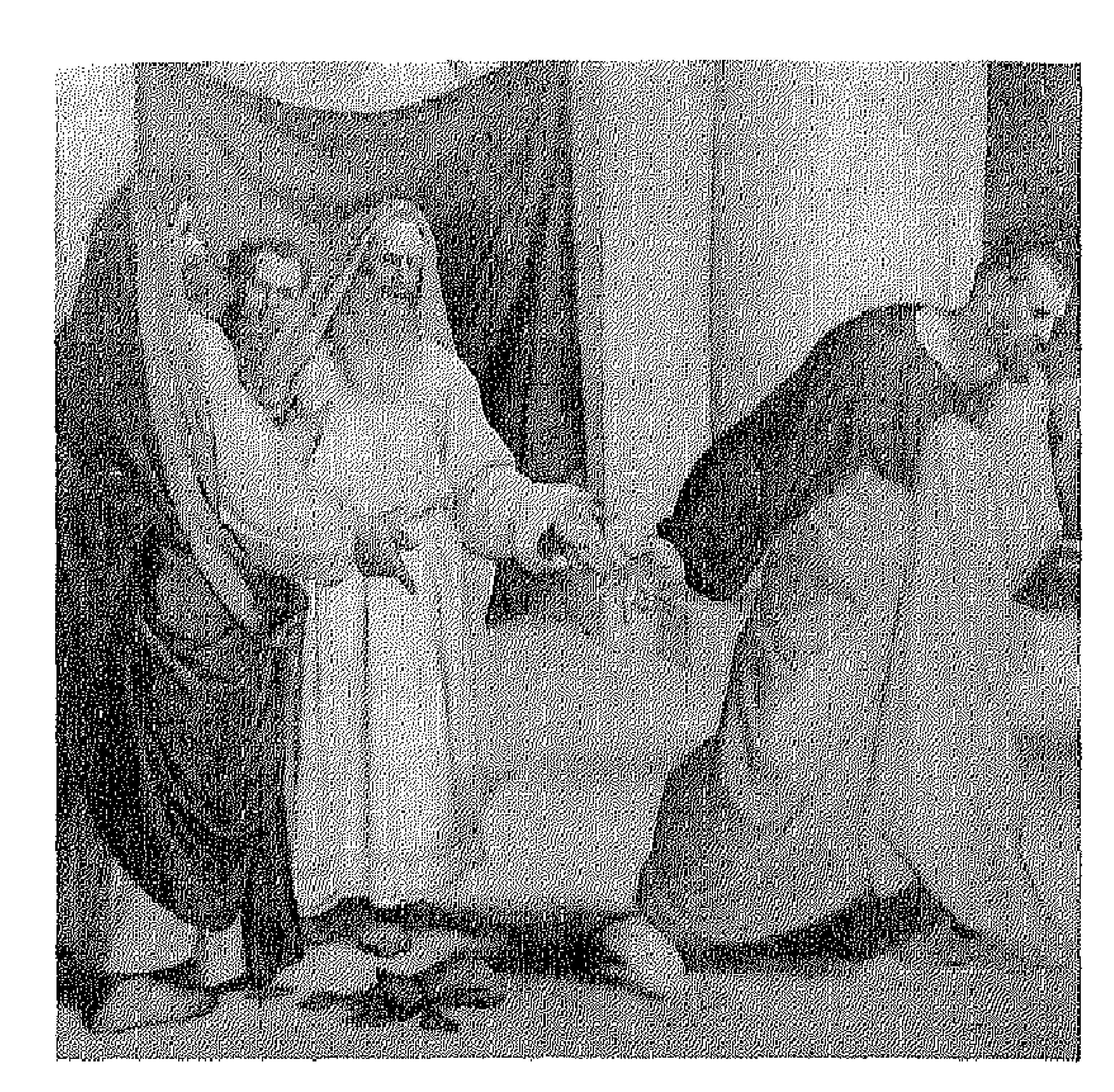
لقد تجذرت لعنة يهوذا، ولم تقف عند التراث الديني المسيحي، بل وجدت طريقها من قديم إلى الفنّ والأدب.

لقد أصبحت تلك القبلة المسمومة رمزاً لكل غدر وخيانة. فرسوم عصر النهضة، والقرن التاسع عشر تصوّر تلك القبلة المميتة لتعبّر عن مبلغ الجرح الغائر الذي تركته لا على جبين يسوع المسيح فحسب، بل على جبين كلّ إنسان شريف يعرف معنى الصدق والوفاء. ولعلّ رسومات الرسام الإيطالي Caravaggio، وتمثال (يهوذا يقبل يسوع) الموجود بمدينة برشلونة في إسبانيا توضح شيئاً من ذلك. وقد جعله دانتي Alighieri Dante في الدرك الأسفل من جحيم الكوميديا الإلهية La divina commedia, Inferno وقد كتب الشاعر روبرت وليامز بوشنان Robert Williams Buchanan (1901-1841)





يهوذا يقبل المسيح ـ لوحة الرسام Caravaggio



يهوذا يرد القطع الفضية للكهنة بريشة اليساندرو مانتوفاني

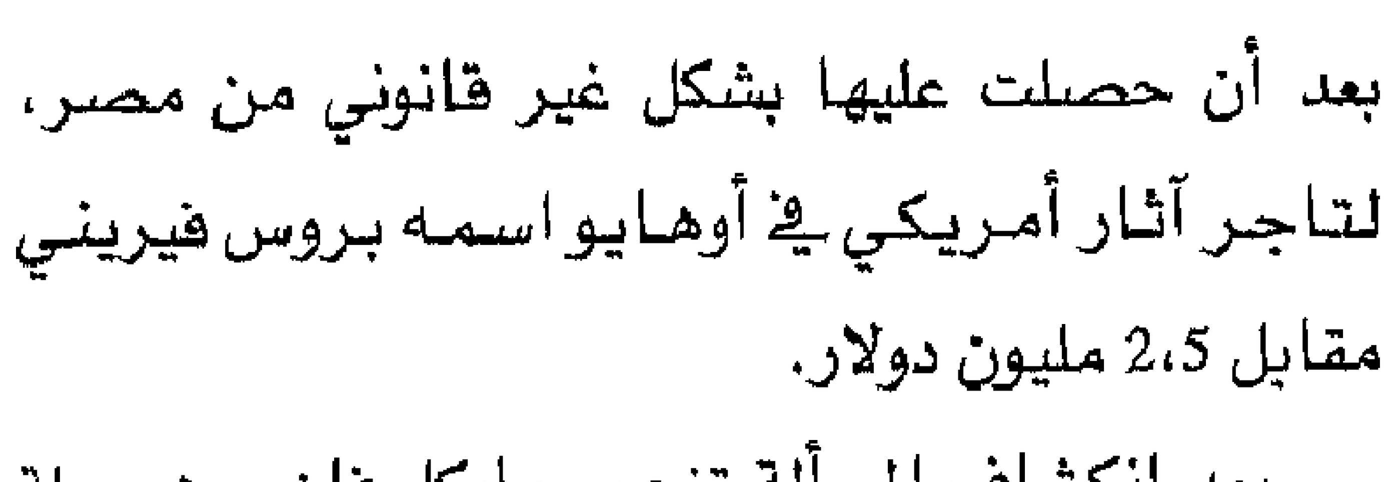
ملحمته الرائعة التي تحمل عنواناً هو: The Ballad of Judas Iscariot.

قصة اكتشاف إنجيل يهوذا

تبدأ الحكاية في سبعينيات القرن الماضي عندما عثر أحد الفلاحين من قرية بني مزار إحدى قرى محافظة المنيا في صعيد مصر على حقيبة تحتوي على قطع من أوراق البَرْدي مكتوبة باللغة القبطية القديمة مدفونةً في أحد المقابر وقيل إنها وُجِدت في أحد الكهوف. باع الفلاح تلك الأوراق لأحد تجار الآثار.



وظلّت تلك الأوراق تدور بين تجار التحف القديمة من مصر إلى أوروبا فأمريكا. وانتهى بها المطاف في صندوق الودائع في Long Island بنيويورك لتستقرّ فيه ستة عشر عاماً قبل أن تضع تاجرة التحف القديمة فريدا نسبرجر Frieda Nussberger من زيوريخ سنة 2000 يدها على المخطوطة وقد أخفقت في بيعها،



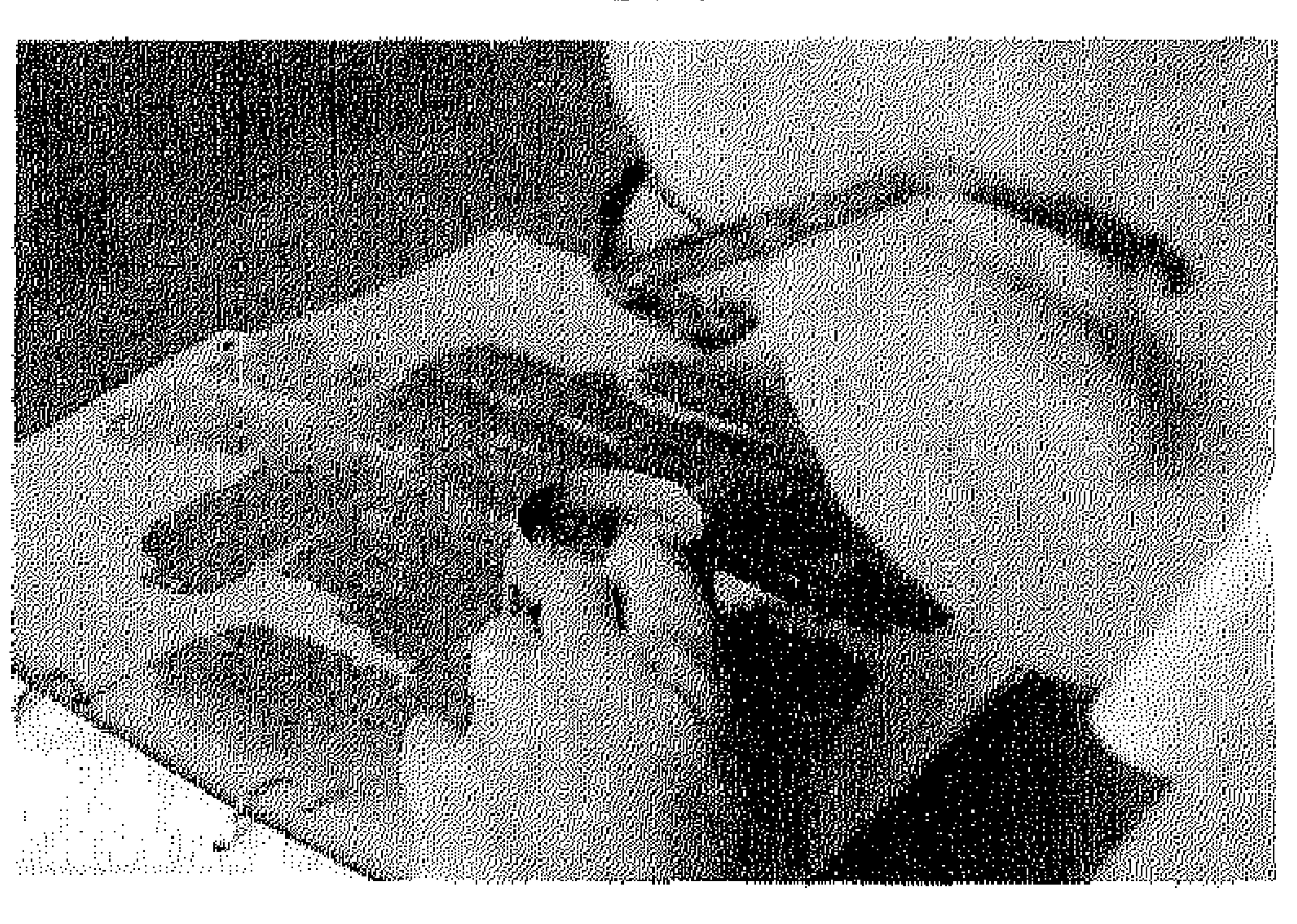
بعد أن حصلت عليها بشكل غير قانوني من مصر، لتاجر آثار أمريكي في أوهايو اسمه بروس فيريني مقابل 2،5 مليون دولار.

بعد انكشاف المسألة تزعم، مايكل فان رين حملة تطالب بإعادة هذا الإنجيل إلى مصر، لأنها الدولة الوحيدة التي تمتلك الحق في تلك المخطوطات التي تم اكتشافها في أراضيها. وأمام تلك الحملة قدمت المؤسسة السويسرية المخطوطات إلى جمعية ناشيونال جيوجرافيك العلمية المعروفة. ولم تتردد من ثمّ في تشكيل فريق بحث كبير من الخبراء، والمؤرخين، والمترجمين، لمعرفة ما في ذلك الإنجيل المثير، ولكن أثارها ما أصاب المخطوط من تلف بسبب طول التخزين، فحولتها في فبراير 2002 إلى مؤسسة ماسيناس Maecenas Foundation للفن القديم في بازل بسويسرا من أجل ترميمها وترجمتها.

وُظّف أشهر عالم باللغة القبطية القديمة الدكتور رودلف كاسر Rodolphe Kasser لمعالجة المخطوطة

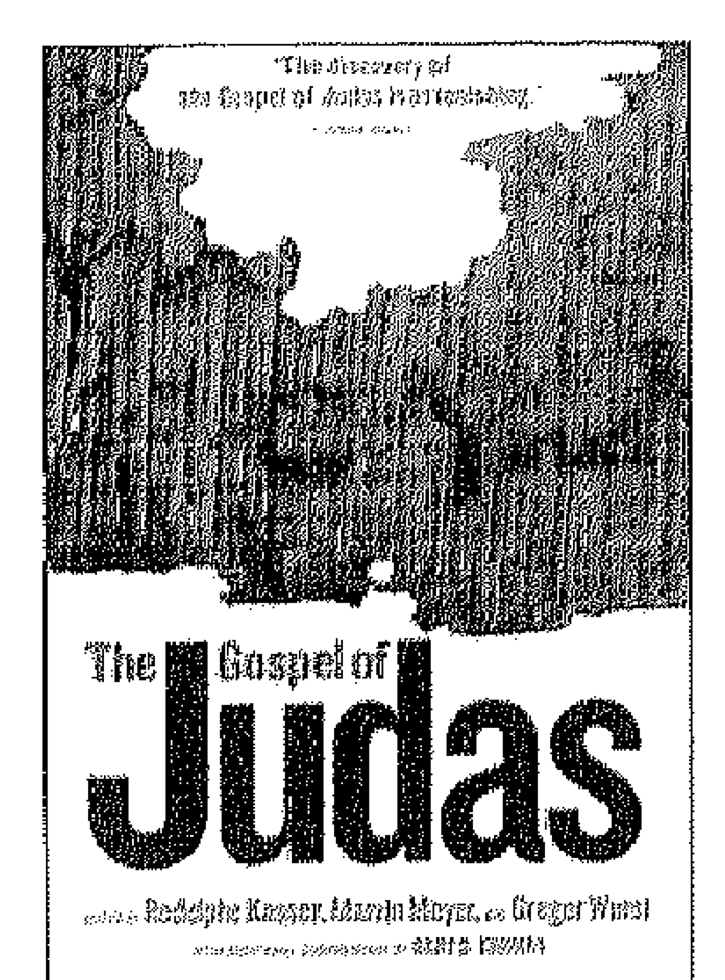


د. جريجور ورست



رودلف كاسر

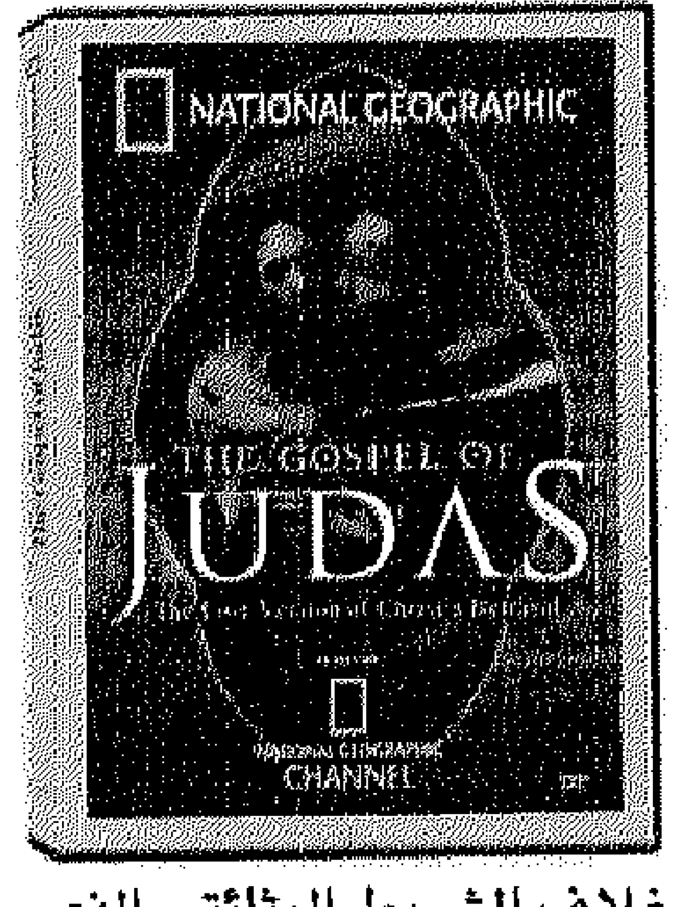
وترميمها ومن ثم ترجمتها من لغتها الأصلية للتعرف على ما فيها ولم تكن المخطوطة التي تتكون من ست وستين صفحة تتضمن فقط إنجيل يهوذا،



بل أيضاً قطعة مما يُعرف برؤيا جيمس الأولى، ورسالة بطرس إلى فيليب، وقطعة مما يُعرف في الوقت الحاضر بكتاب الألوجين .Book of Allogenes

وفي عام 2005 وقعت الجمعية الوطنية الجغرافية National Geographic Society عقداً بقيمة مليون دولار مع المؤسسة السويسرية المذكورة لنشر الإنجيل المذكور.

وفي السادس من أبريل 2006 كشفت الجمعية الوطنية الجغرافية National Geographic Society لأول مرة عن هذا الاكتشاف والانتهاء من ترميمه.، وأعلنت أن هذا الإنجيل سيكون حدثاً كبيراً في تاريخ المسيحية حيث سيظهر صورة جديدة ليهوذا الخائن الذي باع المسيح نظير ثلاثين قطعة من الفضة. وقيل إنّ الإنجيل المذكور يعود إلى القرن الثالث بعد الميلاد من خلال التعرّف على عمره التاريخي بمعالجته بالكربون المشع بجامعة أريزونا سنة 2004 والذي أثبت أن عمر المخطوط يبلغ نحو 1700 سنة.



غلاف الشريط الوثائقي الذي أعدته ناشيونال جيوغرافيك عن إنجيل يهوذا

وفي هذا العام طُبع إنجيل يهوذا عن الجمعية الجغرافية الوطنية الأمريكية باللغة الإنجليزية، كما أصدرت الجمعية المذكورة شريطاً سينمائياً بُثّ في قناتها لمدة ساعتين يحكي قصة هذا الإنجيل المفقود. والإنجيل والشريط المذكور يباع كلاهما الآن في الأسواق.

كما سارعت مؤسسات ومواقع على الشبكة الدولية للمعلومات بنشر ترجمات للإنجيل المذكور عن الإنجليزية إلى لغاتٍ أخرى.

هل يُعد إنجيل يهوذا تهديداً للدين المسيحي؟

تحت عنوان (هل يُحسِّنُ نشر إنجيل يهوذا سمعة التلميذ الخائن؟) كتبت BBC في موقعها العربي على الشبكة الدولية:

«قرار الجمعية الوطنية الجغرافية الأمريكية بترجمة ونشر ما يعرف بإنجيل يهوذا الإسخريوطي، التلميذ الذي سلّم يسوع المسيح، قد يساهم في تحسين سمعة يهوذا الذي يعتبر من أكثر الشخصيات التاريخية التي ترمز إلى الخيانة.. ومنذ ألفي عام حتى اليوم، تصف الديانة المسيحية يهوذا بالخائن معلمه بقبلة، وسلّمه إلى السلطات التي صلبته، وذلك مقابل «ثلاثين من الفضة» حسب ما ورد في الأناجيل الأربعة التي تعتمدها الديانة المسيحية وهي: إنجيل متى، ومرقص، ولوقا،

ويوحنا. وتقول هذه الأناجيل إن يهوذا مات بعد وقت قليل من خيانته يسوع،

إذ شنق نفسه بشجرة تين. في المقابل، يُظْهِر إنجيل يهوذا هذا التلميذ بصورة مختلفة فيصفه بالتلميذ المفضل لدى يسوع، ويضع خيانته في خانة استكمال المهمة السماوية التي تقود إلى «موت يسوع على الصليب لانقاذ البشرية»، وأسس لوجود أحد أهم المبادئ في الديانة المسيحية، وهو ما تسميه الكنيسة «سر القيامة»».

وقد جاء في مقالة جيني بوث Jenny Booth في عدد (2006/4/6): من مجلة تايمز أون لاين Times Online: «إنّ أوّل إشارة إلى إنجيل يهوذا وردت في

سنة 180م عندما اعتبره المطران الشهير إيرينايوس Irenaeus أسقف ليون ضرباً من الهرطقة. وما ورد في إنجيل يهوذا يتعارض مع الرواية المعتمدة في الأناجيل الأربعة المعروفة حيث يجعل يهوذا الخائن في تلك الأناجيل أقرب الحواريين إلى السيد المسيح، ويحوله من خائن إلى مطيع».

وتقول Elaine Pagels من مؤسسة Harrington Spear Paine Foundation وأستاذة العلوم الدينية في جامعة برنستون: «سواء اتفق المرء مع هذا الإنجيل أم لم يتفق، وسواء أكان مقبولاً أم مستنكراً، فإنه رؤية مؤثرة إلى حد بعيد تبين أن أحد أتباع يسوع المسيح في بواكير الحركة المسيحية كان له أثر ودلالة.»

ويقول جيمس كاتفورد James Catford الرئيس التنفيذي لجمعية الكتاب المقدس في أبردين بأسكوتلاندا:

«حقاً ستكون معجزة إذا كان يهوذا هو مؤلف هذه الوثيقة، لأنه مات قبل كتابتها بمائة عام على الأقل. ربما كان ذلك نوعاً من البصيرة، ولكن ليس ثمة ما يُقوّضُ ما آمن به المسيحيون عبر القرون».

وإذا كان ثمة خطر يتهدد المسيحية على رأي بعضهم، فأين يكمن هذا الخطر؟

إن تبرئة يهوذا من خيانته للسيد المسيح سيقوّض الأساس التاريخيّ للكنيسة الذي قام على ما ورد في الأناجيل الأربعة باعتباره خائناً. والكنيسة بذلك أمام خيارين: قبول ما يُسمى بإنجيل يهوذا، وهو عدد قليل من الورقات لا تُكوّن إنجيلاً حتى إذا قيس بإنجيل آخر غير معترف به من الكنيسة وهو إنجيل برنابا، وهي بذلك ستتراجع عما جاء في الأناجيل الأربعة، أو أن ترفض هذا المسمى إنجيلاً باعتباره من الوثائق المحرّفة أو الأبوكريفية، وهي بذلك ستتصادم مع الحقيقة العلمية، إن ثبتت، باعتبار ذلك المخطوط يعود تأليفه إلى نحو 1700 سنة.

وكتبت الـBBC في موقعها العربي بتاريخ 6 / 4 / 2006: «يهوذا لم يكن خائناً، وإنما صديقاً مقرّباً ليسوع المسيح وعندما أسلمه للرومان لم يكن يفعل ذلك إلا استجابة لرغبة صديقه الحميم.



فلورنس دارر والدكتور جريجور



الكهف الذي يزعم أنه وجد فيه مخطوط إنجيل يهوذا

قد يكون هذا النبأ بمثابة الصدمة للمتدينين... لكن المؤتمر الحاشد الذي دعت إليه الجمعية الوطنية الجغرافية في واشنطن تعرّض بالشك لكثيرٍ من المفاهيم. فماذا يُقدّم هذا الإنجيل الجديد؟ يقول (جريج إيفانز) أستاذ الأديان وأحد الذين شاركوا في تحقيق المخطوط: إنّ هذا الإنجيل الجديد يصوّر ما فعله يهوذا على أنه أبعد ما يكون عن الشرّ، بل على أنه أعظم ما كان بوسع يهوذا أن يقدّمه للمسيح. كان المسيح مثلنا روحاً محبوسة في جسد ماديّ، وأنّ الخلاصَ لا يأتي إلا عندما نهرب من تلك الكينونة المادية. وكان يهوذا هو الذي سمح ليسوعَ بالخلاص من الصورة المادية عندما ساعده على قتل الجسد.».

ما المثير في إنجيل يهوذا؟

الصفحات القليلة التي يتكوّن منها الإنجيل المزعوم لا

تحتوي على شيءٍ ذي بال، فضلاً عن فكره الغنوصيّ، إلا قدْراً ضئيلاً من المعلومات التي ترفع من شأن يهوذا وتضعه في مرتبةٍ أعلى من مراتب الحواريين الآخرين، وتبرئه من خيانة المسيح الذي اصطفاه من بينهم ليعجّل برغبته في الخلاص من الجسد تكفيراً عن آثام البشر. فكأن ما فعله من خيانة كان بطلب المسيح.

- ولأن يسوع كان يعرف أن يهوذا يفكّر متأملاً في شيء ما كان مرتفعاً، قال له: «تعالَ بعيداً عن الآخرين وسأخبرك بأسرار الملكوت. فمن الممكن أن تصل إلى ذلك. ولكنك ستحزن كثيراً، لأن آخر سيحل محلك ليبلغ الأثنا عشر (حوارياً) الكمال مع إلههم».
- وقال يهوذا: «أيها سيد، أيمكن أن يكون نسلي تحت سيطرة الحكام؟ أجاب يسوع وقال له: «تعالَ، إنه أنا (... سطران مفقودان...) لكنك ستحزن كثيراً عندما ترى الملكوت وكل أجياله».
- وعندما سمع ذلك قال له يهوذا: «ما الخير الذي تسلمته أنا؟ لأنك أنت الذي أبعدتني عن ذلك الجيل؟». أجاب يسوع قائلاً: «ستكون أنت الثالث عشر، وستكون ملعوناً من الأجيال الأخرى، ولكنك ستأتي لتسود عليهم. وفي الأيام الأخيرة سيلعنون صعودك؟».
- قال يهوذا ليسوع: «انظر!! ماذا يفعل أولئك الذين تعمّدوا باسمك؟. قال يسوع:» حقاً أقول (لك) هذا التعميد [..] اسمي] تسعة أسطر مفقودة تقريباً (لي. حقاً أقول لك يهوذا) أولئك الذين (يقدمون القرابين إلى ساكلاس..) الرب (ثلاثة أسطر مفقودة) كل شيء أنه شرّ. ولكنك ستتجاوزهم جميعاً لأنك ستضحي بالإنسان الذي يتلبسني».

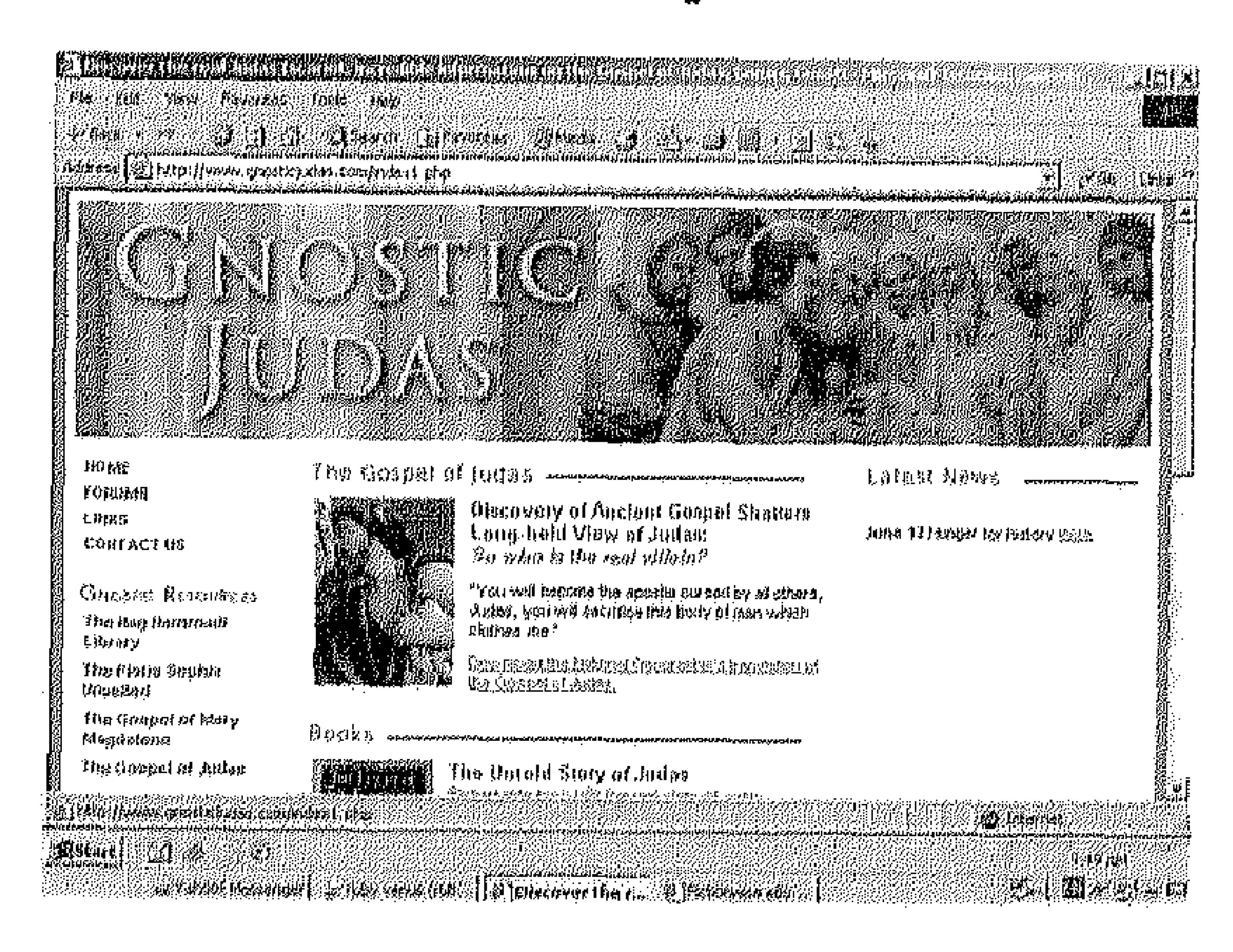
وبالفعل رُفِعَ مجدك.
وأضرِمَ عقابك الإلهي.
ولع نجمك.
وقلبك [...]

إنجيل يهوذا: صناعة غنوصية؟

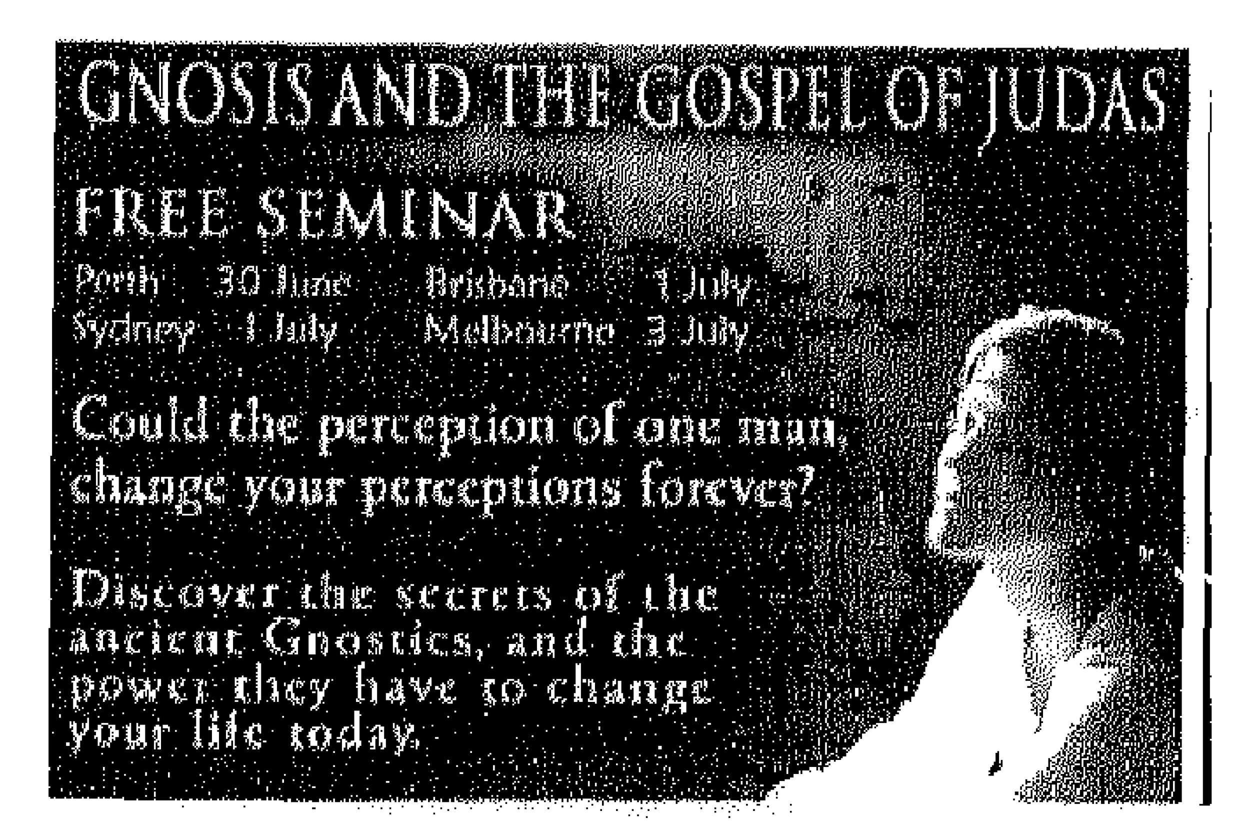
يذهب كثير من الباحثين من اللاهوتيين من الكنيستين: الكاثوليكية والارتوذكسية، وكذلك آخرون من غير اللاهوتيين إلى أنّ ما يُسمى بإنجيل يهوذا هو نصّ ينتمي إلى الفكر الغنوصي الذي كان سائداً في القرن الأول المسيحي.

والغنوصية Gnosis كلمة يونانية تعني المعرفة، أو العرفان، والغنوصي Gnostic هو العرفاني، أو العارف.

والغنوصية خليط من الأفكار الثيوصوفية السرية. وهي في الأصل حركة وثنية امتزجت بأفكار مسيحية، وترجع جذورها إلى ما قبل المسيحية بعدة قرون. وكان أتباعها يخلطون بين الفكر الإغريقي ـ الهيلينتسي ـ والمصري القديم مع التقاليد الكلدانية والبابلية والفارسية (الزرادشتية)، والأفلاطونية المحدثة، مع خليط من الفكر اليهودي.



موقع يهوذا الغنوصي على الشبكة الدولية



إعلان عن حضور ندوة مجانية عن الغنوصية وإنجيل يهوذا

والغنوصية لا تؤمن بالمادة، وتؤمن بإله مطلق انبثقت منه قوى أُطلق عليها اسم الأيونات Aeons، ومن هذه الأيونات ظهرت الحكمة Sophia، ومن هذه الحكمة انبثق كائنٌ واعٍ خلق العالم الماديِّ، وخلق كلَّ شيءٍ على صورته. ومن الغنوصيين من يقول بالثنائية الإلهية: Dualism إلى الخير وإله الشر، أو مملكة النور ومملكة الشرّ.وقد خلق إله الخير الروح فحبسها إله الشرّ في الجسد البشري، فكان الجسد سجناً لها.

ولذا صار الهدف الأسمى للكائن البشري هو أن تتحرر الروح من سجن الجسد، أن تنطلق الروح إلى عليائها التي انحدرت منها تاركة الهيكل الترابي وراءها.

وتصف الغنوصية المسيح بأنه كائن ميتافيزيقي، آتٍ من عالم ما وراء الطبيعة متمثلاً في صورة كائن بشري أو في صورة جسد نجميّ أو أثيريّ، أو أنه توحد مع يسوع الناصري. وتقول بوجود ما يسمى بالمنيرين الأربعة: هارموزيل (Harmozel) وأورويائيل (Oroieal) وداوايثاي (Daueithai) وإيليليث .(Eleleth) وهم أيونات وكائنات روحية. ولأنهم عوالم روحية فهم الأماكن التي تقطنها النماذج الرئيسة (Geradama) أو آداماس، أي آدم السماوي؛ وشيث الذي هو النموذج السماوي لابن آدم، والذرية السماوية لشيث، ونماذج الكنيسة الغنوصية. ومن عقائد الغنوصيين الإيمان بأن يهوذا هو أعظم العرفانيين لأنه آمن بالغنوص وسارع في تحقيق الإرادة العليا لتخليص الروح السماوية من براثن الجسد، وهي الغاية الكلية التي نزل بها يسوع.

ولذلك يجعل الغنوصيون شخصية يهوذا رمزاً يتحلّقون حوله.



مقر الجمعية الغنوصية في لوس أنجلوس

وهناك عدد من المواقع الغنوصية على شبكة المعلومات الدولية تروّج لمثل هذه الفلسفات الباطنية.

ولا يحتاج المرء إلى كثير من العناء للتأكد من الأصل الغنوصي لإنجيل يهوذا المزعوم. ومن يقرأ النص الإنجليزي لهذا الإنجيل وكذا ترجمته العربية لا يملك إلا أن يقرّ بهذه الحقيقة.

(انظر النص العربي لإنجيل يهوذا في آخر هذا الملف).

والفكر الغنوصي يقوم على الأسرار التي ينفرد بها أتباعه ولا يجيزون الإفصاح عنها، والرسالات النبوية تتنافى مع مثل هذه الهرطقة، لأن دعوات الأنبياء الأصل فيها العلن لأنها تقوم على التبشير، ولا يُعقل أن يكون التبشير سرّاً أو أن يكون مقصوراً على طائفة بعينها من الناس. وهذا الحكر يفسد معنى النبوة والرسالة. ولذلك فإن قول المسيح ليهوذا في هذا الإنجيل المزعوم: «تعال بعيدا عن الآخرين وسأخبرك بأسرار الملكوت. فمن الممكن لك أن تصل إلى ذلك». يتنافى تماماً مع قول المسيح لحوارييه:

«الذي أقوله لكم في الظلمة قولوه في النور. والذي تسمعونه في الأذن نادوا به على السطوح»

(متى 10: 27)، وقوله: «وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مرقص 15:16).

وفي العصر الحاضر تحوّلت الغنوصية من اتجاه يكتنفه الغموض وله أسراره الخاصة إلى جمعيات معروفة تعقد اجتماعاتها علناً، وتنظّم حلقات علمية وتدريبية للترويج لفلسفتها مجاناً (انظر الإعلان عن عقد حلقات علمية في استراليا بمناسبة صدور إنجيل يهوذا).



وقبل اكتشاف مكتبة نجع حمادي، كانت مجموعة Pistis Sophia الحكمة الإيمانية أو قوة الحكمة من أشهر مصادر التعاليم الغنوصية. وهذه المخطوطة الملحمية اشتراها المتحف البريطاني سنة 1795 من طبيب تحصّل عليها من مصدر مجهول. وبطبعها أخيراً تكون قد تحررت من اعتبارها من النصوص المحرّمة كنسياً. ويعود تاريخ هذا النص إلى ما بين 150 ـ 300 م. والنص يحكي وقائع حدثت خلال إحدى عشرة سنة من قيامة المسيح. وفي غضون هذه الفترة كان يسوع يرشد تلاميذه. ويتضمن هذا النص آخر تعاليم المسيح لتلاميذه عند جبل الزيتون.

ومن أشهر المواقع الغنوصية موقع Agnostic Judas. وهو موقع يحمل اسم يهوذا كما هو واضح، وهذا يعني أنّ يهوذا رمزٌ للغنوصيين.

ومن الجمعيات الغنوصية الجمعية الغنوصية الأمريكية التي تأسست في سنة 1928 ومقرها في لوس أنجلوس، وشعارها:

(من له أذنان، دعه يسمع). وجمعية إكليسيا نوستيكا Ecclesia Gnostica.



بالإعلان عن إنجيل يهوذا، هللت الصحف الإسرائيلية ومنها صحيفة معاريف وتوقعت أنّ ذلك سيعقبه تبرئة يهوذا من خيانة المسيح كما برّأ الفاتيكان اليهود من دمه.

صرّح البروفيسور مارفن ماير Marvin Meyer أستاذ الديانة المسيحية والكتاب المقدّس بجامعة تشابمان Univ. of Chapman بكاليفورنيا وأحد المشتركين في تحقيق المخطوطة، قائلاً:

«إنّ شخصية يهوذا غالباً ما تصور على أنها اليهوديّ الشرير الذي أسلم المسيح لكي يعتقل ويقتل. إنّ يهوذا في هذا الإنجيل قد يستطيع الردّ على هذا التوجّه المعادي للسامية».

خطاب مارفن هذا توظيف علني مقصود لخدمة اليهود، وربما ذلك ما جعل البعض يذهب إلى أن أصابع يهودية وراء هذا الإنجيل خاصةً وأن خطابه هذا كان في المؤتمر الذي عقدته ناشيونال جيوجرافيك للإعلان عن صدور إنجيل يهوذا.

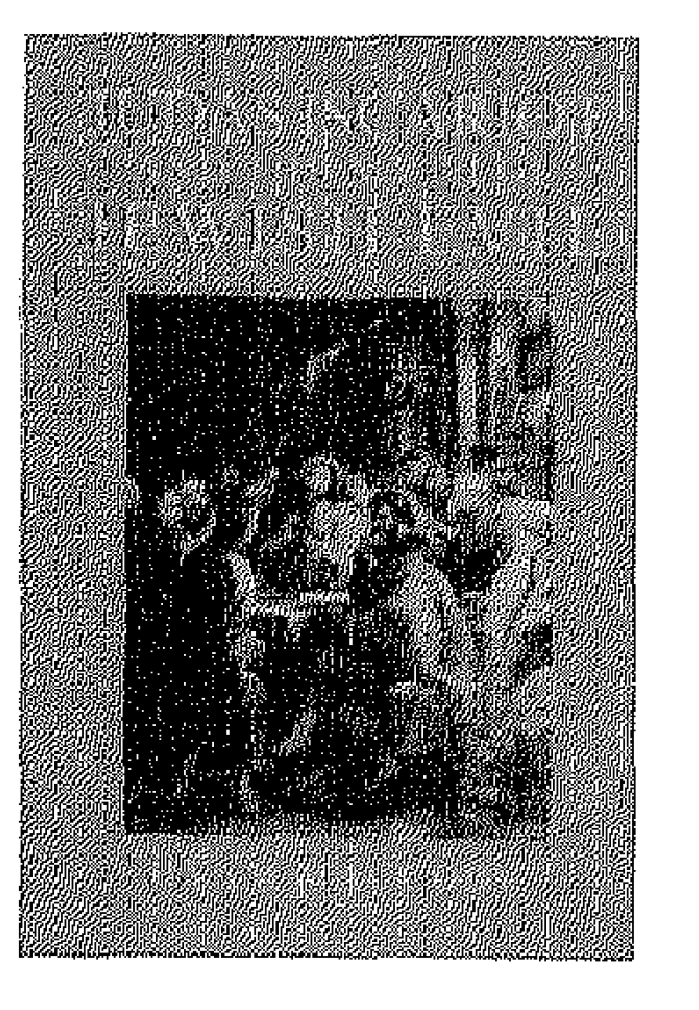
ولم تتأخر آلة الدعاية في الترويج إلى فكرة إعادة الاعتبار ليهوذا، وتهيئة الجو العام لذلك. فسارعت بالإعلان على لسان رئيس اللجنة البابوية للعلوم التاريخية السيد براندموللر Brandmueller بأنه يرغب في إعادة الاعتبار Rehabilitate ليهوذا وتقديم عمله على أنه تنفيذ لخطة الرب. وتطاير هذا التصريح كالشرر في المواقع المختلفة حتى إنّ تورنتو ستار Toronto Star اليومية كتبت في أحد أعدادها مقالة بعنوان: جاهزون لإعادة التفكير في

الواشي الوغد؟.Ready to rethink the fink (villain)

والعجيب أنّ هذا التصريح محض افتيات فقد كذّب السيد براندموللر ما سيق على لسانه. يقول السيد براندموللر كما في صحيفة هيرالد صن الأسترالية Herald Sun:

«ليس لهذا الخبر أساس، ولا أستطيع أن أتخيل من أين جاءت هذه الفكرة» وقد ذكر ذلك لوكالة الأنباء الكاثوليكية في روما.

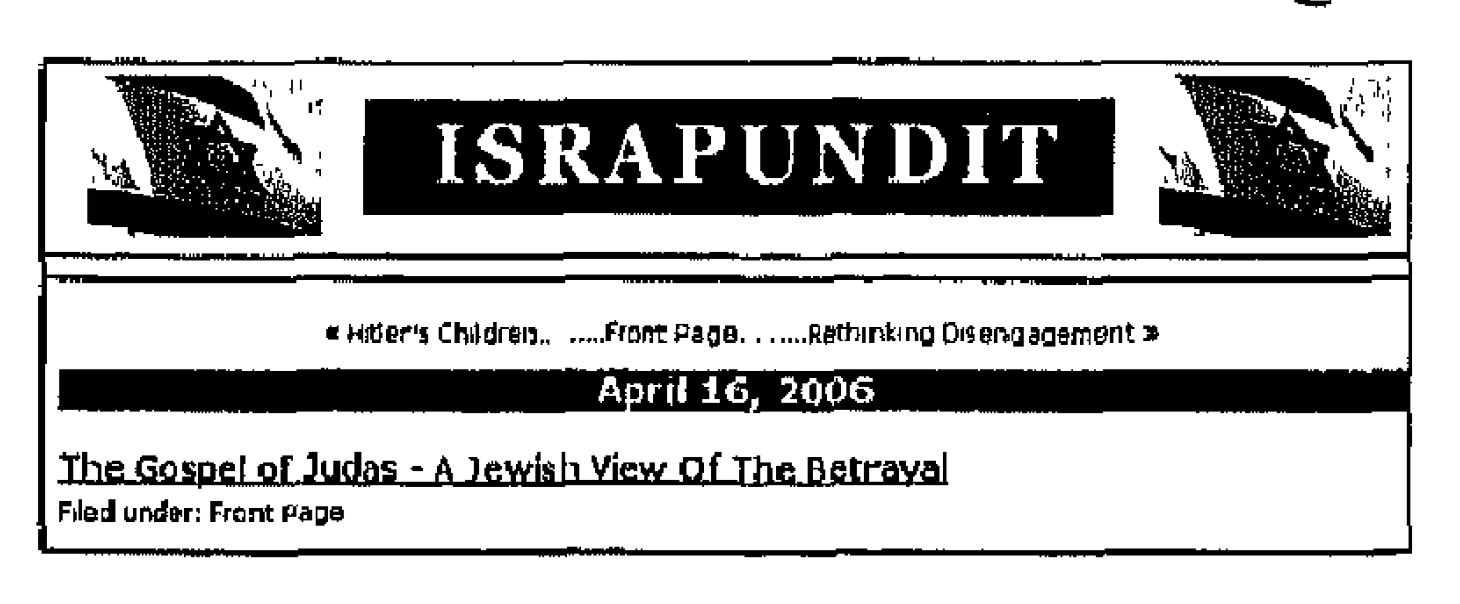
وفكرة إعادة الاعتبار ليهوذا ليست جديدة، وقد أخذت حظاً في كتابات هيام ماكوبي Hyam Maccoby ففي سنة 1992 أصدر كتابه (يهوذا الإسخريوطي وأسطورة الشراليهودي) Judas Iscariot and the Myth of Jewish Evil، وتحصّل هذا الكتاب على جائزة Wingate Prize للأعمال غير القصصية لسنة 1993. والكتاب محاولة لتنظيف صورة يهوذا في الفكر الغربي، تلك الصورة التي يصفها الكاتب بأنها نمط بدائي من التصوير Archetypal لا يعدو كونه خيالاً صنعه الأدب والفن على مرّ العصور.



يصف أحد النقاد هذا الكتاب بأنه يمثل أستاذية في الكتابة، أو بعبارة أخرى هو عمل أستاذ ماهر محترف. إنه محاولة لتخليص التاريخي من القصصي في شخصية يهوذا.

فهيام ماكوبي، يتتبع أثر تطوّر الأسطورة من الأناجيل نفسها ـ حيث تتبدل صورة يهوذا الخائن من إنجيل إلى آخر ويتحوّل إلى رمز يمثل شعب اليهود ـ إلى العصور الوسطى حيث تتطور العلاقة بين يهوذا واليهود وانتهاءً بالدور المميت الذي لعبته الأسطورة في الحركات المسيحية المعادية للسامية في العصر الحديث.

ويناقش الكاتب أيضاً تأثير قصة يهوذا على الخيال الإنساني وسحرها المستمر على الكتاب والفنانين عبر العصور. والأهم في هذا الكتاب مناقشة مسألة السبب الكامن وراء الحاجة إلى هذه الأسطورة والدور الذي لعبته في المسيحية، وكيف صاغت الموقف من اليهود الذي تحوّل فيما بعد إلى معاداة السامية. إنه باختصار، كما يقول أحد ناقديه، كتاب جدل عاطفيّ سَيُحْزِنُ بعض قارئيه، ويثير بعضَهم الآخر. والمؤلف هيام ماكوبي يهودي ألف كتاباً آخر هو (يسوع الفريسي) يزعم فيه أن يسوع المسيح هو من فرقة الفريسيين اليهودية. ويمكن للقارئ أن يقف على تهليل اليهود لهذا الإنجيل في موقع ISRAPUNDIT.



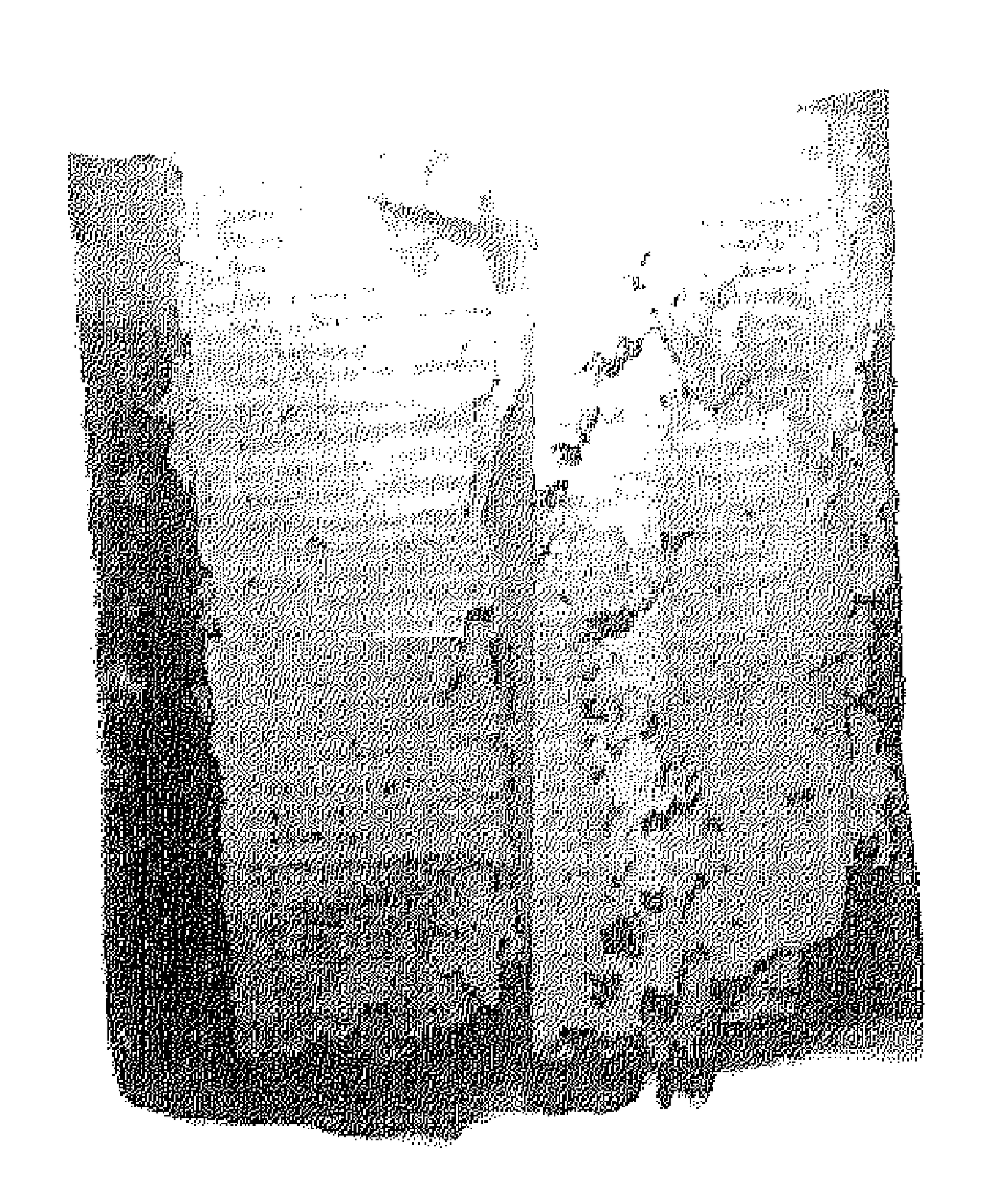
الأناجيل الأبوكريفية: مكتبة نجع حمادي*

لا يتم الحديث عن إنجيل يهوذا دون الكلام عن الأناجيل التي يُطلقُ عليها علماء اللاهوت المسيحيون اسم الأناجيل الأبوكريفية Apocryphal Gospels ولفظة Apocrypha يونانية تعني النصوص المنحولة المزيفة.

وقصة هذه النصوص تنتمي إلى حقب زمنية قديمة تعود إلى القرون الأولى من تاريخ المسيحية.

---

* مدينة مصرية في الصعيد تتبع محافظة قنا.



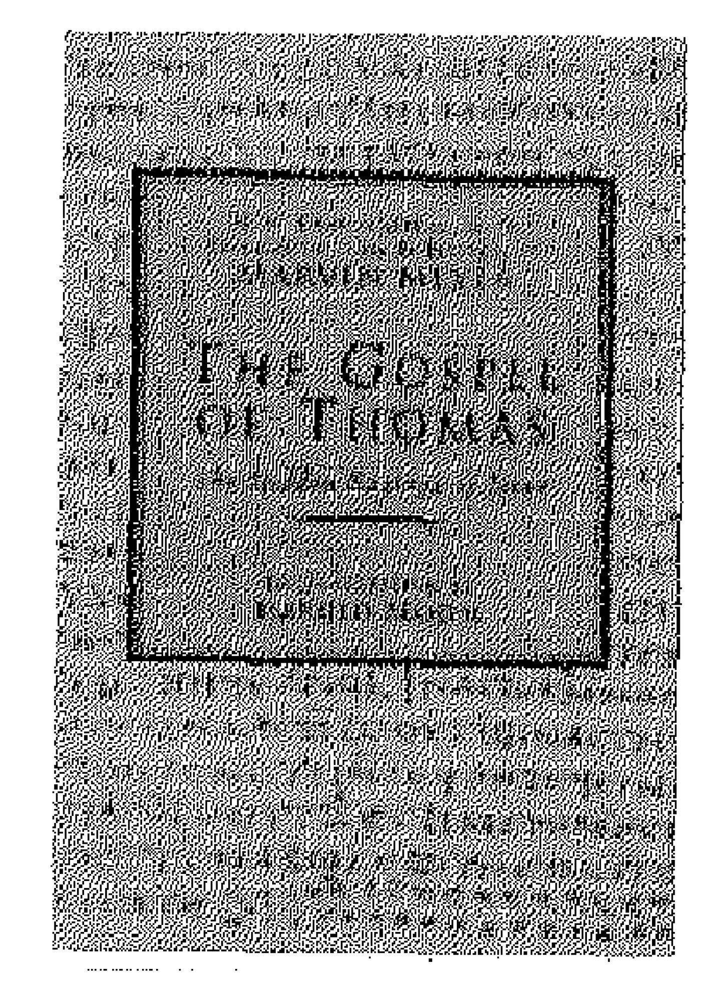
ففي سنة 367م أصدر مطران الإسكندرية رسالة الفصح، أمر فيها الرهبان المصريين الذين يمتلكون نسخاً، مما يُعرف اليوم بمكتبة نجع حمادي، أن يقوموا بإتلاف ما يعتقد أنه غير مقبول ومخالف للعقائد المسيحية المعروفة. ويبدو أن منهم من قام بحفظ بعض تلك النصوص المقرر حرقها، وذلك بوضعها في جرة يبلغ طولها ستة أقدام ودفنها في تلة بقرب نجع حمادي بصعيد مصر. وظلت هناك لأكثر من 1500 سنة. وفي شهر الكانون (ديسمبر) 1945 عثر أخوان مصريان على تلك الجرة، بينما كانا يحفران في حقلهم، وكانا يظنان أنها تحتوي على ذهب فوجدا أنها تحتوي على أجزاء من كتب.

وانتهى المطاف بتلك الكتب الموجودة في حقائب جلدية، بعد تطواف هنا وهناك، بين أيدي التجار، وبعد تدخل السلطات المصرية وقيامها بشراء ما كان يتداول بين الأيدي، ونظراً لارتفاع الأسعار المعروضة مقابل بعض المجلدات قامت سلطات الآثار بمصادرة كل ما تجده من مكتبة نجع حمادي، وبلغ مجموع ما وضعت السلطة المصرية يدها عليه 13 مجلداً تتضمن 52 كتاباً. وقام رجال الآثار بحفظ المجلدات التي في حوزتهم بالمتحف القبطي، إلا أن التجار تمكنوا من تهريب جزء كبير من المجلد رقم 13 ـ الذي يتضمن خمسة نصوص ـ إلى خارج البلاد، وعرضوه للبيع في الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد سعي حثيث تمّ جمع ما تناثر من المخطوطات. اثر دراستها اكتشف الباحثون في اللغات القبطية القديمة، أنها ترجع كلها إلى القرون الأولى للتاريخ الميلادي. وكان من بينها أناجيل لم تكن معروفة من قبل، مثل: إنجيل توماس، وإنجيل مريم، وإنجيل فيليب، وإنجيل الحق، وإنجيل المصريين، إلى جانب بعض كتابات منسوبة للحواريين، مثل كتاب جيمس، ورؤيا بولس، وخطاب بطرس إلى فيليب، وأعمال بطرس، وحوار المخلّص، ورؤيا جيمس الأولى والثانية، والعقل الكامل. وقد تُرجمت مكتبة نجع حمادي إلى الإنجليزية وجمعت في مجلد واحد يقع في نحو 530 صفحة.

غلاف مكتبة نجع حمادي بالإنجليزية

إنجيل توما؟

إنجيل توما لا يقوم هذا الإنجيل على البناء السردي كما هو الحال في الأناجيل الأربعة المعترف بها في الكنيسة، ولكن ما يرد فيه هو أقوال وتعاليم مباشرة تصدر عن يسوع،



غلاف كتاب إنجيل توماس

فيأتي الخطاب فيه بعبارة «قال يسوع». وفي هذا الإنجيل عبارات كثيرة تتفق مع ما جاء في الأناجيل الأربعة. هذه هي الكلمات الخفيَّة التي نطق بها يسوع الحيُّ ودوَّنها يهوذا توما التوأم.

قال يسوع:

❖ من يكتشف تأويل هذه الأقوال لن يذوق الموت.

❖ مَنْ يطلب فلا يستنكف عن الطلب إلى أن يجد. وحين يجد سوف يضطرب. وعندما يضطرب سوف يَعْجَب ويسود على الكل.

❖ إذا قال لكم قادتكم: «هو ذا الملكوت في السماء،» فسوف تسبقكم طيور السماء. إذا قالوا لكم: «إنه في البحر،» فسوف تسبقكم الأسماك. الملكوت بالحريّ في داخلكم وهو في خارجكم.

❖ وازنوا بيني وبين شيء ما وقولوا لي ماذا أشبه.

قال له سمعان بطرس: أنت تشبه ملاكاً باراً.

قال له متى: أنت تشبه فيلسوفاً حكيماً.

وقال له توما: يا معلّم، إن فمي أعجز من أن يقول ماذا تشبه.

قال يسوع: لستُ معلّمك لأنك شربتَ وسكرت من النبع الفوّار الذي أرقتُه.

ثم أخذه وتنحّى، وقال له ثلاث كلمات.

وعندما عاد توما إلى رفاقه، سألوه: ماذا قال لكَ يسوع؟

أجابهم توما: إذا أخبرتكم بواحدة من الكلمات التي قالها لي ستتناولون حجارة وترجمونني، فتخرج نار من الحجارة وتُحرقكم.

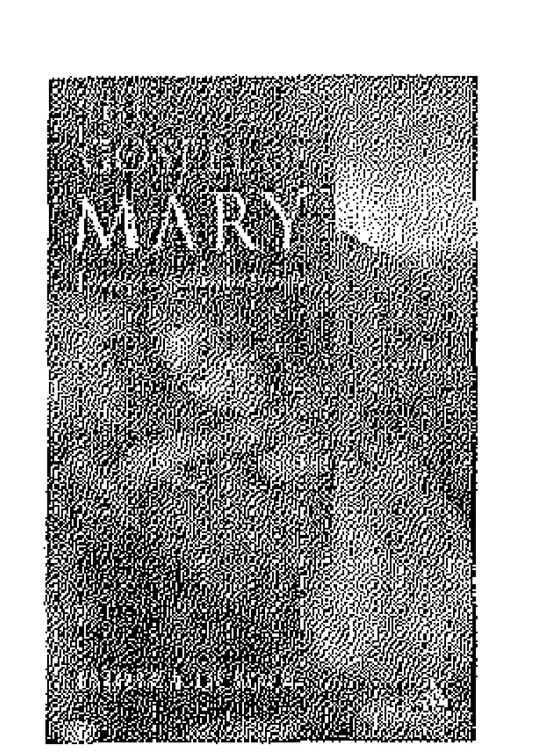
❖ قال التلاميذ ليسوع: قلْ لنا مَنْ يُشبِه ملكوت السماوات. قال لهم: يشبه حبة خردل أصغر البذور كلِّها، لكنها عندما تسقط على تربة خصبة، تُنتِج نبتة كبيرة وتصبح مأوى لطيور السماء.

❖ لا يُجتنى من الشوك عنب، ولا يُقطَف من الحسك تين، فهي لا تعطي ثمراً. إن المرء الصالح يُخرِج الخير من مخزنه، والمرء الطالح يُخرِج الشر من مخزنه الفاسد في قلبه، ويقول أشياء طالحة. فمن فيض القلب يُخرِج هذا المرء الأشياء الطالحة.

❖ قال لهم سمعان بطرس: على مريم أن تغادرنا، فإن الإناث لسن أهلاً للحياة.

فقال يسوع: أنظر، فإني سوف أرشِدها لأجعلها ذكراً، حتى تصير هي الأخرى روحاً حيَّة تشبهكم أنتم الذكور. فإن كل أنثى تجعل نفسها ذكراً تدخل ملكوت السموات.

إنجيل مريم المجدلية



إنجيل مريم المجدلية

ومن الأناجيل الأبوكريفية إنجيل مريم المجدلية. ويعتقد أنه كُتِبَ في القرن الثاني للميلاد بلغة يونانية في الأصل، وقد تُرجم في القرن الخامس إلى اللغة القبطية.

وقد أبصرت هذه الترجمة النور حينما اشتراها من القاهرة رجلٌ يُدعى كارل رينهارت Carl Reinhardt ونقلها إلى برلين سنة 1896، ولم يُطبع هذا الإنجيل حتى سنة 1955. وفي أوائل القرن العشرين. أثناء القيام بحفريات في شمال مصر تم العثور على قطعتين صغيرتين من ذلك الإنجيل، كتبتا باللغة اليونانية، ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث. والصفحات الست الأولى من إنجيل مريم مفقودة.

والنص المترجم إلى الإنجليزية يقع في ثلاث صفحات. والحوار الذي يجري في هذه الصفحات بين يسوع المخلص ومريم، يوحي بأن الكاتب ليست مريم، لأن الخطاب يحكي عنها، فيقول مثلاً: «وقفت مريم»، و«عندما قالت مريم ذلك»، «وقال بطرس لمريم» ،ولو كانت هي من كتبه لقالت كما في الأناجيل الأخرى، بما فيها المنحولة بحسب رأي الكنيسة،: «فقلتُ له»، «وقال لي»، «وقال لي بطرس»..

ومما جاء في هذا الإنجيل:

❖ قال المخلّص: «من كانت له أذنان فليسمع. كل الطبائع، كل المخلوقات موجودة في الآخر ومعه، وسوف تتحلل في جذوره. لأن طبيعة المادة أن تذوب في جذور طبيعتها وحدها.».

❖ وسأله بطرس: «وإذ فسّرت لنا كلّ الأشياء.

فاخبرنا ما هي خطيئة الدنيا؟ أجاب المخلّص: الخطيئة في حدّ ذاتها ليست موجودة. لكنك ترتكب الخطيئة عندما تفعل شيئاً هو من طبيعة الفسق الذي يُسمى إثماً. لذلك دخل الخيرُ في جوفك، إلى جوهر كلّ طبيعة ليردّها إلى جذورها».

❖ ما تركت وصايا إلا ما أوصيتك به، فلم أعطك شريعة، كما فعل أصحاب الشرائع، خشية أن تُلزم بذلك.

❖ قال بطرس لمريم: «أختاه. نحن نعلم أن المخلّص أحبّك أكثر من أيّ امرأة أخرى. فأخبرينا عن كلمات المخلّص التي تحملينها في عقلك حيث تعلمين ولا نعلم، ولا حتى سمعنا بذلك»

❖ أجابت مريم قائلةً: «ما خفي عنك سأفصح لك عنه. ثم شرعت تقول لهم:» رأيت السيّد في رؤية فقلت له: يا مولاي، لقد رأيتك اليوم في رؤية. فأجابني: مباركة أنت إذ لم تضطربي عند رؤيتي لأنه حيث يكون العقلُ تكون الرزانة.

❖ فقلتُ: يا مولاي. العقل الذي يبصر الرؤية، هل يبصرها من خلال النفس أم الروح؟ أجاب المخلص قائلاً: لا يبصر لا من خلال النفس ولا من خلال الروح. ولكن العقل الذي هو بينهما والذي يبصر الرؤية، هو.. (سقط). وقالت الرغبة: لم أرك تتدنى، لكنني الآن أراك في صعود، فلماذا تتكلم بالباطل وأنت تنتمي لي؟.

❖ أجابت النفس قائلةً: لقد رأيتك ولم ترني ولم تتعرّف عليّ. لقد كنت لك كالثوب ولم تعرفني. بعد أن قالت ذلك انصرفت بعيداً في بهجة وحبور.

❖ أقبلت ثانيةً للقوة الثالثة، الجهل. سألت هذه القوة النفسَ قائلةً: أين أنتِ ماضية؟ أنت مربوطة بالأذى، لقد رُبطت فعلاً. ولم تُحاكمي. أجابت النفس: لماذا تحاكمني إذا لم أحَاكم؟ أنا مربوطة بالرغم من أنني لم أربط. أنا لم أُعرف، مع أنني عرفت أن الجميع سيمضون بحرية، كل الأشياء سماوية أو أرضية.

❖ بعد أن خلّفت النفس القوة الثالثة وراءها، وصعدت إلى أعلى أبصرت القوة الرابعة التي لها سبعة أشكال: الشكل الأول هو الظلمة، والثاني: الرغبة، والثالث: الجهل، والرابع: النهوض من الموت، والخامس: مملكة الجسد، والسادس: حكمة حماقة الجسد، والسابع: الحكمة الحانقة. وأولئك هم السبعة المشتركون في الغيظ.

الحوار الذي يجري في هذه الصفحات بين يسوع المخلص ومريم، يوحي بأن الكاتب ليست مريم، لأن الخطاب يحكي عنها

❖ سألوا النفس: متى تأتين يا قاتلة البشر؟ أو إلى أين تمضين يا فاتحة الفضاء؟ أجابت النفسُ: ما يحاصرني يُقتَل. ما يُحوّلني عن وجهتي يُقهر. رغبتي بلغت النهاية والجهل مَيْتٌ. وفي دنيا نَجوت من دُنيا، وفي مثال، من مثال أعلى، ومن أغلال المعرفة الواهنة. إذ ذاك سأبلغ الراحة في اللحظة التي يبلغ فيها (الأيون) Aeon السكون.

❖ لما قالت مريم ذلك، كانت صامتة، بينما كان المخلص يتكلم طويلاً معها.

❖ قال أندراوس لأخوانه:ما ظنكم فيما قالت. لأنني لا أظنّ أنّ المخلّص قال ذلك.

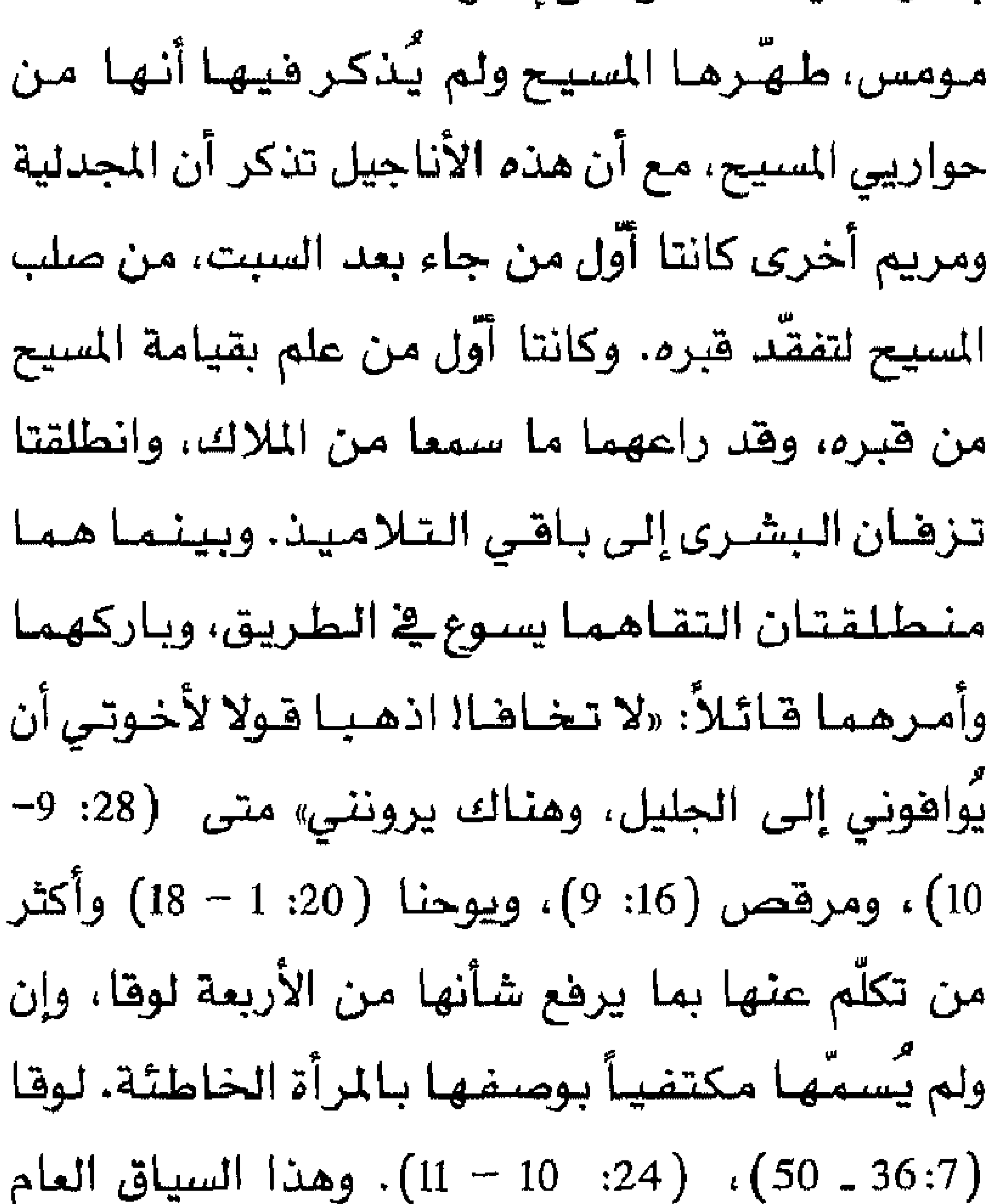
❖ بطرس عارضها أيضاً في ذلك، وسألهم عن المخلّص: هل أفضى بأسراره لامرأة؟ وفضّلها علينا؟ ولم يصارحنا بذلك؟ هل نرجع جميعنا ونسألها هل قدّمها علينا؟

❖ حزنت مريم وقالت لبطرس: أخي بطرس! ماذا تظن؟ هل تحسب أنّ ذلك كان يدور في خلدي أو أنني أكذب على المخلّص؟.

❖ قال ليفي لبطرس: بطرس. أنت دوماً غضوب. وأراك الآن تناضل ضد المرأة مثل الأعداء. ولكن إذا جعلها المخلّص جديرة بذلك فمن أنت لتعترض عليها؟ لا ريب أن المخلّص عرفها حقاً.ولذلك أحبها أكثر منا. وينبغي أن نخجل ونتظاهر بالكمال كما أمرنا، وكما صرّح الإنجيل، ودون نشر وصايا جديدة، أو شريعة أخرى غير التي نطق بها المخلّص.

❖ ولما قال ليفي ذلك، انصرفوا لوعظه وتبشيره.

ولا شك أنّ ما جاء في هذا المسمى إنجيلاً هو فلسفةٌ غنوصية واضحة، وليس أدلّ على ذلك من ذكر الأيون Aeon وهو رمز غنوصي نراه قاسماً مشتركاً بين جميع الأعمال الغنوصية.



مريم المجدلية: إمرأة مومس أم محبوبة يسوع؟

تصوّر الأناجيلُ الأربعةُ المعترفُ بها مريمَ المجدليةَ بأنها ليست أكثر من إمرأة مومس، طهّرها المسيح ولم يُذكر فيها أنها من حواريي المسيح، مع أن هذه الأناجيل تذكر أن المجدلية ومريم أخرى كانتا أوّل من جاء بعد السبت، من صلب المسيح لتفقّد قبره. وكانتا أوّل من علم بقيامة المسيح من قبره، وقد راعهما ما سمعا من الملاك، وانطلقتا تزفان البشرى إلى باقي التلاميذ. وبينما هما منطلقتان التقاهما يسوع في الطريق، وباركهما وأمرهما قائلاً: «لا تخافا! اذهبا قولا لأخوتي أن يُوافوني إلى الجليل، وهناك يرونني» متى (28: 9-10)، ومرقص (16: 9)، ويوحنا (20: 1 – 18) وأكثر من تكلّم عنها بما يرفع شأنها من الأربعة لوقا، وإن ولم يُسمّها مكتفياً بوصفها بالمرأة الخاطئة. لوقا (7:36 ـ 50)، (24: 10 – 11). وهذا السياق العام الذي ورد فيه ذكر المجدلية في الأناجيل الأربعة، لا يمكن فهمه على أنه تصوير لمجرّد إمرأة خاطئة، بل امرأة تجاوز ايمانها بيسوع المسيح الحواريين الآخرين. وهذه الدرجة الإيمانية هي التي تصورها الأناجيل الأبوكريفية حتى جعلتها وريثة تعاليم المسيح وليس بطرس. وذلك ما جعل بطرس يأمر بأن تغادر مريم مجلس يسوع. جاء في إنجيل توما (مقطع 114): «قال لهم سمعان بطرس: على مريم أن تغادرنا، فإن الإناث لسن أهلاً للحياة. فقال يسوع: أنظر، فإني سوف أرشدها لأجعلها ذكراً، حتى تصير هي الأخرى روحاً حيَّة تشبهكم أنتم الذكور. فإن كل أنثى تجعل نفسها ذكراً تدخل ملكوت السموات».

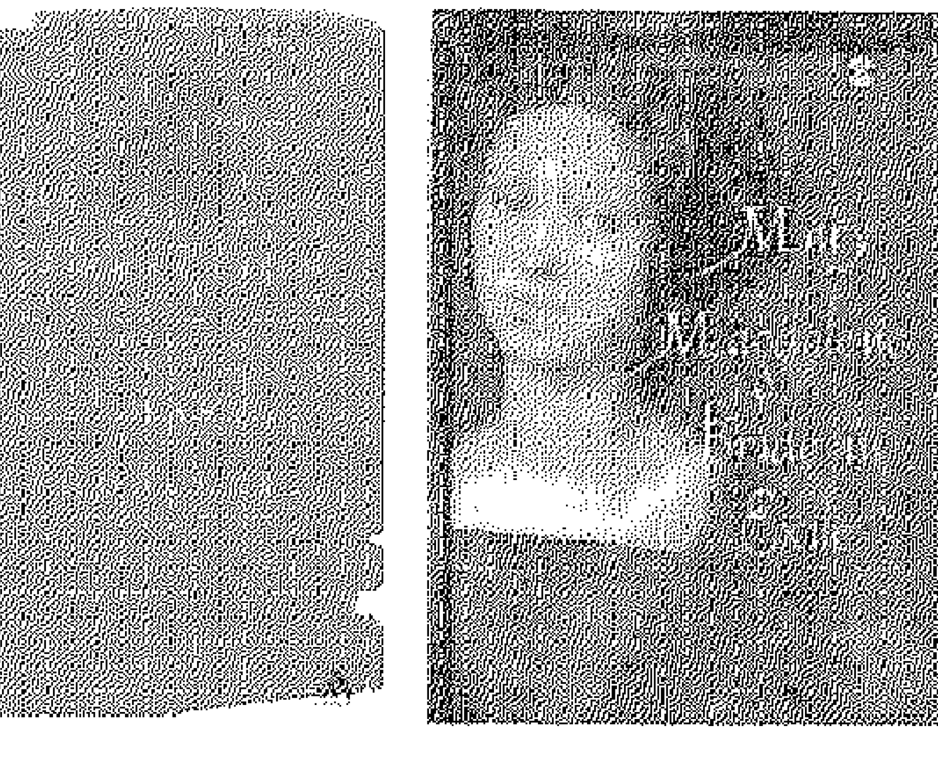
كما ورد في مكانين من إنجيل فيليب ما يُفهم منه أنّ مريم المجدلية كانت زوجاً للمسيح. جاء في الإنجيل المذكور مقطع رقم (36):

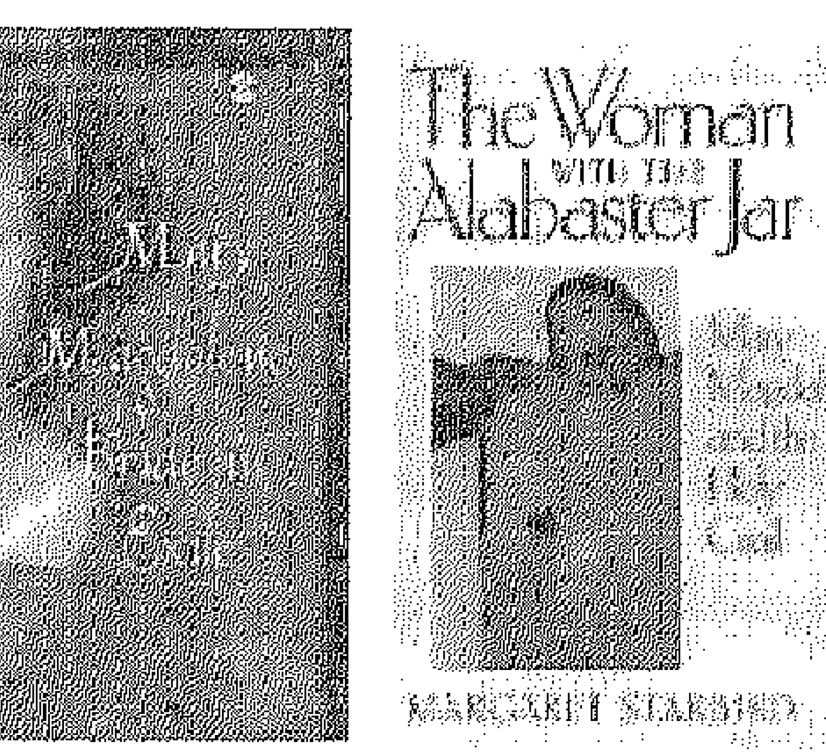
«ثلاث نسوة كلهن أسماؤهن مريم مشين مع السيد طول الوقت: أمه، وأخته، والمجدلية. وهذه تُدعى رفيقته (Consort تفسّر بالرفيقة والزوجة).

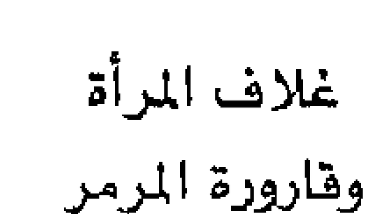
وجاء في المقطع رقم (59):

«الحكمة التي يتطلبها البشر هي أم الملائكة. ورفيقة المسيح (Consort) هي مريم المجدليّة، وقد أحبها السيّد أكثر من جميع حوارييه الآخرين. وعندما رأت النسوة حبه لمريم فقلن له: لماذا تحبها أكثر منّا جميعاً؟ أجاب المخلّص: لماذا لا أحبكم مثلها؟. فالأعمى والبصير كلاهما في الظلمة سيان. وإذا أقبل النور شاهد المبصر النور، وظلّ الأعمى في الظلمة».

ومن خلال إنجيل توما، ومريم، وفيليبس، والأناجيل المنحولة الأخرى تطوّرت، صورة مريم المجدلية، فنُسجت حولها خرافات وأساطير. وقد أصبحت في العقدين الأخيرين مادة خصبة للكتابة، فألفت حولها مؤلفات اختلطت فيها الحقيقة بالخيال.







غلاف المرأة
وقارورة المرمر

غلاف كتاب مريم
المجدلية عروس في المنفى

غلاف كتاب
قيامة المجدلية

ومن المؤلفات التي ظهرت مؤخراً: قيامة مريم المجدلية من تأليف جين تشابرج:

Resurrection of Mary Magdalene: Jane Schaberg Testament. Legends, Apocrypha, and the Christian

وقد وضعت الكاتبة (مارجريت ستاربيرد) Margaret Starbird كتابين عن المجدلية أثارا اهتمام الباحثين منها كتاب: مريم المجدلية: عروس في المنفى Mary Magdalene: Bride in Exile وكتاب (المرأة وقارورة المرمر: مريم المجدلية والكأس المقدسة) The Woman with Alabaster Jar

وقارورة المرمر هي قارورة الطيب، التي دهنت بها المرأة يسوع المسيح، والتي وصفت مرّة بالمرأة كما في (مرقص 14: 1 – 9)، ومتى (26: 6 – 13)، ومرّة بالخاطئة (لوقا 7: 37 – 05).

إنجيل فيليب

إنجيل فيليب

ومن الأناجيل الأبوكريفية التي وجدت في مكتبة نجع حمادي إنجيل فيليب، وهو نصّ يتضمن 143 مقطعاً. وليس في هذه المقاطع ما يشير إلى أنها من أقوال يسوع المسيح. يبتدئ المقطع الأول هكذا: «عبراني يهدي عبرانياً، ويسميه مترهباً مهتدياً. ومع ذلك لا يصنع المترهب مترهباً آخر» وهذا الإنجيل، خلافاً للموروث الكنسي، ينفي ألوهية المسيح، ويزعم أنه تزوّج من المجدلية كما مرّ ذكره في الكلام عن إنجيل مريم. وهذا ما جعل الكنيسة تعده من الأعمال المنحولة (الأبوكريفية)، فضلاً عن الأفكار الغنوصية التي فيه. وقد جاء في المقطع رقم (128): «هناك ابن الإنسان، وهناك حفيد الإنسان. والسيّد هو ابن الإنسان، وحفيد الإنسان. هو ذلك الذي خُلقَ من ابن الإنسان. فابن الإنسان أخذ القدرةَ على الخلقِ من الربّ، وهو أيضاً كانت له القدرة على الإنجاب» نص إنجيل فيليب الذي يقع في 17 صفحة مشحون بالرموز والأسرار.

ففي المقطع رقم (3):

❖ «أولئك الذين يرثون الموتى هم أنفسهم موتى يرثون الميّتَ، والذين يرثون الأحياء هم أحياء، ويرثون الأحياء والموتى معا»

وفي المقطع رقم (6):

❖ «عندما كنا عبرانيين في تلك الأيام خُلِقْنَا أيتاماً. ليس لنا من أمٍّ إلا الروح وحين أصبحنا ميسانيين أقبل الأب ليكون مع الأم».

وفي المقطع رقم(7):

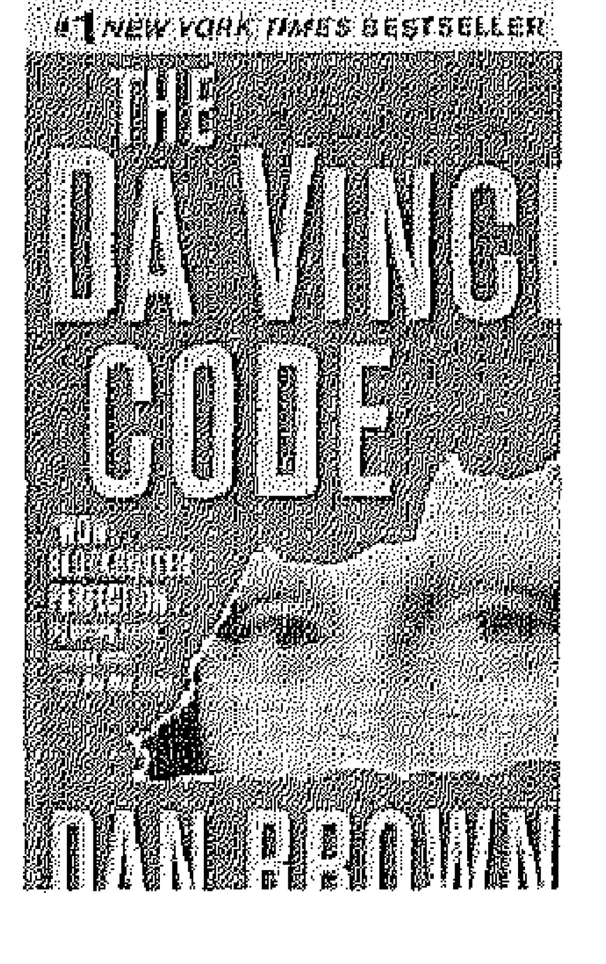
❖ «مَنْ يبذر في الشتاء يحصد في الصيف. والشتاء هو الدنيا، والصيف هو الأيون الآخر (الآخرة). فدعونا نزرع في الدنيا لنحصد في الصيف. وليس مجدياً أن ننشغل بالصلاة في وقت الشتاء، فما ينبعث من الشتاء هو الصيف، ولذلك إذا حصد المرء في الشتاء فإنه لا يحصد، ولكنه يجتث. وبهذه الطريقة لن يجنيَ ثمرا»

وفي المقطع رقم (9):

❖ «النور والظلمة، الحياة والموت، اليمين واليسار إخوة بعضهم لبعض. ومن العسير أن ينفصل أحدهما عن الآخر. ولهذا السبب لا الخير خيراً ولا الشرّ شراً، ولا الحياة حياة، ولا الموت موتاً».

وقد مرّ آنفاً عند الحديث عن إنجيل مريم، أن إنجيل فيليب هو من تكلّم عن زواج المسيح بالمجدلية.

من شفرة دافنشي إلى إنجيل يهوذا



شفرة دافنشي Da Vinci Code للكاتب الأمريكي Dan Brown رواية صدرت في عام 2003 وصاحب صدورَها ضجةٌ كبيرةٌ لم تنقطع بعد. فما سرّ هذه الضجّة؟ وما هو المثير في هذه الرواية حتى تترجم إلى ثمانين لغة؟ هل هي عبقرية أدبية؟ هل تنامى مستوى الذوق الأدبي عند العامة حتى يتسابق الملايين من جميع أنحاء العالم لقراءة هذا العمل الأعجوبة؟ بالتأكيد لا هذا ولا ذاك. فالكاتب ليس بذي مكانة مرموقة بين أدباء أمريكا، فضلاً عن أدباء العالم. و لا الذائقة الأدبية عند الجمهور ارتفعت في جميع أنحاء العالم فجأة، بعد أن هجر الناس القراءة إلى بدائل أخرى. باختصار شفرة دافنشي، هجوم على مألوف الناس، والناس بطبعهم فضوليون، ولا سيّما فيما يخص ما نشأوا عليه. والسبيل الأيسر للشهرة اليوم هو المخالفة.

الذي أثار الناس في هذه الرواية، ليس الأحداث التي تدور حولها، ولا حبكتها الفنية، بل زعم المؤلف أنّ يسوع المسيح كان متزوجاً من مريم المجدلية، وأنه أنجب منها ذرية لا تزال سلالتها تعيش بيننا، غير



معروفة، وتلك هي شفرة دافنشي التي أودعها لوحته الشهيرة (العشاء الأخير). فالجالس على يمين السيد المسيح، في اللوحة ليس رجلاً بل إمرأة، هي مريم المجدلية بشعرها الأحمر، وهي تتكيء على الجالس إلى يمينها، مكونة فراغاً بينها وبين السيد المسيح، يشبه حرف V، وهو رمز للكأس المقدسة. يقول المؤلف: «إنّ أكبر سرّ في تاريخ الإنسانية جمعاء، ليس كون المسيح متزوجاً فحسب، بل لكونه أيضاً أباً. وكانت مريم المجدلية الوعاء المقدّس.. كانت الكأس الذي حملت سلالة يسوع المسيح، والرحم التي حملت ورثة المسيحية، والكرمة التي أنتجت الثمرة المقدسة».



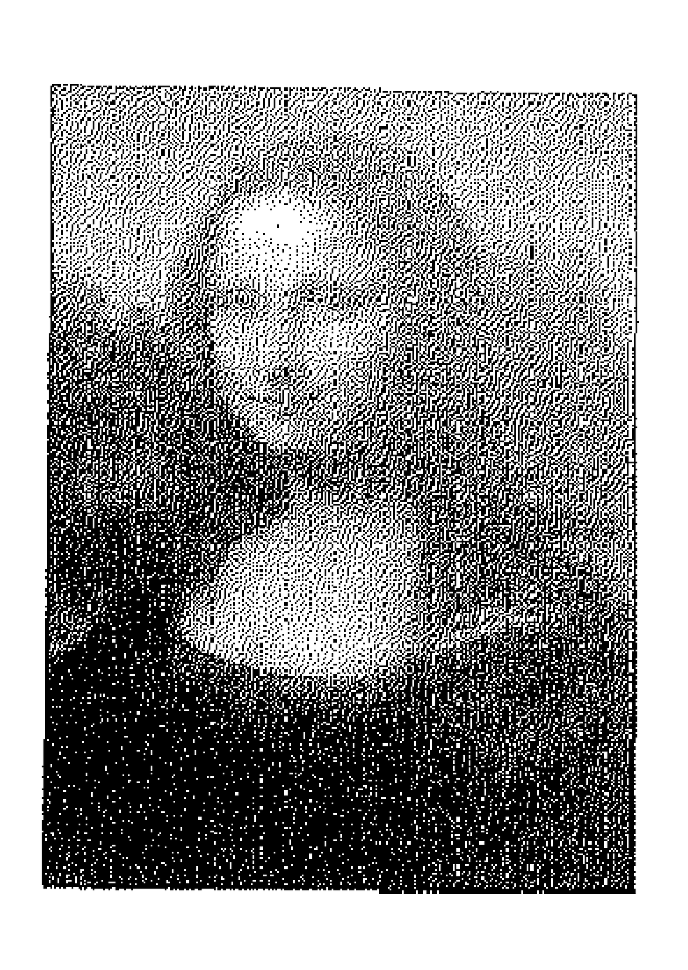
دان براون
مؤلف شفرة دافنشي

❖ تبدأ الرواية بـ «جاك سونيير» مدير متحف اللوفر، وهو يجري داخل المتحف هارباً من شخص يحاول قتله. يُصابُ الرجلُ بطلقة رصاص تخترق معدته وظلّ يصارع الموت. ولم يكن أمامه إلا 15 دقيقة ليفضي بالسرّ الذي يحمله.

❖ يتولى البحث في القضية النقيب «بيزوفاش»، الذي يرى الاستعانة ببطل الرواية «روبرت لانجدون»، أستاذ علم الرموز الدينية في جامعة هارفارد. والسبب الفعلي لاستدعائه، أنه أولاً كان على موعد مع القتيل، وثانياً: الوضع المثير لجثة سونيير الذي عثروا عليه فيه عارياً، ممدداً بصورة عجيبة وقد رسم على صدره نجمة خماسية. وبعد تأمّل عميق في محاولة فهم لغز مقتل سونيير وبمساعدة «صوفي نوفو» حفيدته خبيرة الشفرات يتبيّن أن جاك سونيير كان قائداً لجماعة «سيون» التي فقدت هذه الليلة أربعة من قادتها للحصول على سر الكأس المقدسة منهم.

❖ كان جاك سونيير يعرف سرّ الكأس المقدسة، واستعان بشفرات دافنشي العجيبة ليحمي ذلك السرّ

وهي شفرات لا يقدر على حلها سوى صوفي وروبرت لانجدون مجتمعين. كان دافنشي عضواً في دير صهيون وأنه كان من عبدة الإله الأنثى، ولوحته الشهيرة موناليزا بابتسامتها الحزينة



المعروفة تعبر عن ذلك. واسم (موناليزا) مركب من لفظتين: «آمون» و«إيزيس»، الإله الذكر والأنثى. وقد لعب دافنشي دوراً كبيراً في حفظ أسرار دير صهيون، من خلال الشفرات التي وضعها لها. وقد تأسست هذه الجماعة عام 1099 على يد «جودوفرادي بويون»، أول ملك للقدس اللاتينية، وكان الغرض منها حماية أسرار عائلة بويون ذاته، حتى سمع أعضاء هذه الجمعية بوجود وثائق سرية تحت أنقاض معبد هيروديت، المبني بدوره على هيكل سليمان، فأنشأوا فرقة عسكرية للبحث عن هذه الوثائق، وأسموها باسم «فرسان الهيكل».

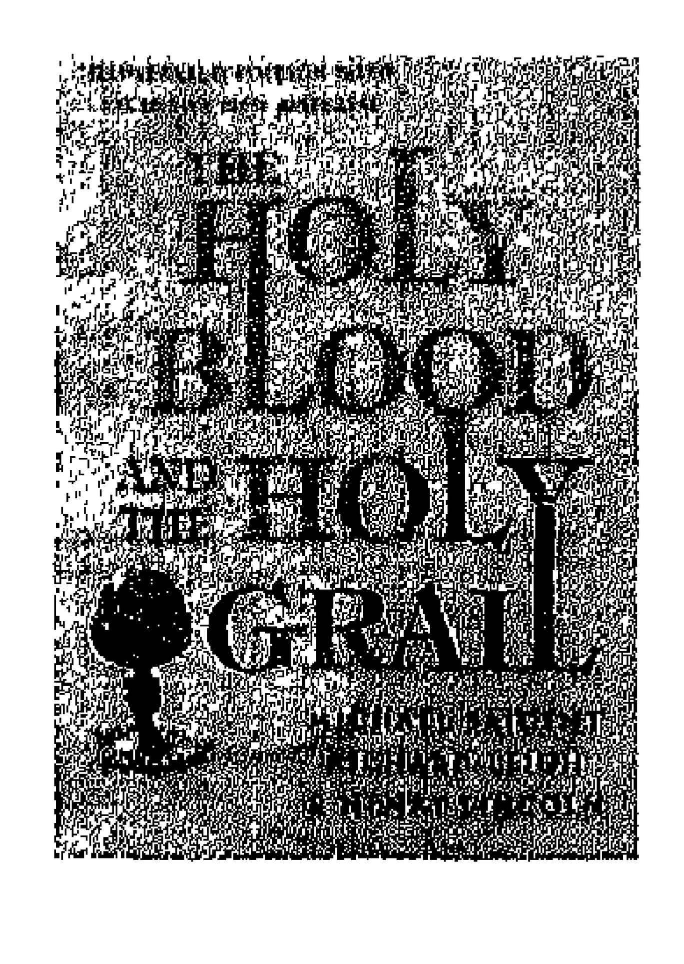
استمر الحفر والبحث تسع سنوات كاملة، ثم عثر فرسان الهيكل على الوثائق، ليعودوا بها إلى أوروبا، للحصول على سلطة مطلقة من البابا اينوسنت الثاني.

ولكن البابا كليمنت، قرر التحالف مع ملك فرنسا (فيليب الرابع) للتخلص منهم، وفي يوم الثالث عشر من أكتوبر لعام 1307 اغتيل أعضاء فرسان الهيكل،

وظلّ السرّ محفوظاً مع من نجا. يفلح لانجدون وصوفي، في الحصول على مفتاح السر من خزانة جاك سونيير في المصرف، ثم يستعينان بالمؤرخ اللاهوتي (لاي تيبينج) ليكتشفا أنّ السرّ الذي كان يحتفظ به سونيير ليس إلا خريطة، تقود إلى الكأس المقدسة التي يبحث عنها الجميع، وهو قبر مريم المجدلية ذاته.

يستطرد دان براون في توضيح عقائد دير صهيون، وبيان أنّ المسيح كان بشراً عادياً، ولم يكن إلها كما يدعي الفاتيكان، والدليل على ذلك أنّ يسوع المسيح تزوج مريم المجدلية!!

يقوم المؤلّف بتفسير غريب للوحة العشاء الأخير لدافنشي، باعتبار أنها تحوي الشفرة المقصودة، ويخلص في تحليله إلى أنَّ الجالس إلى يمين المسيح، ليس رجلاً من الحواريين، بل هي مريم بشعرها الأحمر، وتشبه ألوان ملابسها ملابس السيد المسيح. ثم يتحوّل الحديث في الرواية إلى جدل لاهوتي، ينتهي عند المؤلف بأن يسوع تزوّج مريم المجدلية، لأنه مجرد بشر وليس إلهاً. ونصل بعد ذلك إلى أن للمسيح نسلاً يعيشون بيننا حتى اليوم، وأن جماعة سيون تسعى للحفاظ على سريتهم، لمنع الفاتيكان من الوصول إليهم والتخلص منهم.



وأكثر ما ورد في شفرة دافنشي ليس جديداً، فالكأس المقدسة التي تمثل رمزاً كبيراً في الرواية ليس إلا إعادة صياغة، لما جاء في رواية أخرى سبقتها صدرت في سنة 1982 بعنوان: الدم المقدس والكأس المقدّسة The Holy Blood and the Holy Grail قام بتأليفه ثلاثة من الكتّاب هم:

مايكل بيجينت Michael Baigent و ريتشارد لي Richard Leigh وهنري لينكولن Henry Lincoln، وتتشابه الأفكار في الروايتين تشابهاً مثيراً، حتى إن مؤلفي رواية الدم المقدس والكأس المقدسة، رفعا دعوى قضائية ضد دان براون بتهمة الانتحال.

الخلاصة، أنّ هذه الرواية التي صاحبتها زوبعة كبيرة تحوّلت في النهاية إلى شريط خيالة «سينيمائي» تظافرت أجهزة الإعلام العملاقة على الترويج له، بكلّ ما أوتيت من قوة وتأثير، إلا أنه لم يحقق الضجة المتوقعة.



ملصق فيلم شفرة دافنشي

وقد تساءل كثير من الباحثين، عمن يقف وراء كلّ هذا. ولمعرفة ذلك لم يتحرّج القس تيد بايك Ted Pike أن يكتب مقالة بعنوان: (اليهود وراء شفرة دافنشي The Jews behind Da Vinci Code) وهي منشورة في موقع :

http://www.davidduke.com

بتاريخ 2006/6/3. يقول في فاتحتها: «يدرك الجميع تقريباً، أن شفرة دافنشي هجوم غير مسبوق على السيد المسيح والمسيحية. ولكن أغلب الناس لا يعلمون أنّ عمالقة الإعلام، الذين يديرون هذا الهجوم، هم من اليهود» ثم يعدّد أسماء دور النشر، التي جنت الملايين من توزيع شفرة دافنشي، وأن الذين يمتلكونها هم يهود. ولا يغيب على الفطن، أنّ شفرة دافنشي وبعدها إنجيل يهوذا، يجريان في نفس الوادي. يقول تيد بايك في المقالة نفسها: «في إنذار إليكتروني سابق، ذكرت بالوثائق كيف ساعد اليهود جمعية ناشيونال جيوجرافيك لإظهار هرطقة إنجيل يهوذا إلى العالم. وقد بينت كيف أنّ المجلس الاستشاري للكتب المخطوطة بجمعية ناشيونال جيوجرافيك، وهو القوة الدافعة التي كانت وراء نشر المخطوط، يتكون أكثرها من أسماء يهودية. وقد سبق ذلك بستة أشهر، حملة منظمة ضد المسيحية قام بها نشطون يهود. ففي نوفمبر من العام الماضي يشن آبي فوكسمان Abe Foxman رئيس رابطة مكافحة التشهير، في بناي بريث Anti-Defamation League of B'nai B'rith حملة ضد المحافظين المسيحيين متهماً إياهم بأنهم يشكلون تهديداً للحرية. وأن كتاب العهد الجديد كذب، وكراهية، وهو المسؤول إلى أقصى حدّ عن قتل 6 ملايين يهودي في الحرب العالمية الثانية. وفي ديسمبر الماضي وُصِفَ المسيح في برنامج 48 Hours special الذي تبثه قناة CBS بأنه كان ابن زنا. وفي شتاء العام الماضي صدر كتاب دانيال عن NBC وفيه وُصِفَ المسيح والعائلة المسيحية بأنهما قمامة. فانظر من وراء هذا الكتاب؟».

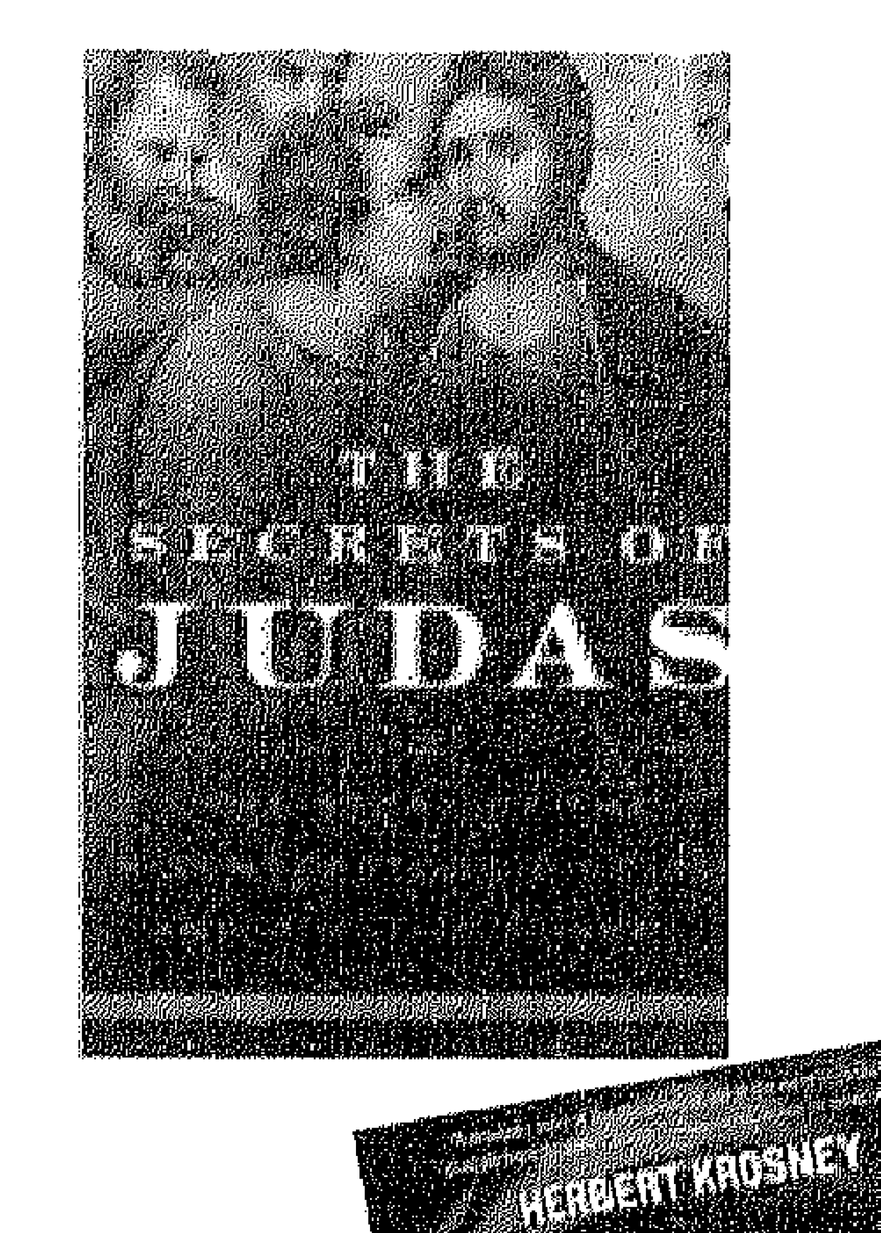
إنجيل يهوذا يتحول إلى أعمال أدبية

بشكل مثير للاهتمام صدرت أعمال فكرية وأدبية بُعيد أسابيع فقط من صدور إنجيل يهوذا عن الجمعية الجغرافية الأمريكية في شهر أبريل الماضي. ولعلّ من أهم ما صدر بهذا الخصوص، كتاب (أسرار يهوذا: حكاية الحواري الذي أسيء فهمه وإنجيله المفقود) The Secrets of Judas: The Story of the Misunderstood Disciple and His Lost Gospel وهو من تأليف جيمس م روبنسون James M. Robinson. والكتاب يتكون من مقدمة وستة فصول، هي:

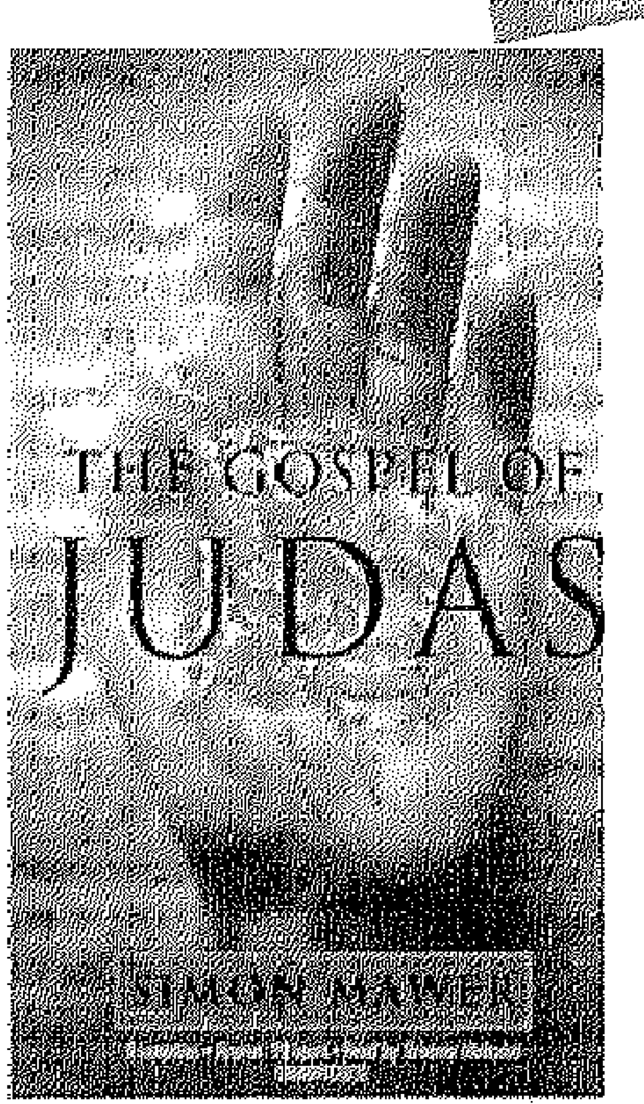
- يهوذا العهد الجديد
- يهوذا التاريخي
- يهوذا الغنوصي
- ظهور إنجيل يهوذا في جنيف
- تجوال إنجيل يهوذا
- إنجيل يهوذا: نشره ومغزاه

ومن تلك الكتب التي صاحبت ظهور هذا الإنجيل كتاب المؤلف اليهودي هربرت كروسني Herbert Krosney (الإنجيل المفقود: البحث عن إنجيل يهوذا The lost Gospel: The Quest for the Gospel of Judas Iscariot) وقد قامت بنشره

الجمعية الجغرافية الأمريكية، أصدرته في اليوم نفسه الذي أعلن فيه عن صدور إنجيل يهوذا. والمؤلف هو صاحب كتاب (القنبلة الإسلامية: التهديد النووي لإسرائيل والشرق الأوسط) وضعه بالاشتراك مع ستيف وايزمن Steve Weissman سنة 1981.



وثمة رواية تحمل عنواناً هو (إنجيل يهوذا) The Gospel of Judas لمؤلف يدعى سيمون ماور Simon Mawer وهذه الرواية تقوم على فرضية تقول: ماذا لو تحاورنا اليوم مع يهوذا؟ فماذا سيقول اليوم؟ ماذا لو حدث حوار، بأي أسلوب، مع الرجل الذي ساعد الرومان في إعدام ابن الله؟ ماذا لو أن لفائف البحر الميت التي كُتبت في القرن الأول قبل زمن طويل من كتابات متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا تكلمت عن حياة يسوع من وجهة نظر يهوذا؟ كيف ستتلاءم هذه الوثيقة مع بنية الكنيسة؟ كيف ستؤثر على رأينا نحن لا في يهوذا فحسب، بل في المسيح والكنيسة ذاتها أيضاً؟ هذه هي المقدمات المنطقية المثيرة للغضب التي تنساب في رواية سيمون ماور.

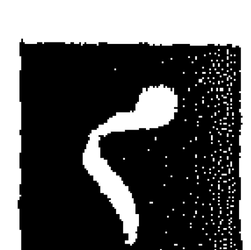


ومن الأعمال الأدبية المثيرة والتي تعدّ إرهاصاً لصدور إنجيل يهوذا رواية الكاتب الأسباني أرماندو كوساني Armando Cosani طيران الأفعى المجنحة El Vuelo de la Serpiente Emplumada التي صدرت طبعتها الأولى باللغة الأسبانية سنة 1953، وصدرت طبعتها السادسة في المكسيك سنة 1993. وقد ترجمتها إلى الإنجليزية باتريشيا أتكينسون Patricia Atkinso سنة 2003. بعنوان: The Flight of Feathered Serpent عن دار نشر Absolute Publishing والمؤلف كان يعمل مراسلاً حربياً أثناء الحرب العالمية الثانية. وأثناء القيام بمهامه التقى بشخصية غامضة قصت عليه هذه الحكاية وتركت خلفها روايات مثيرة للدهشة عن يسوع ويهوذا.



حوار الحضارات ..
هل تحكم الأيديولوجيا اختلاف المعايير؟

د. حسن الباش *



منذ أن خرج شعار (صدام الحضارات) على يد الأميركي هنتنغتون، طرح بالمقابل شعار (حوار الحضارات) كي يصبح هناك توازن أقرب إلى المنطق الإنساني. وبدا أن تيارين عالميين يتبنيان شعارين متناقضين. وراح كل تيار يطرح موجبات الصدام والحوار ونتائجه المتوقعة أو المتأملة.

ويبدو أن التيار الذي يدعو إلى صدام الحضارات مرهون بقوة الولايات المتحدة العسكرية والاقتصادية والهيمنة على العقل الغربي بشكل عام. وهذا الامتهان أودى بالموقف الأميركي إلى الصدام المسلح مع عدة قوى في العالم الإسلامي: كالعراق وأفغانستان وفلسطين، وكذلك إلى الصدام الفكري والسياسي مع عدد من القوى الرافضة للمنطق الأمريكي في المنطقة العربية وبعض القوى الرافضة للمنطق الامريكي في أمريكا اللاتينية.

ويبدو أيضًا أن التيار الذي يدعو إلى حوار الحضارات يريد أن يقول للعالم إن الشرق الإسلامي ليس إرهابيًا وليس منغلقًا، وقد رأينا العديد من الشخصيات السياسية والفكرية الإسلامية تتصدر هذه الدعوة.

وإذا كان دعاة صدام الحضارات قد طبقوا بعض نظرياتهم في حروب ضد المسلمين فإن دعاة الحوار فرشوا السبل بالكلمة الطيبة وحوار الأنداد ولم يغلقوا على أنفسهم الأبواب، بل راحوا يجوبون بلدان العالم ـ ومنها الفاتيكان ـ داعين إلى فهم الشرق الإسلامي ومن ثم إلى إيجاد آليات لحوار صحيح مفيد على مستوى العالم.

وفي كل الأحوال فإن شعار صدام الحضارات لم يجلب منذ بدايته سوى الكوارث والدمار والقتل والعداء بين الشعوب، وتلوث الأجواء الدولية بفيروسات الحقد والعمل المضاد، الذي لم يجلب سوى مزيد من الخسائر على المستوى البشري أو العسكري أو الاقتصادي.

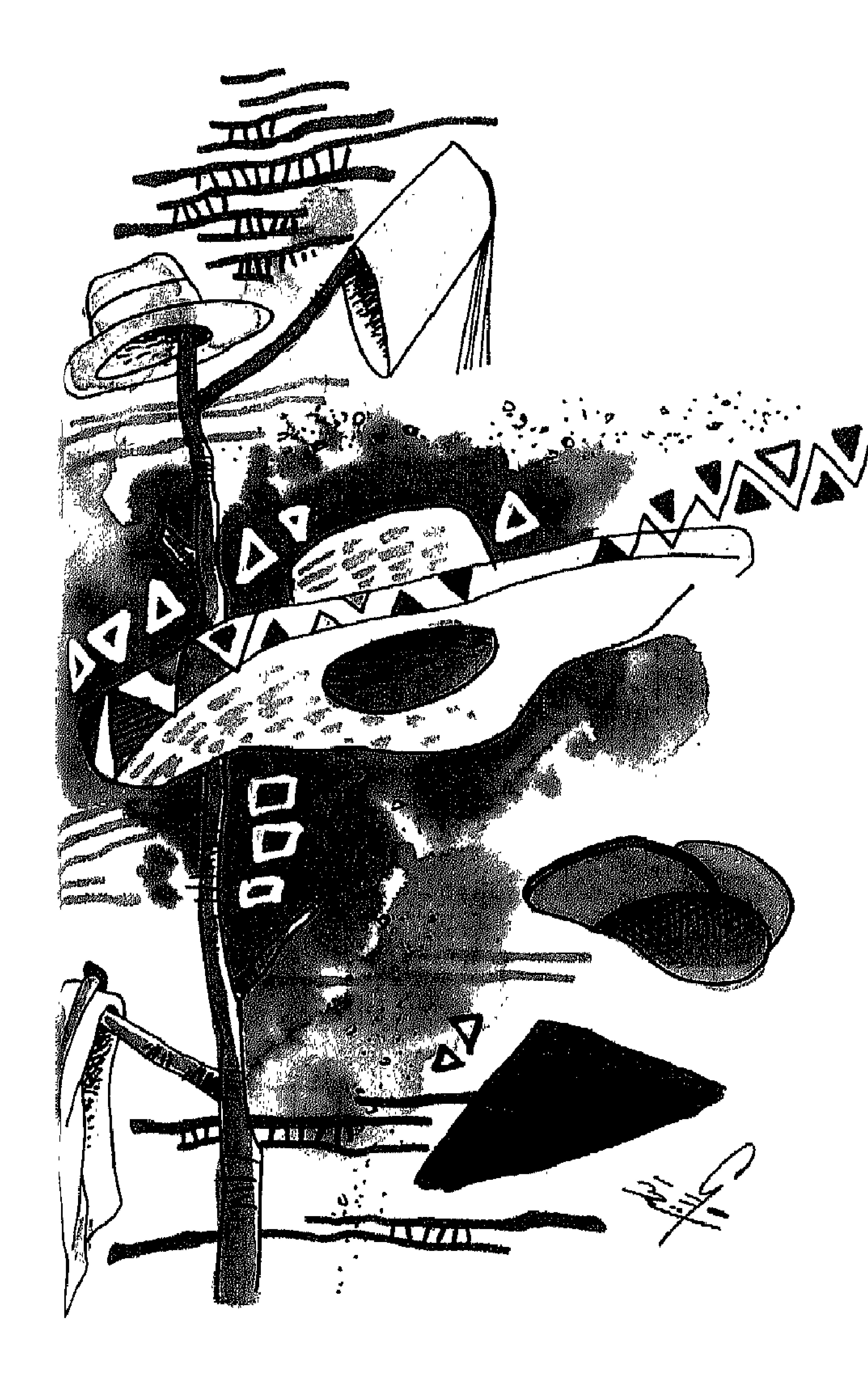
---

* باحث وأستاذ جامعي فلسطيني/ سوريا.

وكذلك فإن شعار حوار الحضارات ما يزال يلقى آذانًا صماء وعقولاً متعصبة متحجرة لا تريد الخير للبشرية، إنما تريد أن تكون الشعوب إمّا غالبة وإمّا مغلوبة في عقيدتها وفكرها وتراثها وشخصيتها وتاريخها ومستقبلها.

وإذا كان الخلاف الجذري قد بدأ يدبُّ بين دول أميركا اللاتينية والولايات المتحدة فإن جذور الخلاف الجذري بين أميركا والغرب من جهة وبين العالم الإسلامي من جهة أخرى، لا يتوقف عند مسألة المصالح المتضاربة فحسب، وإنما هو خلاف إيديولوجي ليس من السهل إزالته أو تجاوزه.

وإذا كنا فعلاً نريد حوارًا حضاريًا مجديًا فإن عقبات شتى تحول دون تحقيق النتائج في السرعة التي نتمناها، ولعل هذه العقبات جميعها ترتبط بالموقف الإيديولوجي الذي يفرض نفسه على المعايير الفكرية والثقافية والاجتماعية التي ترسّخت في الفكرين المتناقضين اللذين يعبران عن ثقافة الغرب وثقافة الشرق الإسلامي.



كيف تحكم الأيديولوجيا اختلاف المعايير؟

من الواضح جدًا أن التيار الذي يسيّس الولايات المتحدة باتجاه صدام الحضارات هو تيار المحافظين الجدد، أو لنقل بصراحة أكثر: المتعصبين من البروتستانت الأمريكيين، ومن الطبيعي جدًا أن التيار الإسلامي بغض النظر عن تشتت أصواته يريد حوارًا حقيقيًا مع الغرب على أساس النّدية وليس الدونية، ويرى في التطرف البروتستانتي الأميركي نقيضًا كبيرًا من الصعب التحاور معه لأنه ظل مرهونًا لعقلية صدامية معتمدة على أيديولوجية دينية متحجرة.

وللحقيقة نرى أن تيار المحافظين الجدد، أي البروتستانت المتعصبين، يستند في رؤيته للعالم

إلى خلفية أيديولوجية لا يمكن أن تتطابق أو تتماشى مع الإسلام والمسلمين، لا في الأهداف ولا في الآليات.

فالحوار يصبح أكثر تعقيدًا مما هو عليه مع أي طرف غربي آخر، وهناك من الأسباب ما يدفعنا للحكم على هذا الحوار حكمًا قائمًا.

إن الولايات المتحدة دولة حديثة ليس لها بعد حضاري ولذلك لا وجود لعلاقات حضارية بينها وبين الشرق الإسلامي إلا منذ قرنين من الزمان. وهذه العلاقات اتسمت بالعداء كون البروتستانتية الغربية تحكمت بها. وعليه فإن نظرة الولايات المتحدة للعرب والمسلمين وحتى بقية شعوب آسيا وإفريقيا هي نظرة دينية عنصرية ترى جميع شعوب العالم الإفريقي وكذلك الآسيوي واللاتيني الأمريكي متخلفة تستحق أن تُستعمر.

الولايات المتحدة محكومة بقوانين اقتصاد المنفعة وليس قوانين الحوار الأخلاقي والثقافي الديني

وبشكل عام فإن عقلية المحافظين الجدد محكومة بأساطير دينية تربط الرؤية التوراتية الصهيونية بالسياسة الخارجية، ولذلك نجد الولايات المتحدة تدافع عن اليهود الصهاينة أكثر من دفاعهم عن أنفسهم، وهذا الدفاع المستميت عن المشروع الصهيوني أدى إلى تحالف مصيري بين أميركا وإسرائيل ثم أدى إلى عدم الاعتراف بحق العرب والمسلمين بفلسطين والمسجد الأقصى.

ونرى أن الولايات المتحدة محكومة بقوانين اقتصاد المنفعة وليس قوانين الحوار الأخلاقي والثقافي الديني، وهي بذلك تنظر إلى منطقة الخليج على أنها منبع الثروات البترولية وحسب.

وقد جسّدت رؤيتها العدائية بغزوها لأفغانستان والعراق ودعم الغزو الصهيوني لفلسطين وتهديد الدول الإسلامية الحرة، وقد بدا أن الولايات المتحدة لا تلجأ إلاّ لطريق واحد للتفاهم مع الشعوب هو طريق العصا الغليظة، وبمعنى أوضح فإن سياسة الدولة تقوم على فرض رؤيتها بالقوة المسلحة مهما كانت الضحايا ومهما كانت النتائج، لأنها تنظر إلى نفسها على أنها القوة الوحيدة في العالم التي تستطيع أن تضرب هنا وهناك دون أي رادع أو أي حساب، فكيف يمكن أن يُصنّع حوار حضاري مع الولايات المتحدة إذا بقيت هذه الأسباب حية موجودة لدى الولايات المتحدة وقيادتها المتعصبة؟

قد يرى بعضنا أن التطور التقني الحاصل في الولايات المتحدة مؤهلاً ليكون بابًا من أبواب الحوار بين أمريكا والمسلمين، فإذا افترضنا صحة ذلك فإننا نقف أمام الأسباب الأخرى وقفة طويلة تحتاج لتمعن، وإعادة نظر، وتحتاج لإعادة تقييم من قبل الشعب الأمريكي نفسه.

فالنظرة العنصرية الفوقية التي رسخها زعماء المحافظين الجدد في عقول الأمريكيين تجاوزت حدود الفهم الحقيقي بين الشعوب، فكثيرة هي التنظيرات الامريكية التي قال بها هنتنغتون وغيره حول صراع أميركا مع الحضارة الإسلامية والإسلام بحد ذاته، وقد اخترعوا عدوًا منذ 11 سبتمبر ولقد حدثت جرائم وهجمات على المساجد، وحتى معبد السيخ لم يسلم منها، وفي جامعة كولورادو، هنا في بلدر وهي مدينة ذات سمعة ليبرالية وجدت عبارات كُتبت على الجدران تقول: «أيها العرب عودوا من حيث جئتم. أقصفوا أفغانستان. عودوا إلى أوطانكم أيها العبيد الصحراويون».

وبغض النظر من تقييمات بعض المفكرين المضادين لسياسة الولايات المتحدة.. إلا أن هذه الدولة جسدت الحقد على الإسلام - العدو المفترض - من خلال تغذية الشعور بالعداء للمسلمين ومن ثم شن الحرب عليهم في أفغانستان والعراق. ودعم إسرائيل للقضاء على الشعب الفلسطيني وتهديد الدول الإسلامية والعربية المتعاطفة مع القضية الفلسطينية العادلة.

إن التعصب البروتستانتي بات واضحًا لدى المحافظين الجدد الذين تبنوا الانحياز للصهيونية وإسرائيل، لقد أغرقوا الشعب الأمريكي في بحر من الأساطير الدينية التوراتية التي يقود ترويجها نخبة من المفكرين المتعصبين البروتستانت.

لقد قادهم هذا التفكير وهذه الأيديولوجية إلى مزاجية المعايير تجاه القضايا الدولية الحساسة مما كان له أكبر الأثر على الموقف المحتج والرافض لسياسة الولايات المتحدة حتى من قبل مواطنيها. فالسياسيون الأمريكيون الذين يناورون بالشعارات هم أنفسهم الذين يفصحون عن ذلك التعصب المرفوض والمعادي للشعوب.

وإذا كانت المصالح الاستعمارية تدفع أميركا إلى هذا المستوى الأخلاقي المتدني فإن الخلفيات الدينية والاسطورية تلعب الدور الأبرز في تحديد الأعداء وغير الأعداء.

فالولايات المتحدة بقيادة المحافظين الجدد تبلغ الذروة في الولاء للأيديولوجية الصهيونية، وهذا ما يحتم عليها أن تكون معادية للإسلام وللمسلمين الذين انتهكت حقوقهم في فلسطين على يد الوجه الأبشع لهذه الصهيونية.

وإذا نظرنا اليوم إلى التفكير الأمريكي المحافظ نجده ينطلق في مواقفه تجاه قضايا المسلمين من مبدأ التحالف العقدي مع الكيان الصهيوني ونظريته العنصرية. وهذا التحالف يرجع إلى دوافع وأسس دينية عميقة الجذور في البنية الثقافية المسيحية، وإلى الخلفية التوراتية في العقل الأمريكي، ومن المعروف والبديهي أن الفكرة الصهيونية قد ولدت في أحضان المسيحية البروتستانتية قبل هرتزل بثلاثة قرون على الأقل.

والسؤال المطروح المفترض على ضوء الموقف الأيديولوجي الذي تتبناه المنظومة الأمريكية هو: هل التوجه الأمريكي يقبل بحوار الحضارات ويدعو له؟ وهل البنية الفكرية الأمريكية تسمح لنفسها بالتقدم نحو حوار حقيقي للحضارات؟

عندما نحلل التوجهات السياسية والفكرية الأمريكية وكذلك آلية التحرك في العلاقات الدولية ندرك سلفًا أن هذه التوجهات لا تؤمن بالحوار الحضاري، وذلك بالاستناد إلى منظومات فكرية عقائدية توراتية بروتستانتية تستند إلى نظرية التفوق الديني والعرقي (الانكلو - ساكسوني) وهذه النظرية يدافع عنها اليوم في الولايات المتحدة أكثر من ثمانين مليون بروتستانتي.

ولها قادتها ومنظروها وزعماؤها الكهنوتيون من جيري فولديل إلى ساكسفيلد وجون داربي وهول لندسي المؤسس الحقيقي لنظرية حرب هرمجدون النووية.

فهذه الفئة التي يعتبرها ريغن الرئيس الأسبق لأمريكا وكذلك جورج بوش الأب وبوش الابن ومن لف حوله من المحافظين الجدد المعلّمة الأولى للأصولية البروتستانتية، وتعتقد هذه الفئة من أساتذة وتلاميذ أن النبوءة الإنجيلية تقضي بأن على اليهود أن يدمروا المسجد الأقصى ويبنوا الهيكل على أنقاضه. وتعتبر زعامة هذه الفئة أن الإرهابيين الذين حاولوا مرارًا تدمير الأقصى أبطالاً، وتدعم الحركات الصهيونية الإرهابية التي

تخطط للعدوان على المقدسات الإسلامية، كما تعتبر هذه الفئة أن قيام الكيان الصهيوني وإعادة بناء الهيكل وبناء ما يسمى إسرائيل الكبرى شرط لعودة المسيح ليحكم الأرض ألفا سنة في جنّة أرضية تنعم بالسلام المطلق.

وتورد الكاتبة الأمريكية غريس هالسل على لسان الداعية البروتستانتية جيري فولويل وزعيم ما يسمى الأكثرية الأخلاقية الأمريكية وأحد أقطاب محبّة الجمار النووي في هرمجدون قوله: (أنت وأنا نعرف أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط إلى أن يأتي يوم يجلس الإله المسيح على عرش داود في القدس. إن هذا اليوم مقبل وستكون أنت وأنا جزءًا منه).

ومن أهم التنظيرات التي يسوّقها جماعة الأصولية الأمريكية إعادة بناء الهيكل اليهودي على اعتبار أنها نبوة توراتية، بل إرادة إلهية، وعلى المسيحيين أن يساعدوا اليهود لهدم الأقصى وبناء الهيكل، ويرون أن الله يريد بناء معبد حقيقي من الاسمنت والحجارة وليس كما قال المسيح ببناء معبد روحي في النفس.

وعندما ننظر إلى تصريحات القيادة السياسية الأمريكية اليوم نجدها غير بعيدة عن التنظيرات الأساسية للأصولية البروتستانتية، فهي وتلك تنهلان من نبع واحد ومشرب واحد هي في مجملها تتناقض كليًا مع حوار الحضارات.

إن حوار الحضارات المفترض ليس في تفكير تلك الأصولية وليس في برامجها، فكافة المبادئ الأساسية التي تتبناها هذه الأصولية لا تتماشى مطلقًا مع مفهوم حوار الحضارات، ونعتقد أن الخلفية الأيديولوجية التي تتحكم بهذه الأصولية تنفي أي حوار صادق مع الآخرين، وخلال مراجعة دقيقة لكافة تصريحات زعماء الأصولية البروتستانتية، نجد أن الذين يطرحون حوار الحضارات في العالم الغربي ليسوا من تلك الفئة، على الرغم من أن شعار حوار الحضارات يُعرض في جميع المحافل الدولية وتعرفه شعوب الأرض كافة كشعار يُطرح للتفكير والمناقشة، أما عن الممارسات التي يشهدها المجتمع الأمريكي والغربي بشكل عام تجاه المسلمين المهاجرين والمستوطنين والمواطنين الذين حصلوا على الجنسية الأمريكية، تنم عن عداء سافر للإسلام كعقيدة ودين وللمسلمين كأتباع لهذا الدين.

(الحرب الصليبية) هل تعني حملة يشترك فيها أبناء المسيحية ضد كل من هو غير مسيحي؟!

ففي أوج الرد النفسي والإعلامي للإدارة الأمريكية على أحداث الحادي عشر من سبتمبر خرج الرئيس بوش بقوله: «إن هذه الحرب ستكون مختلفة عن كل الحروب، إنها حرب صليبية على الإرهاب».

فمصطلح حرب صليبية يعني تحديداً حملة يشترك فيها أبناء المسيحية الغربية ضد من هم غير صليبيين أو مسيحيين، فإذا كان الطرف المسيحي الغربي برمته هو الذي يشنّ هذه الحرب الصليبية فإن ذلك يعني أن هذه الحرب هي حرب دينية، وبما أن الطرف المتهم بالإرهاب هو طرف إسلامي، فإن ذلك يعني أن هذه الحرب الصليبية هي ضد المسلمين باعتبارهم الطرف المقابل.

وإذا تساءلنا عن دواعي هذه الحرب الصليبية الجديدة وأسبابها، وقلنا هل هي ترجمة عملية لما روّج بعد انهيار الشيوعية من أن الإسلام هو العدو القادم للغرب؟ أم أنها استمرار لإرث غربي قديم يتجدد كلما أفلست السياسات الغربية في الضغط

على المسلمين وقهرهم أو تدجينهم وغسل أدمغتهم ونفوسهم، أم هي حتمية الصدام بين الحضارات؟

قد يرى بعض المحللين أن دواعي الحرب الصليبية الجديدة الثروات البترولية والمواقع الاستراتيجية ولكننا نرى أن معظم ثروات المسلمين هي بيد الشركات الأمريكية خاصة ثروة النفط والمواقع الإستراتيجية تسيطر عليها قوى موالية لأمريكا، ولهذا فإن الحرب الصليبية ليست حربًا من أجل الثروات إنما هي حرب ضد الإسلام والصحوة الإسلامية وضد الرافضين للهيمنة الأمريكية، الصهيونية على المنطقة الإسلامية.

وإذا نظرنا إلى الواقع العالمي بعد انهيار الشيوعية وأنظمتها تبرز لنا فكرة أميركية غربية شمولية لتغيير العالم الإنساني في اقتصاده وفكره وعقائده وعلاقاته الاجتماعية، وبهذا التوجه خرجت من الغرب مقولات ومصطلحات كالعولمة والثقافة العولمية المشتركة، ولا مكان للضعيف في هذه الأرض، وما إلى ذلك من شعارات كبرى وراح الغرب يطبق هذه المقولات، ولا شك أن الطبيعي في مسار البشرية أن تتعارض الأفكار والفلسفات والمجتمعات، ولكن العولمة تعني لدى الكثيرين سحق طرف كبير وسحق ثقافات برمتها وسحق عقائد وأديان ومعتقدات، ولا يمكن للغرب أن يحرر أفكاره العلمية دون أن يواجه من يرفضها.

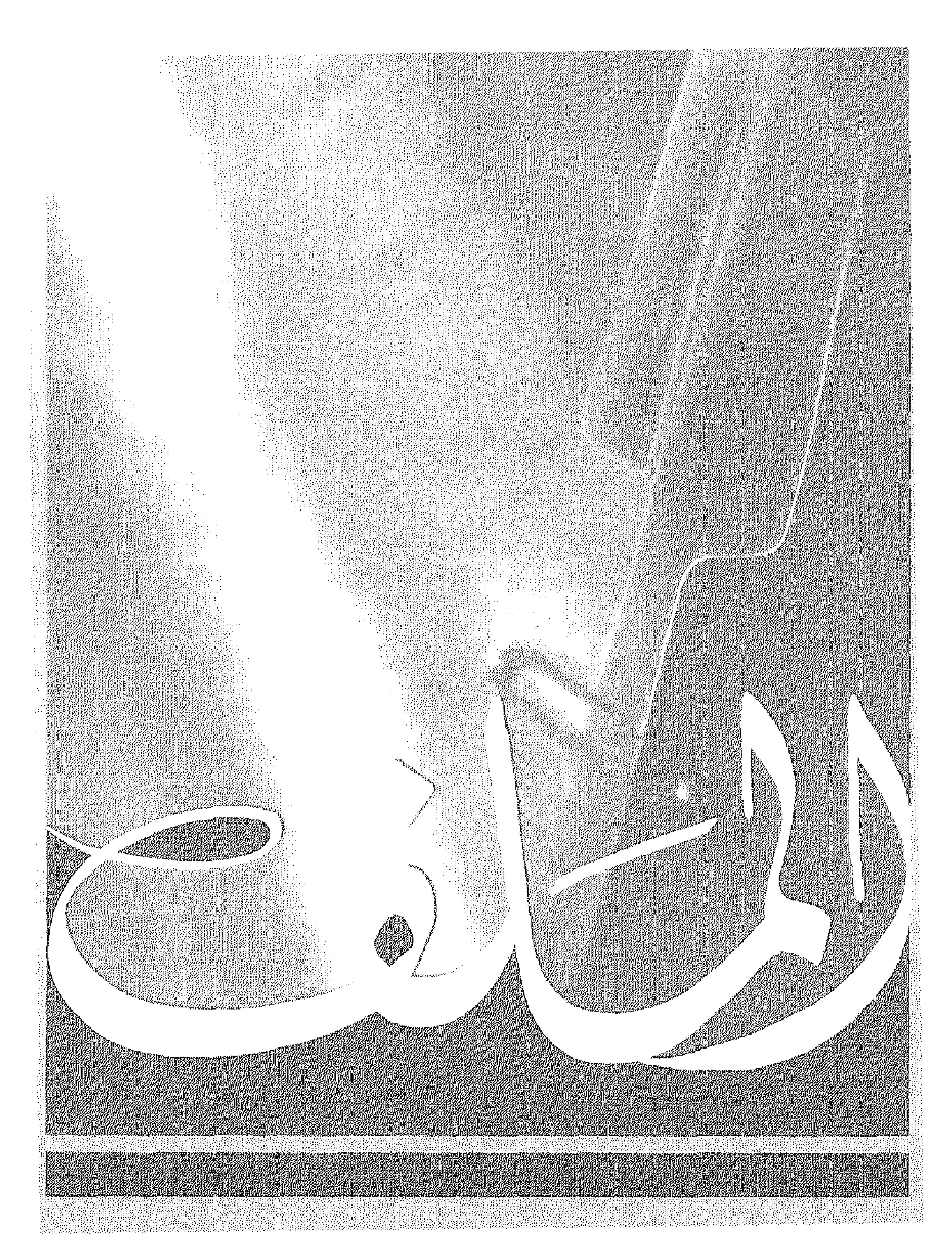
يرى الغرب أن الذين يتصدون لمشروعه العولمي ليسوا سوى أشرار وأصوليين ارهابيين

ولا ريب أن الإسلام بما فيه من دعوة إلى هُوية إسلامية مستقلة تقوم على الإيمان يعني للغرب أن العولمة في الجانب الفكري والعقدي هي طريق مسدود، وهذا ما يجر إلى الاصطدام معه.

في هذا السياق يرى الغرب أن الذين يتصدون لمشروعه العولمي ليسوا سوى أشرار وأصوليين إرهابيين، والواقع أن الغرب نفسه يدرك أن الواقع الإسلامي على ما فيه من سلبيات يفرز جهتين متناقضتين جهة المسلمين الرسميين الذين يريدون الإسلام شكليات ليس من ورائها حفاظ على الهوية، وجهة الإسلام الجماهيري الشعبي الذي يرى الإسلام الملاذ الأول والأخير للحفاظ على الهوية في مواجهة العولمة والتغريب ومع تنامي المد الإسلامي الجماهيري الضاغط أصبح الغرب يرى نفسه وقد فُضحت أهدافه وأهداف عولمته وغايات سيطرته.

إن ردة الفعل الأمريكية والغربية على ما حدث في 11 سبتمبر وما حدث في مدريد ولندن ليس مجرد رد اعتبار أو مجرد انتقام إنما هي نتيجة مخزون نفسي وفكري بدأ منذ أكثر من خمسة عقود، وجاء ما حدث ليرفع الستار بشكل كامل عن المخططات الأمريكية الداعية للحرب على الإسلام باعتباره المعوق العقدي والفكري الأول في وجه العولمة وأمركة العالم.

وإذا كان منطق الأصولية الأمريكية في الإطار العالمي يقوم على فكرة سيادة الأيديولوجيا البروتستانتية فكيف يمكن أن يكون في إطار المواجهة مع الإسلام؟ إن الولايات المتحدة تريد أن يكون الإسلام في دائرة التعايش المجتمعي في ظل منظومة الفلسفة الأمريكية: التوراتية أو منظومة العظمة الأمريكية المتسيّدة، ولا تريد هذه الفلسفة إسلامًا يرفض التبعية ويحقق للشخصية الإسلامية حضورًا لا يقل عن أي حضور آخر، والذي ترفضه الايديولوجيا الأمريكية هو أن يكون هذا الإسلام انموذجًا يُحتذى في كافة شعوب العالم لأنه بذلك يعرض الفلسفة الأمريكية للاهتزاز والتداعي ومن هنا فإن ما طرحه بوش بأن هذه حرب صليبية ليس إلا تجسيدًا لهذه الفلسفة الأمريكية التي تأبى أن ترى عقيدة سامية تفرض نفسها في الفكر العالمي الإنساني ووجدانه وعلاقاته الإنسانية.



أبعد من تمبكتو

- تمبكتو.. أبعد من الزمان والمكان
- تظاهرة التحدي الإسلامي الكبرى.. التاريخ.. المنهج
- رؤية الغرب للإسلام.. معالجة التحريفات والتشويه
- ميثاق رابطة قبائل الصحراء الكبرى
- الإعلان عن ميثاق تمبكتو خطوة تاريخية
- خطاب تمبكتو: رؤية موضوعية معاصرة لقضايا المسلمين
- نحو استراتيجية أكثر تأثيراً وفاعلية
- منطلقات لتعزيز حضور الأمة وتأكيد مكانتها

أبعد من تمبكتو*

المكان: مدينة تمبكتو

الزمان: يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول 1374 من وفاة الرسول / 2006 مسيحي.

المناسبة: إحياء مولد محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ

المشاركون: رؤساء جمهوريات ودول وسلاطين وملوك وأمراء، وعُمد قبائل الصحراء الكبرى، وشيوخ الطرق الصوفية، والمريدين والأتباع، وفعاليات وأحزاب ومنظمات ومؤسسات إسلامية، وعلماء وفقهاء المسلمين من شرق وغرب وجنوب إفريقيا، وقيادات ورموز إسلامية من آسيا الوسطى، ومن غرب وشرق أوروبا، ومن أمريكا وكندا، ونائب رئيس وزراء الشيشان، وزعيم أمة الإسلام في أمريكا ، لويس فرقان، والمفوض العام لدى رئيس الإتحاد الروسي، وجمع من أبناء الشعب المالي من الطوارق والتبو والعرب والسنغاي، ومواطنون بلا حصر توافدوا من دول الجوار يمتطون الجياد والمهاري حين علموا بوجود الأخ معمر القذافي في تمبكتو..

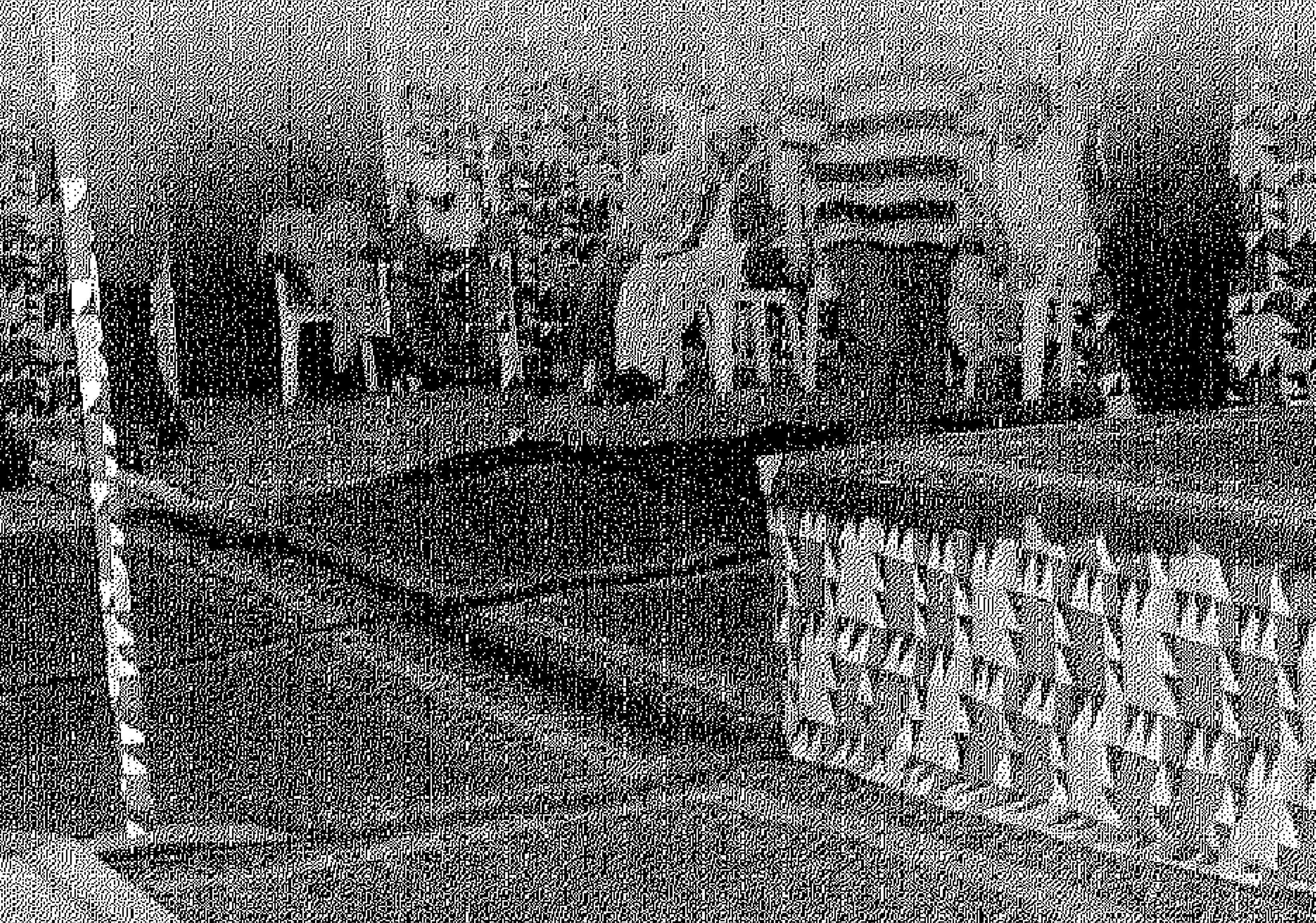
وكانت صلوات جامعة لكل هؤلاء أمها الأخ معمر القذافي وبعد أن أمهم جميعاً خاطب من هذه الواحة التاريخية الأمة الإسلامية والعالم كله في هذا اليوم العظيم في تاريخ البشرية وأوضح أننا نُصحح تاريخ البشرية اليوم من تمبكتو، وأن هذا تحد وزلزال جديد يسمعه العالم وقال معمر القذافي إن الإسلام هو قدر البشرية ودينها، لأن هذه هي كلمة الله وإرادته.

وقد تضمن الخطاب تحديين:

التحدي الأول: يتعلق بالدين والحج للكعبة والمنهج الذي يحتاج إلى التغيير في أوروبا وأمريكا. التحدي الثاني: يتعلق بالتحدي القومي الاجتماعي للمؤامرة الاستعمارية الجديدة في الصحراء الكبرى.

مجلة (التواصل) في مواكبتها لردود فعل خطاب الأخ معمر القذافي تقدم للقارئ الكريم هذا الملف، الذي يتضمن نص الخطاب، وجانبا من القراءات والتحليلات التي وردت إليها، وحلقات الحوار التي عقدت حول أبعاده الدينية والفكرية والحضارية.

إعداد: التحرير



* هذا الملف أعد بالتعاون مع صحيفة الدعوة الإسلامية

تمبكتو

أبعد من الزمان والمكان*

أ.د. محمد أحمد الشريف **

تقع مدينة (تمبكت) أو (تمبكتو) أو (تينبكتو) على طرف أقصى المنحنى الشمالي لنهر النيجر قبل أن ينحدر إلى الجنوب الشرقي عبر الصحراء. وتبعد المدينة حوالى عشرة كيلومترات عن النهر، وتنتشر على رقعة صحراوية رملية، وهي الآن عبارة عن مدينة صغيرة، وتوجد بها المساجد الأثرية التي عرفت بها، وبها أيضًا معهد (أحمد بابا التمبكتي) وخزانته الشهيرة بالمخطوطات.

وطمست الرمال آثار تلك العاصمة التجارية والثقافية العظيمة التي كانت حاضرة الصحراء على مدى قرون عديدة.

ويقال إن تمبكتو تأسست في نهاية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر مسيحي) أسسها الطوارق، وأعطوها اسمها، حيث كان هؤلاء يقصدون هذه البقاع قرب النهر بحثًا عن المراعي لمواشيهم، وكان المسافرون القادمون بالطرق البرية عبر الصحراء أو الذين يأتون عبر النهر، يلتقون عند تمبكتو لتبادل المنافع الاقتصادية.

وقد زار الرحالة (ابن بطوطة) هذه المدينة في أثناء رحلته إلى بلاد السودان الغربي، وتحدث عن

* هذا النص في الأصل محاضرة ألقيت ضمن الموسم الثقافي الذي نظمته رابطة الأدباء والكتاب الليبيين، بمقرها في طرابلس/شهر رمضان المبارك / أي النار (يناير 1999 مسيحي).

** أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

تظاهرة التحدي الإسلامي الكبرى.. التاريخ.. والمنهج

خطاب القائد معمر القذافي في تمبكتو.. احتفالاً بذكرى مولد خاتم أنبياء الله محمد ﷺ

يومان يجب أن نؤرخ بهما

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

[سورة الأحزاب، الآية:56]

نخاطب من مدينة تمبكتو التاريخية الأمة الإسلامية والعالم كله في يوم عظيم في تاريخ البشرية، هذا اليوم يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، هذا اليوم يوم تاريخي عظيم في تاريخ البشرية، في يوم الاثنين الثاني عشر من هذا الشهر القمري وُلد محمد خاتم النبيين ﷺ، وفي مثل هذا اليوم أيضا توفي خاتم النبيين ﷺ.

للبشرية يومان تؤرخ بهما أو يجب أن تؤرخ بهما، يوم وُلد عيسى ـ عليه السلام ـ لأن مولده كان معجزة وآية من آيات الله، أما اليوم الثاني فهو هذا اليوم، وهو اليوم الذي وُلد ومات فيه خاتم النبيين ﷺ، ويجب علينا أن نؤرخ بهذين التاريخين جنباً إلى جنب، ميلاد عيسى ـ عليه السلام ـ لأنه معجزة ووفاة محمد لأنه خاتم النبيين ﷺ.

مرّ من السنين 1374 عاماً على وفاة خاتم النبيين محمد ﷺ، ففي مثل هذا اليوم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول بالتقريب عام 633 بعد ميلاد عيسى، توفي



تمبكتو.. صورة جوية

النشاط الثقافي والاقتصادي والسياسي لهذه المدينة، وكان ذلك في عام 754هـ، كما زارها (الحسن بن محمد الوزان الفاسي) المسمى (ليون الإفريقي) في رحلته إلى بلاد السودان التي صحب فيها عمه في مهمة سفارة بين ملك فاس (محمد الوطاطي) وملك السنغاي (محمد أسكيا الكبير) في عام 917هـ ـ 1511 مسيحي، وجاء في كتابه الشهير (وصف إفريقيا) أن اسم هذه المدينة حديث، وأن (منسي سليمان) قد بناها عام 615 هـ، على بعد نحو 12 ميلاً من أحد فروع نهر النيجر. والمقصود هنا هو توسيع وإعمار هذه المدينة في عهد ملوك أمبراطورية مالي.

أما بُعد المدينة أو قربها من النهر ـ الذي جاء في روايات متعددة عنه في كتب الرحالة والمؤرخين ـ فيرجع للتغيير الطفيف الذي كان يطرأ على مجرى النهر عبر القرون.

ويصف (حسن الوزان) ما رآه في المدينة أيام حكمها من قبل ملوك السنغاي، فيقول: «في وسط المدينة مسجد كبير بالحجر المركب بالطين والجير، وبني على يد مهندس أندلسي، وهو المهندس الذي بنى فيها قصر الملك، وهناك دكاكين كثيرة للصناع والتجار لا سيما دكاكين نسّاجي أقمشة القطن، وتصل أيضًا إلى تمبكتو أقمشة أوروبا، والسكان أغنياء مترفون، وفي تمبكتو العديد من الآبار ماؤها عذب، فضلاً عمّا يصل إلى المدينة من ماء في قنوات عند فيضان النهر.. والحبوب والمواشي كثيرة جدًا، لكن الملح قليل جدًا، ويستورد من بعيد».

ويضيف الوزان: «وكنت في تمبكتو عندما كان الملح يساوي هناك ثمانين مثقالاً، وللملك خزينة كبيرة من النقود والسبائك الذهبية، والبلاط الملكي على قدر كبير من النظام والأبهة، وهذا الملك عدو لدود لليهود، وهو لا يريد أن يقطن أحد منهم في المدينة، وإذا علم أن تاجرًا يخالطهم ويتاجر معهم صادر أمواله. وفي تمبكتو عدد كبير من القضاة والفقهاء والأئمة، وتباع أيضًا فيها مخطوطات كثيرة، وتدر أرباحًا تفوق أرباح

سائر البضائع، وتستعمل قطع الذهب الخالص بدلاً من العملة المسكوكة في المعاملات التجارية».

انتهى حديث (الحسن الوزان) وهو نموذج لما تحدث به الرحالة والمؤرخون عن هذه المدينة التي يجمعون على أنها بنيت وأسست في عصور الإسلام، وأن علماءها يفخرون بأنها المدينة التي لم يذكر فيها غير اسم الله.

وقد كانت تمبكتو مركزًا تجاريًا وثقافيًا وسياسيًا مهمًا لعدة قرون، خاصة أثناء حكم ملوك أمبراطورية مالي والسنغاي، وقد ذاع صيت المدينة أثناء حكم (منسي موسى الأول) من ملوك مالي الذي حكم من عام 1307 إلى 1332 مسيحي، وكانت رحلته إلى الحج (في عام 1325 مسيحي) ذات أثر كبير على تمبكتو، حيث عرف الناس عن ثرائها ونشاطها الاقتصادي عن طريق مظاهر البذخ الذي ظهر به موكب (منسي موسى) أثناء إقامته في القاهرة، وصرفه للذهب، حتى إنه يقال إن ذلك أدى إلى انخفاض سعر الذهب لوقت طويل.

كما كان لهذا الحج نتائج كثيرة بالنسبة لتاريخ السودان الغربي اللاحق بصفة عامة، ومدينة تمبكتو بصفة خاصة، ومنذ تلك الفترة شغل السودان الغربي الأذهان، وتزايد اهتمام مصر والمغرب والشمال الأفريقي والبرتغال والمدن التجارية الإيطالية بامبراطورية مالي ومدينة تمبكتو.

وعندما عاد (منسي موسى) إلى بلاده من رحلة الحج، اصطحب معه المهندس المعماري الشهير (أبا إسحاق) فبنى المسجد الجامع في مدينة (غاو)، وفي مدينة تمبكتو بنى هذا المهندس الجامع الكبير (جنتغير بير) وقصرا للملك فيها..

وقد اجتذب (منسي موسى) إلى بلاطه أعدادًا كبيرة من العلماء والمثقفين، وكان هو نفسه على ثقافة عربية رفيعة، وقرّب منه القضاة والكتّاب، وافتتح الدواوين والمدارس لتحفيظ القرآن، واقتنى أعدادًا كبيرة من الكتب أثناء رحلة الحج، وأصبحت تمبكتو-

محمد خاتم النبيينﷺ، ومن ذلك اليوم انقطع الوحي وصمتت السماء عن مخاطبة الأرض وأهلها، ولن يكون هناك وحي ولا خطاب من السماء إلى يوم القيامة:

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ * لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ * لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾

[سورة المرسلات:الآيات 11-13]

والبشرية خُوطبت عن طريق محمدﷺ الخطاب الأخير من السماء.

محمد ﷺ نبي للناس كافة

للأسف إن التاريخ والمنهج الذي نقرؤه الآن مغلوط، غير صحيح، يعتقدون خطأ أن محمدا ﷺ هو نبي العرب أو المسلمين فقط، هذا خطأ، لأن محمداً نبي للناس كافة، وهو ناسخ لكل الأديان التي قبله، ولو أن عيسى - عليه السلام - كان حياً عندما بُعث محمد ﷺ لأصبح عيسى يتبع محمداً، كل الناس مطلوب أن يكونوا مسلمين، هكذا يريد الله، ولكن لن يكونوا مسلمين بسهولة.

الله يقول:

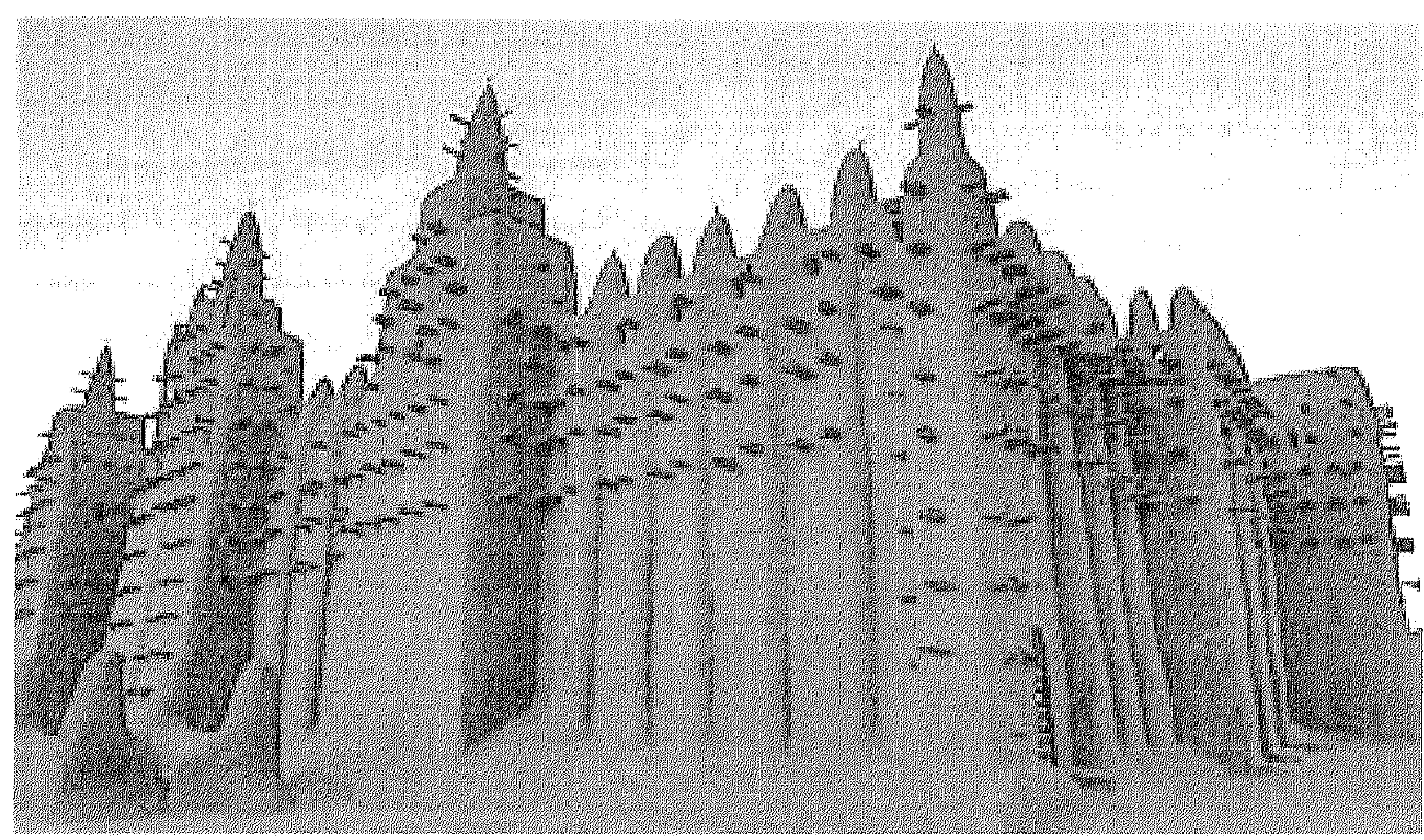
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾

[سورة آل عمران، الآية:19].

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾

[سورة آل عمران، الآية:85]

إن إبراهيم كان مسلماً، ويعقوب وإسحاق كانا مسلمين، وكذلك إسماعيل والأسباط كانوا مسلمين، وكل الأنبياء كانت دعوتهم الإسلام، وكان محمد ﷺ خاتم هؤلاء الأنبياء.



مسجد تمبكتو

بفضل ذلك - مركزًا حضاريًا كبيرًا في المنطقة وفي العالم، وأصبح مسجد تمبكتو الجامع الذي بناه موسى نموذجًا لما سمي بالطراز المعماري السوداني.

وقد عبّر (منسي موسى) نفسُه عن هذا الازدهار العلمي والاقتصادي والسياسي لمدينة تمبكتو في عهد أمبراطورية مالي بصفة عامة، في تصريح له عندما كان في القاهرة أثناء رحلة الحج، قائلا : إن سلفه قد توفي في بعثة بحرية لأنه أبى أن يصدق بأنه يتعذر بلوغ نهاية البحر المحيط (المقصود المحيط الأطلسي) الذي كان هو الحدود الغربية لأمبراطورية مالي، فصمم على بلوغ هدفه، حيث جهز بعثة بحرية مكونة من 200 سفينة مزودة بالمال والرجال، ومن بينهم عدد من علماء تمبكتو، الذين جاء بعضهم من الأندلس ومن المغرب ومن الشمال الأفريقي واستقروا بها، وعندما لم تعد سفن هذه البعثة، تولى الملك بنفسه قيادة بعثة بحرية أكبر مجهزة بعناية ضمت ألفي سفينة، ورحل ولكنه لم يعد.

إن بعض الكتّاب الذين أرّخوا لمدينة تمبكتو، وكتبوا عن علمائها وعن السودان الغربي، قد أثاروا مشكلة اكتشاف شعب (المالينكا) للقارة الأمريكية، وبذلك يكون هؤلاء قد بلغوا السواحل الأمريكية قبل (كولومبس) بقرنين من الزمان، وقد ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، دراسات عن آثار ولقيات أثرية في أمريكا تتصل بامبراطورية مالي ومدينة تمبكتو.

لقد تواصل ازدهار هذه المدينة على يد خلفاء (منسي موسى الأول) من ملوك امبراطورية مالي، ومرت بفترة تدهور لمدة أربعين عاما، عندما غزاها (سني علي) في سنة 1468 مسيحي، وهو الغازي الذي عاث فيها فسادًا وتخريبًا، وكان من السنغاي، ولكن خلفاءه من ملوك السنغاي أقاموا حضارة كبيرة فيها، وكان لأسرة (الإسكيا) التي حكمت من سنة 1492 إلى 1592 مسيحي على مدى قرن كامل؛ أثر كبير على زيادة إعمار المدينة وإعطائها الدور الثقافي الذي عرفت به. وكان (أسكيا محمد) من أصل سوننكي من عشيرة (توري) المنحدرة من (التكرور). وعلى الرغم من كونه أميًا، فقد كان مسلمًا ورعًا وسياسيًا بعيد النظر، وكان انتصاره في السودان الغربي انتصارا للإسلام.

وهو الآخر قصد الحجاز للقيام بأداء فريضة الحج مثلما فعل (منسى موسى) قبل قرن ونصف من الزمان، وكان ذلك في عام 1496 / 1497 مسيحي، وكان حجه هذا بدافع التقوى، وكذلك بدوافع سياسية.

وفي القاهرة التقى علماء الأزهر، وبصفة خاصة الشيخ السيوطي، وعاد إلى السودان مزودًا بالشرعية الإسلامية وباعتراف عالمي بسلطانه. ويقال إنه هو الذي حفر قناة تمبكتو المعروفة، وكانت له عناية كبيرة بالزراعة، وفي عهده وعهد أسرة (الأسكيا) ازدهر العلم والقضاء في المدينة، وكان للقاضي فيها شأن كبير، كان يعيّنه السلطان مدى الحياة، وكان منصب القضاء طوال القرن السادس عشر المسيحي في أسرة القاضي (محمود بن عمر الأقّيت) من 1499 إلى 1548 مسيحي، كما قدمت هذه الأسرة الأئمة لمسجد سونكوري، واستمر في هذه الفترة دور تمبكتو ـ كحاضرة تجارية عبر الصحراء الكبرى ـ على صلة بالأسواق الكبيرة في الصحراء وفي الشمال الإفريقي من غدامس إلى طرابلس إلى تونس، ومن ثم بلدان أوروبا المطلة على البحر المتوسط، كما كانت هناك طرق تجارية أخرى إلى مصر والمغرب ومراكش والسودان.

وازدهرت المبادلات الاقتصادية في المدينة، وأمّها التجار والصناع من كل مكان، وكانوا أحيانًا أثناء إقامتهم في المدينة يسكنون في مناطق عرفت بأسماء المدن والبلاد التي جاءوا منها. ومن بين الأحياء التي عرفت قديمًا وما زالت باقية حتى الآن (حي الغدامسية) وتؤكد المخطوطات ـ التي يحتفظ بها معهد أحمد بابا التمبكتي حتى الآن ـ أن المدينة كانت على صلات كبيرة بالمراكز المعروفة، وأن عددًا كبيرًا من هذه الوثائق والسجلات المخطوطة تعود إلى غدامس وطرابلس. وبلغ عدد سكان المدينة في ذروة مجدها في القرن السادس عشر المسيحي ثمانين ألف نسمة في عهد (الاسكيا داود) الذي حكم في الفترة من عام 1549 وحتى 1583 مسيحي، وكانت يومها العاصمة

سمعنا أن هناك من تهجّم على النبي محمد ﷺ، غضبَ المسلمون واعتقدوا أن هذا قدح في نبيهم، لكن الذي قدح في محمد، قدح في نبيه هو ذاته، لأن محمداً ﷺ نبي البشر الذين في اسكندنافيا والذين في أوروبا والذين في أمريكا والذين في آسيا والذين في إفريقيا، ولكن لأن المنهج الذي يقرؤونه في اسكندنافيا منهج مُزوّر ويدعو إلى الكراهية؛ اعتقدوا أن محمداً ﷺ ليس نبياً لهم، بينما محمد ﷺ موجه لكل البشر.

حرية التعبير

وإذا كنا ندّعي حرية التعبير فنتوقع أن تظهر صورة عيسى وفوق رأسه قنابل ذرية لأن أتباع عيسى صنعوا القنابل الذرية، وهم رسموا محمدا ﷺ وعلى رأسه قنبلة يد صغيرة يدوية، طبعاً محمد ﷺ بريء من القنبلة، ولكن المقصود أن أتباع محمد ﷺ يستعملون هذه القنبلة، فكذلك عيسى ـ عليه السلام ـ بريء من القنبلة الذرية، ولكن أتباع عيسى هم الذين صنعوا القنبلة الذرية، وتمسكاً بحرية النشر والرأي مثلما صُور محمدٌ ﷺ وعلى رأسه قنبلة يدوية، نتوقع أن يُصوّر عيسى وعلى رأسه قنبلة ذرية، رغم أن محمداً ﷺ بريء من القنبلة اليدوية وعيسى بريء من القنبلة الذرية، ومثلما صوروا محمداً ﷺ وحوله نساء محجبات باعتبار المسلمات محجبات، نتوقع أن تُصوّرَ حول عيسى نساء عاريات، لأن المسيحيات عاريات.

الاقتصادية والمدينة المقدسة للسودان كله، لشهرة علمائها وأوليائها وجامعاتها، فقد كانت النموذج للمكانة التي حظي بها العلماء وطلاب العلم وما أغدقه عليهم السلطان والسكان من تبجيل وتكريم..

وكان بالمدينة ثلاثة مساجد جامعة كبيرة (مسجد جننغير) الذي أشرنا إليه في السابق، و(مسجد سيدي يحيى) و (جامع سنكوري) وهو مسجد بني على نفقة سيدة في شمال المدينة من منطقة يقال لها (سنكوري) وقد بُني المسجدان الأخيران في النصف الأول من القرن الخامس عشر المسيحي، وأصبح الأخير (جامعة سنكوري) العريقة التي اشتهرت بها المدينة.

معمار تمبكتو

وكثيرون هم العلماء الذين عُرفت بهم المدينة، منهم الشريف سيدي يحيى، الذي توفي عام 1464 مسيحي، والقاضي محمود بن عمر أقّيت، الذي توفي عام 1548مسيحي، والقاضي العاقل، وأحمد بابا التمبكتي، الذي أرّخ لعدد من علماء المدينة وفقهائها في كتابه (نيل الإبتهاج بتطريز الديباج) وتوفي عام 1626 مسيحي.

لكل هذه الأمور اكتسبت المدينة لقب (المدينة المقدسة) في السودان، وعملت جامعاتها على نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية في كل مناطق السودان الغربي، بل إن تأثير علمائها، وصل إلى بقية أنحاء العالم الإسلامي في إفريقيا الشمالية، وفى المشرق الإسلامي، كما وصل تأثير هؤلاء العلماء إلى أوروبا، حيث تسجل لنا الروايات، أن أحد أطباء تمبكتو قام بعلاج أحد أمراء أوروبا.

وتزخر المصادر التاريخية والشفوية، بالكثير من المعلومات عن مظاهر النشاط الفكري والعلمي والديني، لمدينة تمبكتو، ففضلاً عن جامعاتها فإن المدينة في نهاية القرن السادس عشر المسيحي كان بها عدد 180 مدرسة قرآنية، والآلاف من الطلاب القادمين من جميع أنحاء السودان والساحل.

بعد حكم السنغاي، فتح المغاربة مدينة تمبكتو أيام السلطان أحمد المنصور الذهبي، ومع مرور الأيام أصابها الوهن والضعف والخراب، ويسجل عالمها أحمد بابا التمبكتي ـ الذي اقتيد مع الأسرى إلى مراكش ـ آثار الخراب الذي لاقته المدينة، بعد هذه الكارثة كما يعبر هو، وبالرغم من ضعف المكانة الاقتصادية التي لحقت بمدينة تمبكتو، نتيجة لعوامل عديدة عصفت بالمنطقة، كان من بينها النزاعات المحلية بين القوى المتنافسة في السودان الغربي، وأحيانًا داخل المملكة الواحدة، بل الأسرة الواحدة؛ فإن تمبكتو صمدت في وجه كل المحاولات الخارجية حتى سقطت عام 1894 مسيحي في يد الاستعمار الفرنسي.

ولأن الفرنسيين يدركون المركز الحضاري، الذي تحتله هذه المدينة في المنطقة، فقد تعمّدوا إهمالها، وحرموها من الطرق والخدمات، وتشرد معظم سكانها في مناطق أخرى.

إن الذي تجدر الإشارة إليه ـ في الحديث عن هذه المدينة العظيمة ـ هو أن ذيوع صيتها في التجارة وما يتعلق بامتلاء أسواقها بالسلع النفيسة والمطلوبة، وخاصة الذهب والنحاس، وشهرتها الثقافية التي طبقت الآفاق؛ كل ذلك قد جذب إليها أنظار المغامرين والطامعين، والباحثين عن الذهب، والمجد والشهرة، واستكشاف مجاهل ما وراءها من بلاد كان يتحدث عنها الرحالة الذين زاروا المدينة والتقوا أهلها، فجاءها هؤلاء من كل حدب وصوب.

اقترن الأوروبيون بتمبكتو في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر مسيحي) حيث كان يتم التعامل الاقتصادي بين المدن التجارية الإيطالية ـ فلورنسا بصفة خاصة ـ وبين تمبكتو عن طريق الشمال الإفريقي ـ طرابلس وتونس ـ ثم عن طريق القوافل إلى المدينة. ومن الذين زاروا تمبكتو من الأوروبيين في ذلك القرن (فلورنتين بيناديتو داي) وذلك في عام 875 هـ 1470 مسيحي، وانقطعت الصلة بين تمبكتو وأوربا بعد القرن السادس عشر مسيحي.

وكان الأوروبيون يتحدثون عنها آنئذ، حديثهم عن مدينة عزيزة المنال، تكتنفها الأسرار، جميلة بالغة الجمال، وافرة الثروة باتجارها في الذهب وريش النعام والعاج، وظلت محجبة بالأسرار، وخاب سعي الكثيرين في جلاء سرها، وقتل في سبيل ذلك الميجر (لينغ) ثم أخيرًا استطاع أن يصلها المغامر الفرنسي (رينيه كايييه) في عام 1828 مسيحي، وبالرغم من أنه بقي فيها فترة قصيرة جدًا من ذلك العام (من يوم 4/20 إلى يوم 1828/5/4 مسيحي) في ضيافة أحد أعيان تمبكتو، بعد أن ادعى الدخول في الإسلام؛ فإن الفرنسيين سجلوا اسمه في التاريخ الفرنسي المعاصر كأحد كبار المستكشفين، لأنه كان يبحث عن اكتشاف

اسكندنافيا.. النساء فيها عاريات ويدّعين أنهن من أتباع عيسى، طبعاً عيسى بريء من النساء العاريات، ومحمدﷺ بريء من النساء الملثمات، لكن حرية النشر التي استندوا عليها، تستلزم أن يُرسم عيسى وحوله نساء مثلما رُسم محمدﷺ وحوله نساء.

على أي حال منهج الغرب.. أوروبا وأمريكا، منهج يدعو للكراهية ما في ذلك شك، وهو منهج فاسد ولا إنساني، ومنهج مبني على الخطأ، وما يُسمى بالعهد القديم والعهد الجديد، ليس بالعهد القديم وليس بالعهد الجديد.

إنجيل برنابا هو الصحيح

لأن هذين العهدين منسوخان مزوران وكتبا باليد بعد عيسى بمئات السنين، وفي (البايبل*) كلام لا يليق بعيسى ولا بموسى (عليهما السلام)، وإذا أردنا أن نُصحح وضع البشرية، وأن نعيش في قرية كونية بسبب العولمة؛ فيجب أن نبحث عن (البايبل) الصحيح، لأن (البايبل) الموجود الآن مزور.

هذا (البايبل) الموجود الآن ليس فيه ذكر محمدﷺ، مع أن(البايبل) الذي وضعه ربنا مذكور فيه محمدﷺ مراراً وتكرارا.

يجب أن نبحث عن إنجيل برنابا (القديس برنابا) لأن هذا الإنجيل هو الصحيح ومذكور فيه محمدﷺ بالتفصيل، وأنه سيأتي بعد عيسى، وأنه سينسخ دين عيسى، وأن محمداً ﷺ سيُرسله الله نبياً للناس كافة.

عيسى يقول في (البايبل) الصحيح ـ ليس في (البايبل) المزور الموجود الآن.

---

* البايبل: الكتاب المقدس

أيسر الطرق عبر الصحراء إلى هذه المناطق لتسهيل مهمة جيوش فرنسا.

وبعد استعمار فرنسا المدينة أصبح البيت الذي أقام فيه هذا المغامر معلمًا أثريًا من معالم تمبكتو، زاره الرئيس الفرنسي السابق (ميتران) قبل أعوام أثناء توقفه بالمدينة.

وحرصت الكثير من (بعثات الصداقة) في أوقات ضعف هذه المدينة أن تأتي إليها من بعض الدول الطامعة في ثرواتها، ومن بينها بعثات الصداقة من البرتغاليين الذين كانت لهم صلات ومراكز على الساحل الأفريقي الغربي. وتسجل كتب التاريخ أن الاستعمار المباشر لإفريقيا قد بدأ حوالي العام 1880 مسيحي، واستمرت هذه المرحلة في إخضاع إفريقيا حتى عام 1919 مسيحي. ويسمي الأوروبيون - من منظورهم - هذه المرحلة (مرحلة التهدئة) أو (إحلال السلام) وهذه هي الفترة التي تم فيها تنفيذ تقسيم إفريقيا على أرض الواقع بعد أن تم ذلك على الورق في مؤتمر برلين عام 84/1885 مسيحي، وكان الأوروبيون بحلول عام 1880 مسيحي - بفضل نشاط المستكشفين والمبشرين الأوروبيين - يعرفون عن إفريقيا وأصقاعها الداخلية الكثير، وهذا لا يعني أنه لم يكن هناك نفوذ للدول الأوروبية في مناطق كثيرة من القارة قبل ذلك التاريخ؛ فقد كان هناك الكثير من التعامل التجاري والسياسي وبسط النفوذ عن طريق اتفاقيات الصداقة ودبلوماسية السفن الحربية.

جوهرة الصحراء العجيبة

تلك كانت مدينة تمبكتو ومكانتها التاريخية اقتصادًا وتجارة، وثقافة، وعلمًا، كانت جوهرة الصحراء، أو المدينة العجيبة، أو المدينة الغامضة.

وكان الحديث عنها يلهب خيال الباحثين عن الثروة والمغامرة والمجد، كتب عنها الكثيرون، وتحدث عنها الناس في أوج عظمتها أحاديث فيها الكثير من الحقيقة، وفيها الكثير من الأساطير التي تحرك دوافع الشوق إليها والرغبة في الوصول إلى عجائبها، وكان الوصول إليها صعبًا ودونه أهوال الصحراء ومخاطرها، وخاصة بالنسبة لأولئك الذين لم يتعودوا هذه المخاطر من الذين هم وراء عالم الإسلام في أوروبا.

لذلك جرت في لغات الأوروبيين - حتى عهد قريب - عبارات تتصل بالإشارة إلى بُعد تمبكتو عن كل شيء معروف في العالم، وإلى غموضها. يقول الرجل: «إنه سيصل إلى بغيته حتى ولو كان ذلك في تمبكتو» و«إن أمرًا ما، هو بعيد المنال بُعْدَ تمبكتو».

كان الحديث عن تمبكتو يلهب خيال الباحثين عن الثروة والمغامرة والمجد، فيحرك دوافع الشوق اليها والرغبة في الوصول الى عجائبها. ولكن دون ذلك أهوال الصحراء ومخاطرها.

والخيال الأوروبي معروف في إضفائه هالة خاصة على بعض مدن الإسلام بقصد توجيه الأنظار للوصول إليها، وتتشابه الأدبيات التي تعرضت لذلك بين كل من (تمبكتو) و(سمرقند) في منطقة ما وراء النهر في المشرق الإسلامي (جمهورية أوزباكستان الحالية)، ومعروفة القصائد الشعرية التي كان يحفظها الإنجليز عن الطريق الذهبي إلى سمرقند.

وكل هذه الأدبيات والخيالات تتصل دائمًا بالذهب والحرير والقطن والنحاس والتجارة، وتتصل أيضًا بالكتب والمخطوطات والعلم، ووصف البلدان، والمسالك والممالك. يشجع على ذلك الدول والمؤسسات التجارية والكنائس التي تريد الوصول إلى مراكز الذهب والثروة ومواطن المواد الخام، ومعرفة المسالك والطرق إليها.

وقد تكوَّن نتيجة لهذه الأدبيات تراث كبير في جامعات أوروبا ومعاهدها التي أصبحت في خدمة

الرحالة والمستكشفين، وبعد ذلك ساعدت على تسهيل مهمة الاستعمار المباشر.

أبعد من الزمان والمكان

إذا كنا نحاول أن نتعرف على مدينة من مدن الإسلام، وحاضرة من حواضر إفريقيا؛ فإنه لا يمكننا أن نتوقف فقط عند معرفة تاريخها وجغرافيتها، والتوسع في ذلك، على الرغم من أهمية هذا الأمر، وبإمكان أي منا أن يرجع إلى القواميس والكتب حيث سيجد هذه المعلومات التي حاولنا أن نلخص بعضها فيما تحدثنا عنه حتى الآن، ولكن الذي نريده هو أن نطل على أشياء ومعان وراء هذه المدينة، ونتعرف على أمور أبعد من تمبكتو، بأن نستشرف الآثار الفكرية والنفسية لهذه المدينة، فكأننا نريد أن نبحث عن شيء هو أبعد من هذه المدينة، أبعد من تاريخها، أبعد من جغرافيتها، وأن نسبر أغوار هموم تقع وراء تمبكتو.

فكأننا هنا نبحث عن الذي هو أبعد من هذه المدينة، وعما وراءها زمانا ومكانا ومعنى. وطبيعي أن هذا ليس هو البحث الذي يخرج به المتأمل في هذه المدينة، الدارس لدورها الحضاري والثقافي..

نحن قد رأينا انبهار الناس والغربيين بصفة خاصة بذلك الازدهار الحضاري لتمبكتو، وكيف تعاملوا معه، وأعدوا الوسائل للوصول إليها، وتجاوزوها إلى ما وراءها، فهؤلاء قد فتنتهم هذه المدينة بخيراتها، وبأنها قصية في آخر العالم المعروف لديهم في ذلك الوقت، فهي بوابة المجهول من أراضي السودان. وإذا كان هناك تعامل للأوروبيين مع أجزاء أخرى من عالم الإسلام، ومواجهة مع أجزاء نائية في جهة ثانية، إبَّان ازدهار تمبكتو؛ فإن هذه المدينة البعيدة كانت مطمع الاستراتيجيين منهم، الذين يريدون تطويق هذا العالم من الخلف، وقطع صلاته مع ذلك العالم المجهول فيما وراء أرض السودان.

ولا يحتاج المرء هنا أن يطيل في الحديث عن النظريات التي تؤكد على الجوانب الاقتصادية

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم﴾ [سورة الصَّف، الآية:6]

هذا كلام الله (يخاطب بني إسرائيل) يعني أن عيسى نبي مُوجه لبني إسرائيل فقط، وليس موجهاً لأي أمة أخرى، وأوروبا ليست معنية، وأمريكا ليست معنية، وإفريقيا ليست معنية بدين عيسى، قال لهم:

﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ [سورة الصَّف، الآية:6]

يعني إلى بني إسرائيل، عيسى لم يأتِ بالتوراة لكنه يتكلم عن كتاب موسى، معنى هذا أن أتباع موسى يجب أن يتركوا شريعة موسى ويتبعوا عيسى بعد ما جاء عيسى، وأتباع عيسى يجب أن يتركوا دين عيسى ويتبعوا دين محمد ﷺ بعد عيسى.

لو كان موسى موجوداً عندما جاء عيسى لأصبح موسى مسيحياً، والذين بقوا على دين موسى ولم يتبعوا عيسى هم على خطأ، ولو كان عيسى موجوداً عندما بُعث محمد لأصبح عيسى مسلماً، والذين بقوا على دين عيسى بعد ما جاء محمدﷺ هم على خطأ.

نحن نُصحح تاريخ البشرية اليوم من تمبكتو.. قال لهم عيسى عليه السلام:

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾

[سورة الصَّف، الآية:6]

أين هذه الجملة في البايبل الموجود الآن؟ غير موجودة، مع أن عيسى قالها لبني إسرائيل، إذن هم شطبوا على هذا الكلام الذي قاله عيسى، الله هو الذي

❖ برنابا: هو أحد تلاميذ المسيح عليه السلام وحوارييه والمرافقين له الذين كان يطلب منهم أن يدونوا ما يسمعونه منه.

والعوامل المادية في تفسير أطماع الغربيين وتطلعاتهم التي جعلت رحالة الغرب ووفودهم تجمع المعلومات اللازمة لتحقيق بلوغ تلك الأهداف، فهذه الأمور أصبحت معروفة، وتعج بها كتابات المؤرخين والساسة، لكن العناية هنا لا بد أن تتجه إلى اهتمام الغربيين في التعرف على ثقافة المسلمين في مواقعها المختلفة والمتنوعة، والتي تمثل تمبكتو مركزاً من مراكزها، وقد تأكد ذلك فيما بعد، حيث يقول أحد الباحثين الأوروبيين وهو (مايكل كرورد) في كتابه عن (غرب إفريقيا تحت الاستعمار) كان فرض حكم البيض يعني بالنسبة للمجتمعات الإسلامية في غرب إفريقيا خضوعها للكفار، فإن تلك الشعوب عمدت إلى مقاومة الأوروبيين بحماس وإصرار زائدين، كان يفتقر إليها معظم من لا يدينون بالإسلام.

هنا بدأنا نقترب من الدرس المستفاد من تاريخ تمبكتو، وبدأت تتضح ملامح الصورة التي ترتسم فيها الخطوط والدوائر التي تشابكت وتقاطعت حول الرمز الذي يمثله هذا المركز الحضاري الإسلامي، هذه الصورة تعكس لنا ظلالاً وتقاسيم عن الآخر، الذي هو بالنسبة لعالم الإسلام أوروبا والغرب.

وعندما يحاول الباحث أن يبرز معالم هذه الصورة، ويتعرف على أبعادها، ليس فقط في عصور ازدهار تمبكتو، ولكن في الأزمات اللاحقة وحتى الآن؛ فإنه لابد أن يتوخى الصدق والموضوعية، وأن يبتعد عن التعصب والإفراط في الذاتية، وأن يتجنب - في عرض ذلك - الخطابة والمواعظ التي تدعو بالويل والثبور على هذا الآخر الذي تربص ويتربص بنا الدوائر.

الغربيون لهم تاريخ طويل في القدرة على التعرف على ثقافة الآخر الذي يكون في مواجهتهم أو من الممكن أن يكون في مواجهتهم، وقدرة على استيعابها والانتقاء والاستفادة منها، كما أنهم ذووا خبرة طويلة في تشويه ثقافات الآخرين بما يفيد أهدافهم الإستراتيجية، وحتى عندما تتلمذ الأوروبيون على العلم والفلسفة والفكر الإسلامي، واستوعبوا علوم العرب التي خلصتهم من ظلام العصور الوسطى، ونقلتهم إلى عصر النهضة، ومن ثم إلى العصر الحديث؛ فإنهم مارسوا كل ما يتصل بالانتقاء والسطو والتشويه، وظهرت آثار ذلك جلية حتى بعد عصر التنوير.

قبل فترة من الزمن كنا في احتفال لتأبين أستاذ فاضل هو المرحوم الدكتور محمد ياسين عريبي، وهناك تحدثنا عن جهد قام به لإجلاء جانب من هذا الموضوع، فهو بدراسته المقارنة لفلاسفة القرن الثامن عشر، وجد أن كبار الفلاسفة وعلى رأسهم (مانويل كانط)، لا ينقلون أفكاراً ولكن ينقلون صفحات كاملة من الغزالي ومن غيره من علمائنا ولا ينسبونها إليهم، على الرغم من أن الغزالي قد ترجمت كتبه بعد أربعين عاماً من وفاته.

لماذا عمدت الشعوب الافريقية الى مقاومة الاوروبيين بحماس واصرار؟!

فهنا الغربيون لا يشعرون بالإحراج، ولا يشعرون بالذنب عندما يتبنون أشياء هي ليست لهم ويعتبرونها أصيلة في ثقافتهم، من أجل بناء الشخصية الخاصة بهم.

أما عملية تشويه تراث المسلمين والإسلام كدين، فذلك من الأدبيات الشائعة والمعروفة في العصر الوسيط، فالدكتور علي خشيم والدكتور صلاح الدين حسن السوري ترجما كتاباً عن اللغة الانجليزية حول التشويه في المبادئ الإسلامية في العصر الوسيط وكيف كان يتم ذلك.

هذا التشويه الذي تم في العصر الوسيط، بالنسبة للدين الإسلامي وللثقافة الإسلامية بصفة خاصة، كانت مادة ووقوداً للحروب الصليبية، ثم أصبح في إطار حركة (الاستشراق) حركة أكثر عمقاً، لتدخل في برامج الإعداد للمواجهة مع العالم الإسلامي، وتطور بعد ذلك في شكل مناهج دراسية لمعاهد الاستعمار،

وانتهى أخيراً في محددات تفصيلية في مؤسسات الاستخبارات والتجسس التي أفرزتها الصليبية والصهيونية المعاصرة.

وهذا التشويه الديني للإسلام - من الخارج ومن الداخل - ما زال موجوداً على مستوى الحكومات والمؤسسات العلمية الغربية، على الرغم من إدعاءات العلمية والموضوعية في التعامل مع ثقافات العرب والمسلمين .

فمثلاً جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، قامت في الثمانينات - مع عدد من العلماء المسلمين والكاثوليك والبروتستانت - بدراسة مناهج التعليم العام في دولة أوروبية كبرى صديقة للعرب، في كتب التاريخ والحضارة والجغرافيا، وما يكتب عن الإسلام وعن العرب، ووجدت معلومات مغلوطة مهولة، وأشياء غريبة جدًا، أشياء لا يمكن أن تتم كتابتها بشيء من السهو أو بشيء من عدم المعرفة، أو بشيء من الجهل، لكنها أشياء تكتب من طرف مجموعة العلماء والدارسين لتغيير أذهان الأجيال القادمة، ونحن اعتبرنا هذا عدواناً على عقل الأطفال في هذه الدولة وعلى عقل الإنسان، لأنك أنت لا تستطيع أن توقع اتفاقية سلام مع إنسان بني على أساس أنه يعتبرك خارج نطاق الإنسانية أو خارج البشر (لأنك عربي) وهو معذور في هذا، لأن الثقافة التي صُبّتّ في ذهنه من الابتدائي إلى نهاية التعليم العام هي أفكار غير صحيحة، وتمت الإشارة إلى كل نص من النصوص والتنبيه عليها، وطبع الكتاب في مؤسسة تُعنَى بالكتب الثقافية والتربوية في تلك البلاد.

ثم عندما أعلنا عن ذلك اتضح أن دولاً كثيرة في أوروبا وأمريكا تقوم بذلك، وأنا هنا لا أتحدث عن كاتب كتب كتاباً، بل أتحدث عن برامج محددة، تعطى لتكوين أجيال وأفراد وعناصر وأشخاص، تشوه فكرة الحضارة الأخرى في أذهانهم. المثل الآخر (سلمان رشدي) وآياته الشيطانية. هذا الكتاب، فيه أكثر من رأي حول الطريقة التي تمت مواجهته بها من طرف بعض الدول الإسلامية، مواجهة فيها نظر. ولكن الذي أخبرنا بأن الإنجيل مشطوب منه هذا الكلام، لأن عيسى قال لهم:

﴿يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [سورة الصّف، الآية:6]

الذي هو محمدﷺ، إذن ما يُسمى بالكتاب المقدس هذا ليس الكتاب المقدس الذي أنزله الله على موسى وعلى عيسى (عليهما السلام).

إعادة النظر في المناهج

وإذا كانوا يريدون السلام معنا يجب أن تُشكل لجان لإعادة النظر في المنهج الغربي وفي (البايبل) نفسه لأنه مزور.

لقد شُكلت لجان أمريكية وإسلامية لإعادة النظر في المنهج المدرسي في البلاد الإسلامية، يجب أن تُشكل لجان إسلامية أمريكية لإعادة النظر في المنهج الأمريكي والأوروبي.

موسى لعلمهم مذكور في القرآن 136 مرة، لماذا نحن لم نشطب على هذا..؟ هذا كلام الله لا نستطيع شطبه وإلا نصبح كفاراً، لكن هم شطبوا على كل ذكر لمحمدﷺ في التوراة والإنجيل، نتحداهم أن ينشروا إنجيل القديس برنابا.

مريم - عليها السلام - مذكورة في القرآن 33 مرة، لماذا لم نشطب على هذا..؟ هذا كلام الله لا نقدر أن نغيره.

عيسى - عليه السلام - مذكور 25 مرة في القرآن، لا نستطيع أن نشطبه لأن هذا كلام الله، والقرآن يذكر مريم وموسى وعيسى، كل هذا تمجيد واعتراف بنبوتهم وتقديس لهم وسلام عليهم، لكن في (البايبل) محمدﷺ غير موجود، مع أنه كان موجوداً، ذكره الله، معنى هذا أن (البايبل) مزور، القرآن فقط غير مزور.

يهمنا هو ما وراء الكتاب، التوزيع الهائل، والترجمة الهائلة، والتغطيات الكبيرة، والتجهيز الإعلامي، ثم استقبال الرؤساء الأوروبيين والأمريكيين كلهم لهذا الرجل، كرمز للنيل من نبي الإسلام، وتشويه الدين الإسلامي، وتشويه هذا الآخر بالنسبة لهم.

فهم (الآخر) الذي يشوهنا بقصد، وليس كاتباً من الكتاب، له رأي، له مدرسة، ويحاول أن يكتب وجهة نظر.

الصورة المعكوسة (روجيه غارودي) عندما كتب عن أساطير بني إسرائيل؛ اضطهد الرجل وحوكم ولم يستقبله أحد، ولم يُترك ليهنأ بعيشه. أعني صورة (الآخر) بالنسبة لنا الذي التقيناه هناك في تمبكتو.

وحتى لا نبتعد عن تمبكتو كثيرا، فإنه قد ظهرت في العقد الخير من القرن المسيحي الماضي دراسات وبرامج إعلامية، تحاول أن تبرز دور اليهود في حضارة تمبكتو، وتذهب إلى أبعد من ذلك، بإغراء بعض سكانها للإدعاء بأنهم من أصول يهودية، وهناك أشخاص موجودون الآن يدّعون أنهم يتسلمون بعض الهبات والمساعدات، ويؤكدون أن أسرهم قد اضطرت - في فترة ما في الماضي - للدخول في الدين الإسلامي، وبالتالي هم يعودون إلى أصولهم اليهودية.

روجيه غارودي

وهذا الأمر يقع في دائرة المحاولات الصهيونية لتشويه حضارة العرب، وتطويق الأمة العربية، وهذا التطويق يتضح - بجلاء أكبر وأكثر- إذا عرفنا أن ندوة كبيرة عقدت في عام 1998 مسيحي في جمهورية مالي، تبحث في (أصول قبائل الفلاني) وتدّعي أنها ترجع في أصولها إلى القبيلة الإسرائيلية الثالثة عشرة، وهو نفس الادعاء الذي تم به حشد قبيلة (الفلاشا) من قبل، من أجل تغلغل الإسرائيليين في إفريقيا.

هذا (الآخر) الذي نحاول أن نتعرف عليه في هذا الإطار الصحراوي البعيد، يفلت منا دائما، وهو يتخفى في غابات من ادعاءات البحث العلمي، وفي أحراش القول بالدراسات الموضوعية، ويفر منا في حقول فرق السلام والجمعيات غير الحكومية، والمؤسسات الإنسانية، ومنظمات حقوق الإنسان، ولكننا - بشيء من تدقيق النظر - نجده دائماً هناك، يتربص في جحافل الغزو الفكري الذي يغيب عقولنا، ويلغي شخصيتنا، ويغري البعض الآخر بالتطرف والشعوذة، فيخربون ديارنا من الداخل لتدوسها سنابك خيول الغازين لربوعنا.

لا بد أن تتجه العناية الى اهتمام الغربيين بالتعرف على ثقافة المسلمين في مواقعها المختلفة والمتنوعة، وتمثل تمبكتو مركزاً من مراكزها.

منارة للإشعاع الحضاري

من هنا كانت (الصلوات الجامعة) التي قادها وأمّها الأخ معمر القذافي في نيامي، وكانو، وأنجامينا، هي الرد على هذا (الآخر) الذي يشوه التاريخ ويزيف الواقع، وهي استنهاض لمسلمي إفريقيا لتعود تمبكتو من جديد مركزاً للإشعاع الحضاري للثقافة والعلم، والفكر لكل الناس، لا للذين يبحثون عن الذهب والماس، وعن مسالك ومسارب إفريقيا من أجل استعمارها واستغلالها.

ولعل العرب، والمسلمين بعامة، لم يدركوا أبعاد تلك الصلوات التي احتشد فيها الملايين من مسلمي إفريقيا، واجتمع بمناسبتها المئات من الزعماء وأئمة المسلمين في هذه القارة، لم يدركوها الإدراك الحقيقي الصحيح، ولكن الذي أدركها - وحسب أبعادها - هو ذلك (الآخر) الذي رأى فيها الخطر على مخططاته في إفريقيا وفي الوطن العربي، فجعلت مؤسساته الإعلامية الموجهة توحي - حتى لبعضنا - كيف أن الجماهيرية تتدخل في الشأن الاقتصادي والسياسي

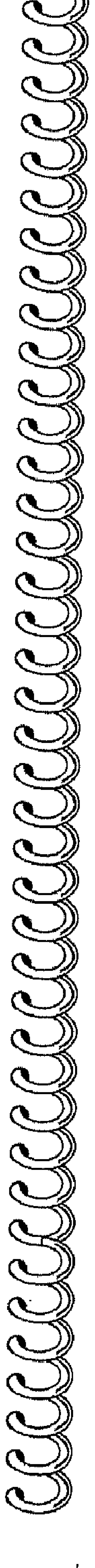
والتحرري والثقافي في افريقيا منذ قيام الثورة.

ويكفي أن نشير في مجال الثقافة إلى أن الجماهيرية، هي التي وقفت مع أول مدير عام إفريقي لليونيسكو وهو (أحمد مختار إمبو) الذي جاء من قرية (جلخار) إحدى مناطق أمبراطورية مالي التي ازدهرت فيها تمبكتو، وهو المدير العام الذي حاول أن يقدم عملاً إنسانيًا للثقافة والحرية، ووقف سداً منيعاً ضد برامج التدفق الإعلامي من جانب واحد، فكان أن انسحبت أمريكا من اليونيسكو، وعملت مباشرة - وعن طريق مؤسساتها مثل (مؤسسة التراث) - على التشكيك في جدوى اليونيسكو التي أصبحت - على حد زعمها - يتحكم فيها الهمج !!

لقد عاشت إفريقيا دونما تاريخ عام لها، أقصد دونما تاريخ مكتوب لها، هناك تواريخ لبعض مناطقها ولبعض دولها، ولبعض مراحل مناطق منها، تواريخ للمستعمرين لها، وهي تواريخ من وجهات نظر المستعمرين، ولكن الجماهيرية، هي التي أعطت إفريقيا هذا التاريخ بالتعاون مع (اليونيسكو) وأصبح (تاريخ إفريقيا العام) في ثماني مجلدات بثلاث لغات؛ حقيقةً وواقعًا، بعد أن عمل فيه المؤرخون والعلماء على مدى أكثر من عشرين عاماً، حتى يخلصوا تراث هذه القارة من تأثير هذا (الآخر) الذي يزعم أن مرحلة استعمار إفريقيا هي مرحلة التهدئة وإحلال السلام.

أحمد مختار إمبو

إن الدراسات العلمية الغربية عن إفريقيا تزيف تاريخ وثقافات شعوب القارة، بل تزيف حتى الإحصائيات السكانية للدول الإفريقية لتظهرها نسباً متدنية فيما يتصل بالمسلمين، من أجل تهميشهم في الحياة العامة. وأنا أذكر أنه في لقاء سنة 1998 مسيحي مع رئيس جمهورية مالي - آنذاك - (آلفا عمر كوناري) قال لي: إنه سعيد لأن الإسلام بدأ ينتشر بسرعة، ففي



النبي محمد ﷺ، الله قال له:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[سورة الأعراف، الآية:158]

والله يقول لهم يجب أن يتبعوا الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، لكن التوراة والإنجيل الموجودان الآن لم نجد فيهما هذا الكلام، معنى ذلك أنهما مزوران.

لكن لا تنزعجوا لأن الله قال:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[سورة التوبة، الآية:33]

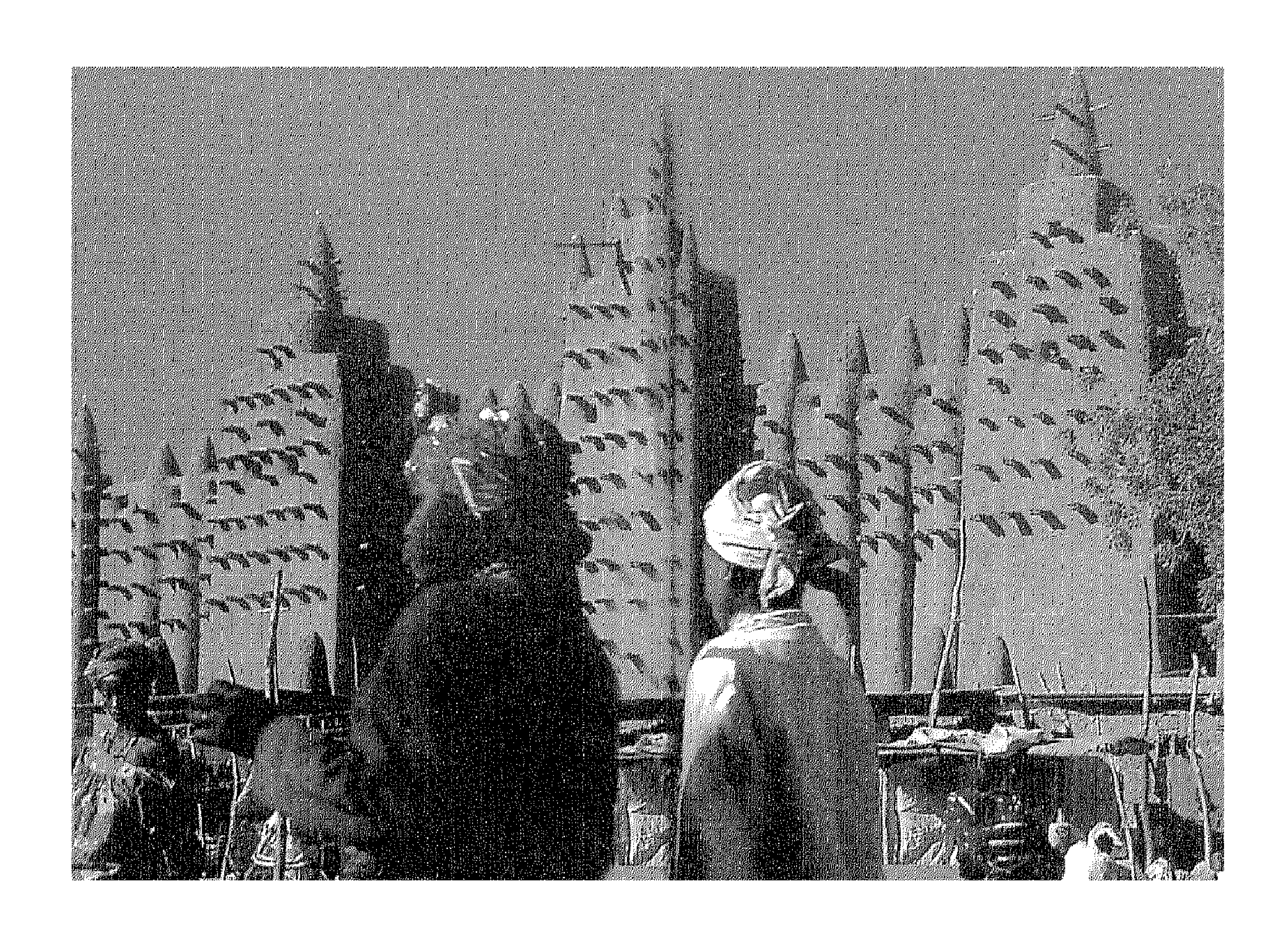
وكررها في سورتين في القرآن:

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[سورة التوبة، الآية:33]

لا تنزعجوا فدين محمد ﷺ سينتصر على كل الأديان، كرهوا أم أحبوا، الله قال هكذا.

الإسلام ينتشر في أوروبا

لسنا محتاجين للسيف أو القنبلة لنشر الإسلام، عندنا الآن خمسين مليون مسلم في أوروبا، وهناك علامات أخرى تدل على أن الإسلام سيظهره الله في أوروبا دون بندقية ودون فتح، الخمسون مليون مسلم في أوروبا بعد عشرات السنين سيحولون أوروبا إلى قارة مسلمة، الله سخّر أمة مسلمة، وهي الأمة التركية، لتدخل الاتحاد الأوروبي، وهذه خمسون مليون مسلم سيكونون مائة مليون مسلم في أوروبا، ألبانيا دخلت الاتحاد الأوروبي وهي دولة مسلمة، البوسنة دخلت الاتحاد



جمهورية بوركينا فاسو - كما يقول - تضاعف عدد المسلمين في عشر سنوات من 35٪ من عدد السكان إلى 65٪، وأنا قلت له: طبعاً هذا لا يحدث عادة، وبصفة خاصة لم يحدث في بوركينا فاسو.. الذي حدث هو أن الإحصائيات الرسمية التي كانت تعلنها فرنسا وتعلنها الأنظمة التي كانت تابعة لفرنسا في بوركينا فاسو أو في غيرها، هي إحصائيات غير صحيحة، وبالتالي.. الآن عندما قامت الحكومة في بوركينا فاسو بإحصاءات صحيحة ظهر العدد الصحيح والحقيقي للمسلمين.

ألفا عمر كوناري

طبعاً نحن هنا لا نتعصب للمسلمين أو للعرب أو لغيرهم، ولكن نحن نتحدث عن أسطورة أو عن حقيقة البحث العلمي، وأنا حاولت أن أقيد نفسي بأننا لا يجب أن نخطب، ويجب أن نتحدث بموضوعية عن هذا الأمر، وأنا مستعد لإعطائكم أسماء المراجع والأرقام فيما يخص هذه الأمور.

وحتى العام 1999 مسيحي، أنا شخصياً كنت أعتبر أن الإسلام غير موجود في مالاوي، وعندما جاءنا علماء من مالاوي، وجاءوا بأوراقهم، وذكروا لي أن مالاوي فيها على الأقل 80٪ من السكان مسلمين، ولكن عندما جاء الاستعمار الانجليزي - في أقل من قرن من الزمان، 70 سنة تقريباً - غيبهم بالكامل، وأتى بإداريين من الخارج، وغيّر أديان بعض الناس، وفرض الأمية الكاملة والفقر الاقتصادي على كل المسلمين، ومنع عنهم التعلم والحج ومجيء العلماء إليهم.

الآن الدعوة القائمة هناك، بسهولة تعيد إلى أذهان القبائل والسكان تراثهم فيشعرون بأن هذا هو دينهم الذي فرّ منهم وغيبه المستعمر عنهم، وعندما تكلم القائد معمر القذافي في كانو، تكلم عن مجموعة

من هذه النقاط، عن التشويه من الخارج والداخل، وتكلم عن التسامح الإسلامي، وتكلم عن تعصب الآخرين.

لأول مرة يجتمع خمسة أو ستة ملايين من المسلمين في منطقة متسعة ويشعرون بالاعتزاز بدينهم، وهذا أمرٌ كل الإخوة الذين زاروا إفريقيا يستطيعون إدراكه، وبالإمكان إدراكه، أعني الإنسان المسحوق ثقافياً، والمغيب ثقافياً، الذي يقرأ لغة في أحسن الظروف تسخر من تراثه، عندما يشعر هذا الإنسان بأن تراثه عظيم، وأن دينه متسامح، وأن دينه أساسي، وأنه يصنع الحضارة، وأن له أمجاداً كبيرة، وأن له دوراً في العلم والثقافة والحضارة... الخ؛ هذا الإنسان.. شباب الجامعات والموظفون وكبار الناس ينطلقون.

ذلك اللقاء في كانو أحدث موجة كبيرة، و(الآخر) الذي لا يمكن أن يسمح بفرصة مثل هذه أن تفر منه؛ عمل على اتخاذ مجموعة من الإجراءات منها دعوة البابا (وأنا بالمناسبة لست ضد البابا) وقد قابلته وأحترمه وأستمر في احترامه، وحتى القائد في حديثه عن البابا في الخطبة تكلم عنه باحترام، ولكن أصر (الآخر) أن تتم دعوة البابا إلى نيجيريا، ليلغي التأثير النفسي الذي أوجده هذا التجمع وهذا اللقاء في كانو.

في المرة الماضية استقبل (البابا) ملايين المسلمين، والإعلام الغربي قال: إن هؤلاء هم مسيحيو نيجيريا، وإن عدد المسيحيين أكثر من المسلمين، وفي هذه المرة سلاطين وعلماء نيجيريا تنبهوا وطلبوا من المسلمين أن لا يأتوا لاستقبال البابا، لنرى المسيحيين الذين يستقبلونه، وعندما أصر رئيس الدولة أن يكون السلاطين موجودين في الاستقبال الرسمي ليتحدثوا مع (البابا)[1]، واجهوا (البابا) وقالوا له نريد أن تحدثنا عن نيجيريا، هل الغالبية مسلمون أم الغالبية مسيحيون؟ وقد تحدث (البابا) بكل وضوح وقال: «أنا أقول أمامكم إنكم الأغلبية».

1ـ البابا يوحنا بولس الثاني (التحرير)

الأوروبي وهي دولة مسلمة، أو خمسون في المائة منها مسلمون، لدينا إحصائية تبين عدد المساجد بالآلاف في أوروبا، عندنا آلاف المنظمات الإسلامية والجمعيات الإسلامية في أوروبا. أوروبا الآن في ورطة وكذلك أمريكا: إما أن تقبل بأنها ستصبح مسلمة بمرور الزمن أو تعلن الحرب على المسلمين.

الحج إلى مكة لكل الناس

مادام محمدﷺ هو نبي لكل الناس حسبما جاء في القرآن؛ إذن فكل الناس مدعوون إلى تلبية نداء محمدﷺ، الله قال لمحمدﷺ:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [سورة الحج، الآية:27]

قال له: ادع كل الناس أن يأتوا للحج في مكة، ليس العرب فقط، ليس المسلمين فقط، لماذا؟ لأن محمداًﷺ نبي لكل الناس، ولأن مكة هي أول بيت وضع للناس لعبادة الله فوق الأرض.

الله يقول في القرآن:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية:96]

يعني للعالمين ليس العرب فقط، ليس المسلمين فقط، للعالمين أي كل العالم، وهذا أول بيت وضع فوق الأرض لعبادة الله، وضع لكل الناس:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [سورة آل عمران، الآية:97]

لم يقل للعرب أو المسلمين، قال للناس

وطبعًا نحن هنا لا نعد رؤوس المسلمين ولا رؤوس المسيحيين، ولكننا نتكلم عن الوضع الحضاري الذي تغير، ولقاء القائد كان يوم 2 محرم الموافق التاسع من شهر الماء من العام 1997 مسيحي، وبعد ذلك التاريخ بأقل من شهر في مدينة كانو جاء (سفير إسرائيل) وعرض مساعدات على التجار، وكان قد بعث برسائل لأن يتم استقباله من طرف السكان والعلماء، فرفض هؤلاء، فاستعان بسفيري دولتين عربيتين كبيرتين ليأتيا به إلى كانو وليقولا لسكانها وعلمائها إن هذا السفير الإسرائيلي لا غبار عليه وهو يساعدكم، وطبعًا رفض العلماء لقاءه، واستقبله الحاكم العسكري، وقد سجلت الإذاعة شريطًا عن الزيارة وهو موجود لدينا في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، يمكنكم مشاهدة السفيرين المحترمين اللذين كانا يحاولان تمرير السفير الإسرائيلي، أعني أن البيادق من الداخل هي التي تأتي بالآخر ليمرر، ولذلك فإن (أسكيا داود) عندما منع اليهود ومن يتاجر معهم من الدخول إلى تمبكتو، لم يكن متعصبًا لدين معين وضد دين معين، ولكن كانت له نظرة (الآخر) وهذا هو معنى (المدينة المقدسة) بالنسبة لتمبكتو عندما يقولون عنها إنها المدينة المقدسة.

لا أريد أن أتوسع كثيرًا في تتبع خيوط هذه الصورة التي تعكسها مدينة تمبكتو عن (الآخر) الذي كان يتربص بها، فالشواهد الواقعية الجلية هي أكثر من أن تحصى، ويكفي أن ندرك هنا أن الحضارة العربية الإسلامية قد تعرضت في الماضي إلى مثل هذه المحاولات من هجمات الغزو الفكري، إلا أن هذه الهجمة حشدت لها المؤسسات الصليبية والصهيونية كل الوسائل للوصول إلى العقل العربي والإسلامي للإجهاز عليه، لأنه يشكل عقبة رئيسة على طريق (العولمة) التي يريدونها بسطا لثقافة الغرب وتلوين كل شيء بألوان الغرب وثقافته وعاداته.

إعتزاز بالتراث الإسلامي

لقد سجل المتابعون، الملايينَ من الشباب الإفريقي الذين أصبحوا يعتزون بالتراث الإسلامي بعد الصلوات الجامعة في عامي 1997 / 1998 مسيحي، وأصبحوا يتصدون لبرامج التغريب ومحاولات مسخ الهوية، وأصبحت تمبكتو بالنسبة لهم من جديد رمزًا للاعتزاز بثقافتهم وبناء مستقبل أفضل لهم، ومستقبل أفضل لهذا العالم الذي يجب أن يشارك الجميع في بنائه وصون الحياة الإنسانية الكريمة فيه، وهذه هي المبادئ التي تبرزها ثقافتنا نحن، الثقافة المتسامحة التي تنظر للناس جميعًا على أنهم أبناء آدم، وأنهم إخوة، بإمكانهم أن يعيشوا في عالم واحد مسالمين متعاونين من أجل تنمية حقيقية.

بعد الصلوات الجامعة أصبح الملايين من الشباب الإفريقي يتصدون لبرامج التخريب ومحاولات سلخ الهوية، وأصبحت تمبكتو رمزاً للإعتزاز بثقافتهم وبناء مستقبل أفضل لهم وللعالم.

وفي تاريخنا، هناك أعمال قام بها أفراد أو ملوك... لكنني لا أتحدث هنا عن الهنات، ولا عن التوجهات التي تقع دائما عندما تصادفنا في الهامش؛ ولكنني أتحدث عن الأشياء المبرمجة، ولا أريد أن أذكر أمثلة، رغم أن هذه الأمثلة موثقة. وبالمناسبة.. في الشهر الأخير من العام 1999 مسيحي وصلتني دراسة من ثلاثة أعداد متتالية في صحيفة سيارة في كندا، وتطبع هذه الدراسات أيضاً في أمريكا، ولعلها تطبع أيضاً في أوروبا، وهي دراسات عن القرآن، وهذا الأمر كان موجودا عند المستشرقين، وتطور عند المدارس المعاصرة في محاولة لزعزعة هوية العرب والمسلمين، على اعتبار أن القرآن هو الذي يوحدهم جميعا على مختلف مشاربهم ومذاهبهم، والعرب كما تعرفون يعتبرون حتى من يشكك في الشعر الجاهلي مشككًا في

القرآن، فكيف الأمر وهؤلاء بدأوا يشككون في القرآن، وفي آياته، وفي طريقة جمعه. وهناك مؤسسات صهيونية وإسرائيلية كثيرة تشتغل على هذا الأساس، ولسوء الحظ، والأمر الذي يزعج ولا يسر، هو أن بعض الذين تعاونوا مع هذا (الآخر) تحت غطاء البحث العلمي!!. دراساتهم الآن - حتى باللغة العربية - تشكك في تراثنا بالكامل، وإننا - في أحسن الظروف - عشنا على أساطير كتبها محمدﷺ وأخذها من المصريين القدماء، أو أخذها من الأديان القديمة، وعملنا بها عملاً سياسيًا لفترة معينة، وساعدنا فيها اليهود، وساعدتنا بعض الأديان الأخرى. ولكن آن الأوان لأن نسير في قالب الحياة الحديثة ونعمل كـ (سفرجية)(2) جيدين في المطبخ الغربي، وهذا الأمر يحتاج إلى وقفة علمية جادة.. وللأسف النظر الذي تم هو نظر عاطفي، نظر يعتمد الخطابة والشتم، ويعتمد - في كثير من الأحيان - التكفير والتجريح، وهذا يستفيد منه الغرب.

والآن... أعداد كبيرة من بعض هؤلاء الذين شككوا في تراثنا وزيفوا هويتنا أصبحوا أساتذة كراسي في الجامعات الأمريكية.. نحن - أنا وبعض الإخوة الموجودين هنا - درسنا في أمريكا، ونعرف أن الدارس هناك يعيش ويتعب قبل أن يصل إلى منصب محاضر أو أستاذ مساعد أو أستاذ في الجامعات الأمريكية، بينما من يشتم الإسلام - ولو قليلاً - في الجامعات الغربية، وثارت من حوله هالة في بعض الصحف، ترتب له الأمور، وبعد شهر أو شهرين تجده (أستاذ كرسي) مبجل للدراسات العربية أو الأوروبية أو الفلسفية أو الاجتماعية، ويصبح يشار إليه بالبنان. وهناك طبعًا دور للنشر، وهي دور معروفة جدًا في بريطانيا مثلاً، حيث هناك أكثر من دار تظهر علينا بكتب الأدب العربي في طبعات صقيلة وأنيقة، وكلها تشكك في تراثنا، والآن لها فروع في عواصمنا العربية والإسلامية.

(2) سفرجية: خدم المقاهي والمطاعم

كل الناس، يقول:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾

[سورة البقرة، الآية:125]

يعني مثابة وملتقى لكل الناس، كل الناس من حقها أن تحج إلى مكة وتطوف بالكعبة وتسعى بين الصفا والمروة وتقف على جبل عرفات وترجم تمثال الشيطان في العقبة بالجمرات.

كل الناس مدعوة للطواف حول الكعبة، ليس العرب أو المسلمين فقط، لأن هذا بيت الله، لكل الناس، كل الناس مدعوة للسعي بين الصفا والمروة، ليس العرب أو المسلمين فقط، كل الناس مدعوة للوقوف بجبل عرفات ليس العرب أو المسلمين فقط، كل الناس مدعوة لرجم تمثال الشيطان بالجمرات.

الموجود الآن خطأ من جانبنا، من الذي يمنع الناس من أن يحجوا إلى بيت الله؟ ما هو السبب؟، لماذا لا يأتي اليهود والنصارى ليطوفوا حول الكعبة وهم مدعوون لأن يتركوا اليهودية والنصرانية ويلبوا نداء محمدﷺ؟.

الله قال لمحمد ﷺ: يا محمد ادع الناس ليطوفوا حول الكعبة، قال له: هذا حقي على الناس، أن يأتوا ويطوفوا حول البيت العتيق، ليس عندنا مبرر في أن نمنعهم.

إذا جاءك الرئيس الفرنسي أو الأمريكي أو الإيطالي، وقال أنا لبيت النداء وسأطوف حول الكعبة، ماذا سنقول له؟ ليس عندنا حجة، عندنا آية واحدة في القرآن إذا انطبقت عليهم إذن لا يحجون،



تمبكتو: المعمار المميز والعلم الذي لا ينقطع

استجلاء أبعاد الصورة

ونحن عندما نتحدث عن مدينة إفريقية في الرمال كان لها شأن وأي شأن؛ فلا بد أن يثير هذا الأمر فينا ما أثارته هذه المدينة في خيال هذا (الآخر) الغربي الذي أراد منها أن ينظر إلى الأمة أو الثقافة التي تواجهه، وأن يتعرف عليها، وأن يتخذ منها موقفًا، وللأسف الموقف الذي اتخذ من ثقافتنا موقف معادٍ لأسباب عقدية أو غير عقدية يمكن دراستها، ويمكن حتى أن نلوم عليها هذا (الآخر). ولكن.. هذا الموقف اتخذ.. نحن أيضًا ننظر إلى تمبكتو، ننظر إلى الصورة التي ترسمها لنا هذه المدينة، وهذا الماضي، وهذا الشوق لهذه المدينة. علماؤنا أيضًا اشتاقوا لهذه المدينة كثيرًا، وخرجوا منها وتحدثوا عنها، ولكننا اليوم لا بد أن نستجلي فيها هذه الصورة. اليوم أحد الإخوة كتب عن هذه المدينة، وتأسف عليها عندما زارها، ونادى بأن نرمم المساجد فيها، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية والجماهيرية والجهات الأخرى ساهمت في ترميم المساجد وبقية الآثار الموجودة في المدينة، ولكن المطلوب هو ترميم الصورة التي وجدت في أذهاننا، والتعرف على هذه الصورة بكل أبعادها، والتعرف على ثقافة (الآخر)، وأن نقول له نحن لسنا موضوعًا للبحث الثقافي الذي تريد به ومن خلاله أن تشكل ثقافتنا، ونحن موجودون بثقافتنا، ومستعدون لأن نشارك في تكوين صورة لهذا العالم الذي نحياه بمساهمات من تراثنا، فنحن منفتحون وغير منغلقين، ونقبل بكل الثوابت وبكل الاكتشافات، وبكل الإبداعات والإنتاج العظيم الذي قدمه كل الناس، ليس فقط في الغرب - لأنه غالب - ولكن في الهند وفي الصين وفي غيرهما من الأماكن، وتراثنا نحن يحترم كل هؤلاء.

لم يكن الذين قاموا بزيارة مدينة تمبكتو منبهرين فقط - خاصة علماءنا المسلمين - بحلقات الدراسة في المساجد وفي الجامعة، وبحلقات الذكر وبمدارس القرآن؛ بل كانوا منبهرين أيضاً بالفن في تمبكتو،

والمحاضرات والمناقشات والفنون الإفريقية. هذا التسامح الكبير، وهذه النظرة الواسعة؛ تعطي دائما في هذه المدينة وفي غيرها - سمرقند أيضاً - الصورةَ الإسلاميةَ الصحيحةَ لاستعمال فنون الآخرين الذين دخلوا في أمة الإسلام، حيث لم نُغَيِّبْ نحن فنونَ الآخرين أو ثقافتَهم، نحن ذهبنا أبعد من ذلك، حتى الفقه الإسلامي استوعب عادات الآخرين وجعلها في إطار التشريع الإسلامي والمبادئ القرآنية والسُّنَّة النبوية.

نحتاج إلى روية وبعد نظر

إذًا.. نحن عندنا موقف إيجابي في بناء عالم جديد، نحن لا ننكفئ على أنفسنا عندما نتحدث عن تراثنا، وعندما نعتز بشخصيتنا وأصالتنا، نحن نقول للذين يتحدثون عن عالم واحد وفيه ثقافة واحدة، نقول لهم : إنه لا يمكننا أن نبني عالمًا للإنسان الأوروبي فقط، ولا نبني عالمًا للإنسان الأمريكي فقط، ولا نبني عالمًا للأبيض فقط، ولا نبني عالمًا للمسيحيين فقط، ولا نبني عالمًا لليهود فقط . لا بد أن يكون عالماً لكل الناس.

الصهاينة يقولون إن العالم سوف يسوده السلام عندما تصبح الأمم المتحدة أداة فاعلة، بعد أن تنتقل إلى (أورشليم) إلى القدس عاصمة أبدية لهم. وهذا الكلام قيل قبل أكثر من أربعين سنة.

هذه برامج تضعها مؤسسات كبيرة، وهذه المؤسسات تستعمل كل شيء، تستعمل الفن والإبداع والموسيقى والعلم، والجامعات والبحوث العلمية ومكافآت الأساتذة والمؤتمرات، كلها تحتاج منا إلى نظر وإلى تقييم. واتحاد الأدباء والكتَّاب هو المكان الذي رأيت فيه أنني أعطي كلمة عامة عن مدينة تمبكتو وما تعنيه بالنسبة لثقافتنا ولنا، وأنبه نفسي وإخوتي وعلماءنا إلى أن الأمر ليس أفكاراً شاردة تجرحنا بين الحين والآخر في أيامنا هذه، الأيام

ما هي هذه الآية؟ انتبهوا جيداً لهذه الآية.

الآية الوحيدة في القرآن التي تمنع من أن تنطبق عليه من أن يقترب من البيت الحرام، تقول:

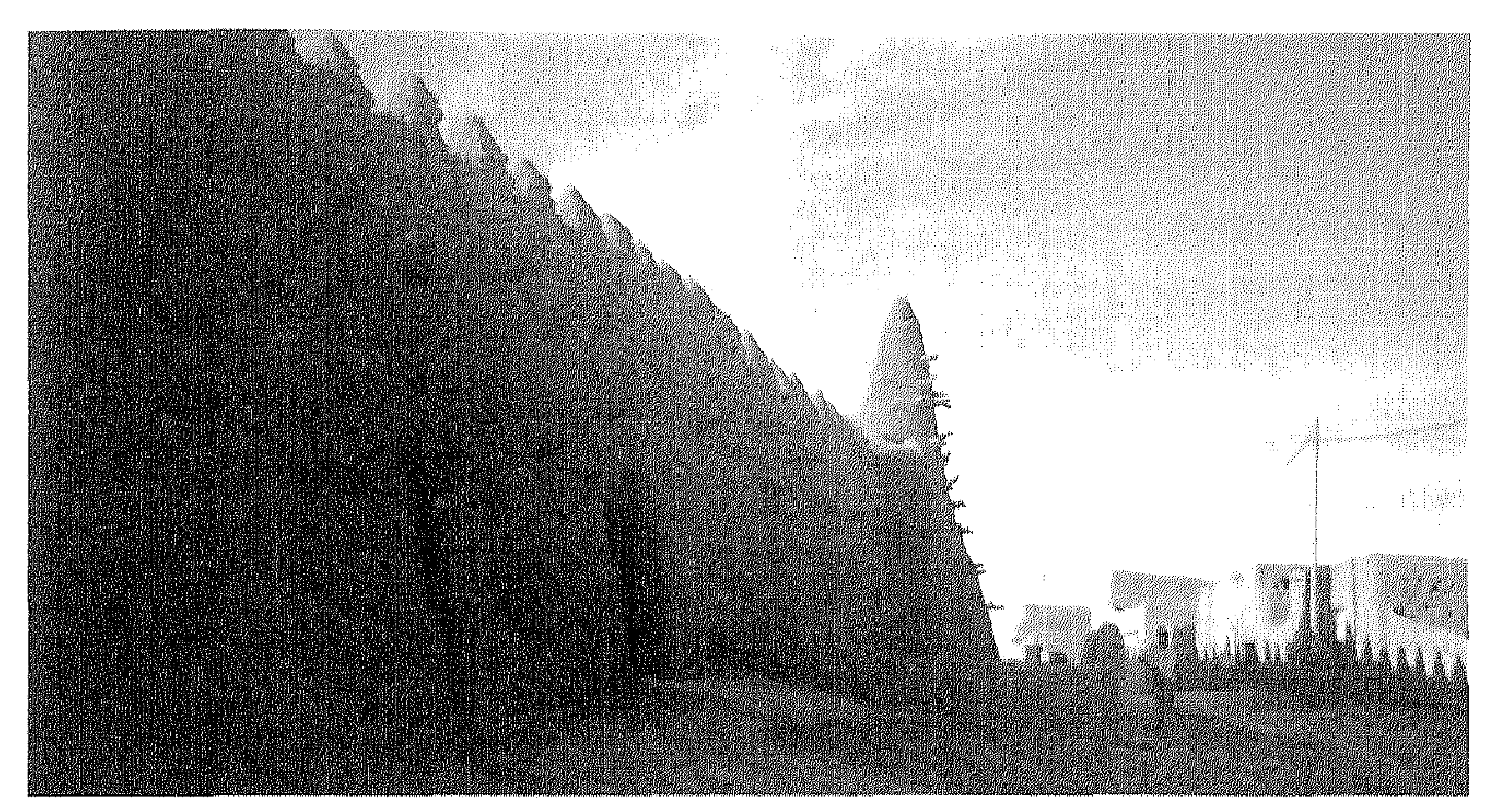
﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [سورة التوبة، الآية: 28]

هل نقول لهم أنتم نجس ومشركون؟ نتحداهم عندما يأتي الرئيس الأمريكي ليحج أن يقولوا له أنت نجس ومشرك.

يرد علينا: أنا لست مشركاً، وأنا لست نجساً، كيف تتهمونني هذه الاتهامات الخطيرة؟ إذا كنت نجساً لماذا تصافحونني وتأكلون وتشربون معي، وكيف تصادقونني وتحالفونني وتصاحبونني؟ إذا كنت نجساً لا تلمسوني، يقول لهم أنا لست نجساً، وأنا غير مشرك، ويخرج لنا الدولار الذي تتعاملون به، ويقول تفضلوا اقرؤوا المكتوب على الدولار الذي أنتم تتعاملون به مكتوب - كما قال المترجم - نثق في الله.

إذن المشرك والنجس هو فقط ممنوع عليه الاقتراب من المسجد الحرام، لكن من هو المشرك؟ من هو النجس؟ لا أحد من أهل الكتاب يقول أنا مشرك أو نجس، يقول الحج ممنوع في القرآن على المشرك النجس، لكن أهل الكتاب ليسوا مشركين وليسوا نجسين في النهاية.

هذه إشكالية.. تحد جديد ينطلق في هذا اليوم العظيم من تمبكتو، والعالم اليوم يعيد النظر في معطيات مسلم بها بعد يوم تمبكتو هذا.



تمبكتو: تاريخ عريق

التعيسة للعرب الذين يرون هزائم متواصلة لكل شيء في حياتهم، ولكن هذه أمور مدبرة ومنظمة، وفيها تدفق إعلامي وفكري من جانب واحد.

هذا التدفق اليوم هو تدفق فكري وصل لاستخدام الخيالة والأشرطة ضد الإسلام والعرب، فالمسلم الآن - والعربي بصفة خاصة - هو الإنسان الشرير في كل الأعمال الإبداعية التي يكتبها وينشرها ويطورها الغربيون، وليس هذا فقط، بل حتى الأعمال الإبداعية القديمة التي كتبها مفكرون غربيون منصفون وتحدثوا فيها عن عظمة الإنسان العربي زيفت وغيرت عندما حولت إلى أعمال إبداعية (سينمائية).

تذكرون (برنارد شو) عندما تحدث عن الإنسان العربي الذي لا يأبه للمال والذي يحب الكرامة والعزة، غيروا في شريط الخيالة هذا الشخص بشخص هندي حتى لا يفهم الغربي أن الإنسان العربي فيه الخير والسلام.

جورج برنارد شو

إنني أتحدث عن أشياء وشواهد حقيقية وواقعية عن (ثقافة الآخر) الذي نحيا معه، ولا نستطيع أن نغالط أنفسنا لأنه قوي، أو نغالط أنفسنا لأننا ضعفاء ونقبل هذا الأمر دون تمحيص ودون نقد.

نحن نريد أن نكون جزءًا من هذا العالم، ولكننا نريد أن نكون جزءًا من هذا العالم على شروطنا، وأن نقبل شروط الآخرين التي تتفق وشروطنا نحن. نحن لم نأت من الغابة، ولم نأت من الفضاء الخارجي، ولم نأت من جزر المحيطات النائية، نحن شاركنا في بناء هذا العالم على مدى أكثر من ألف سنة، ولنا بصماتنا في الأدب، وفي الفن، وفي القانون.... نحن الذين اخترعنا العلاقات الدولية، واخترعنا القانون البحري، والقوانين التجارية، وأشياء كثيرة... وهم أخذوها، واعترفوا بجزء منها، ولم يعترفوا بالأجزاء الكثيرة، وقام شبابنا وعلماؤنا بتجلية هذا الأمر للتاريخ وللناس جميعًا.

علاقات إنسانية فاعلة

وأختم هذا الحديث بالتأكيد على أن تمبكتو هي مدينة عظيمة، ونفخر بها نحن عرباً ومسلمين

وأفارقة، وأنها تثير في نفوسنا شجوناً كثيرة تتصل بهموم الإنسان وبثقافته وإبداعه، وتثير فينا أيضا التقييم الحقيقي لما فعله ويفعله (الآخر) بنا.... إنسان يستعمرك ويقول إنه يقوم بعملية تهدئة وإحلال للسلام.

لا أحد يمنعه، يستعمرك، ويقول ذلك، ويقول إنه يحتلك، أحيانًا لتمدينك !! وأحيانًا تحت مسميات أخرى.

نحن نريد أن نعيش في عالم فيه فهم حقيقي وموضوعي وتأسيس حقيقي للعلاقات الإنسانية يكون للجميع فيها دور، وتكون المشاركة لكل الشعوب، ويكون فيها الحق لكل الناس، ونحن دائما نقول إنّ في القرآن الكريم خطابًا عامًا للناس جميعًا، وهذا الخطاب له علاقة بكرامة الإنسان:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [سورة الإسراء، الآية:70]

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية:13]

وبالتالي لا يستطيع أن ينافسنا أحد عندما نقول إن تراثنا ليس انكفاء وعنصرية، وإنما هو اتصال حقيقي بالناس جميعًا، بالإنسان في كل مكان. ذلك الإنسان الذي كرمه الله بصرف النظر عن دينه وثقافته الخاصة، وشكله ولونه وأهله وترابه... فنحن جميعًا أبناء آدم، وجميعًا لا بد من أن نقوم بإعمار هذه الأرض الإعمار الصحيح.

❖❖❖

تمبكتو.. مركز في صحراء قاحلة، لم تكن موجودة قبل الإسلام، بناها وأسسها المسلمون العرب، والأفارقة، والمسلمون من كل حدب وصوب، أوجدوا فيها حضارة بلغة القرآن، لغة العرب، تراث عظيم يحتاج منا إلى البحث والتنقيب، وإدراك لهذه العلوم الكبيرة..

مدينة في الصحراء.. لكن فيها سعر الكتاب أغلى من سعر الذهب، هذه هي الحضارة الحقيقية، وهذا هو الأمر الذي يثير في نفوسنا أهمية الثقافة، وأهمية التعرف على الآخرين.

المسلمون في أوروبا بالأرقام

هذه الإحصائية عندي بالأرقام، عدد المسلمين في أوروبا كما قلنا: 50 مليوناً، و14 ألف مسجد ومركز إسلامي، و1500 منظمة وجمعية وهيئة إسلامية، وهذه سيزيد عددها بمرور الزمن، إلى جانب تركيا والبوسنة وألبانيا، أي أن الكلام الذي قاله الله في القرآن بدأ في التحقق:

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية:33]

الإسلام قدر البشرية.. دين البشرية.. هذه كلمة الله.. هذه إرادة الله.. الله أكبر.

هذا تحدٍ وزلزال جديد يسمعه العالم من تمبكتو.

في هذا اليوم العظيم، يوم ميلاد ووفاة خاتم النبيين ﷺ، يجب على البشرية أن تؤرخ بهذين التاريخين، ميلاد عيسى لأنه معجزة ووفاة خاتم النبيين، الآن مر على ميلاد عيسى المعجزة 2006 من السنين، ومر على وفاة خاتم النبيين 1374 عاماً، يجب على البشرية كلها أن تكتب من الآن أن 2006 مسيحي الموافق1374من وفاة الرسول، هذه قضية أصبحت واضحة الآن أمام العالم.

لكن لماذا اخترنا هذا التحدي من تمبكتو دون العالم الإسلامي كله؟ لأن هذه القرية أو هذه الواحة تاريخية من الناحية الدينية ومن الناحية الاجتماعية.

رؤية الغرب للإسلام

معالجة التحريفات والتشويه

د. حسن مصطفى *

حين نتناول خطاب القائد معمر القذافي الذي ألقاه في جموع المسلمين في مدينة تمبكتو، لا يمكن أن نراه منفصلاً عن منهجه الفكري الذي راح يخطه منذ عقود طويلة، ولا يمكن أن نجده منفصلاً عن خطاباته الاستراتيجية الأخرى التي ألقاها في تشاد، أو نيجيريا، أو بوركينا فاسو، أو غيرها.

وللحقيقة نقول إن تركيزه مراراً على بعض المسائل وإلحاحه عليها إنما يعني ترسيخ مفاهيم كثيرة تقلب أفكار ما اعتاد عليه بعض الغربيين وحتى بعض المسلمين.

ولعل في التركيز على هذه المفاهيم، كالتأريخ، وصحة العقائد أو انحرافها، لا سيما اليهودية والنصرانية، والكتب الدينية المتداولة كالأناجيل والتوراة، أو الحوار الإنساني والديني ؛ يدل دلالة واضحة على عمق نظرته إلى هذه المسائل الأساسية في حياة الأمم والشعوب المعاصرة.

فقد اعتاد العرب والمسلمون أن يسمعوا من الملوك والرؤساء كلاماً في السياسة أو الاقتصاد، واعتادوا ألا يسمعوا منهم بعض الأمور الجوهرية في الأديان والأفكار، وحين يطرح القائد تلك المسائل المرتبطة بالتأريخ أو العقائد أو الحوار فإنه يفاجئ الجميع.

لكننا لسنا مندهشين لما يطرحه، لأنه ينبع من تفكير مفكر، وليس من تفكير زعيم لبلد أو قطر من الأقطار. وهو في نفس الوقت قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية. وهذا يعني أن مسئوليته تتميز كثيراً عن غيره من قادة العالم.

وهو فيما يطرحه يمثل مئات الملايين من العرب والمسلمين الذين شوه الاستعمار تفكيرهم وضغط عليهم الحكام حتى تشوهت نفوسهم وقلقت وجداناتهم.

دعوة إلى تصحيح المغالطات

وهو في جميع الأحوال يؤسس لرؤية جديدة من الفهم العميق لمشاكل الأرض والأمم وخاصة تلك المرتبطة بتزوير الحقائق الدينية ولاسيما تلك التي بثها المؤلفون في كتب التوراة والأناجيل وغيرها.

إن مئات الملايين من المسلمين يتسلحون اليوم

* باحث وأستاذ جامعي فلسطيني / سوريا

بتلك الرؤية وتلك الجرأة في صد الشبهات عن الإسلام كما يتسلحون بمعرفة جوهرية لكيفية الرد على هؤلاء الغربيين الذين يروجون لمزاعم التفوق الديني أو العنصري، خاصة هؤلاء اليهود الصهاينة الذين يعتنقون فكرة عنصرية مفادها، أنهم شعب الله المختار، وهؤلاء الذين يعتقدون بفكرة تفوق العنصر، الأنجلوساكسونية البروتستانتي، ويبثون مقولات مشوهة للإسلام على اعتبار أن هذا الدين دين الإرهاب كما يزعمون. وما يطرحه القذافي من أمور، يعيد إلى الأذهان النظر العميق في هذه الثقافة الدينية التي زورت الحقائق وشوهتها.

وهذا الخطاب الجامع الذي ألقاه القائد معمر القذافي في تمبكتو له من الدلالات ما تعجز عنه الصفحات، لأنه في حقيقة الأمر يفتح الآفاق أمام العقول النيرة لتبحث عن معنى ختم النبوة، ومعنى تحريف الإنجيل والتوراة، ومعنى البحث عن إنجيل (برنابا) الذي يتقارب مع الإنجيل الحقيقي للسيد المسيح عليه السلام، ولتبحث عن معنى أن محمداً ﷺ نبي العالمين والإنسانية، وهو رحمة لبني البشر. ولتبحث عن معنى الحج الإنساني، ودعوة الناس كافة إلى زيارة هذا البيت، الذي اختاره الله سبحانه، وأوحى إلى نبيه إبراهيم عليه السلام أن يقيم قواعده، ومن ثم يؤذن داعياً كافة الناس لتأدية فريضة الحج وزيارة البيت الحرام، ومن هنا فإن من يفعل ذلك يكون قد لبى النداء واستجاب للأمر القرآني، وهو ما يعني الاهتداء والإيمان برسالة خاتم الأنبياء محمد ﷺ. وعلى أية حال، فإن هذه المقدمة الموجزة المكثفة ليست سوى مفتاح لما سنراه من تحليل للأفكار والمفاهيم التي طرحها القذافي في خطابه في (تمبكتو) المدينة الإسلامية التي لعبت دوراً مهماً جداً في نشر الإسلام في أفريقيا، وصانت تراثها، فاحتفظت بمخطوطات غنية عن التعريف. وكل ذلك يبدأ من نقطة ولا تتوقف آفاقه، ويبدأ من فكرة لا تفارقها مئات الأفكار الأخرى.

مجد عظيم لأهل تمبكتو

هذا المكان في يوم ما هو الذي شع منه الإسلام على القارة الأفريقية، وامتد في جميع أنحاء العالم الإسلامي، مجد عظيم لأهل تمبكتو، شرف تاريخي، تمبكتو كانت صورتها تخرق الآفاق، كانوا علماء كرسوا حياتهم في هذه الواحة في قلب الصحراء لنشر كلمة الله، لكن ما الذي حصل؟ أعداء الله، أعداء محمد خاتم أنبياء الله، أعداء كتاب الله ﷺ، القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هذا محفوظ بأمر الله لا يمسه التغيير، لكن الكتب الأخرى الله قال إنها غُيرت وأتاها الباطل، أين ألواح موسى؟ أين زبور داود؟ أين شريعة شعيب؟، شريعة صالح؟، إدريس، نوح ذو الكفل، اليسع، ذو النون؟، أين شرائعهم؟ مسها الباطل، انتهت، أين إنجيل برنابا؟ أحرقوه، لكن الله قال في القرآن:

﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [سورة فصلت، الآية:42]

هل هناك مسلم شتم عيسى أو موسى أو مريم؟ لا يمكن، لأننا لو فعلنا ذلك كأننا شتمنا نبينا وشتمنا أنبياءنا المعترف بهم.

ـ أحد هؤلاء المواطنين بعث لي هذه الورقة ردا على هذا التحدي، أن كل مولود في هذا الشهر إذا كان ذكراً يسمى: محمداً أو أحمد، وإذا كان أنثى تسمى: فاطمة ـ بنت النبي ﷺ ـ أو عائشة زوجة محمد ﷺ.



الصلاة في تمبكتو

ماذا يعني مولد رسول الله ﷺ ؟

تأتي خطبة القائد معمر القذافي في ذكرى مولد رسول الله ﷺ بتاريخ 12 من شهر ربيع الأول / العاشر من شهر الطير 1374 من وفاة الرسول ﷺ 10/ 4/ 2006 مسيحي. وذلك في مدينة تمبكتو الإسلامية في جمهورية مالي، لمخاطبة الأمة الإسلامية والعالم كله في يوم مولد رسول الله ﷺ. (فهذا اليوم يوم تاريخي عظيم في تاريخ البشرية، لأن فيه مولد الرسول ﷺ وكذلك توفي في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول. وهذه إشارة للمسلمين والعالم، إلى علاقة ذلك بالاختيار الرباني. وهذه بحد ذاتها إحدى الكرامات التي أرادها الله لرسوله الكريم ﷺ.

وانتقل القذافي إلى مسألة مهمة تخص البشرية جمعاء فقال: (للبشرية يومان تؤرخ بهما: يوم ولد عيسى عليه السلام لأن مولده كان معجزة. وأما اليوم الثاني فهو اليوم الذي ولد ومات فيه خاتم النبيين ﷺ. ويجب أن نؤرخ بهذين التاريخين جنباً إلى جنب).

وتكمن أهمية هذه الفكرة في عدة اتجاهات :

1 ـ احترام المسلمين للنبي عيسى عليه السلام، لأنهم يعتبرونه نبياً لهم. واحترام المسلمين لميلاده لأنه بحد ذاته معجزة إلهية أشار إليها القرآن الكريم في سور: مريم وآل عمران وغيرها من السور الكريمة.

ويحترم المسلمون رغبة كل من يؤرخ بميلاد المسيح. ونحن ـ المسلمين ـ نعتبر أن التأريخ بوفاة النبي محمد ﷺ حق لنا. ويستند إلى معطيات منطقية. وقد أشار القائد لهذه المعطيات. فمنذ وفة النبي ﷺ انقطع الوحي فلن يكون هناك وحي أو خطاب سماوي. وبخاتم الأنبياء ختمت الرسالات ودور الأنبياء، لأن رسالة الإسلام أكمل الرسالات وأعمها ولأن النبي محمد ﷺ بُعث للناس كافة، ورحمة للعالمين.

ويشير معمر القذافي إلى مسألة في غاية الخطورة وهي قراءة التاريخ بشكل مغلوط، فما هو هذا الشكل المغلوط ؟

الغربيون يعتقدون أن محمداً ﷺ هو نبي العرب والمسلمين فقط، وهذا خطأ لأن محمداً ﷺ نبي للناس كافة، وهو ناسخ لكل العقائد التي جاءت قبله، ولو أن عيسى كان حياً عندما بُعث محمد ﷺ لأصبح عيسى تابعاً لمحمد ﷺ، كل الناس مطلوب منهم أن يكونوا مسلمين، هكذا يريد الله.

وفي هذه الفقرة - كما هو واضح في أفكارها - تبرز عدة نواح جوهرية، فالنبي محمد ﷺ نبي العالمين أرسله الله للناس كافة، وآيات القرآن الكريم تشير إلى أن كل الأنبياء بُعثوا لأقوامهم إلا محمد ﷺ فإنه بعث للبشرية جمعاء وهذا ما تؤكده العديد من الآيات الكريمة، يقول تعالى:

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء، الآية: 79]

ويقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾

[سورة النساء، الآية: 170]

ويقول تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾

[سورة سبأ، الآية: 28]

أما موسى وكذلك عيسى، عليهما السلام، فقد بعثهما الله لبني إسرائيل فقط، وقد بين القرآن ذلك في العديد من الآيات - يقول تعالى:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

[سورة آل عمران، الآية: 49]

ويؤكد القائد معمر القذافي أن الإسلام جاء ناسخاً لكل الأديان التي جاءت قبله، وهذا ما يؤكده الاستناد الواضح على ما جاء في كتاب الله عز وجل - يقول تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة، الآية: 3]

ويقول سبحانه:

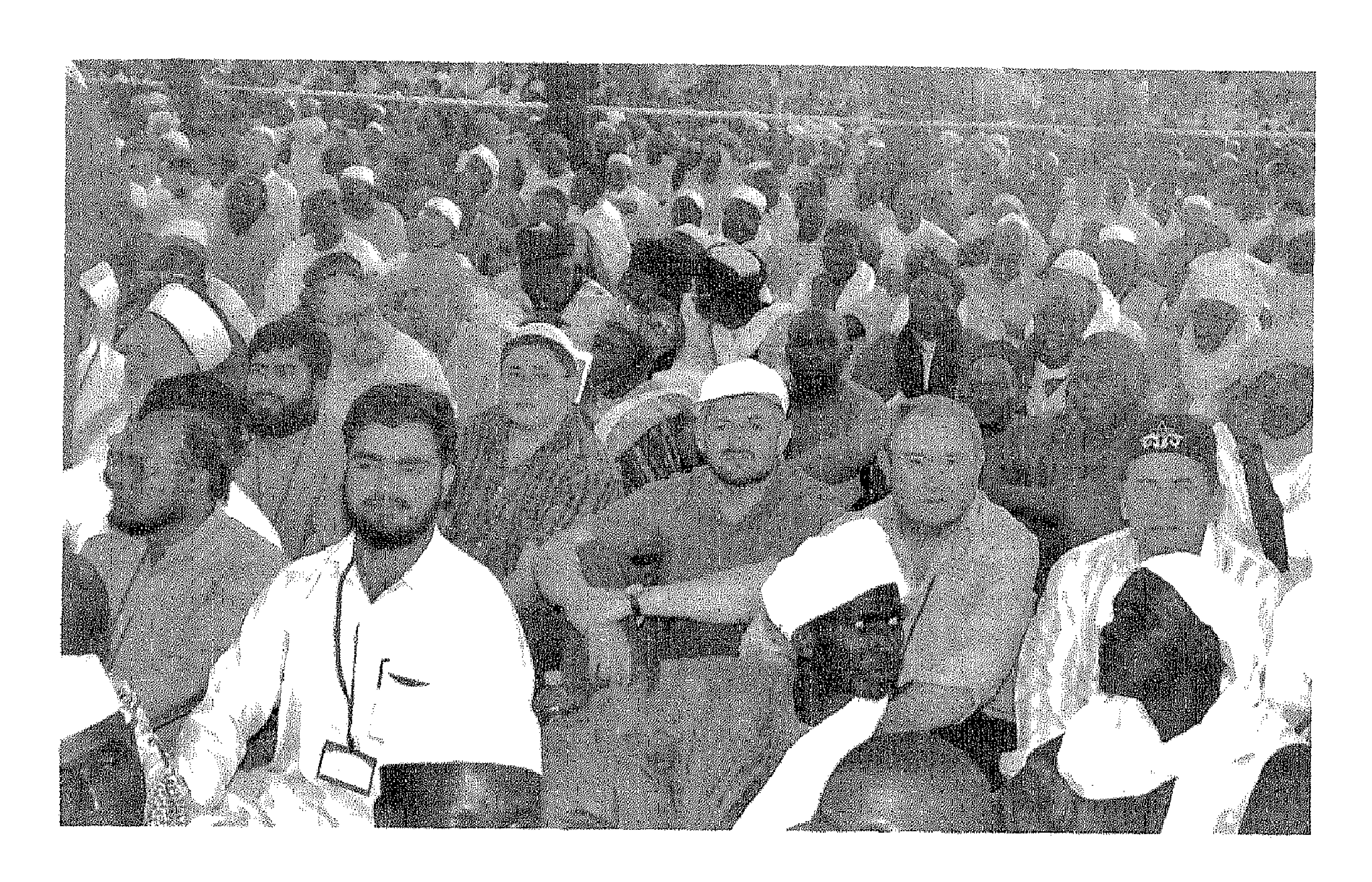
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 85]

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 19]

فهذه الآيات تؤكد بكل وضوح أن الإسلام نسخ كل العقائد السابقة. ويؤكد القائد معمر القذافي أن الله سبحانه - ومن خلال آيات القرآن الكريم - يريد من البشر جميعاً أن يكونوا مسلمين، ويشير في هذه الفقرة

الذين يكرهون كتاب الله سمعوا بأنه توجد منارة في الصحراء الكبرى اسمها تمبكتو، فرروا أن يطفئوا هذا النور، ذهبوا يبحثون عن تمبكتو أين هي؟ أوروبا كلها تبحث عن تمبكتو، ولكن لم يحددوا مكانها لأنه لا توجد خارطة في ذلك الوقت، احتلوا تونس واحتلوا قبلها الجزائر، احتلوا السنغال، احتلوا تشاد، وبعثوا دوريات الاستطلاع في الصحراء الكبرى، بعثة جاءت مع نهر النيجر حتى وصلوا هنا إلى تمبكتو، وقالوا لهم ماذا تعملون هنا؟ قالوا: جئنا نتتبع نهر النيجر، وهذا كذب، لأنهم يستطلعون تمبكتو، وبعثوا فرقاً سموها جغرافية وأعطوها عدة تسميات، وهي متكونة من ضباط استطلاع وضباط مخابرات، لكي يحتلوا تمبكتو ويطفئوا هذه المنارة، لكي لا ينتشر دين الله!! هؤلاء هم فريق من أهل الكتاب الذين قال عنهم المقرئ الآن.. استطلعوكم هنا، ودخلوا هذه القرية، وكتبوا أسماء القبائل، وتعرفوا على شيوخ القبائل، وتعرفوا على التجار، ورسموا الطرق التي تؤدي إلى تمبكتو، ووجدوا أن الناس ليس لديها سلاح، أناس طيبون ليس لديهم إلا الكتب والعلم والقرآن. ورسموا الخطة في أوروبا، وزحفوا من هذه الاتجاهات، من تونس والسنغال وتشاد، زحفوا على تمبكتو، احتلوها وانتقموا منها ودمورها، وأخذوا الكتب وألقوها في نهر النيجر، وحولوا مساجدها إلى اسطبلات للخيول، وأخيراً ردموا الترعة التي توصل المياه



إلى مسألة مهمة وهي لو أن عيسى عليه السلام كان حياً عندما بعث محمد ﷺ لاتبعه.

وهذا هو الحق بعينه، لأن آيات القرآن الكريم أشارت إلى ذلك بالتصريح - يقول تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الصَّف، الآية:6]

وينتقل القائد إلى قوله: إن إبراهيم كان مسلماً، ويعقوب وإسحق كانا مسلمين، وكذلك إسماعيل والأسباط كلهم كانوا مسلمين. وكل الأنبياء كانت دعوتهم الإسلام، وكان محمدﷺ خاتم هؤلاء الأنبياء).

وفي هذه الفكرة عدة نقاط مهمة، حيث استندت النقطة الأولى، على فهم عميق لآيات القرآن الكريم المؤكدة على أن الأنبياء جميعهم كانوا مسلمين. يقول تعالى:

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ

وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة آل عِمرَان، الآية:68]

كما تثير النقطة الثانية مسألة مهمة وخطيرة، وهي أن الأنبياء - وخاصة الأنبياء الذين بعثهم الله لبني إسرائيل - لم يكونوا يهوداً قطعاً وإنما كانوا مسلمين.

فالأنبياء الذين طبقوا التوراة الصحيحة هم موسى، وداود، وسليمان، وعيسى عليهم السلام، وهؤلاء الأنبياء جميعهم مسلمون. وفي النقطة أن رسول الله محمد ﷺ كان خاتم الأنبياء، فلا نبي بعده وليس بعد رسالته رسالة. فالأنبياء مسلمون جميعاً يرتبطون بسلسلة قوية، روحها النبوة، وتختم هذه السلسلة ببعثة محمد بن عبد الله ﷺ. وحتى الأنبياء الذين جاءوا تباعاً بعد إبراهيم، إسماعيل، إسحق، يعقوب، ويوسف، عليهم السلام، وكذلك الأسباط؛ لم يكونوا يهوداً أو غير ذلك، إنما كانوا مسلمين على ملة إبراهيم عليه السلام، وكل من يدعي أنهم كانوا يهوداً فهو

جاهل بالتاريخ وجاهل بالدين على السواء.

ومن هنا فقد بين القائد أهمية ولادة رسول العالمين ووفاته، وأهمية ختم النبوة، وكذلك أهمية معرفة أن الأنبياء جميعاً مسلمون. وأهمية معرفة أن النبي محمد ﷺ بعث للعالمين وللناس كافة، وأن الإسلام نسخ ما قبله من العقائد، فليس هناك دين للأنبياء جميعاً وللبشر جميعاً سوى هذا الدين: الإسلام.

يسيئون إلى نبيهم وهم لا يشعرون

واستناداً على هذه الأسس انطلق القائد إلى التفصيلات، معرجاً على الحدث الجلل الذي وقع في (الدانمارك) وبعض الدول الغربية. عندما نشرت صور مسيئة للرسول الكريم ﷺ، وكيف كان رد فعل المسلمين عليها.

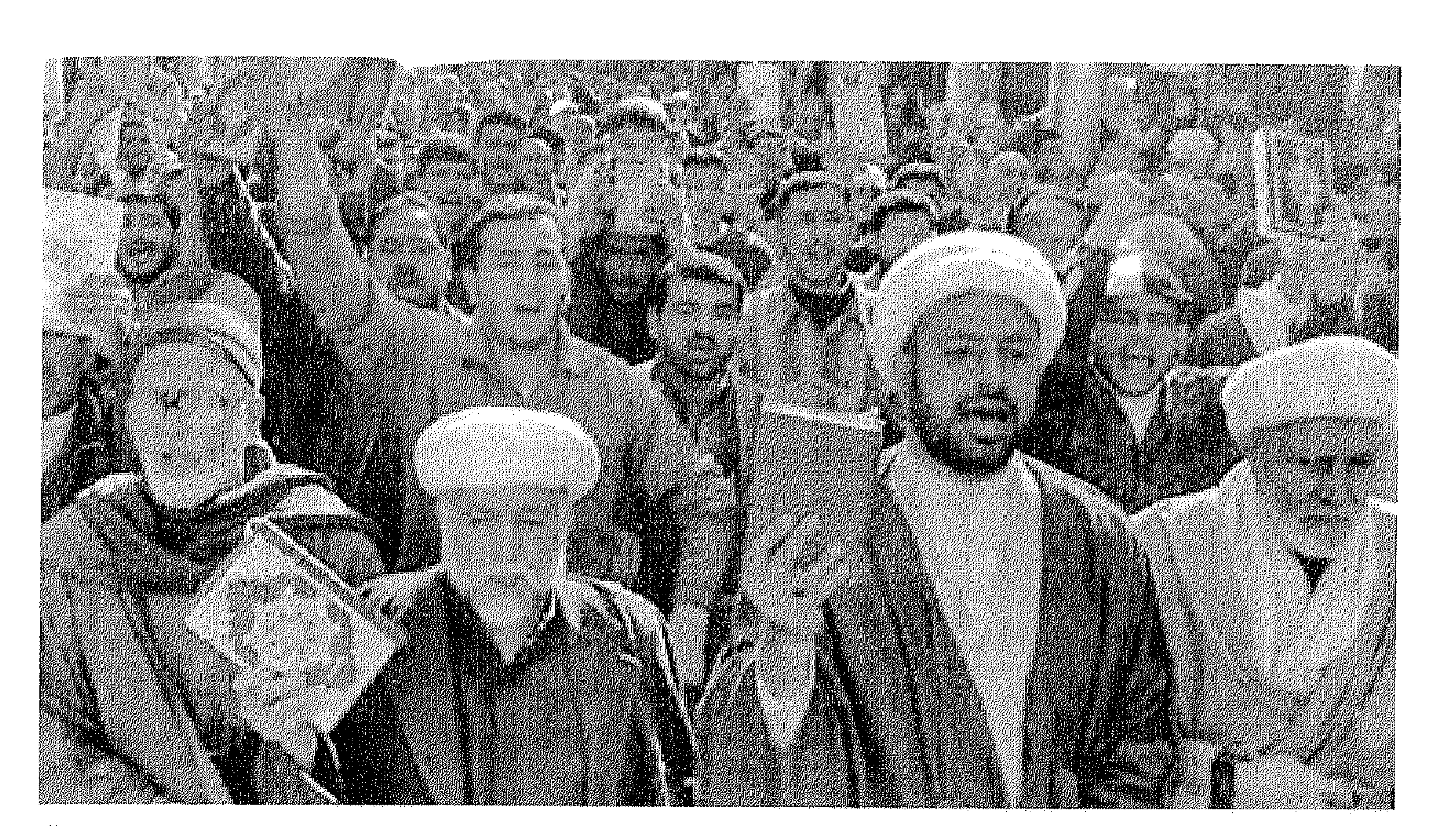
يقول القائد: «سمعنا أن هناك من تهجم على النبي محمدﷺ، غضب المسلمون واعتقدوا أن هذا قدح في نبيهم، لكن القدح في محمدﷺ قدح في نبيهم ذاته، لأن محمداًﷺ نبي البشر الذين في اسكندنافيا وفي أوروبا وفي أميركا وفي آسيا وفي أفريقيا. ولكن لأن المنهج الذي يقرءونه في اسكندنافيا منهج مزور ويدعو إلى الكراهية؛ اعتقدوا أن محمداً ﷺ، ليس نبياً لهم، بينما محمدﷺ موجه لكل البشر». ما يثيره القذافي هنا مسألة جديدة تواجه العقل الغربي وتجعله يعود إلى نفسه ليشكك في كل ما تعلمه عن الدين وهو مشوش ومحرف غير حقيقي. ونعتقد أن هذه المسألة سوف تصدم هذا العقل الغربي. لأن القائد حشرهم في زواية لا يُحسدون عليها. وتركهم ليفكروا في حقيقة خطيرة ومهمة وهي أن محمداً ﷺ هو نبي للعالمين، وهذه هي الحقيقة التي أقرها القرآن الكريم. فإذا كان الجهلة الغربيون يسيئون للرسول محمد ﷺ؛ فإنهم يسيئون إلى نبيهم وهم لا يشعرون، لأن هذا النبيﷺ هو لكل البشر في أوروبا وآسيا وأفريقيا وكل العالم. فمن المفترض أن يحترموا الرسول محمداً ﷺ لأنه يستحق الاحترام كونه نبياً لجميع الأمم، ومن واجب

من نهر النيجر إليها، الترعة التي زرتها اليوم، وإخوانكم الليبيون قرروا أن يعيدوا حفر هذه الترعة لكي توصل المياه من النهر إلى تمبكتو، المياه ستصل إن شاء الله من النهر عبر الترعة التي ردمها الاستعمار، ستصل إلى تمبكتو.

المؤامرة التاريخية القديمة على تمبكتو

هذه هي المؤامرات التاريخية القديمة على تمبكتو، ومن المكن أن تتعرض تمبكتو إلى مؤامرة جديدة، لكن سنراجع خطة المؤامرة القديمة، فهم لكي يستعمروا الصحراء من جديد، من الممكن أن يبعثوا فرق استطلاع جديدة، ويعطوها تسميات إنسانية، ممكن يسمونها فرق السلام وهي متكونة من مجموعات استعمارية جديدة، من ضباط مخابرات وضباط استطلاع، ممكن يسمونها صحفيين بلا حدود، ممكن يسمونها أطباء بلا حدود، ممكن يسمونها أنصار البيئة، يسمونها جماعات التبشير، فرق التبشير، يعطونها أي أسماء عصرية لكي يستعمروا الصحراء الكبرى من جديد، لكن نحن نعلن من تمبكتو التحدي الثاني، تكلمنا عن التحدي الأول، الذي يتعلق بالدين والحج للكعبة والمنهج الذي يحتاج إلى التغيير عندهم، الآن التحدي القومي الاجتماعي للاستعمار.

نقول لهم: إذا كانت عندكم نية بأن تحتلوا الصحراء الكبرى ـ نريد أن ننبههم قبل أن يتورطوا ـ نقول لهم: إن هذه الصحراء صعبة جداً، وإن أهلها أسود، وإن أهلها صقور جارحة وأسود مفترسة،



متظاهرون ضد الرسوم المسيئة

الأمم الاعتزاز بانتمائهم لمنهج النبي محمد ﷺ لأنه النبي الخاتم الذي بشّر به عيسى وبشر به موسى عليهما السلام، وهذا النبي لو فهم الغربيون منزلته ولم يخضعوا للتشويش والتزوير وغسل الأدمغة لاتبعوه واحترموه واعتزوا به، لأنه صاحب المنهج الإلهي الشامل الكامل العالمي الإنساني.

ويؤكد القائد تبعاً لذلك (أن الغربيين خضعوا لمئات السنين من التزوير والتعصب والإبعاد عن حقيقة عالمية الإسلام وعالمية دعوة الرسول محمد ﷺ. وهذا الخضوع الغربي للتزوير والإبعاد أودى بهم إلى الكراهية والتعصب الأعمى، وظنوا أن محمداً ﷺ فقط نبي المسلمين وليس نبي العالمين).

حرية التعبير التي ينادي بها الغرب زوراً وبهتاناً

وينتقل القائد إلى فكرة مهمة تأتي في إطار التوجه للعقل الغربي المتعصب الذي أساء للرسول الكريم ﷺ.

جاء في الخطاب: «وإذا كنا ندعي حرية التعبير فنتوقع أن تظهر صورة عيسى وفوق رأسه قنابل ذرية لأن أتباع عيسى صنعوا القنابل الذرية، وهم رسموا محمداً ﷺ وعلى رأسه قنبلة يد صغيرة يدوية. طبعاً محمد ﷺ بريء من القنبلة، ولكن المقصود أن أتباع محمد ﷺ يستعملون هذه القنبلة، فكذلك عيسى عليه السلام بريء من القنبلة الذرية، ولكن أتباع عيسى عليه السلام هم الذين صنعوا القنبلة الذرية، وتمسكاً بحرية الرأي والنشر فمثلما صُوّرَ محمد ﷺ وعلى رأسه قنبلة يدوية نتوقع أن يصور عيسى عليه السلام وعلى رأسه قنبلة ذرية. رغم أن محمداً ﷺ بريء من القنبلة اليدوية وعيسى عليه السلام بريء من القنبلة الذرية».

ففي هذه الفقرة يبدأ القائد بتناول ما يسمى بحرية الرأي والتعبير التي ينادي بها الغرب زوراً وبهتاناً. فعلى مقياس الغرب في حرية التعبير، يجوز لكل شخص أن يصور السيد المسيح وعلى رأسه قنبلة نووية، بمعنى أنها ترمز إلى المسيحيين في الغرب الذين هم من صنعوا القنابل الذرية الفتاكة، قياساً على ما صوروا به الرسول محمد ﷺ وعلى رأسه قنبلة يدوية.

فإذا كانوا يريدون أن يرمزوا إلى أن محمداً ﷺ إرهابي والمسلمون إرهابيون؛ فإن حرية الرأي تمنح أي شخص حق تصوير المسيح وعلى رأسه قنبلة ذرية

رمزاً للإرهاب الغربي النووي. وهذا الإرهاب أخطر بكثير من إرهاب قنبلة يدوية. فالقنبلة اليدوية قد تقتل بضعة أشخاص، ولكن القنبلة الذرية تقتل الملايين في لحظة واحدة.

لكن الحقيقة تقول إن النبي محمدﷺ بريء مما يدعون وبريء من هذا الإرهاب الملفق، وعيسى عليه السلام بريء أيضاً من الإرهاب النووي الغربي.

ويتابع القائد في نفس الإطار حين يقول: «ومثلما صوروا محمداً ﷺ وحوله نساء محجبات باعتبار المسلمات محجبات نتوقع أن تصور حول عيسى عليه السلام نساء عاريات لأن المسيحيات في الغرب عاريات. النساء في اسكندنافيا عاريات ويدعين أنهن من أتباع عيسى. طبعاً عيسى عليه السلام بريء من النساء العاريات. ولكن حرية النشر التي استندوا عليها، تستلزم أن يرسم عن عيسى عليه السلام وحوله نساء مثلما رسم محمد ﷺ وحوله نساء».

فحرية الرأي كما يزعمون تفتح المجال لأي شخص أن يصور المسيح عليه السلام وحوله نساء غربيات عاريات، لأن المجتمعات الغربية أباحت أن تتعرى النساء. إن المسيح عليه السلام بريء من التعري والعاريات. لكن نساء الغرب اللواتي يدعين اتباعهن للمسيح هن كاذبات، لأن المسيح لم يسمح بالعري بل دعا إلى السترة كما هو الدين الحق، فادعاؤهن باتباع المسيح بهتان وكذب، لأن المسيح بريء منهن.

ونحن المسلمين لا نقبل أي تشويه لا لمحمد ﷺ ولا للمسيح عليه السلام لأنهما نبيان من أنبيائنا، ونحن أولى بالدفاع عنهما وعن رسالتيهما، لكن الغرب الذي يدعي حرية الرأي والتعبيرلا يعرف حدود هذه الحرية، وهو مشوش تجاهها، لأنه لو فهم حقيقة حرية التعبير لما أقدم على تشويه صورة نبي العالمين الذي يخص الغرب كما يخص الشرق، ولكنهم للأسف غافلون متعصبون وحاقدون.

وإن رملها ممكن أن يتحول إلى رمضاء، وحجارتها تتحول إلى جمر، وهواؤها يتحول إلى لهب ونار.

ننبهكم قبل أن تتورطوا في الصحراء، إذا كنتم ستعملون قواعد في الصحراء، إذن ستهينون أهل الصحراء، إذن ستستعمرون الصحراء، إذن ستعبثون بالصحراء، إذن تريدون أن تستغلوا ثروات الصحراء، إذن ستقوضون السلام والاستقرار والأمن في الصحراء؛ فنحن سكان الصحراء سنتحول إلى أُسُود وإلى صقور، وتتحول الصحراء إلى رمضاء وإلى جمر وإلى نار.. وقد أُعذر من أنذر.

نحن سكان الصحراء المجتمعين في تمبكتو، في هذا اليوم العظيم، ذكرى ميلاد ووفاة خاتم النبيين؛ نسالم من يسالمنا ونعادي من يعادينا، والقرآن يقول:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾

[سورة الأنفال، الآية: 61]

إذا أرادوا السلام فنحن أهل سلام، إذا اعتدوا علينا وعلى استقلالنا وعلى صحرائنا فسنتحول إلى قوة رهيبة تشتعل فيها الصحراء كلها من موريتانيا والسنغال إلى العراق وبادية الشام.

نحن سكان الصحراء الكبرى عندنا هوية واحدة، هوية سكان الصحراء الكبرى، نحن عشنا آلاف السنين في هذه الصحراء، وعشنا أحراراً في هذه الصحراء، ونريد أن نكون أحراراً في هذه الصحراء، من السنغال وموريتانيا إلى الهلال الخصيب.

هذه أرضنا، هذا بيتنا الكبير، نحن

أين إنجيل برنابا ؟

بعد هذه الفقرة ينتقل القائد إلى مسألة تعتبر من أخطر المسائل التي يجب أن يصدم بها الفكر اللاهوتي الغربي وخاصة المؤسسات الدينية، هذه المسألة تتعرض لموثوقية التوراة والإنجيل.

يقول في نص الخطاب: «ما يسمى بالعهد القديم والعهد الجديد ليس بالعهد القديم وليس بالعهد الجديد، لأن هذين العهدين منسوخان وكتبا باليد بعد عيسى، وفي (البايبل) - أي الكتاب المقدس - كلام لا يليق بعيسى ولا بموسى. وإذا أردنا أن نصحح وضع البشرية وأن نعيش في قرية كونية بسبب العولمة يجب أن نبحث عن (البايبل) الصحيح، لأن (البايبل) الموجود الآن مزور. هذا (البايبل) الموجود الآن، ليس فيه ذكر محمد ﷺ، مع أن (البايبل) الذي وضعه ربنا مذكور فيه محمدﷺ مراراً وتكرارا. يجب أن نبحث عن إنجيل برنابا (القديس برنابا) لأن هذا الإنجيل هو الصحيح ومذكور فيه محمدﷺ بالتفصيل. وأنه سيأتي بعد عيسى، وأنه سينسخ دين عيسى، وأن محمداً ﷺ سيرسله الله نبياً للناس كافة).

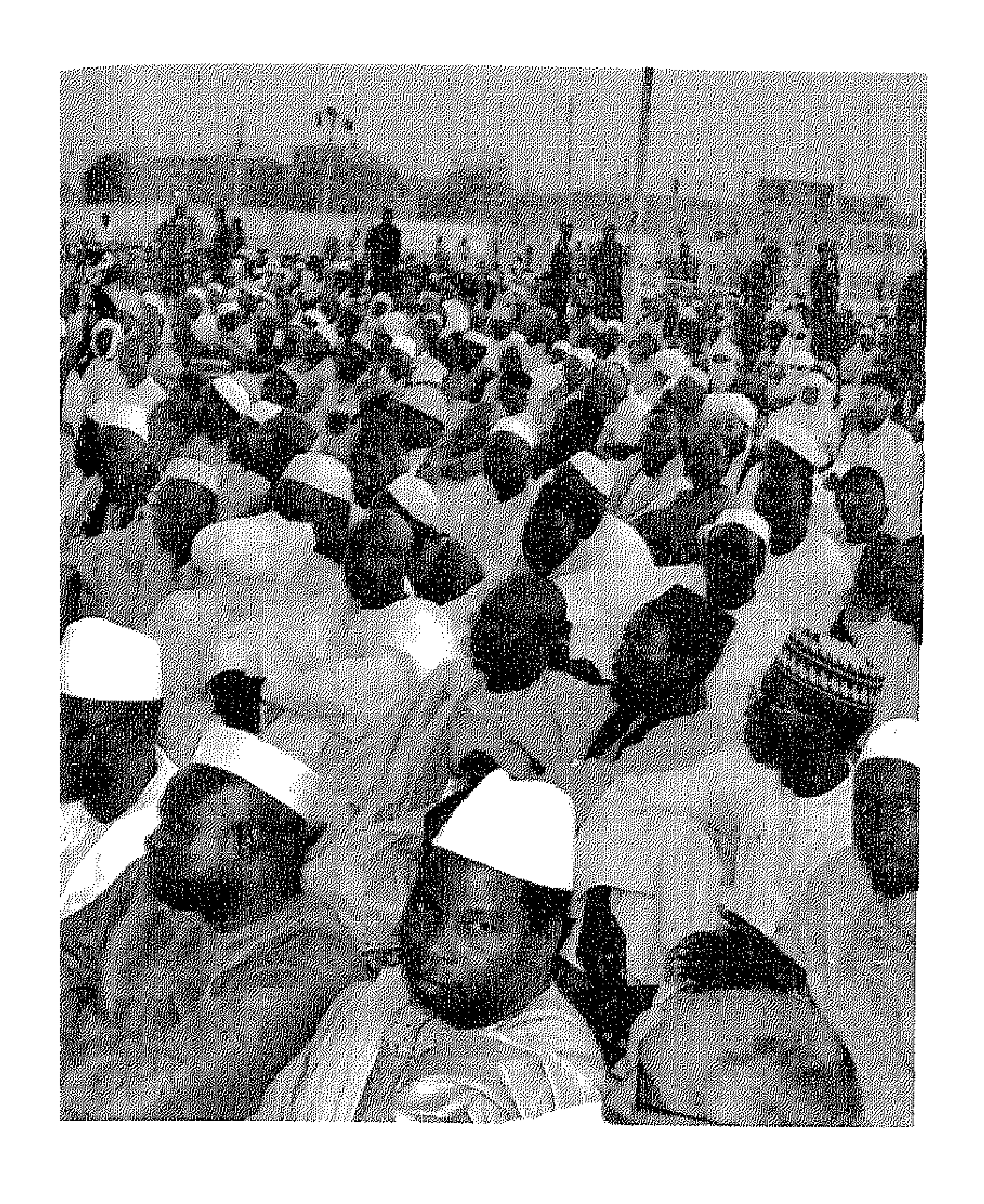
النبي عيسى يقول في (البايبل) الصحيح، وليس في (البايبل) المزور الموجود الآن.. هذا كلام الله:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾ [سورة الصف، الآية:6]

يخاطب بني إسرائيل، يعني أن عيسى عليه السلام موجه لبني إسرائيل فقط، ليس موجهاً لأي أمة أخرى. وأوروبا ليست معنية وأميركا ليست معنية وإفريقيا ليست معنية بدين عيسى، قال لهم:

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [سورة المائدة، الآية:46]

يعني إلى بني إسرائيل. عيسى لم يأت بالتوراة لكنه يتكلم عن كتاب موسى. معناها أتباع موسى يجب أن يتركوا شريعة موسى ويتبعوا عيسى بعد ما جاء عيسى، وأتباع عيسى يجب أن يتركوا دين عيسى ويتبعوا دين محمد عليه الصلاة والسلام بعد عيسى



عليه السلام، فإذا ناقشنا مجمل الأفكار التي جاءت في هذه الفقرة الطويلة ؛ نرى أن القائد يدخل أعماق الفلسفة الدينية.

فالتوراة والإنجيل المعتمدان لدى اليهود والمسيحيين مزوران محرفان، وهذه حقيقة، وجميع الدراسات التاريخية والدينية تشير إلى التزوير والتأليف، وقد نقد هذين الكتابين معظم الباحثين والفلاسفة الغربيين والشرقيين وعلى رأسهم الفيلسوف اليهودي (سبينوزا)، والكثيرون من الاختصاصيين الذين تناولوا ما يسمى «الكتاب المقدس» توصلوا إلى نتائج مفادها أن الكتابين مزوران ومحرفان، وقد ثبت من خلال تحليل نصوص هذين الكتابين أن المؤلفين وضعوا كلاماً فيهما لا يليق لا بعيسى ولا بموسى ولا بالأنبياء الآخرين.

فقد ذكروا في كتاب التوراة، في سفر التكوين، أن لوطاً عليه السلام زنى بابنتيه وأنجب منهما بعدما أسكرتاه وذهبتا بعقله، وفي التوراة كتبوا عن داوود (عليه السلام) أنه زنى بامرأة بعد أن قتل زوجها، وهو

قائد عسكري اسمه أوريا. ولم يتركوا نبياً إلا وشوهوه وألصقوا به التهم.

فهل يعقل أن يكون هذا كلام الله ؟ وهل يليق بالله أن يقول عن أنبيائه إنهم زناة منحرفون؟ الحقيقة أن التوراة والإنجيل زورا وحرفا، فلذلك ليسا هما بالتوراة الصحيحة ولا بالإنجيل الصحيح.

ويشير القائد إلى مسألة مهمة، وهي: أن مقياس صدق الكتب التي سبقت الإسلام هو الإشارة الواضحة لمحمد ﷺ. ويشير إلى إنجيل برنابا الذي ينفرد عن الأناجيل بالحديث صراحة عن مجيء النبي محمد ﷺ. واستكمالاً للفكرة، نرى من الأفضل، أن نعرف بشكل مختصر بالقديس برنابا وبإنجيله، فبرنابا هو أحد تلاميذ المسيح عليه السلام، ويعترف بذلك المسيحيون وحتى أناجيلهم، وبرنابا هو الوحيد الذي كان يطلب منه المسيح عليه السلام أن يدون ما يسمعه منه، وبرنابا أيضاً كان ملاصقاً للسيد المسيح وصاحباً له ومخلصاً.

أما إنجيله فهو الذي يشير عشرات المرات إلى رسول الله محمد ﷺ وهذه بعض الفقرات منه:

«أجاب يسوع إن الآيات التي ينقلها الله على يدي تظهر أني أتكلم بما يريد الله ولست أحب نفسي نظير الذي تقولون عنه لأني ليست أهلاً أن أحل رباطات جرموق أو سير حذاء رسول الله الذي تسمونه مسيّا. الذي خلق قبلي وسيأتي بعدي وسيأتي بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية»، إنجيل برنابا ص65.

«ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم، صدقوني إني رأيته وقدمت له الإحترام كما رآه كل نبي لأن الله يعطيهم روحه نبوة ولما رأيته امتلأت عزاء قائلاً يا محمد ليكن الله معك وليجعلني أهلاً أن أحل سير حذائك». برنابا: ص69.

«ولكن سيأتي بعدي مسيّا المرسل من الله لكل العالم الذي لأجله خلق الله العالم، حينئذ يُسجد لله في كل العالم وتُنال الرحمة» برنابا : 83

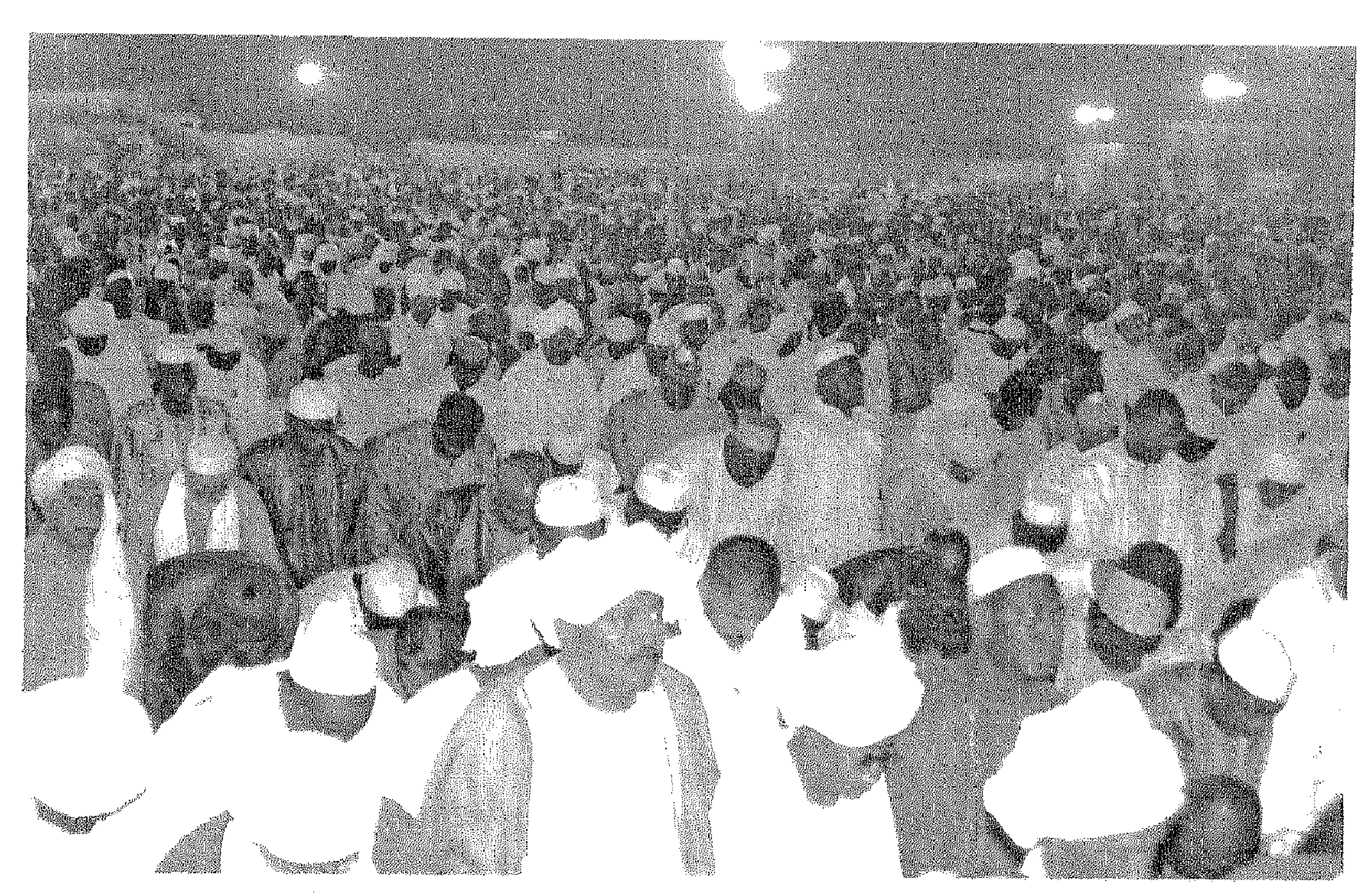
«إن إسم مسيّا عجيب لأن الله نفسه سماه لما خلق

أسرة واحدة، الأسرة تتكون من عدة أفراد وكل فرد من أفراد الأسرة عنده اسم: واحد اسمه الطوارق، وواحد اسمه البرابيش، وواحد اسمه السنغالي، وواحد اسمه الفولاني، بمباره، تبو، أولاد علي، قبائل السودان، قبائل تشاد، قبائل النيجر، قبائل صحراء النيل الشرقية والغربية، قبائل سيناء، قبائل الأردن وبادية الشام، قبائل الجزيرة العربية، قبائل العراق والهلال الخصيب؛ هذه أسماء لأفراد الأسرة الواحدة، هذه الأسرة هي سكان الصحراء الكبرى.

ونحن سننجد بعضنا البعض، وسوف ندافع عن بعضنا، ولن نتخلى عن بعضنا، ولن نحمل السلاح ضد بعضنا. نحن نتصافح ونتعانق ونتعاون في الحرب، ونعمر صحراءنا ونعيش في سلام وأمان واستقرار، هذه هي الأسرة الكبيرة الواحدة، سكان الصحراء، نحمل السلاح في حالة واحدة ضد العدوان الخارجي، سنموت من أجل الصحراء ونرويها بالدم ولن نفرط في حبة رمل منها.

وقبائل الصحراء من الهلال الخصيب إلى نهر السنغال؛ هذه القبائل دمها محرم على بعضها، لن نحمل السلاح ضد بعضنا، نحن نعيش أسرة واحدة نحمي الصحراء.

هذه الصحراء يطمع فيها الطامعون في كل عصر، ولابد أن نتحد ونكون رابطة اجتماعية واحدة لقبائل الصحراء الكبرى، وسنعمل ميثاقاً نوقع عليه جميعاً (ميثاق تمبكتو). معنا الآن ملوك



نفسه ووضعها في بهاء سماوي قال له: اصبر يا محمد لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم... إن إسمك المبارك محمد. حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين يا الله أرسل لنا رسولك، يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم» برنابا: 98.

فهذا هو إنجيل برنابا الذي لا يؤله المسيح ويبشر بالنبي محمد ﷺ منقذاً للبشرية كلها ورحمة للعالمين.

وينبه القائد إلى مسألة موجهة للغرب المسيحي، وهي أن عيسى بُعث لبني إسرائيل بنص الأناجيل والقرآن ولم يرسل إلى أوروبا أو آسيا أو أفريقيا، بينما بُعث محمد ﷺ للناس كافة.

وفي فكرة أخرى، يرى أن على أتباع موسى أن يتركوا عقيدتهم السابقة وأن يلحقوا بعيسى وعقيدته لحين مجيء رسول الله محمد ﷺ، عندها يجب على أتباع عيسى أن يتركوا عقيدتهم السابقة ويتبعوا النبي محمداً ﷺ.

يقول تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة الأعراف، الآية: 157]

ويؤكد القائد في سياق حديثه، أن الكتبة الذين كتبوا التوراة والإنجيل خلافاً للإنجيل الصحيح شطبوا كل ما يشير إلى نبوة محمد ﷺ، وقد أخبرنا الله سبحانه أنهم حرفوا في هذين الكتابين تحريفاً كبيرا. ويخلص بنتيجة أن التوراة والإنجيل ليسا مقدسين لأن الإنجيل المزور لم ينزل على عيسى.

لجان لتصحيح الأخطاء في مناهج الغرب

ويجب أن تشكل لجان بيننا وبينهم حتى نعيد النظر في المنهج الغربي وفي الإنجيل نفسه. وفي الفقرة اللاحقة، يطرح القذافي مسألة في غاية الحساسية، وهي مسألة معاصرة، بدأت تعاني منها بعض الدول العربية، وهي مسألة تغيير المناهج في المدارس الإسلامية.

لقد فرضت الولايات المتحدة الأميركية على بعض الدول العربية تغيير مناهجها التربوية، وقد استجابت بعض الدول، فحذفت آيات الجهاد، وبعضها حذف الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل، وهذا مؤسف ومخجل.

لكن القائد تنبه لمسألة حساسة وهي أنه إذا كان الغرب يريد تغيير مناهج العرب والمسلمين فعليه أن يعيد النظر في مناهجه، يجب أن تشكل لجان أميركية إسلامية لإعادة النظر في المنهج الأمريكي والأوروبي.

نحن المسلمين لم نحذف ما جاء عن موسى وعن عيسى وعن مريم عليه السلام في قرآننا، لقد ذكر موسى في القرآن 136 مرة، وذكرت مريم 33 مرة، وذكر عيسى 25 مرة، ونحن لا نستطيع أن نشطبه لأنه كلام الله، وإذا حاولنا نصبح كفارا، وهذا مستحيل.

«وكل هذا اعتراف بنبوة الأنبياء وتقديس لهم، وعليه فلماذا هم حذفوا كل ما يشير إلى محمد ﷺ من إنجيلهم. إن الإنجيل الذي شطب منه ذكر النبي محمد ﷺ محرف ومزور، والقرآن وحده هو الصحيح، والإنجيل الذي ينكر أن محمداً ﷺ مبعوث للعالمين هو إنجيل مزور، وكذلك التوراة مزورة، لأنهما ينكران رسالة محمد ﷺ التي جاءت للعالمين».

ويؤكد القائد للمسلمين وللعالم، أنه على الرغم من كل هذا التزوير والتحريف فإن الإسلام سيعم الكون وسينتشر في المعمورة لأن الله سبحانه بشر بذلك.

جاء في الخطاب: (لكن لا تنزعجوا لأن الله قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾

[سورة التوبة، الآية: 33]

وكررها في سورتين في القرآن - ليظهره على الدين كله - لا تنزعجوا دين محمد ﷺ سينتصر على كل الأديان كرهوا أم أحبوا لأن الله قال هكذا).

ففي هذه الفكرة تطمين للمسلمين جميعاً، لأن الله سبحانه، هو الذي أقر ذلك ولا مبدل لكلمات الله، سينتصر دين الإسلام وإن كره المشركون والمنافقون، لأن هذا الدين هو الدين الذي لم يحرف قرآنه، فهو الدين الشامل الكامل الذي تحتاجه البشرية كلها.

وسلاطين وشيوخ وعمداء كل قبائل الصحراء الكبرى، ومعنا قادة دول إسلامية، ومعنا منظمات وأحزاب وجمعيات ومؤسسات إسلامية من جميع أنحاء العالم، ومعنا أخونا لويس فركان زعيم أمة الإسلام في أمريكا.

❖❖❖

ميثاق الرابطة الشعبية الاجتماعية لقبائل الصحراء الكبرى

إن تجمع قبائل الصحراء الكبرى، من السنغال وموريتانيا غربًا، إلى العراق شرقا، مروراً بشمال إفريقيا ووادي النيل، وبادية الشام والجزيرة العربية والقرن الإفريقي والسودان وتشاد والنيجر، التي وطنها التاريخي وبيتها الكبير «الصحراء الكبرى» تعي أن ليس لها وطن آخر، غير هذه الصحراء الكبرى، وتدرك أن هذه الصحراء كانت وما زالت هدفا للقوى الخارجية، طمعا في ثرواتها وموقعها العالمي في وسط العالم، وجسراً لعبورها للاستعمار أو التجارة أو السياحة، وتعي أن أي انتصار لهذه القوى الأجنبية على أي جزء من الصحراء، يهدد بقية أجزاء الصحراء الأخرى وساكنيها.

هوية واحدة وتاريخ وواقع ومصير ومستقبل مشترك

ولذلك تعي أن أمن الصحراء لا يتجزأ، وأن هذه القبائل التي تملك هذه الصحراء، هي أمة صحراوية واحدة، ذات تاريخ مشترك، وواقع مشترك



ويؤكد القائد أن هذا الدين لا يحتاج لا لسيف ولا لقنبلة حتى ينتشر. ويقول: «عندنا الآن خمسين مليون مسلم في أوروبا، وهناك علامات أخرى تدل على أن الإسلام سيظهره الله في أوروبا دون سيف، دون بندقية، الخمسين مليون مسلم في أوروبا بعد عشرات السنين سيحولون أوروبا إلى قارة مسلمة، الله سخر أمة مسلمة وهي الأمة التركية لتدخل في الاتحاد الأوروبي، وهذه خمسون مليون مسلم، سيكونون مئة مليون مسلم في أوروبا).

(ألبانيا دخلت الإتحاد الأوروبي وهي دولة مسلمة، البوسنة دخلت الإتحاد الأوروبي وهي دولة مسلمة، لدينا إحصائية تبين أن عدد المساجد بالآلاف في أوروبا، لدينا الآن آلاف المنظمات الإسلامية والجمعيات الإسلامية في أوروبا، أوروبا الآن في ورطة، وكذلك أمريكا، إما أن تقبل بأنها تصبح مسلمة بمرور الزمن أو تعلن الحرب على المسلمين).

وفي ذلك يعلن القائد حقيقة لابد من الأخذ بها، وهي أن أوروبا مقبلة على الإسلام، وأن المعطيات لذلك كثيرة، منها أن الأوروبيين المسيحيين يدخلون في الإسلام عن قناعة، وأصبحوا بالملايين، وأن الله سبحانه أراد أن يكون الأتراك والبوسنيون والألبان ضمن مجموعة الاتحاد الأوروبي لينتشر الإسلام بسرعة.

وانتشار الإسلام ليس حرباً ولا قتالاً، فالإسلام دين الحق، والعقل البشري اليوم يميل إلى كشف الحقيقة وتبنيها، ولذلك سيكون الإسلام دين الله الذي يعم الكون والبشرية، ومهما حاولوا إيقاف زحف مسيرة الدين الإسلامي فلن يستطيعوا، لأن أمر انتشاره منوط بإرادة الله سبحانه الذي يريد أن يعم الدين ويدخل فيه البشر عن قناعة ورضا.

ونجد أن معمر القذافي، طرح بشكل واضح علاقة الحج بالناس جميعهم، وهذه الفكرة ترتبط بما قبلها من أفكار، فالحج أحد أركان الإسلام، وهو في نفس الوقت دعوة لكل الناس كي يسيروا على منهج واحد هو منهج الإسلام الذي جاءت به الرسالة الخاتمة، حيث يقول : «ما دام محمدﷺ هو نبي لكل الناس حسبما جاء في القرآن الكريم؛ إذن كل الناس مدعوون إلى تلبية النداء، نداء إبراهيم وهو نداء محمد عليهما الصلاة والسلام:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [سورة الحج، الآية: 27]

قال له : أدع كل الناس أن يأتوا للحج في مكة ليس العرب فقط. ليس المسلمين فقط.. لماذا ؟ لأن محمداً ﷺ نبي لكل الناس، ولأن مكة هي أول بيت وضع للناس لعبادة الله فوق الأرض».

الله يقول في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 96]

يعني للعالمين، ليس العرب فقط، ليس المسلمين فقط، للعالمين كل العالم. وهذا أول بيت وضع فوق الأرض لعبادة الله، وضع لكل الناس

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾

[سورة آل عمران، الآية: 97]

لم يقل للعرب أو المسلمين، قال: للناس، كل الناس).

ويقول: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة، الآية: 125]

يعني مثابة ملتقى لكل الناس، كل الناس من حقها أن تحج إلى مكة، وتطوف بالكعبة، وتسعى بين الصفا والمروة، وتقف على جبل عرفات، وترجم تمثال الشيطان في العقبة بالجمرات.

كل الناس مدعوة للطواف حول الكعبة، ليس العرب أو المسلمون فقط، لأن هذا البيت بيت الله.. لكل الناس، كل الناس مدعوة للوقوف بجبل عرفات، ليس العرب أو المسلمون فقط، كل الناس مدعوة لرجم تمثال الشيطان بالجمرات.

الموجود الآن خطأ من جانبنا، من الذي يمنع الناس من أن يحجوا إلى بيت الله؟ ما هو السبب؟ لماذا لا يأتي اليهود والنصارى، ليطوفوا حول الكعبة، وهم مدعوون لأن يتركوا اليهودية والنصرانية، ويلبوا نداء محمد ﷺ ؟، الله قال له يا محمد أدع الناس ليطوفوا حول الكعبة، قال له هذا حقي على الناس، أن يأتوا ويطوفوا حول البيت العتيق، وما عندنا مبرر في أن نمنعهم.

ومصير مشترك ومستقبل مشترك وأن حريتها وأمنها لا يتجزآن، وأن التفريط في حريتها واستقلالها وأمنها يلحق الضرر الشديد بهذه القبائل التي تسكنها وبجيرانها.

مرجعية اجتماعية

إن قبائل الصحراء الكبرى إذ تستلهم دروس وعبر تاريخها القديم والحديث، وما اكتسبته من رصيد تاريخي كبير، من خبرة الحياة ومغالبة الزمن ووعياً بمطامع القوى الخارجية في هذه الصحراء ووعياً بالأساليب والطرق والتبريرات الإستعمارية، التي أدت في الماضي وتؤدي في المستقبل، إلى تعريض حياة سكان الصحراء للخطر، تقرر - في هذا اليوم التاريخي المبارك العظيم، يوم مولد خاتم النبيين وإمام المرسلين رسول الله ﷺ، محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب، الذي أرسله الله للناس كافة، وفي مدينة تمبكتو التاريخية التي استوعبت حضارة وعظمة قيم الصحراء الكبرى عبر العصور، وجسدت إرادتها في الوحدة والتعاون والعيش المشترك - تكوين وتشكيل قيادة شعبية اجتماعية لقبائل الصحراء الكبرى انطلاقا من رباطها الاجتماعي غير المصطنع، وبعيداً عن السياسة والدبلوماسية والنظام الرسمي لأي دولة، لتكون هذه القيادة مرجعية اجتماعية، ومظلة اجتماعية، وضمانة لاتحاد قبائل الصحراء، على المستوى الاجتماعي، وترسيخاً وتأكيداً على أن

في هذه الفكرة الموسعة يطرح القائد مسألة هي في صلب المسائل المعاصرة التي لم تجد لها حلاً عبر ألف سنة مضت، فالقرآن الكريم يؤكد أن الدعوة للحج عندما أمر النبي إبراهيم (عليه السلام) بها هي دعوة لكل الناس، إذ يقول تعالى:

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [سورة الحج، الآية:27]

لم يخص العرب والمسلمين، فهذه دعوة مستمرة إلى يومنا هذا، لكافة الناس أن يؤدوا فريضة الحج.

وطالما أن دعوة محمد ﷺ دعوة إنسانية؛ فعلى جميع البشر أن يلبوا دعوته ويتركوا عقائدهم المنسوخة البائدة. فكما هو محمد ﷺ نبي للعالمين، فإن الحج دعوة للعالمين أيضا، لأن هذا النبي الإنساني العالمي كُتب عليه الحج فرضاً مثل: الصلاة والزكاة، ومن المفترض أن يلبي الناس كافة دعوته لأنه نبي العالمين، ولا يستطيع اليوم أي مسلم أن يمنع أحداً يريد تأدية فريضة الحج من الوصول إلى مكة وعرفات والصفا والمروة. إن الذي يرغب بالحج ويقتنع به فإن ذلك يحتم اقتناعه بالإسلام ديناً وحيداً يجب السير في طريقه وعلى منهجه.

الإسلام دين الحق، والعقل البشري اليوم يميل الى كشف الحقيقة وتبنيها، ولذلك سيكون الإسلام دين الله الذي يعم الكون والبشرية.

الإسلام هو الأصل في الرسالات السماوية

ولو كان اليهود أو النصارى يؤمنون حقاً بدين موسى ودين عيسى لجاءوا إلى الحج، لأن الأنبياء جميعاً مسلمون ويجب اتباعهم واتباع خاتمهم محمد ﷺ، ولكن اليهود والنصارى يخالفون موسى وعيسى وإبراهيم وإسماعيل (عليهم السلام)، وينكرون أن الأنبياء مسلمون جميعهم.

ويتابع القائد خطابه قائلاً: «إذا جاءك الرئيس الفرنسي أو الأميركي أو الإيطالي، وقال: أنا لبيت النداء وسأطوف حول الكعبة ماذا سنقول له ؟. ليس عندنا حجة، عندنا آية واحدة في القرآن الكريم إذا انطبقت عليهم إذن لا يحجون، ما هي هذه الآية ؟ انتبهوا جيداً لهذه الآية : الآية الوحيدة في القرآن الكريم التي تمنع من تنطبق عليه من أن يقترب من البيت الحرام تقول:

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [سورة التوبة، الآية:28]

هل نقول لهم أنتم نجس ومشركون؟ نتحداهم إذا جاء الرئيس الأميركي ليحج أن يقولوا له أنت نجس ومشرك ؟».

«يرد علينا: أنا لست مشركاً وأنا لست نجساً، كيف تتهمونني هذه الإتهامات الخطيرة؟ إذا كنت نجساً لماذا تصافحونني وتأكلون وتشربون معي؟. وكيف تصادقوني وتحالفوني وتصاحبوني؟ إذا كنت نجساً لا تصافحوني ولا تلمسوني، يقول لهم أنا لست نجساً وغير مشرك».

وفي هذه الفكرة دعوة لأبناء العالم كافة كي يدخلوا في الإسلام، ونحن المسلمين متسامحون ومدركون لروح الإسلام، فلسنا نمنع أحداً من الحج إذا كان مؤمناً به كفريضة على الناس.

لكن الأخطر في هذه الفكرة أن أناساً يتصادقون مع أميركا وبريطانيا، يأكلون مع زعمائهم ويصادقونهم، بل ويتحالفون معهم، فكيف يمكن أن يمنعوهم من الحج ؟. وعندما يقولون إنهم نجس ومشركون فمن المفترض ألا يجالسوا النجس أو يصافحوه وألا يتعاملوا معه حتى يتطهر، ولا يكون طاهراً إلا بالإسلام، لكن هناك ازدواجية في المعايير، فمن جانب يتذرعون بالآية، ومن جانب يتحالفون مع هؤلاء الغربيين.

ويرى القائد أن هناك إشكالية، تكمن في قول البعض إن أهل الكتاب ليسوا مشركين وليسوا نجسين وليس حراماً التعامل معهم، إذاً فليدخلوا المسجد الحرام ولا يمنعون من هذا الحج وهذا الدخول.

ويلمح القائد، إلى أساليب الغربيين الذين يدعون أنهم مؤمنون حين يقول عنهم «يخرج الدولار الذي يتعامل به العرب وغير العرب وهذا الدولار مكتوب عليه حسب الترجمة:« نثق بالله».

إذاً المسيحيون واليهود يقولون عن أنفسهم إنهم ليسوا مشركين وليسوا نجسين، ولو كانوا كذلك لآمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ولآمنوا بالحج وبالإسلام.

الإسلام قدر البشرية

بعد هذه الأفكار التي تجتاح عمق الفكر الغربي، وخاصة الفكر اللاهوتي، وتصدمه وتحرجه، وتضعه على مفترق الطرق، في الاختيار بين الإسلام والبقاء على الكفر؛ ينتقل القائد إلى مسائل أخرى. يقول: «تحدٍ جديد ينطلق في هذا اليوم العظيم من تمبكتو، العالم اليوم يعيد النظر في معطيات، مسلّم بها بعد يوم تمبكتو هذا. الإسلام قدر البشرية، دين البشرية، هذه كلمة الله، هذه إرادة الله، الله أكبر، هذا تحدٍ وزلزال جديد يسمعه العالم من تمبكتو»، متساءلاً: لماذا تم الإعلان من تمبكتو من دون العالم الإسلامي كله، عن هذا التحدي؟ مبينا أن هذه القرية، أو هذه الواحة التاريخية، من الناحية الدينية ومن الناحية الإجتماعية، وهي المكان الذي شع منه نور الإسلام على القارة الأفريقية، وامتد في جميع العالم الإسلامي، والذي يعني مجداً عظيماً وشرفاً لأهل تمبكتو..

ومن هنا فإن زيارة القائد مدينة تمبكتو وحديثه عنها يعيد النظر كثيراً في هذه المدينة ودورها في نشر الإسلام، ويكشف محاولات الاستعمار تزويرَ هذه الحقائق، فهذه المدينة كانت منارة الإسلام، وما تزال المخطوطات الإسلامية تحتضنها هذه المدينة تحتضن المخطوطات على الرغم من كل المحاولات لسرقتها وتشويهها.

وعندما يقول القائد: «اخترنا هذا التحدي من تمبكتو»؛ فإنه يدرك ما يقول، ويعني ما يقول، لأن الناس عرفوا دور بغداد ودمشق وطرابلس والقاهرة، ولم ينتبهوا إلى دور هذه المدينة في نشر الإسلام في كل ربوع إفريقيا، حيث إن كثيراً من المسلمين لا يعرفون شيئاً عن هذه المدينة، مع أنها لا تقل عن عواصم الخلافة أيام الأمويين والعباسيين وغيرهم. وكم عانت

قبائل الصحراء جسد اجتماعي واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

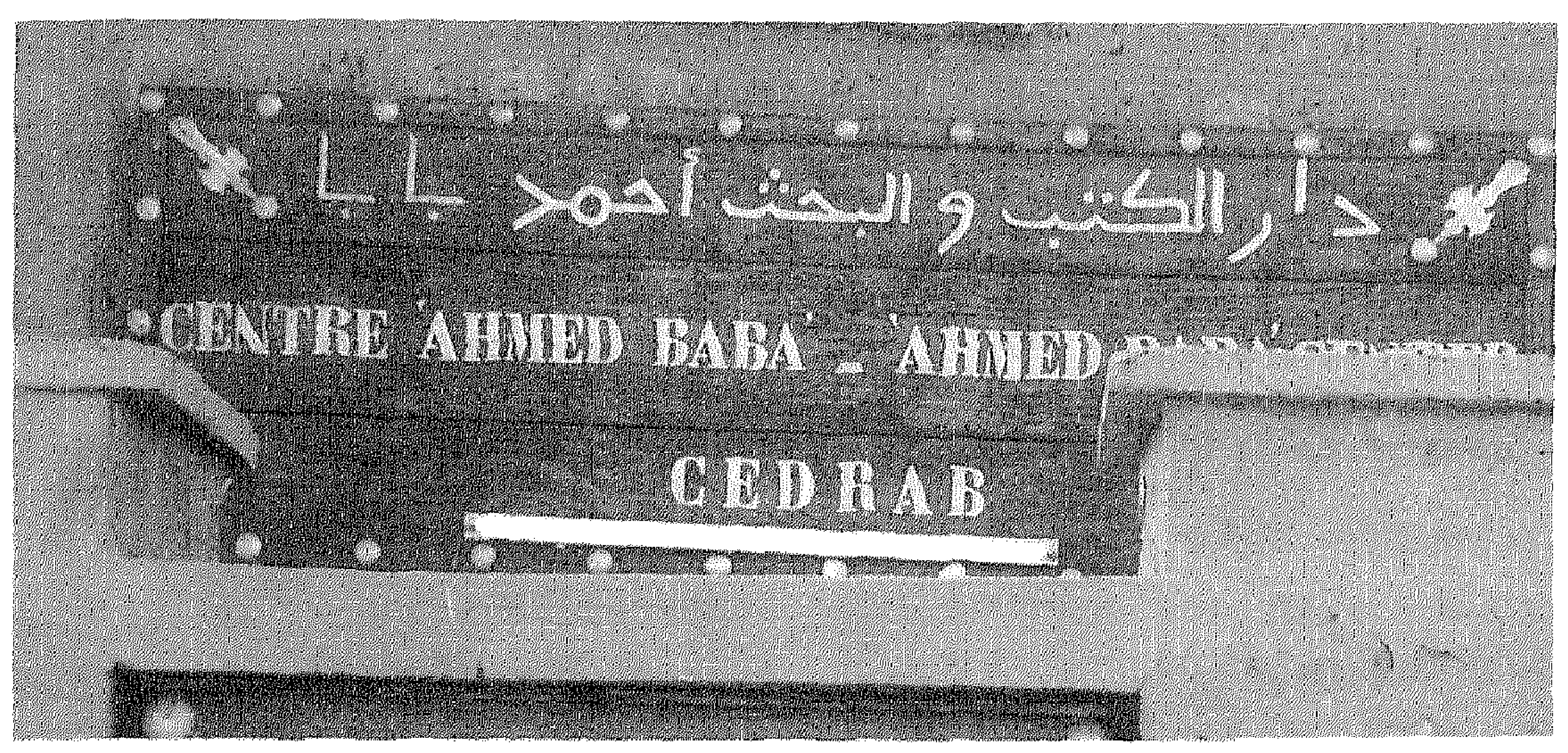
وتؤكد في هذا اليوم العظيم على أن أمن واستقلال واستقرار الصحراء دونه الموت الزؤام.

وتعلن أنها لن تفرط في حبة رمل من رمال صحرائها الكبرى، وأنه لا حياة بدون حرية قبائل الصحراء الكبرى، وأن حرية الصحراء وأهلها لاتتجزأ.

ونعلن أننا نعادي من يعادينا ونسالم من يسالمنا، وأن أي محاولة جديدة من أي جهة كانت، لتهديد أمن واستقرار واستقلال وحرية الصحراء وأهلها، ستتصدى لها قبائل الصحراء الكبرى كلها، وستتحول رمالها الى رمضاء وحجارتها إلى جمر وهواؤها إلى نار لكل من تسول له نفسه استعمار الصحراء أو اختراق أمنها أو النيل من حريتها أو المس باستقلالها وتهديد استقرارها.

التزام بالسلام والإستقرار

ونؤكد على أهمية المحافظة على عاداتنا وتقاليدنا وأعرافنا، وثقافتنا الصحراوية العريقة، والحفاظ على روابط وعلاقات وأنماط الحياة الصحراوية وتقاليدها، بكل ما تحمله من أصالة وتنوع وخصوصية، في مواجهة كل المخططات والهجمات التي تستهدف احتقارها وتشويهها، ومسخها وتخريبها وفرض وتعميم عادات وتقاليد وأعراف وثقافة المستعمر الوافدة مكانها.



مكتبة دار الكتب في تومبكتو

هذه المدينة من الويلات والاستعمار حتى يمحى ذكرها، وتطمس معالمها، ويلغى دورها الحقيقي، الذي قامت به على مر التاريخ، فهي مدينة العلماء والمؤرخين المسلمين، وما تزال آثارهم باقية شاهدة على جهودهم.

«والذين يكرهون كتاب الله سمعوا بأنه توجد منارة في الصحراء الكبرى إسمها تمبكتو قرروا أن يطفئوا هذا النور، ذهبوا يبحثون عن تمبكتو أين هي؟، أوروبا كلها تبحث عن تمبكتو، ولكن لم يحددوا مكانها، لأنه لا توجد خارطة في ذلك الوقت، احتلوا تونس والجزائر والسنغال وتشاد، وبعثوا دوريات الاستطلاع في الصحراء الكبرى، بعثة جاءت مع نهر النيجر حتى وصلوا هنا إلى تمبكتو».

وأشار القائد إلى وسائل الاستعمار لاحتلال تمبكتو، فبعثوا البعثات، واستطلعوا الجغرافيا والقبائل المسلمة هناك، حتى وجدوا أن هذه القبائل مسالمة وادعة فزحفوا من كل الاتجاهات إلى تمبكتو، احتلوها وصبوا حقدهم على المسلمين فيها، ودمروها، وأخذوا الكتب وألقوها في نهر النيجر، تماماً مثل فعل المغول والتتار في بغداد، وردموا الترعة الواصلة بين نهر النيجر والمدينة حتى يموت الناس عطشاً.

وقد بشر القائد أهل تمبكتو، بأن الترعة التي هدمها الاستعمار وردمها سيقوم الإخوة في ليبيا بإعادة فتحها حتى يسعد الناس بالمياه ويبدءون حياة جديدة أراد الاستعمار ألا تكون.

وقد حذر من أساليب الاستعمار المعاصرة، فقد يفكر الاستعمار بالعودة إلى تمبكتو بأسلوب جديد، وتحت شعارات إنسانية خادعة، وحتى لا ينخدع الشعب المسلم بهم فقد أوضح القائد أنهم قد يأتون تحت اسم فرق السلام، أو صحفيين بلا حدود، أو أطباء بلا حدود، أو ما شابه ذلك من تسميات، لكن على تمبكتو وشعبها أن يتحديا هؤلاء المستعمرين.

وأشار إلى أن التحدي الديني الذي تحدث عنه في تناوله قضايا الدين والكتب السماوية والنبوات والحج وغير ذلك؛ ليس وحده، فهناك التحدي القومي الاجتماعي، فإذا كان الاستعمار يفكر باستعمار تمبكتو من جديد، فإننا نقول له إن تمبكتو عصية عليهم، لأن أهلها أسود ضارية، وطيور جارحة، وأن رملها يتحول إلى جهنم، وحجارتها تتحول إلى جمر، وهواءها يتحول إلى لهب ونار.

ويشير القائد ـ منبهاً كل قوى الاستعمار ـ إلى أن الصحراء وتمبكتو عصيتان على الاستعمار، ولن يسمح شعب الصحراء المسلم لأي مستعمر أن يدنس أرض الإسلام في تمبكتو. ثم إن القائد أوضح أن الأمة

المسلمة تسالم من يسالمها وتعادي من يعاديها، فإذا أحبوا السلام فنحن أهل السلام، وإذا حاولوا الاعتداء على استقلالنا سنتحول إلى قوة تشتعل فيها الصحراء من موريتانيا والسنغال وإلى العراق وبادية الشام.

موطننا العربي والإفريقي هو بيت لأسرتنا الواحدة

ويؤكد القائد مرة أخرى أن أرض الأمة واحدة، وأن هويتها واحدة، فنحن أحرار، ونريد أن نكون أحراراً في هذه البلاد الواسعة، في السنغال وموريتانيا والهلال الخصيب، الذي يعني سوريا وفلسطين والأردن ولبنان والعراق وغيرها.

ويؤكد القائد على قضية هامة يجب أن يتنبه لها كل العرب والمسلمين، وهي أن موطننا العربي والإفريقي المسلم هو بيت واحد وأسرة واحدة، فكل القبائل من طوارق وبرابيش وقبائل تشاد والنيجر والسنغاي والفولاني ويمبارة وتبو وأولاد علي وقبائل السودان والأردن وبادية الشام والجزيرة العربية والعراق والهلال الخصيب؛ كلها أفراد قبيلة واحدة. وأكد القائد أننا سننجد بعضنا، وسندافع عن بعضنا، ولن نحمل السلاح في وجوه بعضنا.

إن تأكيد القائد، على وحدة القبائل هذه، ليست إلا تنبيهاً للجميع بأن الجزيرة العربية هي منبع هذه القبائل العربية المسلمة، وأن هذه القبائل جميعها من الهلال الخصيب إلى السنغال أمة واحدة، محرم عليها حمل السلاح في وجه بعضها. وإشارته لهذه المسألة دعوة للشعوب التي تتشكل منها الأمة العربية والإسلامية، حتى تتوحد بصدق وتتصدى للطامعين من المستعمرين، وفيها أيضاً دعوة للتوقيع على ميثاق شرف يطلق عليه ميثاق تمبكتو حتى نتوحد يداً بيد.

وهذا الكلام قاله القائد بحضور ملوك وسلاطين وشيوخ وزعماء قبائل الصحراء الكبرى، وبحضور قادة من العالم الإسلامي والمنظمات والجماعات والمؤسسات الإسلامية.

ونعلن للعالم أن قبائل الصحراء الكبرى العظيمة، تلزم نفسها بالسلام والاستقرار ونبذ الممارسات المشينة والابتعاد عنها، مثل: التسلل خفية عبر الحدود، أو تهريب السلع والبشر والحيوانات والعملات، أو الاتجار في الممنوعات كالمخدرات والسلاح، ،وأنها تكافح الزندقة وإرهاب المدنيين، وترويع الآمنين، وتحمي المرأة والطفل والمسنين والعاجزين، والأهداف المدنية، وفي ذات الوقت تتمسك ولن تتنازل عن حقها الطبيعي في الحركة بحرية وعلانية ومشروعية، عبر صحرائها الكبرى، دون حاجز أو قيد لبضائعها أو حيواناتها أو أفرادها، وتلزم نفسها مقابل هذا بحمل هُويتها الصحراوية فقط، ولا تخضع في وجودها وحركتها عبر الصحراء الكبرى لأي شهود غير ذلك.

الإعلان عن (ميثاق تمبكتو) خطوة تاريخية

قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية:

نحن أمة جديرة بأن تحيا في حرية وكرامة

ألقى قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في الاحتفال الذي أقيم بمدينة تمبكتو مساء الإثنين العاشر من شهر الطير، 1374 من وفاة الرسول ﷺ 2006 مسيحي بمناسبة الإعلان عن (ميثاق تمبكتو) ميثاق الرابطة الشعبية

خطاب تمبكتو

رؤية موضوعية معاصرة لقضايا المسلمين

عبد الرحمن شيو علاوي*

إن المتتبع لتاريخ مسيرة دعوة الإسلام، يستطيع أن يدرك بجلاء أنه منذ انبلاج فجر الإسلام، قبل ما يزيد عن أربعة عشر قرناً، لم يتوقف رجال الدعوة، عن التصدي للمؤامرات التي تحاك ضد الدعوة الجامعة، التي جاءت للناس كافة، مضحين بأموالهم وأنفسهم في سبيل نصرة هذا الدين الحنيف؛ وقد تطور هذا العدوان بتطور التاريخ، مرورا بمكائد قريش في مكة، وعدوان اليهود والمنافقين في المدينة، ومؤامرات الزنادقة في خلق النعرات العنصرية والضغائن بين أبناء هذه الأمة، إلى الحملات الصليبية، ومكر الصهيونية في هذا العصر والتي لم يكن الهدف من ورائها سوى إطفاء نور الله، وكسر شوكة أتباعه.

لقد استطاع المسلمون الأوائل - بفضل صدق نيتهم، وتحليهم بالإخلاص، والبُعد النظري في قضاياهم المختلفة - أن يبنوا سدوداً منيعة، وحصوناً قوية، لم تترك للأعداء الطامعين فرصة النيل من الإسلام حتى انتشر، وعمّت دعوته مشارق الأرض ومغاربها، وقد حان اليوم ونحن في المائة الخامسة عشرة من مجيء هذا الدين، ومع تزايد تكالب الحاقدين للحيلولة دون انتشار تعاليم الإسلام السمحة، وتفننهم في حياكة المؤامرات لتشويه صورته وحقيقته، وبعد أن أصبح المسلمون ضعفاء، وقد تداعت عليهم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، وصدق الله إذ يقول:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: 32]

وقال :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية: 36]

وبعد أن أصبحت الديار الإسلامية محتلة، ومقدساتها مُدنسة، تعالت الصرخات والنداءات طالبة النجدة والنصرة؛ وفي خضم هذه الأوضاع المؤسفة، وهذه المواقف المأساوية، في واقع عالمنا الإسلامي الحالي، تأتي المبادرات الدعوية القوية، التي اتخذتها القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، بفضل جهود قائدها الحكيم، داعية العصر، الذي كرّس كل جهوده للدفاع عن الإسلام بالنفس والمال، منذ قيام ثورة الفاتح الإسلامية من أجل تغيير واقع المسلمين المؤسف.

المتتبع للمواقف الشجاعة التي اتخذها القائد

* باحث / بوركينا فاسو

المسلم معمر القذافي، دفاعاً عن الإسلام والمسلمين يُدرك بجلاء حيوية هذه الأمة، وقدرة أبنائها على صنع الأحداث.

وتأتي الصلوات الجامعة في العديد من الدول الإفريقية، وأحاديث القائد في أنجامينا، ونيامي، وكانو، وخطاب تمبكتو التاريخي، لتشكل علامات بارزة في تاريخنا المعاصر، ومعلنة عن قوة الإسلام والمسلمين، في أسلوب منطقي يعتمد الحجة والبرهان، والوضوح، في التعاطي مع القضايا، وهو ما نستشفه بجلاء في خطاب تمبكتو التاريخي، حيث تناول الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في دفاعه عن سماحة الإسلام، الإفتراءات والتشويه المتعمد لرسالة الدين الخاتم، منبهاً إلى الأسباب، ومبيناً حقيقة المنهج الغربي في اعتماده على التضليل.

داعية العصر

ففي الوقت الذي تناسى فيه معظم قادة العالم الإسلامي وحكامه، أو تكاسلوا عن أداء مهمة الدعوة والإرشاد التي بها تُثبت خيرية هذه الأمة، وأفضليتها على سائر الأمم، نجد القائد معمر القذافي، قد جعل همه الأول والأخير، لنصرة الحق، والدفاع عن الإسلام والمسلمين، والدعوة لدين الله، وذلك بمنهجية وأسلوب منطقي، يراعي واقع العصر ومتغيراته، وفق رؤية واضحة تنطلق من جوهر الإسلام ونظرته، لأهمية الحوار والتعايش السلمي، والدعوة إلى نقطة التقاء بين الحضارات، لتحقيق الغرض الأسمى من الوجود الإنساني على الأرض، فيا حبذا لو اقتفى أثره بقية قادتنا، واقتدى به الحكام والملوك والرؤساء في العالم الإسلامي؛ وهنا لا بد أن نتساءل : أي ملك من ملوكنا أو رئيس من رؤسائنا، يستطيع أن يجوب الصحراء ويتجه إلى أدغال إفريقيا، ويتفقد أحوال المسلمين، ويدعو إلى الإسلام، ويُلقي الخطب والدروس الدعوية، مبيناً للعالم حقيقة الإسلام، فيُسلم على يديه الآلاف من المهتدين، ومنهم الملوك والسلاطين، مقدماً النموذج والقدوة والمثل الحسن؟

الاجتماعية لقبائل الصحراء الكبرى، كلمة أوضح فيها أن قبائل الصحراء الكبرى، تجمعها هوية اجتماعية واحدة، مبينا أن الحدود المصطنعة قد جزأت هذه القبائل، مؤكدا أن الروابط الاجتماعية أقوى من الروابط السياسية والإدارية، وهي الرابط الأساس بين قبائل الصحراء الكبرى.

وقد حضر الإحتفال، الذي أقيم بمقر إقامة قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في تمبكتو، ملوك وسلاطين وشيوخ وعمد قبائل الصحراء الكبرى من السنغال وموريتانيا غربا إلى العراق شرقاً، مرورا بشمال إفريقيا ووادي النيل وبادية الشام والجزيرة العربية والقرن الافريقي والسودان وتشاد والنيجر التي وطنها التاريخي وبيتها الكبير الصحراء الكبرى.

ومما جاء في ذلك الخطاب: أعتقد أننا قمنا بخطوة تاريخية الليلة بالصلاة، واللقاء، وبهذا الميثاق، أقول لكم إن هذا هو وضعنا الطبيعي الموجود، لأننا نحن سكان الصحراء الكبرى منذ تاريخنا أصلاً هكذا.. يعني إندماج وإنصهار.. حتى الذين يسكنون هنا في تمبكتو ويعتبرونهم سكان تمبكتو نجد أصولهم ليست من تمبكتو فقط، نجد اليمني والشامي والأندلسي ومن شمال إفريقيا ومن القرن الإفريقي، هم الذين عمروا هذه الصحراء.

الحقيقة التاريخية تقول إن سكان الصحراء من أصل واحد، والحقيقة

خطاب تمبكتو التاريخي
وأوجه دفاعه عن الإسلام

ويأتي المشهد الإيماني الذي عاشته مدينة تمبكتو التاريخية، يوم الإثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام 1374 من وفاة الرسول ﷺ الموافق 2006 مسيحي - ليشكل أهم حدث عرفه تاريخ هذه البلدة التاريخية الصغيرة، وذلك بمناسبة المولد النبوي الشريف، حيث تجمع رؤساء وعلماء وفعاليات العمل الإسلامي، من جميع بقاع العالم، لإحياء هذه المناسبة العظيمة تحت لواء القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، دفاعاً عن الإسلام، وتعبيراً عن موقف الأمة الإسلامية الوحدوي، تجاه قضاياها المختلفة.

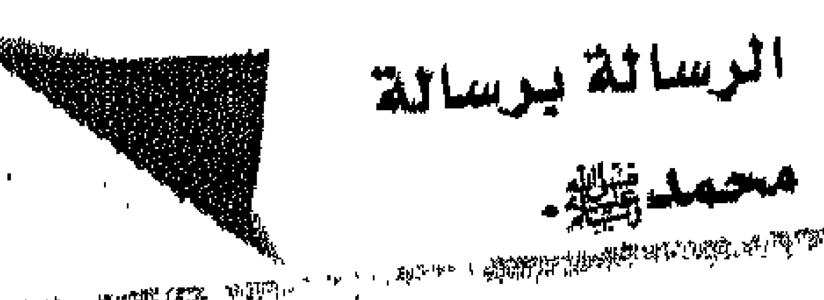
والمتأمل في خطاب الأخ القائد لأبناء الأمة - في يوم تاريخي.. وحدث تاريخي.. ومدينة تاريخية- يُدرك أهمية هذه الخطبة في طرح مختلف قضايا هذه الأمة، وتحليلها تحليلاً علمياً منطقياً دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، وبأساليب معاصرة، تناسب واقع الناس ومتغيرات الزمان، فالقراءة المتأنية والملتزمة بالموضوعية، لا بد أن تقود المنصف إلى إدراك عمق المضامين، في هذا الخطاب والتي تعلن مباشرة وفي وضوح : الإقرار بوحدة الدين، وإن كان الواقع خلاف ذلك.

لا شك أن موقف الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية - من الحوار ومبدأ التعارف والتعايش السلمي بين الشعوب والحضارات، والتواصل الدائم بين الثقافات، موقف رضا وقبول ومساندة، وذلك لما له من أهمية قصوى وفوائد جمة في تأصيل الاستقرار والأمن والطمأنينة في المجتمع الإنساني، والمجهودات الكثيرة الجبارة التي بذلها في سبيل تجسيد هذا المبدأ الإنساني العظيم، قد يعجز الإنسان عن إحصائها، فالتاريخ يشهد بذلك لا محالة.

فإذا كان الغرب قد ظن أن وضع العالم الإسلامي الراهن هو الذي فرض عليه المبادرات الإنسانية الطيبة، فقام بدلاً من الإلتزام بالمبادئ والقيم الإنسانية التي تُجسد الإحترام المتبادل بين أبناء المعتقدات بمضاعفة هجومه على الإسلام من خلال التشويه المتعمد للمعتقدات، والسخرية من المقدسات، وهو ما يُبينه بجلاء ما حصل في الدنمارك مؤخرا.

جاءت هذه الصلوات الجامعة في ذكرى المولد النبوي الشريف، لتبين أن الدعوة للحوار لم تكن موقفاً عن ضعف، وأن الحوار لا يعني الإستسلام، مقدمةً درساً عملياً في الرد على تلك الحماقة، وكما يلزم هذا الموقف التصريح عن الحقائق الواقعية، التي حجب وصول نورها إلى الشعوب الغربية بصفة عامة منذ زمن بعيد، نتيجة سوء نيتهم نحو الإسلام، والكراهية التي يسببها منهجهم في التعليم، وهو ما نبه إليه هذا الخطاب.

سلسلة الرسالات السماوية عبر التاريخ الإنساني مراحل متكاملة للخروج بالإنسانية من ظلمات الشرك والجهل، إلى نور التسليم الكامل لله تعالى، والخضوع التام لأوامره، وقد اكتملت هذه الرسالة برسالة محمد ﷺ.



يقول القائد: «للأسف إن التاريخ والمنهج الذي تقرؤه الآن مغلوط.. يعتقدون خطأً أن محمداً ﷺ هو نبي العرب أو المسلمين فقط.. وهذا خطأ، لأن محمداً ﷺ نبي للناس كافة وهو ناسخ لكل الأديان التي قبله.. والله يقول:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 85]

فالإسلام في الحقيقة دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي حالة إنسانية واحدة لا تتعدد ولا تتنوع، والدين نظام حياة متكامل، وأسلوب تشريعي توجيهي لا يتعلق بالذوق ولا بالجمال والعاطفة، وبعيد عن النسبية حتى يخضع للتعدد والكثرة.

إن سلسلة الرسالات السماوية عبر التاريخ الإنساني، مراحل متكاملة للخروج بالإنسانية من ظلمات الشرك والجهل، إلى نور التسليم الكامل لله تعالى، والخضوع التام لأوامره. وقد اكتملت تلك

الرسالات برسالة محمد ﷺ، فتلك حقيقة قاطعة زلزل بها خطاب تمبكتو التاريخي تراكمات مناهج التضليل والتشويه المعادية للسلام والأمان.

الدفاع بتصحيح منهج الفهم عند الغرب (مفهوم الحرية)

وإذا كان تداول مصطلح الحرية بكافة أنواعها، قد شغل العلماء والفلاسفة وقادة الفكر قديماً وحديثاً، وتزايد الإهتمام به في الفكر الإنساني، بعد قيام عديد الثورات في الغرب، وبخاصة الثورة الفرنسية ـ 1739 ـ التي كانت سبباً مهماً في خروج الشعوب الأوروبية من سيطرة الكنيسة وهيمنتها، التي دامت قروناً عديدة، إلا أن هذا المفهوم يُعد من القضايا التي أُسيء فهمها، وتم استعمالها بفوضوية وعدم منطقية، فهل تعني الحرية الفكرية مثلاً، في الفكر الغربي المعاصر، التهجم على عقيدة معينة أو شريعة معينة أو ثقافة معينة، والاستخفاف بمعتقداتها ومقدساتها؟ وكيف نُسلّم بأن الحرية الشخصية تعني عمل الإنسان ما يشاء، ومتى يشاء، وارتكابه المنكرات دون أدنى قيود ولا حدود؟.

من هنا فإن النظرة الفاحصة لواقع الإنسان المعاصر تجعلنا ندرك إدراكاً تاماً خطأ هذا الفهم لمصطلح الحرية، ونقف على كنه التزييف الواضح، وهذه الحقيقة ليست نتيجة منطقية فحسب وإنما محصلة إدراكنا لما يعانيه المجتمع الإنساني، من فوضى وفساد واضطراب في جميع جوانب الحياة، بسبب الفهم السيء والمنهج الخاطئ.

والمتتبع لهذا الخطاب التاريخي، يرى كيف عبّر القائد عن هذه الفكرة بأساليب تدل على رؤية مستقبلية، وعمق تفكير وبُعد نظر، حيث نلحظ أن الفكرة التي طرحها، تحمل في طياتها توقعات خطيرة يجب على الإنسانية أن تدرك نتائجها، في حالة استمرار هذا الفهم للحرية في العالم الغربي، وفي هذا يقول الخطاب: «إذا كنا ندعي حرية التعبير، فنتوقع أن تظهر صورة عيسى وفوق رأسه قنابل ذرية، لأن أتباع

أصلنا كلنا من الجزيرة العربية، عبر أكثر من خمسة آلاف سنة كل القبائل التي في الصحراء الكبرى، وجوانب الصحراء الكبرى أصلها قبائل جاءت من الجزيرة العربية، فكل الممالك والسلطنات التي تكونت في الصحراء الكبرى كونها السلاطين العرب.

حقائق تاريخية

اللهجات التي تتكلمون بها الآن هي لهجات عربية قديمة.. أسماء المناطق وأسماء المعالم الجغرافية في الصحراء الكبرى هي الأسماء العربية القديمة.. كل الأسماء المؤنثة تبدأ بالتاء من تعز إلى تمبكتو إلى تمرسن إلى تاورغاء إلى تامزغن إلى تامنهنت إلى آخر الأسماء التي في الصحراء الكبرى. فكل مؤنث يبدأ بالتاء، هذه هي اللغة العربية القديمة، والمذكر يبدأ بالياء، يعرب، يمجد، يدمر، يخلف، إلى آخره.

إذًا سكان الصحراء كلنا أصلنا واحد، ويجب أن نعتز بهذا الأصل الواحد ونحافظ عليه.. إلى جانب أن المستعمرين هم الذين فرقوا بيننا، والآن سنعيد تاريخنا، نحن محتاجون لبعضنا من أجل أمننا ومن أجل استقلالنا وحريتنا، بل من أجل حياتنا في الصحراء الكبرى، لا توجد صحراء كبرى في الكرة الأرضية إلا صحراؤنا، فنحن سكان هذه الصحراء من بداية البشرية كنا نتحرك بحرية في الصحراء الكبرى من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، المشاكل جاءت

عيسى صنعوا القنابل الذرية، وتمسكاً بحرية النشر والرأي مثلما صوروا محمداً ﷺ وعلى رأسه قنبلة يديوية نتوقع أن يُصوّر عيسى وعلى رأسه قنبلة ذرية..»

ويتبين لنا من هذه الفقرة ضرورة التفريق بين الحرية الحقيقية التي تجلب السعادة والطمأنينة والأمان للإنسانية جمعاء، وبين الفوضى التي تسبب الهلاك والدمار.

الكشف عن الأخطاء في تراث الآخر

إن لبعض المواقف ـ أحياناً ـ حكمها الفعلي، وأثرها الكبير على الخطابات الدعوية في هذا العصر، وذلك بالرغم من أن عدم المساس بالجوانب العقدية يعتبر مبدأ أساسياً وشرطاً مهماً في نجاح عملية حوار الأديان، إلا أن خطاب «تمبكتو» برؤيته الشاملة ونظرته البعيدة، التي يقوم عليها، ولاعتبارات مهمة وأسباب معقولة ومبررات منطقية، لا تخفى على أحد، توجه القائد مباشرة في دعوة جادة وحقيقية لصالح الإنسانية لمعالجة القضية، مبيناً سبب كل ما يحدث في العالم اليوم، من سوء المعاملة، وعدم الإحترام، وتعد على المقدسات، خالصاً إلى أن تغيير تعاليم العهدين حسب الأهواء والأغراض، وفساد منهجية الغرب في تبني البرنامج التعليمي، هما السبب في تشويه الصورة، وتزييف الحقائق.

ويعتبر ـ في الحقيقة ـ السبب الأول لازماً للسبب الثاني، لأن الأول هو الشيء الأساس، وإذا بطل الأساس أو الأصل تفقد الفروع أي سند صحيح تعتمد عليه، وهو ما تؤكده نتائج الدراسات النقدية الحديثة التي قام بها بعض علماء الغرب أنفسهم، حول الكتب المقدسة، والتي تعترف بالتدخل الإنساني في كتابة ما يُسمى بالعهدين القديم والجديد، مبينة ذلك بالأدلة العلمية القوية، والبراهين المنطقية الحقيقية، مستعرضة التعديلات التي وقعت على الصيغ الأولى التي تمت بالإعتماد على التراث الشفهي، ثم توضيح التحريفات التي حدثت للنصوص بعد ذلك إلى أن وصلت إلينا، مبينة أن كل ذلك من شأنه أن يُخفف من الشعور بالدهشة أمام عبارات مبهمة غير مفهومة ومتناقضة لا يدركها العقل.

وكما يذكر المؤرخون فإن المسيحية عرفت في القرنين الأول والثاني من التقويم المسيحي الجريجوري مجموعة من الأناجيل لكنها استبعدت جُلها في أواخر القرن الثاني، لتُبقي أربعة فقط مع مجموعة من الرسائل، ومن تلك الأناجيل المُبعدة إنجيل (برنابا) وهو أحد حواريي عيسى عليه السلام، مع العلم بأن هذا الإنجيل تعرّض لأخبار مجيء محمد ﷺ، وكان ذلك من أهم أسباب إلغائه من الأناجيل المعتمدة، وقد وُجدت نسخة من هذا الإنجيل في المكتبة الامبراطورية بفيينا مُترجمة من المخطوط الأصلي، وهو ما أشار إليه القائد في خطابه عندما قال: «وما يُسمى بالعهد القديم والعهد الجديد ليس بالعهد القديم وليس بالعهد الجديد، لأن هذين العهدين منسوخان مزوران، وكُتبا باليد بعد عيسى بمئات السنين....»

تؤكد شهادات عدد من علماء الغرب على إنسانية الإسلام، ومكانة تعاليمه، وسمو أخلاق الدعاة في تاريخ الدعوة الإسلامية.

البرهنة على عدم انتشار الاسلام بالسيف

ولعل من أهم القضايا التي عالجها هذا الخطاب الدعوي التاريخي، وحللها بالموضوعية والإنصاف، قضية افتراء انتشار الإسلام بالسيف وسفك الدماء، التي التصقت بالإسلام زوراً وباطلاً منذ زمن بعيد، ومن بين تلك الأقاويل المفتراة على الإسلام ما ذهب إليه (ماكدونالد) في دائرة المعارف الإسلامية، زاعماً أن نشر الإسلام بحد السيف والقوة هو الواجب الديني عند كل مسلم.

والمتأمل في خطاب «تمبكتو» يُدرك تمام الإدراك قوة أسلوب البرهنة على دحض هذا الزعم الباطل الذي لا يستند على أساس علمي يُذكر، وهو ـ بكل تأكيد

- نابع من سوء النية والكراهية التي تُكنها القوى الغربية ضد الإسلام والمسلمين، فالخطاب يؤكد لنا وبأسلوب - زاد من بلاغته قوة الحجة ومنطقية الإستدلال - أن الإسلام لم ينتشر إلا بعوامل ذاتية، والقيم والمبادئ الإنسانية والمعاملات الحسنة التي يتلقاها المخاطبون من المسلمين.

وفي هذا يقول القائد: «لسنا محتاجين للسيف أو القنبلة لنشر الإسلام.. عندنا خمسون مليون مسلم في أوروبا، وهناك علامات أخرى تدل على أن الإسلام سيظهره الله في أوروبا بدون سيف وبدون بندقية وبدون فتح» أي لو انتشر الإسلام بالسيف وسفك الدماء - كما يزعمون - فكيف يُفسرّون لنا سرعة انتشاره الفائقة بين الغربيين أنفسهم ونحن في القرن الواحد والعشرين، حتى أصبح عدد المسلمين والمراكز والمؤسسات والهيئات الإسلامية يُعد بالملايين، ألا يعتبر هذا الواقع المشاهد دحضاً وتكذيباً لهذه الإفتراءات التي لا تستند على أي أدلة علمية منطقية؟.

وهنا لا بد لنا من تبيان مسألة هامة وهي الجهاد، فالجهاد لم يكن الهدف منه في يوم من الأيام الإعتداء والعدوان، والقتل الوحشي، وإنما كان هدفه دفع الظلم وصد العدوان، وتدل على ذلك نصوص كثيرة في الكتاب والسُنة، وأخلاقيات الجهاد الإسلامي، حيث يقول سبحانه وتعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج، الآيتان:39و40]

ويقول أيضاً:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية:190]

وتؤكد شهادات عدد من علماء الغرب على إنسانية الإسلام، ومكانة تعاليمه، وسمو أخلاق

بعد أن قامت الدول الحديثة المستقلة، هذه ليست المستقلة من الإستعمار، المستقلة عن بعضها.

نحن أمة واحدة

هذه الحدود هي التي خلقت حواجز بين أبناء الصحراء الكبرى.. أصبح واحد موريتانيا ووجد نفسه أنه موريتاني.. واحد مالي.. واحد جزائري.. وواحد ليبي ومصري وأردني، يمني، تشادي، سوداني.. هذا هو الشيء الجديد الذي حدث، وهذا هو الذي فرقنا عن بعضنا وجعل الإستعمار يضربنا ببعضنا.. يقول له أنت ليبي، وأنت جزائري ضد بعضكم.. أنت سوداني، أنت تشادي، ويضربهم ببعضهم.

نحن الآن سنعود للأصل.. نحن أمة واحدة تسكن الصحراء الكبرى الآن، وسبب مشاكلنا هي الحدود التي عملوها بيننا.

زمان كان اسمنا باسم القبيلة والآن أصبح اسمنا باسم الدولة التي وجدنا فيها..

الهُوية الاجتماعية

على سبيل المثال قبيلة الطوارق وهي أهم قبيلة في هذه الصحراء.. هذه يمتد وجودها من ليبيا إلى النيجر إلى الجزائر إلى موريتانيا.. أينما يتحرك هو تارقي.. الآن هذه القبيلة لم تستطع التحرك بحرية مثلما كانت، لأنهم خلقوا لها حدوداً قطعت أجزاء هذه القبيلة.. أصبح يوجد تارقي ليبي.. تارقي جزائري.. تارقي نيجري..

الدعاة في تاريخ الدعوة الإسلامية، حيث يقول (جوستاف لويون) في كتابه (حضارة الإسلام): «سيرى القارئ حين نبحث في فتوح العرب، وأسباب انتصاراتهم، أن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، وأن العرب تركوا المغلوبين أحراراً في أديانهم، فإذا حدث أن انتحل بعض من الشعوب النصرانية الإسلام واتخذ العربية لغة له، فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون، من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهد بمثله، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى»، ويستطرد قائلاً: «وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوروبا المنصفين القليلين الذين أمعنوا النظر في تاريخ العرب»، ويقول (روبرتسون): إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الجهاد والتسامح نحو أتباع الأديان الأخرى الذين غلبوهم وتركوهم أحراراً في إقامة شعائرهم الدينية».




جوستاف لوبون

شفافية ووضوح تجسدان مشروعية الموقف

ومع تعاظم الهجمة على الإسلام واعتمادها على توظيف أساليب الحرب النفسية، باعتبارها من أهم الوسائل الحربية، والأساليب الإستراتيجية، لما لها من أهمية كبيرة في بث اليأس والقنوط في نفسية الخصم، وإضعاف معنوياته، حيث يقول (شارل ديغول 1890 ـ 1970): «لكي تنتصر دولة ما في حرب، فإن عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها إلى ميادين القتال، وتظل هذه الحرب

ديغول



تشرشل

تساند هذه القوات حتى تنتهي من مهمتها»، وكما يقول (ونستون تشرشل 1874 ـ 1965): «كثيراً ما غيّرت الحرب النفسية وجه التاريخ»، وهي كما عرّفها الفكر الإنساني المعاصر: «استخدام مخطط لأي شكل من أشكال الإعلام، بقصد التأثير في عقول وعواطف مجموعة معادية أو محايدة أو صديقة، وذلك لتحقيق غرض استراتيجي أو تكتيكي معين».

يأتي خطاب «تمبكتو» ليحدد المعالم ويكشف الأبعاد ويُعلن القدرة على التحدي، والمتأمل في شريعتنا السمحة يجد مجموعة من النصوص والمواقف التي تؤصل هذا المبدأ، وتحث على الأخذ به، يقول الحق ـ تبارك وتعالى:

﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾

[سورة الأنفال، الآية:12]

ويقول تعالى:

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة الحشر، الآية:2]

والمتتبع للشأن الإسلامي يلاحظ أهمية هذا الحدث، وعمق المضامين الفكرية التي قدمها القائد معمر القذافي في خطابه للأمة، خاصة في إبرازه الدلائل الواضحة، على شرعية اتخاذ هذا المبدأ العظيم في الدفاع عن النفس، وهو ما نجده في المواقف النبوية أثناء قيامه بالدعوة، مثل خطابه إلى يهود خيبر، والذي جاء فيه: **«بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه والمُصدّق لما جاء به موسى ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة، وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّه).**

والملاحظ في هذا الخطاب النبوي أسلوب التهديد الخفيف، وذلك لإشعارهم بمدى أهمية الخطاب الموّجه إليهم من جهة، ومن جهة أخرى لتظهر ـ ضمناً ـ قوة الإسلام والمسلمين، وإمكانياتهم المعنوية والمادية، والذي يُسمى بلغة العصر الحرب الإعلامية أو النفسية.

إبراز قوة المسلمين

وللحقيقة لم أر في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد العصر النبوي والذي يليه من العصور النيرة، من اتخذ هذه الوسيلة المهمة في الدفاع عن الإسلام ومقدساته، وفي نشر عقيدته وتعاليمه إلا معمر القذافي الذي عرف كل العالم مواقفه الشجاعة تجاه قضايا الدعوة الإسلامية منذ زمن بعيد، وذلك عبر خطبه المتعددة، ولقاءاته مع الوسائل الإعلامية في العالم، وهو يدافع عن الإسلام، بإبراز قوة الإسلام والمسلمين، وبيان الأُسس الروحية التي تستند عليها الأمة الإسلامية، وإذا أمعنا النظر في خطبه الجامعة، التي ألقاها أمام جموع المسلمين في العديد من الدول الأفريقية، وبخاصة خطبة «تمبكتو» التاريخية، نجد هذا الأسلوب واضحاً جلياً، حيث يقول: «هذه الإحصائية عندي بالأرقام.. عدد المسلمين في أوروبا 50 مليونا، و14 ألف مسجد ومركز إسلامي، و1500 منظمة وجمعية وهيئة إسلامية.. هذه سيزيد عددها بمرور الزمن إلى جانب تركيا والبوسنة وألبانية، مؤكداً: نقول إذا كانت عندكم نية بأن تحتلوا الصحراء الكبرى، نريد أن ننبهكم قبل أن تتورطوا، إن الصحراء صعبة جدا، وأن أهلها أسود مفترسة وصقور جارحة، وأن رملها يمكن أن يتحول إلى رمضاء، وحجارتها إلى جمر وهواؤها إلى لهب ونار». وهكذا يؤكد الخطاب أن الإسلام قوة وعزيمة وإرادة.

ومن هنا نخلص إلى أهمية هذا الحدث في الانتقال بالمسلمين من خانة الإنفعال والتأثر إلى خانة الفعل والتأثير، وهي حقيقة يمكن إدراكها في سياق الصلوات الجامعة والتي يأتي خطاب «تمبكتو» ليعلن بوضوح وشفافية أن الآخر (الغرب) لديه أخطاء، وعليه تصحيحها، ليتسنى تغيير وجه التاريخ، وتوجيهه إلى ما فيه صلاح البشرية، والشيء المؤسف حقاً، أن الفكر الإسلامي المعاصر تنقصه الموضوعية والإنصاف في النظر إلى قضاياه وتحليلها، ألم يحن الوقت لأن نشجع مثل هذه المبادرات الدعوية الطيبة؟ ومن هنا أدعو الأمة إلى مراجعة نفسها، عسى أن يغير الله ما بها وما هي فيه.

تارقي موريتاني، هذه هي التي نحن لا نعترف بها.. أنا أريد التارقي يتحرك من موريتانيا إلى ليبيا.. الهُوية، جواز السفر، التعريف، البطاقة هو الذي يكون تارقياً فقط، مجرد أن تقول تارقي.. تتحرك بحرية في الصحراء، ترفض أن يمنعوك من دخول ليبيا أو دخول النيجر أو دخول الجزائر أو دخول مالي أو دخول موريتانيا، لأن هذا وطنك، هذه صحراؤكم.

نأتي لقبيلة أخرى مثل قبيلة «التبو» هذه أرضها ليبيا تشاد النيجر.. أفراد هذه القبيلة يجب أن يتحركوا بحرية داخل هذه الأوطان الثلاثة.

الآن الحدود المصطنعة قطعت هذه القبيلة إلى ثلاث قطع، أصبح هناك تبو ليبي وتبو تشادي وتبو نيجري.. هذه قبيلة واحدة.

نأتي إلى قبائل أولاد علي، هؤلاء وطنهم ليبيا ومصر، الآن لا يستطيعون التحرك بحرية بين ليبيا ومصر، لأن هناك حدودا وبوابات.. يوجد جواز السفر الليبي أو المصري، التأشيرة الليبية أو المصرية.. هذه القبائل يجب أن يكون جواز سفرها هو أنها تنتمي إلى قبائل أولاد علي.. مجرد أن تقول أولاد علي يجب أن تتحرك بحرية بين ليبيا ومصر.

نأتي إلى قبيلة أخرى كبيرة، مثل قبيلة (شمّر) هذه القبيلة وطنها وأرضها سوريا الأردن العراق الجزيرة العربية.. الآن هذه القبيلة لا تستطيع أن تتحرك بحرية في وطنها، أرض أجدادها، يقال له أنت سوري لا تدخل العراق، أنت

نحو استراتيجية أكثر تأثيراً وفاعلية

علي محمد الأحمر*

في مشهد عظيم يمر بتاريخ الدعوة المعاصر، وبحضور الآلاف المؤلفة من المسلمين ـ قيادة وقاعدة ـ وفي حاضرة الإسلام التاريخية (تمبكتو) يوم 12 من شهر ربيع الأول 1374 و.ر من وفاة الرسول ﷺ 2006 مسيحي)، ألقى الأخ معمر القذافي خطاباً طرح فيه رؤيته لعدة قضايا ذات أبعاد إستراتيجية وحضارية، تتصل بواقع الإسلام والمسلمين ـ حضارةً وقيماً ووجودًا ـ.

ولا شك أن هذا الخطاب بالنظر إلى ظرفيه ـ زماناً ومكاناً ـ كان عملاً كبيراً، وانجازاً هاماً، جاء في حينه المناسب، تلبية لمقتضيات الواقع ومتطلبات هداية الإنسان ، ما جعله خطوة متقدمة في مسار الدفاع عن الإسلام بأسلوب حديث رائع وحضاري، في هذا الجزء الحساس من القارة الأفريقية، وكعادته في حُسن توظيف الظروف التي تمر بالإسلام، ونظرته الإستراتيجية البعيدة المدى، للقضايا التي تعرض لواقعها بما يسهم في صياغة مستقبلها، على نحو أكثر فاعلية وتأثيراً، فقد جاء الخطاب متصلاً بجملة قضايا، يجب الوقوف عندها بشيء من التروي والموضوعية لاكتشاف مضامينها الإستراتيجية وأبعادها الحضارية والدعوية، على أن الفهم الصحيح للأمور، يقتضي منا استيعاب ووعي الدور العالمي، الذي اضطلع به الخطاب للدفاع عن الإسلام، وذلك من خلال عرض القائد في مطلع حديثه لموقع المسيح (عليه السلام) ووجوده المعجز، وطبيعة ما مثلها من مهمة تاريخية، مع إشارة بارزة إلى ضرورة التأريخ بهذه المعجزة، مضافاً إلى التاريخ بوفاة النبي محمد ﷺ الذي هو خاتم الأنبياء، ولا شك أن هذه الرؤية تضع حدث وفاة الرسول ﷺ الذي اقترن زماناً بحدث ميلاده، في موقعه اللائق به في سياق التاريخ الإنساني، فقد اختتمت النبوة، وانقطع الوحي، واستدار الزمان كهيئته، يوم خلق الله

> **هذه الرؤية تضع حدث وفاة الرسول ﷺ الذي اقترن زماناً بحدث ميلاده، في موقعه اللائق به**

* باحث / نيجيريا

السموات والأرض، وتلاشى اتصال الأرض بالسماء، بهذا الحدث التاريخي، حيث قال: «يجب علينا أن نؤرخ بهذين التاريخين جنباً إلى جنب، ميلاد عيسى لأنه معجزة، ووفاة محمدﷺ لأنه خاتم النبيين».

ومن منطلق الحرص على سعادة الإنسانية، نبه القائد إلى ضرورة تصحيح رؤية الغرب للإسلام والمسلمين، مبيناً خطأ المنهج والتاريخ الغربيين الذي يدعي الموضوعية والعلمية، مؤكداً أن الإسلام استوعب كل الأديان السابقة، موضحاً أن عالمية رسالة محمد ﷺ تؤكد استيعابها ونسخها لكل ما تقدم من الرسالات ـ منهجاً وشريعة ـ فقال : «للأسف إن التاريخ الذي نقرأه الآن مغلوط.. غير صحيح.. يعتقدون خطأ أن محمداًﷺ هو نبي العرب أو المسلمين فقط.. لا: إن محمداً ﷺ نبي للناس كافة، وهو ناسخ لكل الأديان التي قبله، ولو أن عيسى كان حياً عندما بُعث محمد ﷺ لأتبع محمداً ﷺ»، مبيناً في أسلوب يقوم على الحجة: أن دعوة الإسلام للناس كافة، وأن عليهم أن يكونوا مسلمين، لأن حكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت أن يكون الإسلام آخر الرسالات السماوية.

ومن هنا فإن هذه الرؤية، تنطلق من أن مهمة الرسل من خلال عرض القرآن الكريم تمثل كلاً متكاملاً، بما يؤكد تراكم رسالات الله عبر الأمم:

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر، الآية: 24]

فرسالة موسى عليه السلام ليست إلا مقدمة لرسالة عيسى عليه السلام، ونهايتها تعني انطلاقة لرسالة عيسى ـ عليه السلام ـ مصدقاً لما بين يديه من التوراة، ومتمماً لشريعتها، كما أنها بشارة بمقدم خاتم النبيين ﷺ الذي جاء مصدقاً لما بين يديه أي لما تقدمته من أديان، ومؤكداً لما تضمنته كتبها من حقائق وقواعد وسلوك، كما جاء مهيمنا على تلك الكتب، ومصححاً لما أصابها من تحريف، فقد احتوت رسالته، أصول العقيدة ومبادئ الشريعة، ومكارم

عراقي لا تدخل السعودية، أنت أردني لا تدخل سوريا.. المفروض أول ما تكون هويتك أنك أنت من قبيلة شمر، تتحرك بحرية في هذه الأقطار الأربعة، أينما تكون لأنك هذه أرضك.

نأتي إلى قبيلة أخرى، هى قبيلة الرشايدة، هذه موجودة في الجزيرة العربية.. موجودة في إرتيريا في القرن الإفريقي موجودة في السودان، لا تستطيع هذه القبيلة أن تتحرك بحرية في وطنها.

هذه أمثلة فقط لبعض القبائل فى الصحراء الكبرى.

عندنا أخلاق ومبادئ

الذي نريد أن نفرضه، هو أننا نحن نتحرك في وطننا في الصحراء الكبرى بحرية تامة ونعيش في أمان واستقلال.. الذي نريده أن هذه القبائل تأخذ حريتها الكاملة فى الصحراء الكبرى.

زمان كان مواطن الصحراء الكبرى يخرج من موريتانيا أو المغرب يذهب إلى مكة بدون جواز سفر، لكن يوجد إلتزام وواجبات علينا.. يجب أن نثبت للدول السياسية، التي قسمتنا أننا نحن عندنا أخلاق وعندنا إلتزام وعندنا مبادئ، نحن لا ندخل خفية من بلد إلى بلد.. بل نأتي علنا ونثبت وجودي أنني من هذه القبيلة من مواطني الصحراء فقط.

نثبت لهم أننا نحن لا نقوم بعمليات التهريب، لا نهرب البضائع، لا نهرب البشر، لا نهرب العملة، لا نتاجر في المنوعات، لا نتاجر في السلاح، لا نتاجر في المخدرات، لا

الأخلاق، التي دعا إليها الرسل، حتى تبلغ غايتها بعد أن بلغت البشرية رشدها واستكملت رسالات الهداية مسيرتها.

ويعرض القائد إلى مسألة التهجم على النبي محمدﷺ واستنكار المسلمين لهذا الموقف، إلا أنه من أجل التصدي لما يطرحه الفكر الغربي المتزمت بسبب خطأ المنهج الذي يقوم عليه ذلك الفكر، وهي المسألة التي يجب التعامل معها بمصداقية ووضوح، لإزالة الجهل والغموض اللذين يكتنفان رؤية الإنسان في المجتمعات الغربية للإسلام والمسلمين، ومن ثم النظر بموضوعية لموقع النبي ﷺ من هذه الديانة، باعتباره متمماً لرسالة عيسى ومن هنا فـ«إن الذي قدح في محمد ﷺ قدح في نبيه هو ذاته، لأن محمداً ﷺ نبي البشر الذين في اسكندنافيا، والذين في أوروبا وأمريكا».

العهدان (القديم والجديد) يحتويان كلاماً لا يليق بعيسى ولا بموسى عليهما السلام.

ولإلزام الطرف الآخر بالحجة ينطلق القائد في الدفاع عن النبي ﷺ من حرية التعبير عن الرأي التي يتشبثون بها، فيقول لهم: «إذا كنا ندعي حرية التعبير فنتوقع أن تظهر صورة عيسى وفوق رأسه قنبلة ذرية، وهم رسموا محمداً ﷺ وعلى رأسه قنبلة يدوية،طبعاً محمد ﷺ بريء من القنبلة اليدوية، ولكن المقصود أن أتباع محمدﷺ يستعملون هذه القنبلة، فكذلك عيسى -عليه السلام ـ بريء من القنبلة الذرية، ولكن أتباع عيسى هم الذين صنعوا القنبلة الذرية..»، وهنا نجد أن عرض الحجج يعبّر عن أسلوب حضاري في الرد على الخصم من واقع الأدلة التي يحاجج بها، فهو يسردها ليدحضها، ولذلك يسترسل في المزيد من المقارنة بين عيسى ـ عليه السلام ـ والنبي ﷺ من واقع ممارسات أتباعهما في موازنة بين التعاليم وبين التطبيق القائم اليوم لتلك التعاليم، وذلك للوصول إلى ما تّولده المقارنة من استنتاج عقلي، يدلل بوضوح على زيف الإدعاءات الغربية من جهة، ومن جهة أخرى ضرورة تصحيح هذه الرؤية الغربية الخاطئة.

وحيث إن القائد خبير في دراسات الكتاب المقدس وعلم اللاهوت، فإنه يجود على الواقفين على خطابه بإسعافهم بالقضايا العقدية التي تكتنف ما يُسمى بـ«العهد القديم والعهد الجديد» لأن هذين العهدين منسوخان مزوران وكتبا باليد بعد عيسى بمئات السنين، منبهاً إلى أن العهدين يحتويان كلاماً لا يليق بعيسى ولا بموسى ـ عليهما السلام ـ .

وهذا الرد من منظور أخلاقي ينطلق مما ورد في هذين العهدين من تقريرات تسيء لعيسى نفسه ويستعصي حتى على علماء اللاهوت إنكارها.

ومن هنا يكشف سياق المقارنة بين القرآن الكريم والكتاب المقدس في موضوع المسيح، المفارقة بين ما يُنسب إليه وهو منه بري، مثل ندائه أمه بلفظ «يا إمرأة مالي ومالك..»! طبقاً للوارد في الإنجيل، وذلك في مناسبة عرس أقيم بمدينة (قانا) بالإضافة إلى ذمه وقدحه كبار السن من قومه بوصفه إياهم «أيها المنافقون الأشرار.. يا أبناء الزناة.. يا أبناء الأفاعي..» وهذه من السلوكيات التي تتنافى مع ما يُوصف به من وداعة وتسامح في القرآن الكريم، وما يُوصف به من أنه كان بأمه باراً:

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية:32]

ومن هذا المدخل يلج القائد معمر القذافي ليثبت المكانة المرموقة التي تحظى بها شخصية المسيح وموسى ـ عليهما السلام ـ في القرآن الكريم، سارداً الإحصائية بالأرقام التي ورد فيها ذكر كل من موسى وعيسى ومريم العذراء عليهم السلام، وتتجسد مكانة المسيح بالذات بوروده خمساً وعشرين مرة مقابل خمس مرات ورد فيها إسم محمدﷺ في القرآن الكريم.

موضحاً بالقول: «موسى لعلمهم مذكور في القرآن 136 مرة.. لماذا نحن لم نشطب على هذا.. لأن هذا كلام الله، ولا نستطيع شطبه.. مريم مذكورة في القرآن 33 مرة، لماذا لم نشطبه، وعيسى مذكور 25 مرة في القرآن.. والقرآن يذكر مريم (عليها السلام) وعيسى وموسى، وهذا تمجيد واعتراف بنبوتهم وتقديس لهم وسلام عليهم».

ومن هنا تأتي هذه اللفتات القوية لينير بها القذافي الفكر الإنساني وخاصة الغربي، لرؤية القرآن لموسى والمسيح وأمه، بما يشكله هذا الأسلوب من عوامل استقطاب فعالة، إذ تتسم بجاذبية أخاذة من شأنها أن تقدم للآخرين مؤشرات هادية تقود خطاهم إلى الطريق المستقيم، إلى الإيمان الصحيح.

وعلى هذا النمط المتكامل يسير القائد على امتدادات القرآن الكريم والكتاب المقدس بعهديه، مقدماً إلى جانب السرد والوصف مقارنات تجعلنا نقف على معطيات وحقائق تكشف بجلاء مضامين الخطاب والتي يميزها عمق الرؤية وصدق التوجه.

ومن هنا تتجلى أهمية القراءة الشمولية لهذا الخطاب بما يُسهم في فهمه الفهم الصحيح، لاستيعاب ووعي الدور العالمي الذي يضطلع به الأخ القائد للدفاع عن الإسلام، وهي مطالب ملحة من أجل دعم التوجه الحضاري في هذه المرحلة من تاريخ الدعوة، وذلك وفق الثوابت، من خلال رؤية وطرح حضاري يساهم في التعرف أكثر على مكامن النجاح، ومداخل هداية الناس، والارتقاء بخطابنا الإسلامي لمستوى هموم الأمة وتطلعات الغيورين من أبنائها على شرفها وكرامتها، وحتى نتعرف على مزالق الإخفاق التي سقط فيها المتقدمون بقصد أو بغير قصد، بما يمكننا من استئناف مسيرة العطاء الفكري والمنهجي.

نحمل السلاح داخل الصحراء الكبرى إلا ضد الأجنبي، الذي يريد أن يحتل الصحراء الكبرى.. الهدف الذي يمكن أن نحققه، هو أن نعيش بحرية في الصحراء الكبرى، نتحرك بحرية في الصحراء الكبرى، نحس أن الصحراء الكبرى عادت لنا، وأن وحدتنا عادت، وأننا عرفنا أصلنا من جديد.. هذا سيحقق حياة جيدة لسكان الصحراء، لأنهم يعيشون في المكان الذي يرتضونه ويتحركون في المكان الذي يريدونه.

هذا إن شاء الله سيتحقق، سنفرضه، لكنه لا يتحقق فورا وبسرعة.. هذه الأشياء التي سنفرضها لأنها تهمنا ومن مصلحتنا ومتعلقة بحياتنا.. لكن إن شاء الله سوف تتحقق، جزء منها يتوقف علينا نحن، وجزء منها يتوقف على الدول التى الآن هى مقسمة للصحراء.. نحن لا بد أن نثبت لهم أننا نستحق هذه الحرية.. أننا لسنا لصوصاً، ولسنا قطاع طرق، ولسنا مهربين، ولسنا متسللين، ولسنا مقوضين لاستقرار هذه الدول.. هذا سلوك لا بد أن نتحلى به حتى تطمئن هذه الدول، ولا تعود للخوف من حركتنا ولا تخاف من حريتنا.

عندما نثبت لهذه الدول هذا الأمر يجب عليها أن لا تقف في طريقنا، ولدينا شرط على هذه الدول، أن لا تستخدم صلاحياتها لتمكين الإستعمار والأجنبي من أن يضع أقدامه في الصحراء الكبرى، ودول الإستعمار يجب أن تفهم أنها لا تستطيع أن تضع قاعدة أو رِجلاً لها في الصحراء الكبرى بدون موافقتنا.

منطلقات لتعزيز حضور الأمة وتأكيد مكانتها

الحاج موسى فال *

يأتي خطاب القائد معمر القذافي، الذي تحدث فيه لجماهير الأمة، من مدينة تمبكتو الإسلامية بجمهورية مالي، في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، الموافق لـ 10 من شهر الطير (أبريل) 2006 مسيحي، بمناسبة ذكرى مولد الرسول ﷺ، ليؤكد مرة أخرى عمق رؤية القائد، لقضايا المسلمين.

حيث تناول بحضور عدد من قادة العالم الإسلامي، ورؤساء المنظمات والمؤسسات الإسلامية من مختلف دول العالم، بالإضافة إلى شيوخ وزعماء قبائل الصحراء الكبرى، في معرض حديثه الهام عددا من القضايا المعاصرة التي تشغل اهتمام العالم الإسلامي، ليهز ضمائر المسلمين، كما دفع الأوساط الغربية إلى الشعور بضرورة إعادة النظر في أمور كانت تحسبها من المسلمات.

ولعل مما يزيد من أهمية هذا الحدث التاريخي، أنه يأتي في ظروف دولية صعبة، بدءا بما نشاهده اليوم من حرب على العراق، واحتلال لفلسطين، ومن أحداث وحروب مروعة، واغتيالات وهتك لحقوق الإنسان، ومحاولات إهانة شخص الرسول الكريم ﷺ، بواسطة رسوم ساخرة، ومن تفجير للمؤسسات والمرافق العامة، وتشريد الملايين من النساء والأطفال.

ومن هنا فإن الرؤية الموضوعية لهذا الخطاب، تفرض على المتابع النظر لمضامينه بشمولية وهو منطلق لا بد منه للوقوف على دلالاته واستخلاص النتائج بما تشكله من رؤية منهجية متكاملة لقضايانا المعاصرة.

ومن هذه المضامين:

1ـ تعريف الخطاب: وهو كما يعرفه بعض المفكرين والفلاسفة هو «السياق الذي تتطور من خلاله مواقف سياسية وثقافية ودينية»، حيث يقول العالم (بينيفيت) معرفاً الخطاب بأنه: هو الظاهرة اللغوية المتجسدة في الاتصال الحي المباشر، فالممارسة الخطابية هي مجموعة من قواعد لغوية وتاريخية محددة بالزمن والمكان، والوضع الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي والجغرافي للمستهدفين من الخطاب.

وقد حدد المفكرون ونقاد الخطاب ـ تحت مصطلح

* باحث / السنغال

الاستراتيجية الخطابية - عدة شروط لنجاح أي خطاب، وهي تتلخص في:

أ - الموقف: أي الوضع الذي يلقي فيه المتحدث خطابه من حيث ظروف الزمان والمكان، ووضعية المخاطب بالنسبة للمتلقين، والظروف التي استدعت هذا الخطاب...).

ب - معرفة الشرائح المتلقية للخطاب، ومن ثم تحديد نوع الخطاب المتوجب إلقاؤه.

ج - الهدف من وراء إلقاء الخطاب.

د - الخطة الخطابية: وفيها يتم تنظيم الأفكار والجمل، بحيث تكون في تسلسل وتوافق منطقي يصب في مصلحة الهدف المنشود من وراء الخطاب، فمثلاً تنوير الشعوب والجماهير بمخاطر حالة معينة، التي قد تترتب عليها عواقب وخيمة عليهم.

ويأتي خطاب معمر القذافي، ليكشف زيف المزاعم الغربية المغلفة بشعارات جذابة، مثل: التباكي على حقوق الإنسان، فما يعيشه العالم اليوم من جريمة منظمة تجاه الإنسانية، بدءا من التجهيل المتعمد، وصولا إلى ما نشاهد اليوم من مآسي.

مقدماً الدليل على خطأ مناهج الغرب، مبيناً أنه السبب في الرؤية الخاطئة للإسلام والمسلمين، مؤكداً على ضرورة تصحيح تلك المناهج، من أجل بناء علاقات تقوم على الاحترام والتعاون.

ولعل أكثر ما يشد الانتباه في هذا الخطاب المهم، أنه يأتي في ظروف صعبة يمر بها العالم الإسلامي، وهي نقطة لا بد أن تحسب للقذافي، ففي الوقت الذي يموت أبناء الأمة مادياً من الجوع والفقر، ومعنوياً من الجهل والأمية، نجد القائد يعيد لهذه الأمة روح المبادرة، من خلال هذا الطرح المتميز، منتقلاً بالإنسان المسلم من خانة الانفعال إلى موقع الفعل والتأثير.

فبعد أن تعود البعض على حياة التقليد، باعتبار أن

ونحن لايمكن أن نوافق على وجود الإستعمار في الصحراء الكبرى.

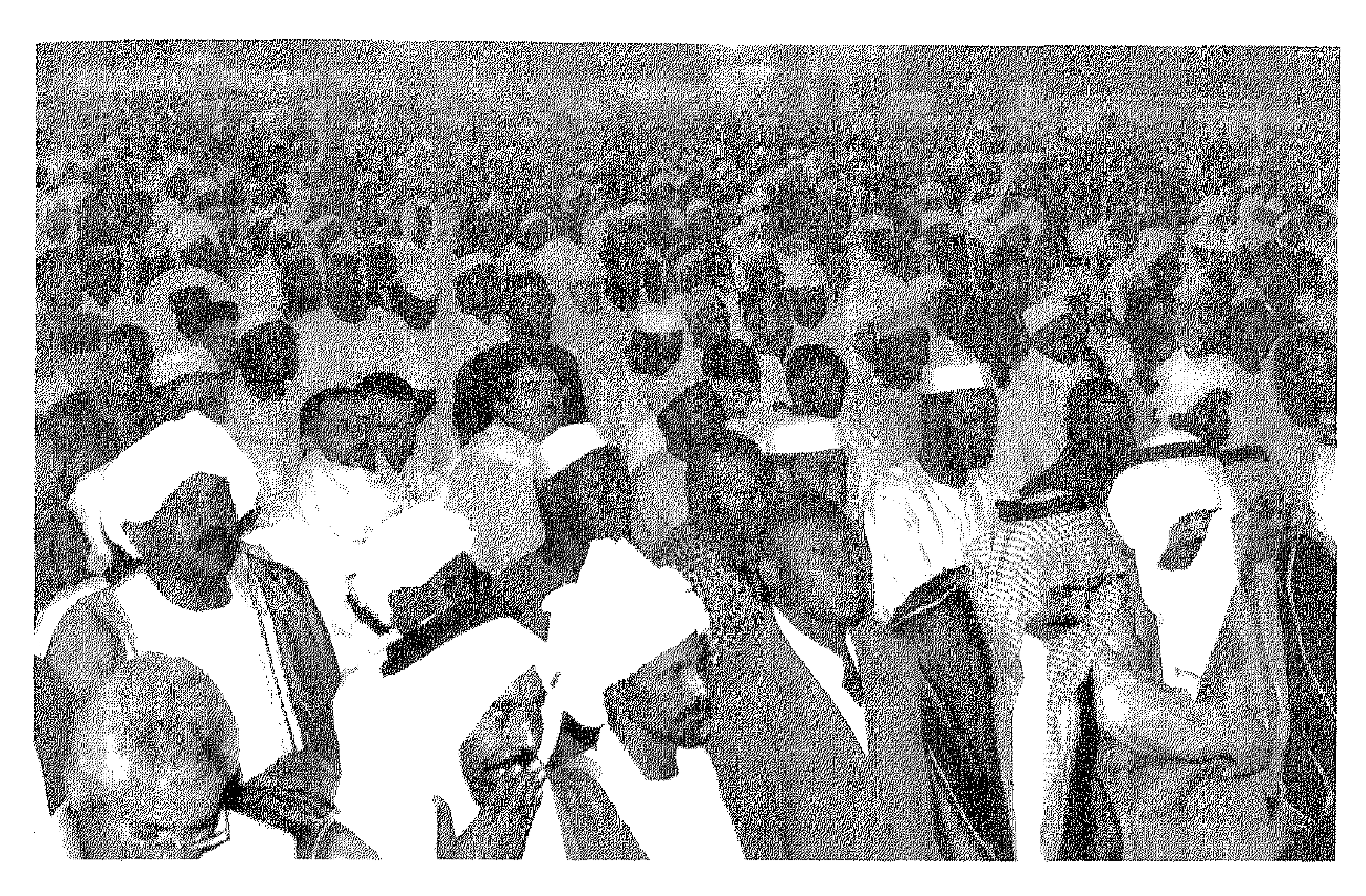
ميثاقنا يرتبط بيوم مقدس

إذن حتى دول الإستعمار، لو كانت الحكومات توافق معها، وتسهل لها دخول الصحراء، تعرف أن سكان الصحراء هم الذين يستطيعون أن يقرروا كل شيء.

إذن الهدف أصبح واضحاً وكُتب في الميثاق وسنلتزم بهذا الميثاق.. لأنه صدر في يوم مقدس.. يوم الإثنين الثاني عشر من الربيع الأول يوم ميلاد ووفاة النبي محمد ﷺ.. هذا الميثاق مربوط بهذا اليوم المقدس، وبالتالي هذا الميثاق سيكون مقدساً.

ويجب على الدول التي تقع في الصحراء أن تفهم هذا الميثاق.. أوروبا ستسمع وتقرأ هذا الميثاق.. أمريكا ستقرأ هذا الميثاق.. الصين ستقرأ هذا الميثاق.. كل العالم سيعرف هذا الميثاق.. وهذا حقنا الطبيعي في الصحراء الكبرى، لأن هذه صحراؤنا.. هذه أرضنا.. هذا بيتنا.. وهي صحراؤنا نعيش فيها ونموت فيها وليست لأحد غيرنا. يجب أن نعيش فيها بحرية.. ونحن ناس ملتزمون وعندنا أخلاق ونحترم الحرية.. ولايمكن أن نستخدم حريتنا في العبث.. لا نريد في هذه الصحراء أي مشكلة.. وأي مشكل نحله بأنفسنا.

الدول نطمئنها ونقول لهم اطمئنوا لا تتعبوا أنفسكم، لا تعملوا شرطة، لا تعملوا جيشا لا تعملوا أي إجراءات، نحن سنقوم بكل شيء بأنفسنا، نحن لن نعمل تمرداً، لن نعمل تهريبا، لا تسلل، هذا يتعلق بحياتنا المعنوية



كل شيء يستورد من الغرب، بدءا من نظمنا وأفكارنا، وحتى أموالنا تدار في الغرب، بمعنى أن قرارنا ينتهي إلى الغرب، حتى أن أكثر حكامنا وجل علمائنا يلزمون الصمت والسكوت أمام جبروت الغرب، رغم كوننا نردد دائما قول الرسول ﷺ: (الساكت عن الحق شيطان أخرس). ففي هذه الظروف الصعبة جاء خطاب القائد بجرأته المعروفة وشجاعته المعهودة ليرد بأسلوب حضاري، على الغرب الذي يحاول الاستعلاء على الأمم والشعوب، مروجاً لمبدأ التفوق العنصري والحضاري على الآخرين.

ومن هنا فإن التاريخ ليشهد للقائد هذه الجرأة، في وقت نجد فيه أن أكثر الزعماء المسلمين لم يعودونا إلا الحديث عن السياسة والاقتصاد، حيث إنهم لا يحدثوننا عن الدين وعن ضرورة الدفاع عن مبادئه. يضاف لذلك اختيار القائد معمر القذافي للزمان والمكان المحددين الأساسيين لنجاح الخطاب، وهو ما يعزز هذه الرؤية الواضحة ويزيد من أهمية هذا الحدث، فتمبكتو بما تشكله من أبعاد اجتماعية وثقافية وتاريخية، وذكرى مولد الرسول ﷺ، لا بد أن يجعلنا أمام رسالة واضحة وقوية، بقدر ما هو لفتة حضارية لاستنهاض همم أبناء الأمة من جهة، ومن جهة أخرى تذكير العالم بعطاء الحضارة الإسلامية.

لماذا تمبكتو، يقول القائد في خطابه المهم إلى الأمة: «تحد جديد ينطلق في اليوم العظيم من تمبكتو، العالم اليوم يعيد النظر في معطيات مسلم بها بعد يوم تمبكتو، موضحاً أن الإسلام قدر البشرية، لأنه الدين الذي اختاره الله سبحانه وتعالى للبشرية، مبيناً أن هذه الكلمة هي كلمة الله وإرادته.

ولأن الناس عرفوا دور الحواضر والمدن الإسلامية في نشر الإسلام، اختيرت مدينة تمبكتو، للإعلان عن هذا التحدي والزلزال الجديد الذي يسمعه العالم من هذه الحاضرة بالذات، من تمبكتو دون سائر الحواضر الإسلامية الأخرى، لأنه يريد أن يذكر بتاريخ هذه الحاضرة الضاربة في أعماق الصحراء الكبرى، التي قيل عنها (مدينة إسلامية لم يسجد فيها لغير الله).

كما اختير المولد النبوي الشريف لأنه في مثل هذا

ضرورة تشكيل لجنة لمراجعة مناهجهم التي تبعث في نفوس أبناء الغرب الكراهية والبغض ضد الإسلام والمسلمين،

اليوم ولد الرسول ﷺ وتوفي فيه، وانقطع الوحي وختمت النبوة.

يقول معمر القذافي معللاً سبب اختيار هذا اليوم لإلقاء خطابه التاريخي: «فهذا اليوم يوم تاريخي عظيم في تاريخ البشرية لأن فيه مولد الرسول ﷺ، وكذلك توفي في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وفي ذلك إشارة للمسلمين والعالم، إلى علاقة ذلك بالاختيار الرباني وهذه بحد ذاتها إحدى الكرامات التي أرادها لرسوله الكريمﷺ، ولا يتسع لنا المقام لتحليل وتفصيل جميع النقاط التي تناولها القائد في خطابه بل نجمل ونقول، بأنه تحدث عن عالمية نبوة محمد ﷺ وضرورة إتباعه من قبل اليهود والنصارى والبشرية كافة، كما أشار إلى حتمية الدفاع عن موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام لأنهم جميعاً أنبياء الله، وإن كان الأولان أرسلا إلى أقوام معينة وفي زمان محدد، فإن محمداً ﷺ قد بعث إلى الناس كافة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما دعا القائد في معرض حديثه الغرب إلى أرضية مشتركة تتصافح فيها الأمم والشعوب والثقافات والحضارات، بدون أن تستعلي إحداها على الأخرى، وذلك في حوار إنساني وحضاري، بخلاف ما يدعو إليه هنتغتون: حتمية صراع الحضارات.

ورغم هذا الموقف السلمي الحضاري، فإن القائد لا يقبل أن تداس بالأقدام كرامة المسلمين وعزتهم، لذلك يدعو بإصرار إلى ضرورة تشكيل لجنة إسلامية أمريكية لمراجعة مناهجهم التي تبعث في نفوس أبناء

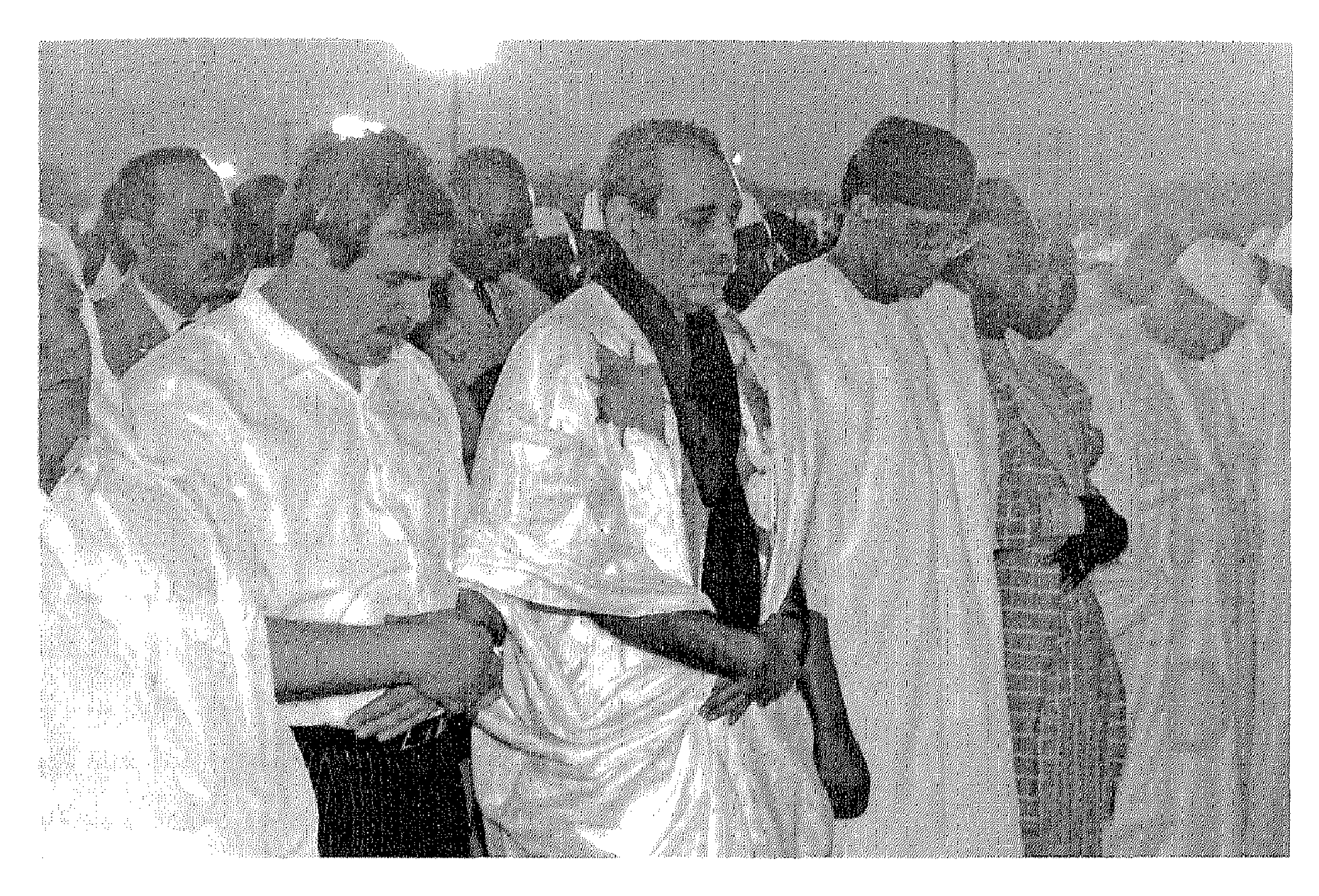
والمادية، حياتنا المادية ستتحسن ونستفيد، وأهم شيء حياتنا المعنوية نحن سُكَان الصحراء (بطوننا ليست كبيرة) لا نحتاج كالآخرين لحياة برجوازية ولترف ولبذخ، أغلى شيء عندنا: الحرية والكرامة.

هذا الكلام التاريخي لا نقوله وننساه. من الليلة سنتابع كل كلمة قلناها وكل كلمة كتبناها في هذا الميثاق، وسوف يشهد العالم على أننا كنا جادين، وأننا أمة جديرة بأن تحيا بحرية في الصحراء الكبرى.

علاقاتنا الإجتماعية هي الرابط الأساسي بيننا وهي أقوى من الروابط السياسية والإدارية التي تربط الآخرين، حتى لو نتفرق من الآن كل واحد يرجع لمكانه لكن عملنا رابطة، عملنا ميثاقا أعلنا عن تشكيل قيادة شعبية إجتماعية، أعلنا عن تشكيل رابطة لقبائل الصحراء الكبرى.

سنعمل كل الترتيبات لكي ننفذ ذلك، وإذن إن شاء الله، أنا سأتابع كل قبيلة منكم، ولا سمح الله لو قبيلة من قبائل الصحراء الكبرى، تخالف هذا الميثاق سنبلغ كل قبائل الصحراء الكبرى، نقول إن القبيلة الفلانية أساءت لكم وعملت لوحدها.

سندافع عن بعضنا، سنحمي بعضنا، سنقدم المساعدة لبعضنا.



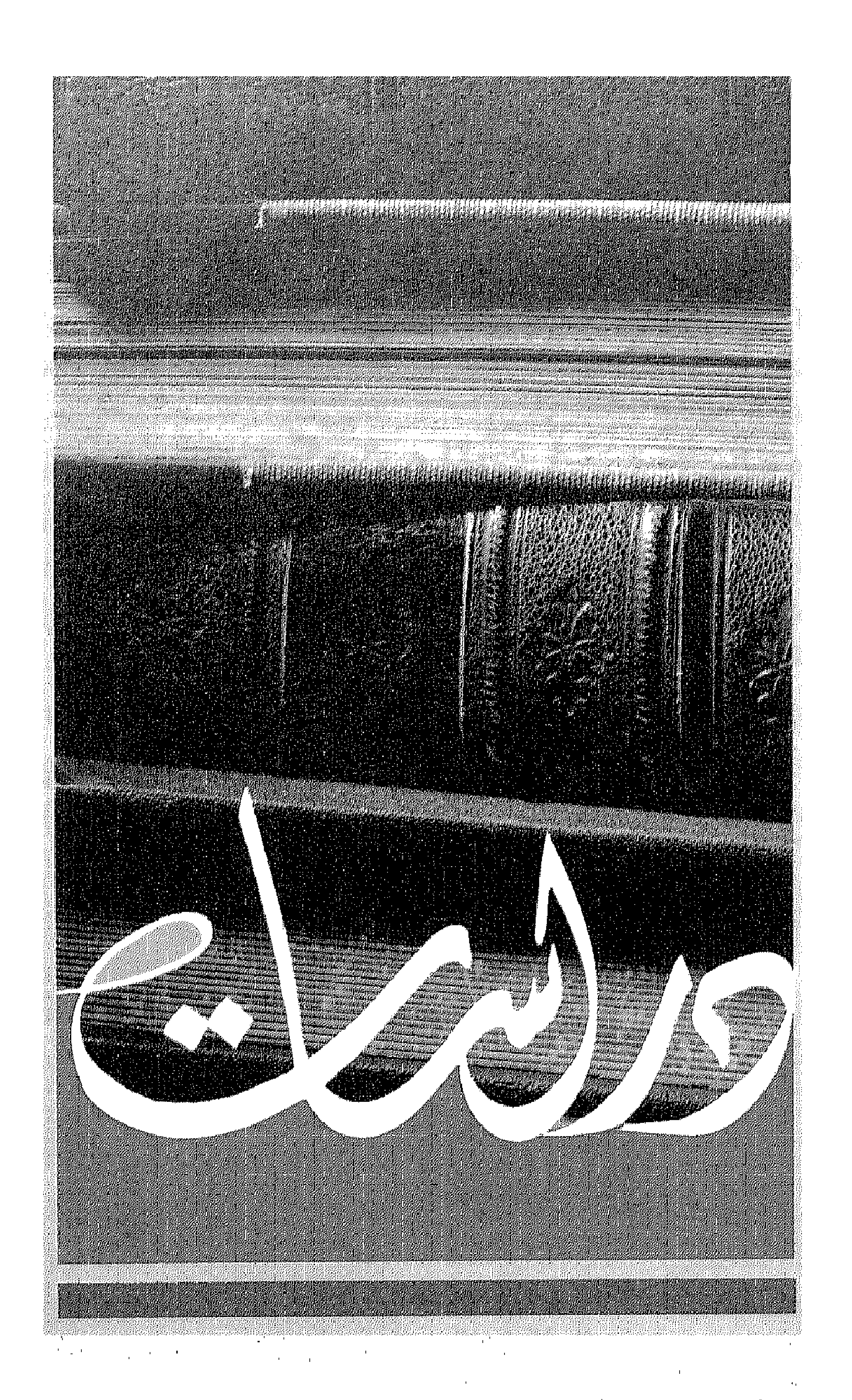
الغرب الكراهية والبغض ضد الإسلام والمسلمين، وتحجب عن الشعوب الغربية نور الحقيقة، وذلك في إطار المعاملة بالمثل، حيث إنهم عملوا على تشكيل لجان أمريكية إسلامية لمراجعة المناهج في بعض الدول الإسلامية.

ومن أهم ما تناول القائد في خطابه قضية تزوير الأناجيل المعمول بها حاليا، مشيرا إلى الأناجيل التي حذفت، محدداً إنجيل برنابا، مشددا على ضرورة إظهاره على وجه المعمورة، لنرى ما ذا قال هذا الكتاب عن الرسول ﷺ.

منطلقات لا بد منها

ولعلنا نخلص هنا إلى نتيجة منهجية، وهي ضرورة فهم المعاني والوقوف على دلالات كل خطاب نريد تحليله، حتى نتمكن من إدراك ما جاء فيه، وهذا شرط أساسي للوقوف على الحقيقة، حيث إن عناصر الموضوع ترتبط ببعضها البعض إرتباطا وثيقا، فهو يقدم القضايا وفق رؤية شاملة ترتبط عناصرها، وعليه لا يمكن تجزئة بعضها عن بعض، و بدونها جميعا يصعب فهم وإدراك ما يرمي إليه صاحب الخطاب، يضاف لذلك أن تجنب منهجية الشمولية والتكاملية في أي عملية تحليل أو دراسة، يعتبر إخلالاً بالموضوعية والعلمية، ونقصا في السلوك العلمي، وإخلالاً بالآداب الإسلامية، وهروباً إلى الأمام عند خوض نقاش علمي بناء، ولعل ذلك ما ذهب إليه النقاد والمفكرون حينما يقولون: إن معنى الكلمات والمصطلحات ينبغي أن يفهم بحسب موضعها، وبحسب قائلها أو كاتبها وظروفه.

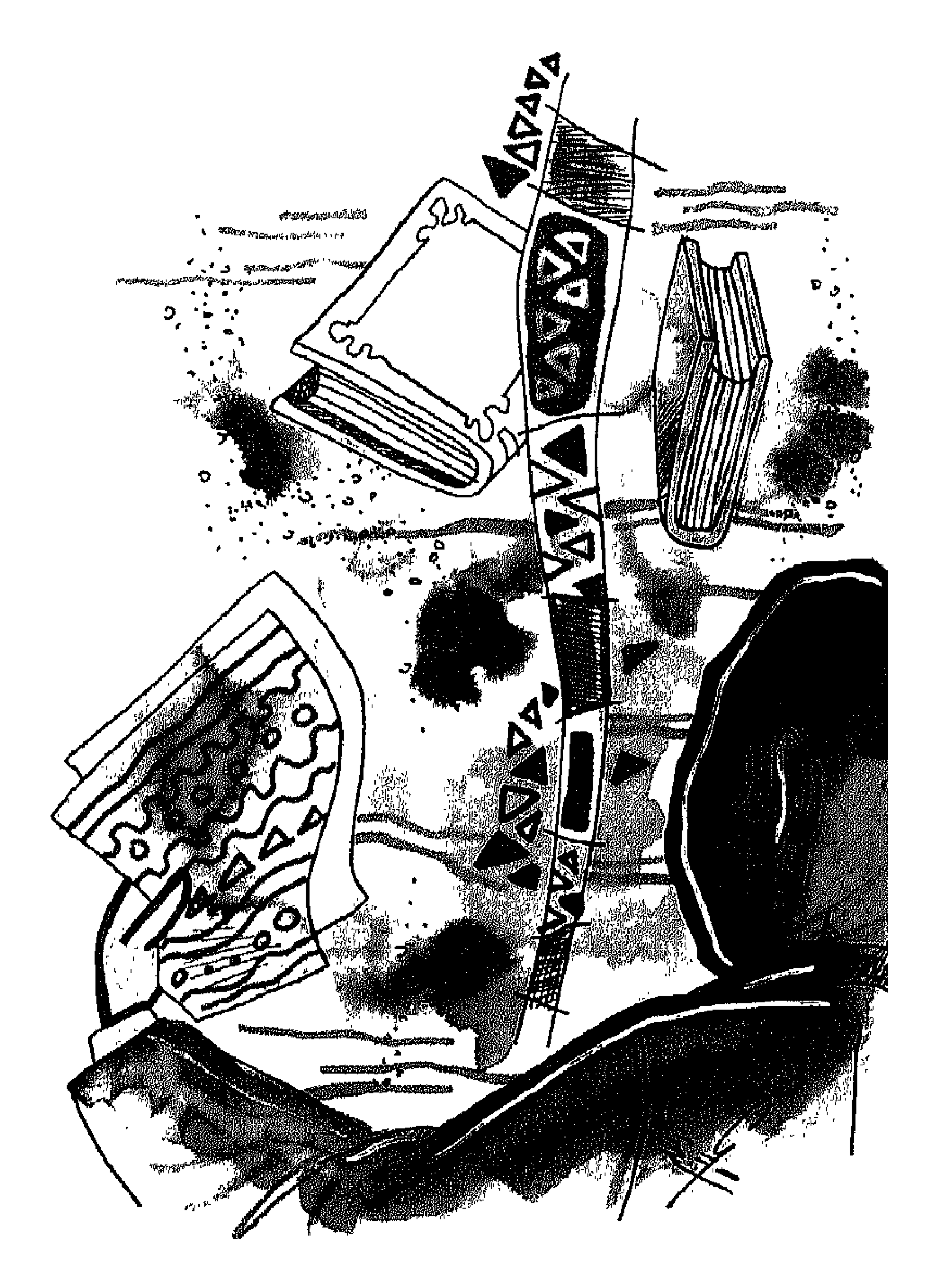
ومن هذه النقطة نقول إن خطاب تمبكتو يؤكد من جديد كون معمر القذافي رجلاً قيادياً من الطراز الأول، فهو يقوم دائماً بتشخيص الواقع العربي والإسلامي، والمشكلات التي يعاني منها المسلمون، لطرح حلول ناجعة برؤية استراتيجية واضحة المعالم.



* أركون والقرآن
* حقوق الأقليات وواجباتها في المجتمع الإسلامي

أركون والقرآن

الدكتور محمد إسحاق الكنتي*



في دراساته العديدة حول الفكر الإسلامي، وحـول الـقـرآن بشـكـل خـاص ، لا يترك (محمد أركون) فرصة تمر دون أن يلح على أنه يعتمد على ما يسميه «مكتسبات العلوم الإنسانية»[1] وأنه افتتح حقلاً معرفياً جديداً يسميه «الإسلاميات التطبيقية»[2]. ظل (أركون) يكتب باللغة الفرنسية، وللقراء الفرنسيين تحديداً، ليقدم لهم تصوراً للإسلام مبنياً بمناهج العلوم الإنسانية الرائجة في الجامعات الفرنسية. وبذلك ظلت أفكار (أركون) بعيدة عن الساحة الفكرية العربية... لكن مع قيام الثورة الإسلامية في إيران، وتنامي ما اصطلح على تسميته بالصحوة الإسلامية في البلدان العربية، وفي الجزائر خصوصاً، قرر (أركون) توسيع مجال نشاطه إلى الثقافة العربية، فظهرت في الثمانينات ترجمات لبعض مؤلفاته، ثم ما لبث أن اتخذ له مترجماً رسمياً ،ينقل أفكاره من أصلها الفرنسي إلى العربية.

تمتاز أعمال (أركون) عن غيرها من المشاريع الفكرية، التي تناولت التراث العربي الإسلامي، بأنها تتناول هذا التراث بمنهجية، تمثل قطيعة مع المسار

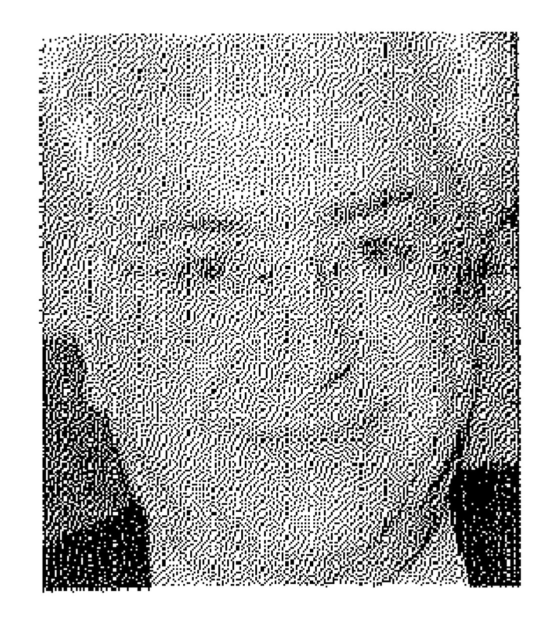
* باحث وأستاذ جامعي عراقي/ ليبيا

1 ـ أركون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط 1 ـ 1999، ص: 143.
2 ـ المرجع نفسه، ص: 156.

التاريخي الذي سار فيه الفكر العربي الإسلامي. فإذا كانت بعض المشاريع تقترح تأويلاً ماركسياً (حسين مروة، طيب تيزيني) [3]، وأخرى تحاول دراسة بنيوية (الجابري) [4] تبحث في آليات ذلك التراث، فإن (أركون) يصب جهوده على إقصاء التراث العربي الإسلامي، عن مجال الفعل في الحاضر.

بمعنى أن التأويل الماركسي، والمحاولة البنيوية يهدفان، كل من منطلقاته، إلى إعادة تفعيل التراث العربي الإسلامي في حاضر الأمة.

لكن (أركون) يجتهد في تبيان أن التراث العربي الإسلامي قد تم تجاوزه، ومن ثم فإن أعمال (أركون) تحاول إقناع المسلمين، بشتى الطرق، بأن منفذهم الوحيد إلى الحداثة ـ كما يراها ـ هو الخروج من «السياج الدوغمائي»[5] الذي يقيمه حولهم التراث العربي الإسلامي...


محمد أركون

يعتقد (أركون) أن أي محاولة لإحياء التراث تمثل سعيا عكس اتجاه التاريخ. فقد تم تجاوز المرحلة التاريخية، التي كان يمكن للتراث الإسلامي فيها أن يكون فاعلاً اجتماعياً، بمعنى أن التراث العربي الإسلامي (بما في ذلك القرآن) نتاج بنيات اجتماعية [6] لم تعد قائمة منذ عصور، وهو بالتالي لا يستطيع أن يؤثر بشكل إيجابي إلا في تلك البنيات والبيئات التي أنتجته، وحين يراد تفعيله في بنيات اجتماعية مغايرة تماماً، فإن دوره سيكون سلبياً حتماً. [7]

يجتهد (أركون) إذن في أن يحرر المسلمين من «وهم» حافظت على جذوته تصورات أسطورية غذتها رؤى فكرية (أيديولوجية) أفادت من غياب النقد العلمي للتراث الإسلامي، فشادت خطاباً تبجيليا حول التراث الإسلامي، جعله في منآى عن أي نقد، وأخرجه بذلك من سياقه التاريخي[8]. وسيتكفل (أركون) بإعادة ذلك التراث إلى سياقه التاريخي، من خلال قراءة نقدية لنصه المؤسس (القرآن)...

القرآن: الصلة بين الخطاب والنص

يقيم (أركون) تعارضا يعده جوهرياً، بين ما يسميه «الخطاب القرآني» و «النص القرآني». يستند هذا التعارض - في رأيه - إلى أن الخطاب الشفوي حين يصبح نصاً مكتوباً، يفقد الكثير من حيثياته، مما يؤثر بشكل كبير على المعنى الذي لا يمكنه أن يتطابق في حالة الخطاب الشفوي، وحالة النص المكتوب.

يقدم (أركون) تعريفا للقرآن لا يختلف عما نجده في المدونات الإسلامية التقليدية (الكلاسيكية) «... معنى كلمة قرآن، التي هي في اللغة العربية مصدر للفعل قرأ، وفي القرآن نفسه نجد أن جذر المادة قرأ يدل بالأحرى على معنى التلاوة، وذلك لأنه لا يفترض مسبقاً وجود نص مكتوب أثناء التلفظ به للمرة الأولى من قبل محمدﷺ... فالفكرة الأساسية تكمن في التلاوة المطابقة للخطاب المسموع، لا المقروء»[9]

لا خلاف بين المسلمين على أن القرآن خطاب شفوي كان النبي ﷺ يتلوه على أصحابه، لكنهم لم

3ـ مروة، حسين: النزعات المادية في الفلسفة الإسلامية، دار الفارابي، بيروت.

4ـ تيزيني، طيب: مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط، دار دمشق، سوريا.

5ـ الجابري، محمد عابد: نقد العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

6ـ يقول أركون: «... ما الذي أقصده بالسياج الدوغمائي المغلق ؟ أقصد مجمل العقائد الدينية والتصورات، والمسلمات، والموضوعات التي تتيح لنظام من العقائد واللاعقائد، أن يشتغل بمنآى عن كل تدخل نقدي، سواء من الداخل أو من الخارج » الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ص: 65 ـ 66.

7 يرى أركون ،أن «الضرورة العلمية» تدعو إلى «... النظر إلى المجتمعات أولاً، لا إلى الدين الذي أنتجه المجتمع، أكثر مما أنتج هو نفسه المجتمع» أنظر: أركون: نافذة على الإسلام، ترجمة صباح الجهيم، دار عطية، بيروت ط2 ـ 19878 ـ ص: 171.

8ـ أركون: الفكر الأصولي، ص: 56 ـ 75.

9ـ أركون: الفكر الإسلامي (نقد واجتهاد)، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط2 ـ 1998، ص: 77.

يستنتجوا من ذلك أن كون القرآن في الأصل خطاباً شفوياً، يحتم اختلافه عن القرآن المدون في المصحف.

ذلك أن عملية التدوين، كانت تتم بشكل فوري مما منع تعدد الروايات، ولكون القرآن ذاته - في اعتقاد المسلمين - معجزة لا يمكن أن يلتبس بغيره من الخطابات. فلم تكن هناك إمكانية لإنتاج خطاب مطابق له، لذلك ظل فريداً في صيغته الخطابية والكتابية.

لكن هذا الإيمان الذي درج عليه المسلمون لم يمنع (أركون) من إثارة إشكاله حول اختلاف مزعوم بين الخطاب القرآني والنص القرآني. في هذا الاتجاه يقدم (أركون) تعريفا للخطاب القرآني يجعله يسير حتما في اتجاه الاختلاف مع النص.. «وعندما نقول الخطاب القرآني، نقصد العبارات الشفهية التي تلفظ بها النبيﷺ ضمن حالات الخطاب وحيثياته التي لم تنقل كلها بحذافيرها وبأمانة (أسباب النزول)» [10].

تقوم أولى حالات الاختلاف بين الخطاب القرآني والنص القرآني - حسب (أركون) - في أن عملية النقل من الشفهي إلى الكتابي، أدت إلى غياب بعض العناصر المصاحبة لبنية الخطاب، وهي عناصر لم تنقل «بحذافيرها وبأمانة» وهو ما يشير إلى أنه ربما كان هناك فعل قصدي، عمل على تغييب تلك العناصر... يذكر (أركون) من هذه الحالات أسباب النزول، وقد ألف المسلمون كتبا عديدة فيها[11]، ولا يخلو كتاب تفسير من ذكرها ! ومن الطريف أن السيد (أركون) يجد اتفاقاً بين الخطاب القرآني، والنص القرآني في عملية الحذف هذه. فالخطاب القرآني يمارس حذفا هو الآخر لبعض الوقائع والتحديدات كما يقول (أركون): «سوف نسجل هنا إحدى السمات الحاسمة للبلورة البلاغية والمعنوية للخطاب. نلاحظ أن التحديدات الزمنية، والمكانية، والوقائعية - الأحداثية، وأسماء الأشخاص، كلها تحاشاها الخطاب القرآني بشكل منظم، وعلى طول الخط، فجماعات المتنافسين أو المتحاربين، حولت إلى أبطال لدراما روحية»[12].

لعل القارئ للقرآن الكريم يستغرب مثل هذا القول، إذ يحفل القرآن بالتحديدات المكانية (مكة - يثرب - تحت الشجرة - مصر - حنين - بدر...)[13] والزمانية (ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً - بضع سنين، سبع ليال وثمانية أيام - الفجر - الظهيرة - العشاء - أربعة أشهر وعشراً...)[14].

أما التحديدات الوقائعية - الأحداثية، ففي قصص القرآن خير دليل عليها، وقد ساقها القرآن للعبرة والإعجاز (قصة يوسف - أهل الكهف - قوم نوح - عاد وثمود - موسى وفرعون...)[15]، بل إن الوقائع التي حدثت أثناء نزول الوحي تسجل بتفاصيلها (المجادلة - اللعان - أخبار المنافقين...)[16] وقد ذكرت الأسماء في القرآن بإسهاب كبير، خاصة في قصص القرآن، ومن مجتمع الجزيرة أيام النبي ﷺ (محمد - زيد - مريم - قارون - هامان...)[17].

---

10 - المرجع نفسه، ص: 98.

11 - كتب فيها علي بن المديني ،شيخ البخاري من المتقدمين، كما كتب الواحدي كتابا سماه «أسباب النزول» طبع في مصر عام 1315هـ. وللسيوطي «لباب النقول في أسباب النزول » طبع بهامش تفسير الجلالين في بولاق 1280هـ. كما اهتم الأصوليون بأسباب النزول، حيث خصص لها الزركشي الفصل الأول من كتابه «البرهان في علوم القرآن»، وكذلك فعل أبو الوليد الباجي، في كتابه «إحكام الفصول في أحكام الأصول» حققه عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي ط2 - 1995.

12 - أركون: الفكرالأصولي، ص: 141.

13 - الفتح الآية 24 وورد لفظ بكة، آل عمران 96 - الأحزاب 13 - الفتح 18 - يونس 87، يوسف 21، يوسف 99، الزخرف 51 - التوبة 25 - آل عمران 123.

14 - الكهف 25 - يوسف 34، الروم 04 - الحاقة 7 - البقرة 187، الإسراء 78، النور 18 - الفجر 01 - القدر 05 - النور 58 - يوسف 16 - النور 58 - البقرة 234.

15 - وردت هذه الأخبار في أكثر من سورة، وأكثر من آية.

16 - المجادلة 10 - النور 6, 7, 8 - ترد أخبارهم كثيرة في القرآن ،خاصة في سورتي التوبة، والمنافقون.

17 - الأحزاب 40 - الفتح 29 - آل عمران 144 - الأحزاب 37 - ورد اسمها في أكثر من سورة، وأكثر من آية (مثال: البقرة 87 - آل عمران 36 - النساء 156 - المائدة 17 - التوبة 31 - مريم 16 - المؤمنون 50 - الأحزاب 07 - الزخرف 57 - الحديد ..27.) العنكبوت 39 - غافر 24 - القصص 6, 8, 38 - العنكبوت 31 - غافر 24, 36.

كل هذه التحديدات، وغيرها كثير، لم ير منها (أركون) شيئاً ليقول إن «جماعات المتحاربين حولت إلى أبطال لحكاية (دراما) روحية»!

فأين هي الحكاية (الدراما) الروحية في وصف القرآن لحصار الأحزاب للمدينة، وحالة الذعر التي انتابت بعض أهلها؟! وأين هي في وصفه لانتصار المسلمين في بدر، وهزيمتهم في أُحد؟! لقد كان الخطاب القرآني ـ في هذه الحالات وغيرها ـ يصف أحداثاً عينية واقعية عاشها الذين يتلى عليهم، ولم يكن يصور حكاية (دراما) روحية، وإنما يستثمر الأحداث الدنيوية جداً ليستخلص منها المؤمنون دروساً تفيدهم في دنياهم، ففي أحد يعاتبهم على عصيانهم أوامر النبي ﷺ، وتهافتهم على جمع الغنائم ولما يتم لهم النصر بشكل نهائي.

وفي حُنين يعلمهم عدم الاستخفاف بالعدو... كل هذه وقائع دنيوية أبعد ما تكون عن الحكاية (الدراما) الروحية.

القرآن معجزة لا يمكن أن يلتبس بغيره من الخطابات. فلم تكن هناك إمكانية لإنتاج خطاب مطابق له، لذلك ظل فريداً في صيغته الخطابية والكتابية.

هكذا، لا يجد (أركون) اتفاقاً بين الخطاب القرآني والنص القرآني إلا في حالات الحذف، وبذلك فإن الخطاب والنص، كليهما عرضة للطعن، فالأول يحذف أشياء مهمة بفعل صياغاته وبلورته البيانية، والثاني بفعل قصدي من أولئك الذين دونوه في ظروف يراها (أركون) غامضة.

وإذا كان السيد (أركون) يستطيع أن يحكم على نص القرآن، فيتهمه بالحذف، فكيف تسنى له ذلك في حالة الخطاب القرآني، وهي الحالة الشفهية الأولى للنص التي لم تصلنا ! ولا يستطيع السيد (أركون) أن يعتمد على النص لإصدار حكم على الخطاب لأن محاججته تقوم على الفصل بين الخطاب والنص، فصل يقوم على أن النص لا يطابق الخطاب، وإنما يختلف عنه ! هذا الاختلاف هو ما يلح عليه (أركون) محاولاً تتبع عملية تحول الخطاب القرآني إلى نص، وما رافق تلك العملية من حيثيات ساهمت في تمكين الاختلاف بين الخطاب والنص. فالقرآن «مجموعة من العبارات الشفهية في البداية. ولكنها دونت كتابة ضمن ظروف تاريخية لم توضح حتى الآن، أو لم يكشف عنها النقاب. ثم رفعت هذه المدونة إلى مستوى الكتاب المقدس، بواسطة العمل الجبار والمتواصل لأجيال من الفاعلين التاريخيين»[18].

يعود منطق التشكيك مرة أخرى، هناك عبارات شفهية نقلت إلى مدونة نصية، في ظروف غامضة مما يبرر التساؤل حول الصلة بين هذا النص ـ الذي تمت بلورته عبر التاريخ ـ وبين العبارات الشفهية التي تلفظ بها النبي ﷺ أول مرة.ما يريد (أركون) أن يقوله هو أن المدونة النصية تعود إلى «أجيال من الفاعلين التاريخيين» الذين رفعوها إلى مستوى «الكتاب المقدس»، بينما تعود العبارات الشفهية إلى النبي ﷺ. «مجمل هذه العبارات الشفهية سوف تسجل في ما بعد في كتاب بالمعنى الثقافي والعادي للكلمة هنا، وليس بالمعنى المتعالي للكتاب المقدس»[19].

بذلك نصل إلى الغاية من هذا الإلحاح على التفرقة بين الخطاب القرآني والنص القرآني. تتمثل هذه الغاية، في محاولة نزع القداسة عن المصحف بوصفه كتابا «بالمعنى الثقافي والعادي للكلمة».

ما دام المصحف في حقيقته «مجرد كتاب عادي، فإن «الأمة المفسرة»[20] تحاول أن ترفعه إلى مستوى الكتاب المقدس، عن طريق تقديمه على أنه يحوي نفس العبارات الشفهية التي تلاها النبي ﷺ لأول مرة. هذه

18ـ أركون: الفكر الأصولي، ص: 41.

19ـ أركون: العلمنة والدين الإسلام المسيحية، الغرب، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط2 ـ 1993، ص: 46.

20ـ المرجع نفسه، ص: 57.

الدعوى هي التي ينبغي دحضها من خلال الإلحاح على أن الخطاب الشفهي حين يصبح نصاً مكتوباً يفقد الكثير من حيثياته المصاحبة لحالته الشفهية، بحيث لا يعود هوهو، في حالة المدونة النصية...

لقد تلفظ النبي ﷺ بتلك العبارات الشفهية لأول مرة ضمن حيثيات الخطاب، وضمن ظروف تاريخية واجتماعية، لا يمكن إعادة إنتاجها. ومن ثم فإن تلك العبارات الشفهية. لا يمكن «تقييدها» في نص مكتوب، وإنما النص المكتوب، مادة مختلفة تماما تنسب إلى مدونها، الذي يدعي أنها تؤيد تلك العبارات الشفهية. وما يوسع الشقة بين الخطاب والنص، هو أن النص قد تبلور ضمن شروط غامضة ترقى عند (أركون) إلى حد التلاعب. «وعلى إثر هذه السلسلة المتتالية من الخلط والتشويش، فإن القيم الخاصة بأم الكتاب، وميزاته الأزلية التي لا تختزل، وكذلك قيم الخطاب القرآني الشفهي وميزاته، وقيم المدونة النصية الرسمية المغلقة، ثم مجموعات التفسير المعتاد (الكلاسيكي)، كل هذه القيم راحوا يسقطونها على المصحف، ويزعمون احتواءه عليها وهكذا أصبح المصحف مادة للتلاعب اللامحدود» (21).

ما يوسع الشقة بين الخطاب والنص، هو أن النص قد تبلور ضمن شروط غامضة ترقى عند أركون إلى حد التلاعب.

المصحف إذن «مدونة نصية مغلقة» تمت بلورتها من خلال عمليات تلاعب لا محدود! وبذلك فهو - حسب (أركون) - نص وضعي ليس أهلاً للثقة، وليس حرياً أن يكون كلام الله. إنه وثيقة مشوشة اختلط فيها الحشو بالحذف، بحيث لم يعد من الممكن تحديد معالم النص الأصلي وفصله عن الزيادات.

يخلط (أركون) هنا بين مستويين، النص في ذاته، واستثمار النص. «فمنذ أن تم جمع القرآن في «مدونة رسمية مغلقة» لم يتغير النص إطلاقاً، ولم يتعرض لأي شكل من أشكال التلاعب. ولا يستطيع السيد (أركون) إقامة دليل واحد على عكس ذلك. لكن هذا النص المؤسس لعقيدة وحضارة في نفس الوقت كان لابد من أن يتم استثماره في اتجاهات مختلفة، بل ومتعارضة أحياناً كثيرة. فقد ضمت الأمة الإسلامية أجناساً مختلفة، واستوعبت حضارات غير متجانسة، فنجم عن ذلك مصالح متضاربة أراد أصحابها الحفاظ عليها، ولم يكن ذلك ممكناً إلا عن طريق اكتساب الشرعية لهذه المصالح من خلال تأويل نص القرآن بما يخدم تلك المصالح...

لكن التلاعب بمعنى النص يختلف عن التلاعب بالنص ذاته، فالمعنى صيرورة تاريخية ومفهوم ثقافي، بينما النص وثيقة منجزة. ومن ثم فإن اختلاف المعنى ضرورة مرتبطة بالمفهوم ذاته، بينما اختلاف النص يعني أن الوثيقة لم تعد هي هي. فاختلاف التفاسير، وإسقاطات المعنى - النفسية والاجتماعية - لا تغير في بنية النص شيئاً، بحيث نقول إنه تعرض للتلاعب. ما يفعله (أركون) قريب من «اختلاق» خلاف بين الخطاب القرآني والنص القرآني، لأن ذلك يخدم أغراضه، ويتغاضى عن الفرق بين معنى النص الذي يستخرجه مستثمرون مختلفو الأهداف والإمكانات، والنص ذاته.

وإذا عدنا إلى محاججة (أركون) حول اختلاف الشفهي والكتابي في حالة القرآن نجد أنها - هي الأخرى - تقوم على خلط بين الاختلاف الذي تقيمه الألسنية بين مفهومي الخطاب والنص، وهو المرتكز الذي يستند إليه (أركون)، حين يقول «... ولا ريب في أن التمييز بين مفهومي الخطاب / والنص يتخذ أهمية أكبر على ضوء الألسنيات الحديثة »(22).

تقيم الألسنية هذا الاختلاف بين خطاب شفوي، أو تراث شفوي حين ينقل إلى لغة عالمة تفرض عليه

---

21 - أركون: الفكر الإسلامي (نقد واجتهاد)، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط2 - 8991، ص: 88.

22 - أركون: الفكر الإسلامي، ص: 77.

قواعد وتصورات لا تعود إلى مجاله. فحين ينقل الشعر العامي إلى لغة فصيحة، أو تكتب اللهجات الإفريقية بالحرف اللاتيني، فإننا سنكون أمام اختلاف كبير بين الخطاب الشفهي والنص المكتوب. ذلك أن كليهما يعود إلى مستوى معرفي مختلف، وينتمي إلى بنية ثقافية خاصة. فالشعر العامي له قواعده وجمالياته الخاصة التي تختلف عن قواعد وجماليات الشعر الفصيح. وحين يتم نقله إلى لغة فصيحة يتم استبدال هذه بتلك. من هنا اختلاف الخطاب الشفهي عن النص المكتوب لاختلافهما في البنية والتكوين وقل الشيء نفسه عن اللهجات الإفريقية، التي تكتب بحرف لاتيني، فخطابها الشفهي سيختلف كثيراً عن صيغتها المكتوبة. ذلك أن الحرف اللاتيني نتاج ثقافة وحضارة، وبنية مختلفة تماماً عن تلك التي نجمت فيها اللهجات الإفريقية. ومن ثم لا يستطيع الحرف اللاتيني التعبير عن الشحنة العاطفية والتصورات الذهنية للأفارقة، لأنه وضع أصلاً للتعامل مع ثقافة مختلفة تماماً. في هذه الحال لابد أن يكون الاختلاف كبيراً بين الشفهي والكتابي.

أما في حالة الخطاب القرآني والنص القرآني، فإن هذه الاختلافات غير ذات موضوع. فلم ينقل الخطاب القرآني - حين أصبح نصاً - من لهجة عامية إلى لغة فصيحة، ولم ينقل إلى لغة غريبة عن أصله الشفهي، ولم يمض عليه وقت طويل وهو رواية شفهية ثم تم تدوينه، مما يسوغ إمكانية الاختلاف، بمعنى أنه ليس هناك فاصل زمني بين حالته الشفهية وحالته الكتابية، وهذا ما يعترف به (أركون) نفسه[23].

مما سبق يتضح لنا أن تحليلات (أركون) ترتكز على دراسات في مجالات لا تماثل الحالة التي هو بصددها، ورغم ذلك يسحب نتائج تلك الدراسات على موضوعه، محاولاً بشتى الطرق (المشروعة!) أن يجعلها ملائمة له. وبذلك، فإنه يطوع موضوعه ليتلاءم مع نتائج دراسات، أنجزها غيره لأغراض غير أغراضه، وضمن شروط معرفية وثقافية مختلفة. فالفصل الذي تقيمه الألسنية بين الشفهي والكتابي لا ينسحب على حالة القرآن - للأسباب التي ذكرناها - لكن (أركون) يجهد في جعله ينسحب عليه، بدل أن يخضع القرآن الكريم بجهده الخاص للدراسات الألسنية ليحصل على نتائج ذات صلة مباشرة بموضوعه.

لقد استمرأ (أركون) هذه العادة في دراساته، إضافة إلى عادة أخرى لا تقل عنها خطورة، تتمثل في جعل النصوص تنطق بما يخدم أغراضه... ذلك ما فعله في نقده للتفاسير، خاصة تفسير الطبري، الذي يرى أنه يكتسي نفس القداسة التي يكتسيها القرآن عند المسلمين...

تحليلات أركون ترتكز على دراسات في مجالات لا تماثل الحالة التي هو بصددها.

قداسة التفاسير

يكتب (أركون) - في نصوصه الفرنسية الأصلية - لجمهور فرنسي بعيد الصلة بالإسلام فكراً وثقافة. لذلك يتساهل كثيراً في إطلاق أحكام يوجد لها شواهد، يعلم أن القارئ الفرنسي لن يتتبعها في أصولها، وأن نفس القارئ لا يملك معرفة دقيقة بالإسلام، تمكنه من مراجعة أحكام (أركون)...

أضف إلى ذلك أن السيد (أركون)، يقدم نفسه لقرائه الفرنسيين على أنه مسلم متخصص في الدراسات الإسلامية، ثم يقدم لهم صورة ملائمة جداً لمتخيلهم عن الإسلام، عقيدة وثقافة. كما يصور لهم المثقفين المسلمين (الفقهاء خصوصاً) في صورة رجال الكنيسة القروسطية محدودي الأفق، المتعصبين لعقائدهم الإيمانية التي بنوها على سوء فهم لنصوصهم المقدسة...

23- يعترف أركون بتدوين القرآن بشكل فوري على مضض، وبأسلوب مليء بالتشكيك. يقول: ز تقول رواية التراث الإسلامي... إن جمع القرآن قد ابتدأ إثر موت النبي مباشرة عام (632)، بل ويبدو أنهم دونوا في حياته بعض الآيات...س أركون: الفكر الإسلامي، ص: 85.

سوء الفهم هذا سيمحوه محمد (أركون) المتسلح بنتائج العلوم الإنسانية المعاصرة، لذلك يطلق أحكامه القاسية على الفقهاء بكثير من التعالي فيقول: «الشيء الذي ينبغي أن يحظى باهتمامنا هنا، وينبغي التركيز عليه هو ذلك المزعم المفرط والمغرور والمتبجح الذي يدعيه الفقهاء بأنهم قادرون على التماس المباشر بكلام الله وقادرون على الفهم المطابق لمقاصده العليا، ثم توضيحها وبلورتها في القانون الديني، ومن ثم تثبيت القانون الإلهي أو المؤله الخاص بالأحكام الشرعية التي ينبغي أن تتحكم أبديا بكل تصرف، أو كل تفكير يقوم به المؤمن الخاضع لامتحان الطاعة لله»(24).

تحدث جمهرة الأحكام هذه، تأثيراً قوياً في القارئ الفرنسي العَلْماني، الذي ينظر إلى المسلمين وثقافتهم ودينهم، من على برج إيفل، لكنها بالنسبة للقارئ المسلم لا تثير سوى الشفقة على كاتبها، لأنها تجانب الواقع بإسراف غريب. فلم يدع فقيه قط، أنه قادر «على الفهم المطابق لمقاصد كلام الله». ولو أدعى ذلك، لعد مخبولاً ينبغي اطِّراح أقواله. فأصل كلمة الفقه الفهم والفهم ملكة تختلف من شخص لآخر. فالفقه محاولة بشرية لفهم كلام الله. وهذه المحاولة تتعدد بتعدد الفقهاء. والدليل على ذلك أن أئمة الفقه في المذهب السني تلمذ أحدهم للآخر، فلو كان مالك بن أنس يعتقد أن أستاذه الفقيه أبا حنيفة قادر على الفهم المطابق لمقاصد كلام الله العليا، لما أنشأ مدرسة فقهية، يختلف منهجها تماماً، عن منهج أستاذه! والشيء نفسه فعله الشافعي مع مالك، ولم ينكر أحد منهم على الآخر. ولم يعترض أحد منهم على الآخر بقوله: أنا قادر على الفهم المطابق لمقاصد كلام الله العليا. لقد كانوا - وغيرهم من الفقهاء - يدركون أنهم يبذلون جهدهم، وهذا الجهد - ككل الجهود البشرية - يصيب ويخطئ. وقد عبر الشافعي عن ذلك خير تعبير في قوله المشهور «كلام غيري خطأ يحتمل الصواب وكلامي صواب يحتمل الخطأ»، وقول الإمام مالك « كل قول ابن آدم منه مأخوذ ومتروك إلا قول صاحب هذه الروضة» يعني النبي محمداً ﷺ.

من ذلك يتضح أن الفقهاء - على عكس ما يؤكده (أركون) - كانوا مدركين لحدود قولهم المعرفية، وشروطه الفكرية والثقافية.

أما وصف (أركون) للشريعة، فهو وصف غير مطابق إطلاقاً، فهي لا تتحكم أبديا بكل تصرفات، أو كل تفكير يقوم به المؤمن. والمؤمن بدوره ليس «خاضعاً لامتحان الطاعة لله».

الفقه محاولة بشرية لفهم كلام الله. وهذه المحاولة تتعدد بتعدد الفقهاء.

لعل (أركون) يريد من هذه العبارات المهولة، التجاوب مع الصورة المخيفة التي ثبتها العَلْمانيون «في المتخيل الأوربي عن الشريعة الإسلامية، ومن ثم، فإن (أركون) لا يفعل أكثر من تعزيز هذه الصورة مستخدماً سلطته الفكرية والعقدية ليروج ما تروجه العَلْمانية (الأيديولوجية).

فالشريعة الإسلامية ليست كلها «قانوناً إلهياً، أو مؤلهاً»، وإنما تتضمن مستويات عدة، بسطها الأصوليون، ولخصها الشافعي في رسالته بطريقة منهجية، لكن المسلمين عموماً يدركونها، فأصولها الكتاب والسنة والإجماع والقياس، والأصل الوحيد الذي عليه إجماع هو الكتاب. والآيات المتعلقة بالتشريع (آيات الأحكام) قليلة جداً بالنسبة إلى مجموع القرآن. أما السنة والإجماع والقياس، فهي أصول موضع خلاف بين المذاهب، بل داخل المذهب الواحد. فمالك يقدم عمل أهل المدينة على الحديث، وإن صحت روايته حسب المعيار المالكي. وأبو حنيفة يقدم رأيه على خبر الآحاد وأحمد بن حنبل يتساهل في ضبط الرواية ما لا يتساهل غيره.

---

24 ـ أركون: من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط1 ـ 1991، ص: 16 .

أما المذهب الجعفري، فله أسانيده الخاصة، المختلفة تماماً عن أسانيد المذهب السني.

أما الإجماع فإن الخلاف حوله - داخل المذهب السني - يتركز حول تحديده، فهل المقصود منه إجماع عموم علماء الأمة، وهو ما لم يحصل عبر التاريخ! أم إجماع صحابة النبي ﷺ ،وقد انفض ذلك الإجماع بنشوب الفتنة بين علي وعائشة، ثم بينه ومعاوية؟ أم هو إجماع علماء كل مصر في حقبة زمنية محددة ؟ ذلك جدل لم يحسم حتى الآن داخل المذهب السني.

أما بالنسبة للمذهب الجعفري، فالإجماع هو إجماع علماء آل البيت حصراً. ويمتد الخلاف إلى القياس، فلا يعترف به المذهب الظاهري (ابن حزم) من السنة، وترفضه الشيعة بمختلف أطيافها.

من كل ما تقدم يتضح أن الشريعة الإسلامية بطبيعتها، لا يمكن أن «تتحكم أبدياً بكل تصرف أو تفكير يقوم به المؤمن». وليس في الشريعة ما يدل على طموح كهذا، على الأقل من وجهة نظر الفقهاء الذين يرددون أن «الشريعة تدور بدوران الزمن»، وأن «الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً»!

فليست الشريعة قالباً جامداً يتحكم بكل شيء، كما يريد أن يصورها (أركون). ولو كان الأمر كما يقول لما عطل الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه، حكم السرقة في سنة المجاعة، ولما نص القرآن على أن المضطر لا حرج عليه[25]، وهو ما صاغه الفقهاء في قاعدتهم «الضرورات تبيح المحظورات»، ولما كان المبدأ الشرعي أن «الأصل في الأشياء الحلية»، وهو أصل فقه النوازل.

فتخويف الناس من الشريعة بتصويرها سيفاً مسلطاً على رقابهم، يحصي عليهم أنفاسهم ليس نتاج عمل علمي رصين، وإنما هو دعاية مذهبية.

ومن نفس الطراز الدعائي المذهبي، تصوير المؤمن على أنه «خاضع لامتحان الطاعة لله». فاستعمال عبارة «التحكم الأبدي» عند الحديث عن الشريعة، وعبارة «الخضوع» عند الحديث عن الإيمان، في صيغته الإسلامية، استعمال انتقائي للغة منفرة تحدث تأثيراً سلبياً في مخيال القارئ الفرنسي اتجاه الإسلام...

فالطاعة لله ليست امتحانا، وإنما هي خيار: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [سورة الكهف، الآية:29]

فليس الإيمان - كما يصوره (أركون) - حالة مفروضة من قبل قانون إلهي، أو مؤله، يجد الإنسان نفسه خاضعاً لها، كما يخضع لامتحان عسير، بل هو الفطرة عينها. ولا أدل على ذلك من تاريخ البشرية الذي لم يعرف حضارة بلا إيمان. لكن (أركون) هنا يتحدث عن الإيمان الإسلامي حصراً، ليربطه بهذه الصورة، صورة الإكراه والإخضاع الداعي إلى التمرد، وهي صورة تلبي حاجات قارئه أكثر مما تصور واقعاً.

يستمر (أركون) في هجومه اللاذع على التفاسير، لكنه - هذه المرة - يتهم المسلمين بالعجز عن الفصل بين التفاسير والقرآن ذاته»... أقول ذلك وأنا أفكر مثلاً بطريقة تلقي المدونة النصية التفسيرية، كتفسير الطبري مثلاً، من قبل جماعة المؤمنين الذين ينتهي بهم الأمر إلى حد خلطه بمضمون المصحف نفسه، أي بمضمون «القرآن» بصفته فضاءً تتكثف فيه، وتتصهر كل المستويات الدلالية المتمايزة... بمعنى أن تفسير الطبري، يصبح مقدساً كالقرآن في وعيهم».[26]

هذا تأكيد آخر لا يجد له سنداً من الواقع. فأنت لا تجد مؤمنا يخلط مضمون تفسير الطبري، بمضمون القرآن، أو يقدس تفسير الطبري كما يقدس القرآن. ذلك أن تفسير الطبري لا يجاوز النخبة المثقفة. فملايين المسلمين ربما لم يسمعوا لا بالطبري ولا بتفسيره، بينما ليس هناك مسلم لا يحفظ شيئاً من القرآن. من هنا انتفاء التداخل بين تفسير الطبري، وبين القرآن في وعي المؤمنين. أما النخبة المثقفة، التي قد تطلع على تفسير الطبري، فهي تعلم أنه غير القرآن، ولا يحظى عندها بأي قداسة خاصة، فهو ليس سوى تفسير ضمن تفاسير عديدة...

25- البقرة 173 - المائدة 3 - الأنعام 145 - النحل 115 - الأنعام 119.

26- أركون: الفكر الإسلامي، ص 90.

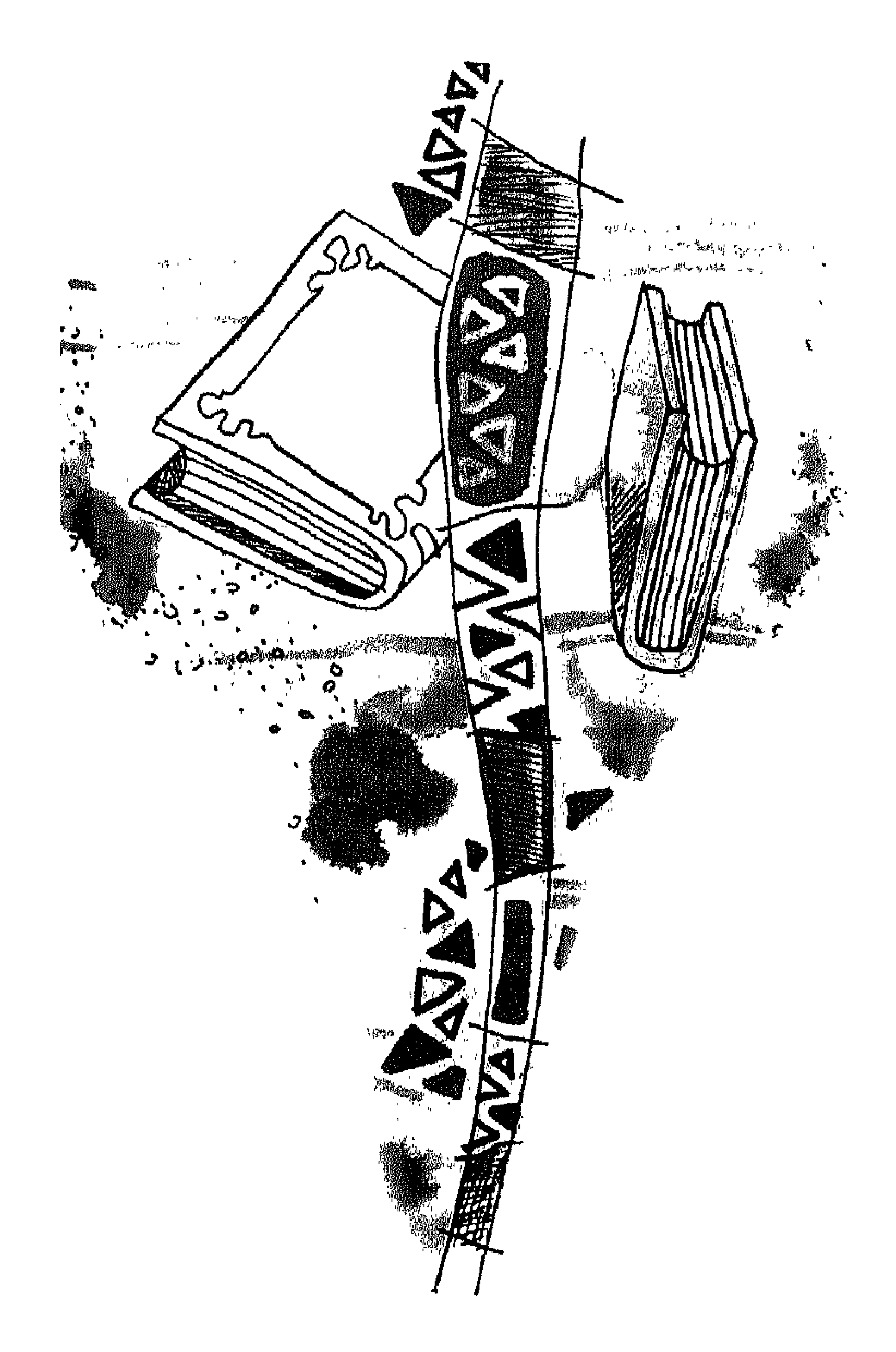
صحيح أن بعض النخب قد يفضله على غيره (كما فضله (أركون)) لكن ذلك التفضيل لا يرقى به إلى مستوى القداسة المكفولة للقرآن وحده.

كما أن تفسير الطبري لا يحظى بإجماع المسلمين داخل المذهب السني[27]، حيث يفضل عليه المالكية تفسير القرطبي، وربما مال المعتزلة إلى كشاف الزمخشري وآخرون إلى ابن كثير... أما الشيعة، بأطيافها، فلها تفاسيرها الخاصة، ولا تعترف بتفسير الطبري مصدراً موثوقاً لفهم القرآن...

يستمر السيد (أركون) في الحديث عن التفسير بهذه الطريقة الغريبة «... الفكرة المهيمنة على كلية الوعي الإسلامي هي: أولاً، أنه توجد إمكانية لتفسير القرآن بشكل كامل وصحيح، بشكل مطابق تماماً لمعانيه المقصودة. وثانياً، أنه يمكن تطبيق المبادئ المستخرجة عن طريق التأويل في كل زمان ومكان».[28]

يقول القرآن نفسه: إن الله أنزل آيات محكمات، وآيات متشابهات، لا يعلم تأويلها إلا الله، يؤمن بها الراسخون في العلم، بينما يحاول الذين في قلوبهم زيغ تأويلها لأغراض غير أمينة.[29] إذا كان القرآن نفسه يقول ذلك، فمن أين جاءت للمسلمين هذه الفكرة المسيطرة، في زعم (أركون) ! ثم إننا لا نكاد نجد مجتهداً يزعم أن تأويلاته صالحة لكل زمان ومكان، ولم يصرح أحد المفسرين أنه يعطي المعنى المطابق الصحيح لمعاني القرآن !

يعود (أركون) إلى الطبري، ليضربه مثلاً لما ذهب إليه: «لتوضيح هذه النقطة أكثر أضرب لك المثل التالي: عندما يكتب الطبري في تفسيره العبارة الشهيرة التالية، التي تتكرر باستمرار بعد أن يورد آية قرآنية معينة، يقول الله تعالى: (نقطتان على السطر) ثم يعطي تفسيره بكل سهولة وارتياح بصفته التفسير الحقيقي لكلام الله كما أراده الله بالضبط...»[30]



من فضل الله على القارئ أن تفسير الطبري لا يزال موجودا، ويمكن الإطلاع عليه لمعرفة مدى مطابقة ما يقوله (أركون) مع واقع التفسير... اهتم (أركون) بما يقول الطبري بعد أن يورد الآية، لكنه يتجاهل العبارة التي ترد باستمرار قبل الآية، وهي أهم بكثير لمعرفة مقاصد الطبري، ووعيه بحدود تفسيره. فهو يقول قبل كل آية: «القول في تأويل...»، فهو إذن يورد قولاً في تأويل. ولو رجع (أركون) إلى معنى التأويل

27 ـ كان الحنابلة شديدين على الطبري، حتى أنهم كانوا يمنعون الناس من الدخول عليه. أنظر: ترجمة الطبري في تاريخ بغداد، ج2، ص: 162.
28 ـ أركون الفكر الإسلامي، ص: 235.
30 ـ المائدة، الآية 7.

في لغة العرب لعلم أنه يعني تدبر الكلام وتقديره. ورد في لسان العرب «أول الكلام وتأوله: دبره وقدره»[31] والتقدير يخالف الضبط والمطابقة. وتدبر الأمر يعني إعمال الفكر فيه بقدر الوسع مع الوعي بغياب اليقين فيه. فلم يكن الطبري ـ والمفسرون عموماً ـ يعتقد أنه يقدم في تفسيره المعنى الذي أراده الله بالضبط. أضف إلى ذلك أن الطبري لا يعطي تفسيراً واحداً توصل إليه بجهده الخاص، ويعتقد أنه التفسير الصحيح المطابق لمقاصد الله، بل يعطي تفسيرات مختلفة تعود في الغالب إلى كبار الصحابة كابن عباس، أو التابعين كمجاهد وقتادة. وفي إيراده لتلك التفاسير المختلفة للآية الواحدة دليل على إدراكه أن التفسير جهد بشري لا يمكن أن يرقى إلى حد أن يوصف بأنه مطابق للمعنى الذي أراده الله بالضبط. فنسبة تفسير الطبري إليه لا تعني أن كل ما فيه من بنات أفكار الطبري، وأن الطبري يفرض معانيه الخاصة على القرآن، وهو يعتقد أنه يتوصل بجهده الخاص، إلى معرفة مقاصد الله بالضبط. والدليل على ذلك أن الطبري في تفسيره ـ يهاجم القول في القرآن بالرأي مستندا إلى ما يروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، من استعظام ذلك الفعل. يقول الصديق ـ كما يروي الطبري ـ «أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي، أو بما لا أعلم». ثم يعلق الطبري على هذا القول: «وهذه العبارة شاهدة لنا على صحة ما قلنا، من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله ﷺ، أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه، وإن أصاب الحق فيه فمخطيء فيما كان من فعله بقيله فيه برأيه لأن إصابته ليست إصابة موقن أنه محق، وإنما هو إصابة حارص وظان. والقائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم». [33]

يتفق المسلمون عموماً على هذا التقسيم، الذي يجعل من القرآن ـ كما نص القرآن نفسه ـ محكماً، وهي الآيات واضحة المعنى، كآيات الأحكام مثلاً، ومتشابها، وهو ما يحتمل أكثر من معنى، لكن معناه المطابق لا يعلمه إلا الله. وإذا كان المفسرون ـ ومنهم الطبري ـ قد حاولوا تأويله، فإنهم يدركون أن معناه المطابق مما استأثر الله به. يقول في لسان العرب « وأنزل آيات أخر متشابهات، تكلم فيها العلماء مجتهدين،وهم يعلمون أن اليقين الذي هو الصواب لا يعلمه إلا الله. وإلى هذا ذهب ابن الأنباري، وروي عن مجاهد». [34]

أبعد هذا يمكننا أن نقول إن الطبري «يعطي تفسيره بكل سهولة وارتياح بوصفه التفسير الحقيقي لكلام الله، كما أراده الله بالضبط» ! على العكس من ذلك تماماً، يقدم لنا الطبري نصا آخر يظهر جلياً إدراكه حدود تفسيره ـ فهو يقسم وجوه التأويل إلى ثلاثة أوجه»... أحدها، لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثر الله بعلمه وحجب علمه عن جميع خلقه... والوجه الثاني: ما خص الله بعلم تأويله نبيه ﷺ دون سائر أمته... والثالث منها: ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه...». [35]

ما يفعله الطبري إذن هو تأويل عربية القرآن وإعرابه معتمداً بشكل كبير على ما يقوله المثقفون المسلمون الضالعون في هذا المجال، وهو يعي الحدود التي يفرضها ذلك، بشكل تام.

لكن (أركون) يتجاهل كل ذلك ليؤكد «بكل سهولة

31 ـ أركون: الفكر الإسلامي، ص: 235.

32 ـ لسان العرب، مادة أول.

33 ـ الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن، دار الجيل، بيروت (د.ت) ج1،ص:27.

34 ـ لسان العرب، مادة تحكم.

35 ـ الطبري، ج1، ص: 31 ـ 23.

وارتياح»: «... إن الطبري لا يعي إطلاقاً أن التفسير الذي ينتجه مرتبط بنوعية ثقافته وحاجيات مجتمعه (القرن الثالث الهجري) وبالمواقع الفكرية (الأيديولوجية) والعقائدية (أي المذهبية) التي اتخذها هو بالذات كفقيه مجتهد... إنه لا يرى كل هذه المسائل والقضايا ولا يأخذها بعين الاعتبار... »[36]

يبدو أن (أركون) رسم لنفسه صورة عن الطبري وتفسيره، يتبغي أن يكونا مطابقين لها ليبني تحليلاته على أرض صلبة. لذلك سيمعن في تحديد معالم هذه الصورة اعتماداً على خياله - غالباً - خاصة أنه يخاطب جمهوراً، لا يستطيع أن يكتشف تفسير الطبري بنفسه، وإنما يعتمد على الصورة التي يقدمها (أركون) عنه. فالقارئ الفرنسي، بل المثقف الفرنسي، غير المستعرب يعتمد على (أركون) في مقاربته للثقافة العربية الإسلامية كما يعتمد صغار المستثمرين في أسواق الأسهم والسندات المالية (البورصة) على آراء المحللين، ومثلما أن هؤلاء يسدون نصائح تتماشى مع مصالح مستخدميهم من كبار المستثمرين، كذلك فإن (أركون) سيقدم صورة عن الإسلام تخدم، وتبرر أعماله أولاً. تلك الأعمال، التي ستخرج المسلمين من العصور المظلمة (قارن العصور الوسطى الأوروبية)، قائمة على النقد والإضاءة التاريخية، ومن ثم فهي «... ذات طاقة تحريرية بمعنى أنها محررة للعقول... لأنها تبين لنا من خلال ضرب الأمثلة التطبيقية» رأينا نماذج منها «حجم المسافة المقطوعة بين النص المؤسس (أي القرآن)، وبين النص التفسيري المنتج من قبل المسلمين (مثلاً تفسير الطبري، أو الطبرسي أو غيرهما). هذه المسافة غير مرئية من قبل المسلمين، وغير معترف بها من قبلهم»[37].

يحاول (أركون) أن يقنع قراءه، وربما نفسه، أن الفكر الإسلامي، يتردى في ظلمات رهيبة، لدرجة أن المسلمين لا يستطيعون التمييز بين نصهم المؤسِّس، والشروح التي كتبت حوله! ومهمة (أركون) النبيلة هي تحرير عقولهم من هذا الوهم! لكن الواقع أن (أركون) يحز في غير مفصل، فليس في وعي المسلمين خلط من هذا القبيل، لأنهم يؤمنون أن معجزة دينهم - التي لا تزال صامدة حتى الآن، رغم أوهام (أركون)، هي أن نصهم المؤسِّس الذي لم يستطع أحد عبر التاريخ - رغم المحاولة - أن يخلطه بغيره، نص فريد. أما التأكيد على أنه يختلط، في وعيهم، بتفسير الطبري، أو الطبرسي أو غيره من التفاسير، فهو تأكيد لا يجوز على المسلمين، ولا على مستعرب ملم بثقافتهم، لكنه قد يجوز بكل سهولة على قراء (أركون) من متعلمة الفرنسيين الذين يعدونه مسلما متخصصا في الدراسات الإسلامية، كما يقدمها معهد العلوم اللاهوتية (السوربون).

اهتم أركون بما يقول الطبري بعد أن يورد الآية، لكنه يتجاهل العبارة التي ترد باستمرار قبل الآية، وهي أهم بكثير لمعرفة مقاصد الطبري، ووعيه بحدود تفسيره.

لكن (أركون) - كما يعترف هو نفسه - لا يؤسس دراساته «التطبيقية» على تماس مباشر مع الثقافة العربية الإسلامية، وإنما يعيد اكتشافها من خلال نتائج العلوم الإنسانية التي يؤمن بها إيمان العجائز...

إضاءات العلوم الإنسانية

ينتسب السيد (أركون) - بكثير من الحماس - إلى ما يسميه «نتائج العلوم الإنسانية» والتسمية ذات دلالة. فالسيد (أركون) لا يطبق مناهج، وإنما يتبنى نتائج، وفرق بين الاثنين. فالمناهج تتمتع بمرونة تسمح بإدخال تعديلات عليها، لتلائم مواضيع متقاربة في جوهرها، وليعاد استخدامها بشكل مبدع من قبل باحثين مختلفي الثقافة والتوجهات أحياناً.

لكن النتائج تفتقد مثل هذه المرونة، فهي حصيلة

36 أركون: الفكر الإسلامي، ص 235.

37 - أركون: الفكر الإسلامي، ص: 234.

تطبيق المناهج في مجال معين، وضمن شروط فكرية وثقافية وتاريخية متغيرة، بينما النتائج قارة.

وحين يتم استخدام النتائج من قبل باحث آخر، وضمن شروط مختلفة، فإن التحوير والاجتهاد سينصب على موضوع الباحث ليلائم النتائج الجاهزة. وبذلك تصبح النتائج هي القالب الذي يفرض على الموضوع، فلا يعالج من الإشكال إلا ما تلاءم مع القالب، النموذج المستورد جاهزاً.

الغريب أن السيد (أركون) يعي هذا الفرق بشكل تام في حالة النشاط السياسي. فهو ينعي على حكومات العالم العربي، استيرادها نماذج سياسية جاهزة.. «... لقد استعارت (الدولة الوطنية) الصيغة القومية المركزية من أوربا دون أن تتساءل عن مشروعية هذه الاستعارة، وعن ظروفها وحيثياتها... لم تتساءل أنظمتنا السياسية، وأحزابنا الأيديولوجية عن الكيفية التي تشكلت بها تاريخيا الأمة الفرنسية الحالية، ولا كيف مهد لها. راحت تستعيد النموذج هكذا جاهزا وتطبقه تعسفياً على واقع آخر دون أي تمهيد أو تعديل لكي يتلاءم مع الواقع الجديد»[38].

هذا وصف دقيق لما حدث في عالم السياسة عندنا. لكن هل اقتصر الأمر على الجانب السياسي، أم أن حمى استيراد النماذج طالت كل المجالات، بما فيها المجال الفكري؟

إذا كان السيد (أركون) يستهجن استيراد النماذج السياسية في كتابه «الفكر الإسلامي»، فإنه يمارس استيراد النماذج الفكرية بشكل واسع، ويصرح بذلك في كتاب يشن فيه هجوماً لاذعاً على «الفكر الأصولي». ورغم هذا الهجوم يستعرض (أركون) أصوله الأوربية بإسهاب: «ولكي نقيس حجم أو نوع النقص العلمي والفكري الذي آسف عليه هنا،... فإني أعتقد أنه من المفيد أن أقوم بتعريجة مضيئة عن طريق معالجة المعتقد في فكر التنوير الأوروبي (فبالمقارنة تتوضح الأشياء)»[39]

ذاك هو منهج (أركون)، أو لنقل تلك هي النتائج التي يعتمد عليها ليعالج المعتقد الإسلامي في ضوء «المعتقد في فكر التنوير الأوروبي». يبدو ذلك شبيها بمن يهتدي بشعلة تمثال الحرية، في الربع الخالي! إذ كيف يمكن لمعتقد فكر التنوير الأوروبي أن ينير المعتقد الإسلامي موضع الدراسة! ألا يفعل السيد (أركون) ما نعاه على النخبة السياسية من استيراد النماذج الجاهزة! فهو سيعرض المعتقد في فكر التنوير الأوروبي بصفته نموذجاً يعتمد عليه في دراساته حول المعتقد الإسلامي دون أن يتساءل عن «الكيفية التي تشكل بها تاريخياً» أما تبريره هذا الفعل بأن «المقارنة توضح الأشياء» فيحتاج إلى تبرير. ذلك أن المقارنة تقوم على شروط لا تتوفر في هذه الحالة. فقديما تمسك فقهاؤنا بمبدأ «لا قياس مع الفارق»، وفي هذه الحال هناك فوارق، لا فارق واحد. فطبيعة المعتقد في فكر التنوير الأوروبي تختلف عن طبيعة المعتقد في الإسلام. أضف إلى ذلك اختلاف الثقافة، والشروط التاريخية العزيزة على محمد (أركون).

ومن غرائب (أركون) أنه يبيح لنفسه ما يحرمه على المستشرقين. فهو يلاحظ أنهم «ينتمون إلى ثقافتهم الخاصة عندما يراقبون الإسلام، ثم يتحدثون عنه انطلاقا من فرضيات مسبقة ومسلمات فلسفية ولاهوتية وأيديولوجية خاصة بهذه الثقافة...»[40] وهذا ما يفعله (أركون) بالضبط. فهو ينطلق من «فرضيات مسبقة ومسلمات فلسفية ولاهوتية وأيديولوجية خاصة» بثقافة المستشرقين، ويصرح بذلك علناً.

فأي فرق علمي بين أن تطبق نفس المناهج اعتماداً على نفس المرجعية الثقافية والفكرية، من قبل

---

38 ـ أركون: الفكر الإسلامي، ص: 286.

39 ـ أركون: الفكر الأصولي، ص: 169.

40 ـ أركون: العلمنة والدين، ترجمة هاشم صالح.

مستشرقين، أو مسلمين منتمين إلى الثقافة العربية الإسلامية! قد يكون الفرق في أن مستوى الدقة، ودرجة النجاعة عند المستشرقين سيكون أعلى منه عند المسلمين المترسمين خطاهم. وربما كان هذا هو الفرق الوحيد بين دراسات (أركون) ودراسات المستشرقين: فهو يستخدم - مثلهم لغة لاتينية (الفرنسية) في دراساته ويحاول أن يطبق نفس المنهاج والإستراتيجيات التي طبقوها، ويصدر عن نفس الرؤية حين يقول: «إن التركيبات المعرفية للعقل الديني (من أنظمة لاهوتية، وتفاسير، وتواريخ) سوف تفكك وتتحول إلى ورشة عمل، مثلها في ذلك مثل الأنظمة والإستراتيجيات المعرفية والمواقع الفكرية التي أنتجها العقل الحديث ودافع عنها. هذا هو المنظور الواسع والعريض الذي أنطلق منه».(41)

لا يشتغل (أركون) - كما يبدو من نصوصه - إلا ضمن أشباه ونظائر. فهناك دائما مثال غربي يحتذيه: «المعتقد في فكر التنوير الأوروبي، العقل الحديث». إنه متبع غير مبتدع، اختار أطراً جهزها غيره ليتحرك داخلها. ولأن غيره أعدها على مقاس يختلف عن مقاس السيد (أركون)، يتململ هذا الأخير من ضيق الإطار أحياناً..» .. أقول ذلك على الرغم من أن هذه السيادة (سيادة العلوم الإنسانية) ليست راسخة إلى الحد الذي تتوهمه هذه العلوم، خاصة فيما يتعلق بتأويل الظاهرة الدينية».(42) لكن ألفة الإطار، والاستكانة للقوالب الجاهزة ما تفتأ تطيح بهذه الرؤية النقدية العابرة.

فرغم وعي (أركون) بحدود العلوم الاجتماعية، وقصورها في تناول الظاهرة الدينية، إلا أنه يسارع - في نفس النص - إلى إعلان ضرورتها لدراسة نفس الظاهرة. «إنه لصحيح القول بأن قلب الساحة الدينية، أو تفكيكها من أجل إعادتها إلى حواسها الخاصة ووظائفها التي لا تختزل لا يمكن أن يحصل بشكل صحيح بدون تدخل العلوم الاجتماعية».(43)

العلوم الاجتماعية إذن ليست علوما دقيقة، وليست ناجعة بشكل خاص في تعاملها مع الظاهرة الدينية، ورغم ذلك لا يمكن فهم هذه الظاهرة إلا بالاعتماد عليها ! ولنا أن نتساءل عن مدى دقة ذلك الفهم، ما دام ليس فهما علميا دقيقا، وحدود علاقته بجوهر الظاهرة ما دامت العلوم الاجتماعية تعاني قصورا واضحا في تعاملها مع الظاهرة الدينية بالذات!

هل اقتصر الأمر على الجانب السياسي، أم أن حمى استيراد النماذج طالت كل المجالات، بما فيها المجال الفكري ؟

يعود (أركون) إلى رؤيته النقدية للعلوم الإنسانية التي يعتمد على نتائجها «لقلب الساحة الدينية وتفكيكها». يقول (أركون) «... أرى أن المعركة داخل كل تراث ينبغي أن تستطيل وتمتد عن طريق حوار الثقافات والمقارنة بين الساحات الفكرية المختلفة... أقول ذلك وأنا أفكر هنا بجوانب الضعف والمحدودية التي تحيط بالعلوم المختلفة كالأدب العام والمقارن، والتاريخ المقارن للأديان، وتاريخ العالم المتوسطي المتصور بصفته أنتروبولوجيا للماضي».(44)

وليست الألسنيات أحسن حالا، فهي «محصورة بالتحريات التاريخية والنحوية والفونولوجية (الصوتية) والشكلية الصرفية...» (45) وقل الشيء نفسه عن الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية، فهي «تعاني

---

41 - أركون: الفكر الأصولي، ص 87.

42 - المرجع نفسه، ص: 94.

43 - المرجع نفسه، ص 94.

44 - العلمنة والدين، ترجمة هاشم صالح، ص: 104.

45 - أركون: الفكر الأصولي، ص: 297.

46 - المرجع نفسه، ص: 297.

من صعوبات التوصل إلى الأرضية العلمية».(46)

تلك هي مساوئ العلوم الإنسانية من منظور أركوني، فكيف ركن إليها لإضاءة المعتقد الإسلامي، موضوع بحثه !

لا يبدو أن السيد (أركون) يهتم كثيرا لموضوع دراساته، فهو منبهر بالقوالب التي استعارها، ويريد أن يشكل موضوعه ليتلاءم معها، إنه شبيه بمن يشكل الطين في قوالب جاهزة، فلا يهمه من الطين إلا ما تلاءم مع القوالب، أما الباقي فهو مجرد طين!

يصل السيد (أركون) أخير إلى نتيجة تمثل مفارقة صارخة مع جميع أعماله فهو يجزم أن الباحثين المعتمدين على العلوم الإنسانية (وهو أهمهم) لا يستطيعون تقديم دراسات علمية عن الظاهرة الدينية. «وهكذا أقول بأنه لا يوجد اليوم باحث واحد، في أي اختصاص علمي كان، يقدر على أن يقدم لنا مقاربة علمية، وموضوعية، ومقنعة عن ماهية الظاهرة الدينية. وعلى الرغم من توافر كل أنواع الدراسات الوصفية والتقسيمات والتحديدات والتعريفات، فإنه لا توجد حتى الآن أي طريقة للتحدث عن الظاهرة الدينية».(47)

تلك هي النتيجة التي توصل إليها السيد (أركون) في كتابه «العلمنة والدين» وهي نتيجة تعبر عن طبيعة الدراسات الأركونية التي تمتاز بأحكام حاسمة، ووعود كثيرة غير منجزة، مثل وعود الأيديولوجيا تماماً، وآراء تختلف باختلاف قراءات (أركون) لما يستجد من نتائج العلوم الإنسانية. فهو متحفز دائماً لتطبيق آخر النظريات في الدراسات الألسنية والأنثروبولوجية، والاجتماعية والتاريخية على الإسلام، دون أن يتساءل كثيرا عن مدى ملاءمتها لموضوعه... يكفي أن يكون (أركون) السباق إلى تطبيقها في هذا المجال !

هذا السعي الحثيث وراء مستجدات العلوم الإنسانية أفقد الدراسات الأركونية وحدتها الفكرية. فليست هناك رؤية واضحة تنتظم مؤلفات (أركون)، وإنما تبدو هذه المؤلفات كجزر متباعدة يأتيها رزقها من مصادر مختلفة.

فالسيد (أركون) يحاول أن يقلب الساحة الدينية ويفككها «لكنه غير واثق من أدواته»، لذلك يغيرها كلما أعلنت شركة (إنتروود) عن منتوج جديد!

فأي فرق علمي بين أن تطبق نفس المناهج اعتماداً على نفس المرجعية الثقافية والفكرية، من قبل مستشرقين، أو مسلمين منتمين إلى الثقافة العربية الإسلامية !

وبذلك تبدو أعماله اختباراً لنجاعة أدواته، بدل أن تكون عملاً فكرياً رصيناً ذا طابع نقدي.

صحيح أنه يترسم خطى الدراسات النقدية الغربية، لكنه يفعل ذلك بشكل غير نقدي، فهو يتقبل نتائج العلوم الإنسانية كما هي، فيحاول أن يخضع القرآن لها، وكأن هذه النتائج لم تأت ثمرة لتطبيق مناهج في مجالات بعيدة الصلة بالقرآن.

لهذا السبب تظل دراسات (أركون) معلقة في انتظار نتائج جديدة تتمخض عنها العلوم الإنسانية، وحين يطلع على هذه النتائج الجديدة يحاول تطبيقها على نفس الموضوع دون أن يتساءل عن الصلة بين كتابه الجديد القائم على نتائج العلوم الإنسانية الجديدة، وكتابه القديم المكرس لنتائج العلوم الإنسانية القديمة...

المهم أن يظل متتبعا لنتائج العلوم الإنسانية، ومطبقاً لها في مجال يعد أرضاً بوراً يتملكها من أحياها في عرف المسلمين .

47 ـ أركون: العلمنة والدين، ترجمة هاشم صالح، ص: 12

حقوق الأقليات
وواجباتها في المجتمع الإسلامي

أ. د. محمد الدسوقي *

يتعرض الإسلام في العصر الحاضر لهجمة باغية لم يتعرض لمثلها عبر تاريخه الطويل، وتسعى هذه الهجمة إلى تشويه صورة الإسلام، وتنفير غير المسلمين منه، وزعزعة ثقة المسلمين بدينهم، وتتخذ من إثارة الشبهات والأباطيل وسيلة إلى ما تسعى إليه. ومن هذه الشبهات: أن الإسلام يرفض الآخر، ولا يعرف في علاقته بغير المسلمين إلا العنف والإرهاب، والكراهية والنفور، واشتدت وطأة تلك الهجمة بعد الحادي عشر من سبتمبر سنة 2001 مسيحي، فقد كثر الكلام في كل أجهزة الإعلام الغربية، وعلى ألسنة بعض المسؤولين في الدول الأوروبية وأمريكا، حول ما أطلق عليه الخطر الأخضر، وهو الإسلام، وأنه خطر يهدد الحضارة الغربية والمصالح الاستعمارية، وقد عقدت مؤتمرات وندوات، وألفت كتب، ونشرت أبحاث ومقالات، تفند تلك الشبهات، وترد على ما يثار من أباطيل وافتراءات، وتؤكد أن الإسلام يؤسس علاقته بالآخر على الحق والعدل والإنصاف والتسامح والحرية الدينية، قال الله تعالى:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (سورة الممتحنة الآية: 8، 9).

وهذه الدراسة الموجزة عن حقوق الأقليات وواجباتها في المجتمع الإسلامي، محاولة لإلقاء الضوء على هذه الحقوق والواجبات، ولبيان أن تلك الحملة الباغية لا تعرف الموضوعية ولا الأمانة العلمية، وتهيمن عليها المفاهيم الخاطئة والمواريث الثقافية والتاريخية الفاسدة، وتحرص أشد الحرص على إماتة روح الإسلام في نفوس المسلمين، ليتاح لها أن تنشر ما ترغب في نشره من قيم زائفة، تزحزح الأمة شيئًا فشيئًا عن دينها وأصالتها الحضارية.

* أستاذ جامعي، باحث في الفكر الإسلامي/ مصر

مفهوم الأقليات:

إن مصطلح الأقليات من المصطلحات المستحدثة التي راجت في العصر الحاضر؛ نظرًا لكثرة الهجرات، وتيسر وسائل الانتقال والاتصال بين الشعوب، والانتشار في الأرض طلبا لأنعم الله، وقد تعددت تعريفات هذا المصطلح، ومنها: أن الأقليات جماعة غير مسيطرة من مواطني دولة أقل عددًا من بقية السكان، يرتبط أفرادها ببعضهم البعض عن طريق روابط عرقية أو دينية أو لغوية أو ثقافية، تميزهم بجلاء عن بقية السكان، ويتضامن أفراد هذه الجماعة فيما بينهم للحفاظ على هذه الخصائص وتنميتها[1].

كما عرفت الأقليات أيضًا بأنها: كل مجموعة بشرية في قطر من الأقطار تتميز عن أكثرية أهله، في الدين أو المذهب أو العرق أو اللغة أو نحو ذلك من الأسباب التي تتميز بها المجموعات البشرية بعضها عن بعض[2].

كذلك عرفت الأقليات بأنها: الأفراد الذين يعتبرون أنفسهم أو يعتبرهم الآخرون مشتركين في بعض السمات والخصائص التي تميزهم عن التجمعات الأخرى، في مجتمع يستطيعون في إطاره تطور سلوكهم الثقافي الخاص[3].

ويتضح من تلك التعريفات، أن المعايير التي من خلالها تُصنّف الأقليات، مردها إما إلى قلة العدد، مادامت هذه القلة على درجه تسمح لها بتكوين خصائصها المميزة لها عن الأكثرية ، وإما إلى عدم هيمنتهما وضعف سلطانها؛ لأن هذا ما يسوغ توفير الحماية والرعاية لها، وإما إلى التفاوت في الهوية الثقافية والقومية، بحيث يكون للأقليات سمات لغوية أو ثقافية تختلف عن سمات أغلبية السكان، وإما إلى الاختلاف في الدين، وتعتبر الأقليات الدينية هي أظهر الأقليات في العالم، وهي التي تدور حولها المشكلات.

والجدير بالإشارة إليه أن الإسلام، لم يعرف مصطلح الأقلية بهذا المفهوم الوافد، وإنما عرفه فقط بمعناه اللغوي، أي القلة العددية، في مقابل الأكثرية العددية، دون تفضيل أو تمييز بسبب هذه الكثرة أو القلة في الأعداد، ومن ثم لم يرد في الفقه الإسلامي، أو تاريخنا الحضاري بوجه عام، تعريف لمصطلح الأقليات بنفس مفهومه الذي تطرحه العلوم الإجتماعية المعاصرة، والذي يعطي اختلافًا بين الأقلية والأغلبية في بعض المقومات الطبيعية أو الثقافية، ويترتب على هذا أن يكون نصيب الأقلية في القوة السياسية والإجتماعية ضعيفًا، يحملها على ممارسات تدفع أفرادها إلى التضامن فيما بينها لمواجهة الأكثرية، مما ينجم عنه توتر العلاقات أو تمزقها بين الأقلية والأغلبية في المجتمع.

يؤسس الإسلام علاقته بالآخر على الحق والعدل والإنصاف والتسامح والحرية الدينية

فالأقلية والأكثرية في الفكر الإسلامي، يعبران عن الكثرة العددية والقلة العددية فقط لا غير، دونما أي ظلال أو مفاهيم ترتبط باستخدام المصطلح في الفكر الغربي، وإنما العبرة دائمًا بالمعايير التي تجتمع

1 ـ حماية حقوق الإنسان في القانون الدولي للدكتور/ وائل علام ط دار النهضة العربية ص 8 القاهرة .

2 ـ في فقه الأقليات المسلمة للدكتور/ يوسف القرضاوي ص 15 ط دار الشروق القاهرة.

3ـ الإسلام والأقليات للدكتور/ محمد عمارة ص7 مكتبة الشروق الدولية القاهرة.

عليها وتؤمن بها وتنتمي إليها، الأكثريات والأقليات، فالمدح والذم والإيجاب والسلب والقبول والرفض، إنما هو للمعايير والمكونات والهويات والمواقف، و لا أثر في ذلك للكثرة أو القلة في الأعداد[4].

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (سورة الحجرات الآية:13).

فهذه الآية الكريمة، نداء من الخالق سبحانه إلى الناس كافة، يقرر هذا النداء المقدس وحدة الأصل البشري، فالكل من ذكر وأنثى، كما يقرر الغاية من جعل الناس شعوبًا وقبائل، إنها ليست التناحر والخصام، وإنما هي التعارف والوئام.

فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطبائع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فالتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات، وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني، من حساب في ميزان الله، فالميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

فالكريم حقًا هو الكريم عند الله، وهو سبحانه يزن منازل الناس عن علم وعن خبرة بالقيم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض، وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس، ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون، ألوهية الله للجميع، وخلقهم من أصل واحد، كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته، لواء التقوى في ظل الله.

أنواع الأقليات في البلاد الإسلامية:

إن الإسلام لعالميته يعتبر الأرض كلها دارًا واحدة، ومن ثم كان دعوة للناس كافة، وكانت شريعته لا تعرف في تطبيق أحكامها حدودًا مكانية أو زمانية، فأحكامها تسري في كل مكان وفي كل زمان، ونظرًا لأنه لا إكراه في الدين، وأن الحرب في الإسلام ليست لقهر الشعوب ونهب ثرواتها، وإنما لتحقيق الحرية الدينية لكل إنسان، فمن شاء بعد ذلك فليؤمن، ومن شاء فليكفر، اقتضت الظروف أن يسود الإسلام في بعض أرجاء الأرض دون بعضها الآخر، وأن يكون إقليميًا حتى ينتشر الدين في كل مكان، ويشمل العالم بأسره[5].

تعتبر الأقليات الدينية هي أظهر الأقليات في العالم، وهي التي تدور حولها المشكلات

فالظروف والضرورة هي التي جعلت من الشريعة شريعة إقليمية، وإن كانت في أساسها شريعة عالمية، فالعالم كله مخاطب بها إلى يوم الدين، وهكذا تصبح الشريعة عالمية، إذا نظرنا إليها من الوجهة العلمية، وإقليمية إذا نظرنا إليها من الوجهة العملية[6].

وقد راعي الفقهاء ـ وهم يدرسون تطبيق الأحكام من حيث المكان ـ تلك الظروف وهذا الواقع العملي،

4. أنظر: الإسلام والأقليات للدكتور/ محمد عمارة ص8.

5 أنظر: من الفقه الجنائي المقارن للمستشار/ أحمد موافي ص 99 ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.

6 أنظر: التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالتشريع الوضعي للأستاذ/ عبدالقادر عودة ج1 ص 275 ط دار التراث بالقاهرة.

ولذلك قسم بعضهم العالم قسمين:

القسم الأول : يشمل كل بلاد الإسلام.

القسم الثاني: يشمل كل البلاد الأخرى.

والأصل المجمع عليه، أنه لا يعترف إلا بسيادة واحدة في دار الإسلام، وهي سيادة التشريع الإسلامي، وإن تعددت السيادات التنفيذية؛ ما دام ذلك لا يخالف نصًا من القرآن الكريم والسنة النبوية، ويقوم على أساس الشورى، ولا يتعارض مع القواعد العامة للتشريع، ولا يؤدي إلى إضعاف القوة الإسلامية، وإنما يحكمها وينميها، لا بأس به شرعًا[7] ما دام وسيلة للتعاون والتكافل، وبناء القوة واستغلال كل الطاقات والموارد استغلالاً أمثل، ليصب كل ذلك نحو هدف فرد وغاية واحدة وهي عزة المسلمين.

وتعدد الحكومات والدول في دار الإسلام، نجم عنه فيما بعد ـ وبخاصة في ظل الاستعمار ـ ترسيم الحدود بين هذه الدول، وما ترتب على ذلك من الصراعات على هذه الحدود، وبث روح الإقليمية بين الشعوب الإسلامية، بحيث أصبح دخول أي مسلم في دولة لا يحمل جنسيتها، يخضع لضوابط صارمة ـ فإن هؤلاء الذين يسمح لهم بدخول دول إسلامية، وهم مسلمون لا يعدون أقلية لأنهم قد انتقلوا من إقليم إسلامي إلى إقليم آخر، وإن وضعت قواعد قانونية تنظم جواز الانتقال والإقامة.

أنواع الأقليات في البلاد الإسلامية، فهي كما يلي:

أولاً: أقلية تعد جزءًا من المجتمع الإسلامي أو

7. إن الفقهاء حينما أفتوا بجواز تعدد الدول، لاحظوا أن تباعد الأقطار، قد لا يتيح المجال بصورة عملية للقيام بشؤون كل إقليم، على نحو سليم، إذا كانت الأمة واحدة (أنظر: آثار الحرب في الفقه الإسلامي) للدكتور وهبة الزحيلي ص180ط دار الفكر – بيروت .

رعية إسلامية، فهي تتمتع بالإقامة الدائمة، وهذه الأقلية قد تكون جزءًا من أبناء الأمة التي ارتضت أغلبيتها الإسلام دينًا فآمنت به، وظلت الأقلية على عقيدتها التي نشأت عليها، وقد تكون وافدة على المجتمع الإسلامي بإذن من ولي الأمر، وتمنح جنسية الدولة الإسلامية، وهذه الأقلية يطلق عليها فقهاء الإسلام: أهل ذمة، وهو إطلاق تاريخي، وليس له في العصر الحاضر وجود.

ثانيًا: أقلية تدخل البلاد الإسلامية بإذن من ولي الأمر لفترة محدودة أداء لمهمة، كطلب العلم أو التجارة أو السفارة، وهؤلاء لا يعدون جزءًا من المجتمع الإسلامي، فهم أجانب يسمح لهم بإقامة لفترة محدودة.

وهذه الأقلية يطلق عليها فقهاء الإسلام مستأمنون، وهو إطلاقًا تاريخي ويطلق عليها في العصر الحاضر الأجانب.

يؤسس الإسلام علاقته بالآخر على الحق والعدل والإنصاف والتسامح والحرية الدينية

موقف الإسلام من غير المسلمين :

يجدر قبل الحديث عن حقوق الأقليات وواجباتها في البلاد الإسلامية، الإشارة إلى أهم المبادئ التي تتصل بموقف الإسلام من غير المسلمين، فهذه المبادئ تلقي بظلالها الوارفة الندية على حقوق هؤلاء وواجباتهم في المجتمع الإسلامي.

وأول هذه المبادئ، وحدة الرسالات الإلهية، من حيث الأصول والقواعد العامة، ولذا يجب على المسلم أن يؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين، بل إن هذا الإيمان جزء من العقيدة الإسلامية، ومن يقرأ أطول سورة في القرآن الكريم وهي الثانية في ترتيب المصحف، يلاحظ أنها تحدثت في الآيات الأولى منها، عن صفات المتقين، فبينت في الآية الرابعة :

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية: 4).

وجاء في الآية قبل الأخيرة من هذه السورة:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (سورة البقرة الآية: 258).

فبداية سورة البقرة ونهايتها، بيان صريح بوحدة الرسالات الإلهية، ووجوب الإيمان بها، وعدم التفريق بين رسل الله، فهم جميعًا يدعون إلى الإسلام بمفهومه العام.

ويتعلق المبدأ الثاني، بحرية العقيدة، فالقرآن الكريم يؤكد حق حرية الاعتقاد للناس جميعًا، وإن كان يدعو إلى الإيمان بالإسلام، الذي بعث به محمد ﷺ، ولكن الدعوة إلى هذا الإيمان لا تعني إكراه أحد عليه، فلا إكراه في الدين، ولأن الإكراه يتنافى مع الاختيار الذي هو شرط المسؤولية والتكليف، ويتفرع عن هذين المبدأين، وجوب احترام كل العقائد وأماكن عبادتها، وحماية تلك الأماكن والدفاع عنها.

أما المبدأ الثالث فهو الإيمان بالأخوة الإنسانية، فالناس كافة لآدم وآدم من تراب، فالبشرية من حيث النشأة مصدرها واحد، وهي أيضًا مصيرها واحد، فالجميع إلى الله راجعون، وهذه الوحدة تعني المساواة المطلقة في الحقوق والواجبات، وتنفي كل مزاعم العنصرية والطائفية والتفريق بين الناس بسبب العقائد واللغات والأوطان والألوان.

ويعرض المبدأ الرابع للإختلاف بين الناس في

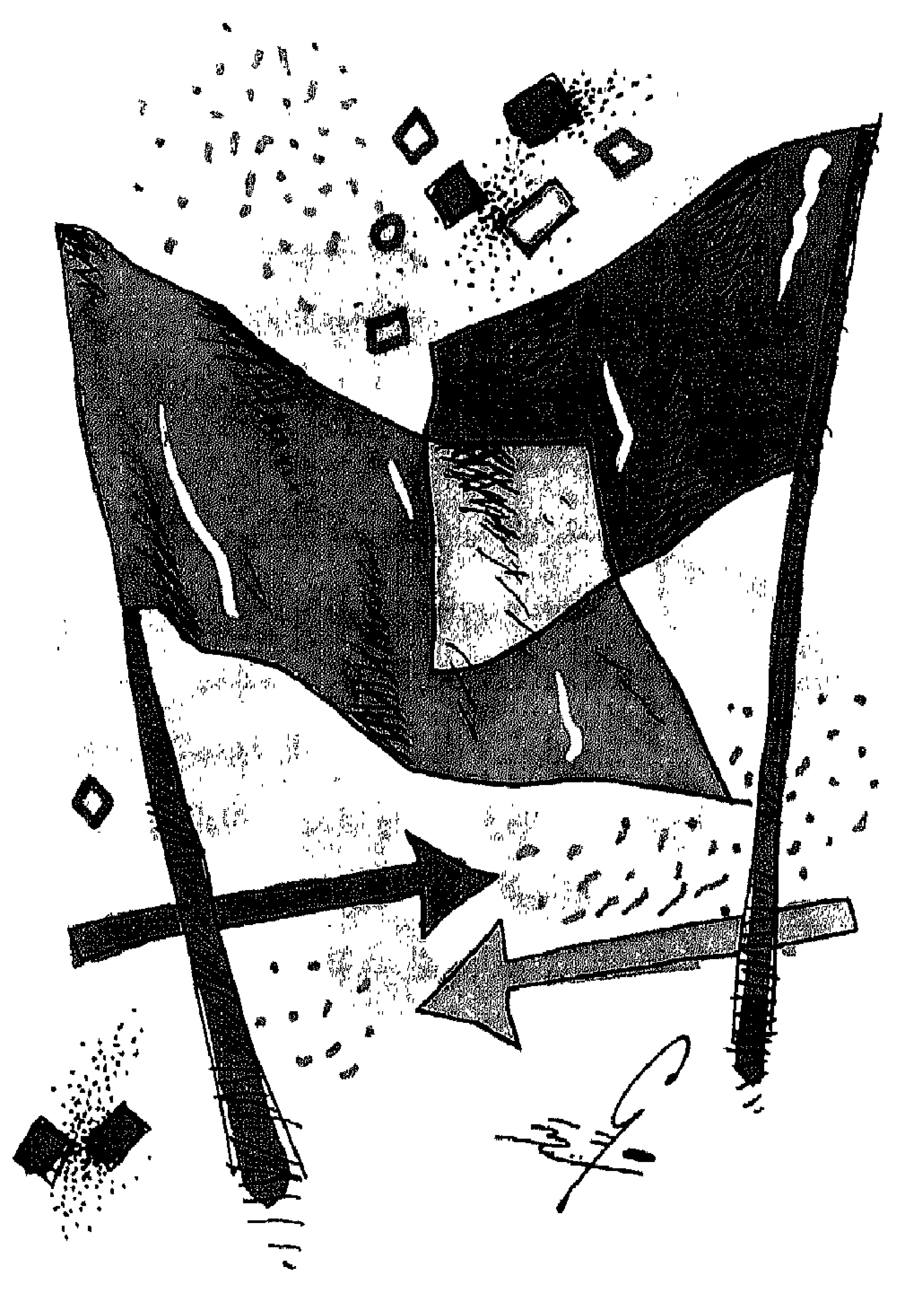
العقائد فهذا الاختلاف ليس مسوغًا للشقاق والصراع، ويجب رده إلى الله ليفصل بين الناس فيه يوم القيامة:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (سورة البقرة الآية:113).

فحكم الله هو العدل، وهو وحده المجدي في مواجهة قوم لا يستمدون من منطق، ولا يعتمدون على دليل بعد دحض دعواهم العريضة في أنهم وحدهم أهل الجنة وأنهم وحدهم المهديون.

ويتفرع عن هذا المبدأ، وجوب التعاون بين الناس كافة، على البر والخير، وقيام الصلة الطيبة بينهم، والمجادلة في كل الأمور وبخاصة أمور العقائد بالتي هي أحسن.

والمبدأ الخامس يتعلق بالاعتداء على الأمة الإسلامية، في دينها وحريتها، فهذه الأمة ذات رسالة وريادة، ولن يتسنى أن تكون كذلك إلا بالعزة والكرامة، وعدم الرضي بالدنية، ومن هنا كان واجبًا عليها إعداد القوة دائمًا للذود عن العقيدة والكرامة، وحماية الأهل والوطن، ومع هذا يأمر الإسلام بعد رد الاعتداء، بعدم اضطهاد غير المسلمين وإجبارهم على ترك عقائدهم، ويكفي أنهم ألقوا إلينا السلم هذه في إجمال أهم المبادئ التي ترشد المسلمين إلى ما يجب عليهم قِبَل غيرهم[8]، سواءً كانوا يعيشون معهم أم يعيشون في بلاد خاصة بهم، وهذا الذي يجب بالنسبة لمن يعيشون في بلاد خاصة بهم، يدور في فلك الاحترام وحسن المعاملة، والمجاملة في



8- أنظر: من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي فصل التسامح الديني.

المناسبات المختلفة حتى الدينية منها كالأعياد ونحوها، كما أباح الإسلام الإصهار إلى أهل الكتاب، وفي هذا تأكيد لوشائج الأخوة الإنسانية والعلاقات الطيبة.

على أن غير المسلمين في البلاد الإسلامية، يشمل كل من لا يؤمنون بالإسلام سواء أكانوا أهل الكتاب أم ليسوا أهل الكتاب، من أصحاب العقائد المختلفة حتى الوثنية منها، وهؤلاء يعاملون معاملة أهل الكتاب.

حقوق الأقليات في البلاد الإسلامية:

إن الأقليات التي تتمتع بجنسية البلاد الإسلامية، تعد جزءًا من هذه البلاد، ورعيّة إسلامية، ومن ثم كان لها من الحقوق مثل ما للمسلمين، فهي سواء في حماية الأنفس والأموال، ووجوب القصاص والديات والضمانات والتعازير، ولها حق العلم والعمل والحياة الإنسانية الكريمة، كما أن لها حق إحسان عشرتها ومبادلتها الهدايا والضيافة والتهنئة بالأعياد.

وقد بلغ من احترام الإسلام لهذه الأقليات أن جعلها شريكة مع المسلمين في عقد المعاهدات الخارجية، وقد روى أبو يوسف في كتاب الخراج : لما صالح عبد الله بن أبي السرح، ملك النوبة، تقرر في الصلح، أنه أمان وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين، ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة، وأخذ الذميون على أنفسهم العهد بحماية من نزل ببلدهم أو طرقه من مسلم أو معاهد[9].

وجاء في وصية أبي يوسف القاضي، إلى هارون الرشيد، ينصحه بقوله: وقد ينبغي يا أمير المؤمنين - أيدك الله- أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ، والتفقد لهم، حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ شيء من أموالهم، إلا بحق يجب عليهم[10].

وما دام للأمة في نبيها محمد ﷺ، أسوة حسنة، فإنه عليه الصلاة والسلام، كان يحضر ولائم أهل الكتاب، ويغشى مجالسهم ويواسيهم في مصائبهم، ويعاملهم بكل أنواع المعاملات، التي يتبادلها المجتمعون في جماعة يحكمها قانون واحد، وتشغل مكانًا مشتركًا، فقد كان يقترض منهم نقودًا، ويرهنهم متاعًا، ولم يكن ذلك عجزًا من أصحابه عن إقراضه، فإن بعضهم كان ثريًا، وكلهم يتلهف على أن يقرض رسول الله ﷺ، بل كان يفعل ذلك تعليمًا للأمة، وتثبيتًا عمليًا لما يدعو إليه من سلام ووئام، وتدليلاً على أن الإسلام، لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم[11].

التنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات

وإذا كانت هذه الأقليات جزءًا من الدولة الإسلامية، فإن لها حق الرعاية والحماية، وكفالة مستوى كريم من العيش لها، وبخاصة في حالات الضعف والعجز والشيخوخة.

ويروى أن عمر بن الخطاب، مر برجل يسأل على

9ـ أنظر: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ/ محمد الغزالي ص40 ط القاهرة.

10ـ الخراج ص149 ط السلفية بالقاهرة.

11ـ أنظر: سماحة الإسلام للدكتور/ أحمد محمد الحوفي ص60 ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.

الأبواب، وكان الرجل شيخًا ضريرًا، فقال له عمر: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال يهودي «قال عمر: فما الذي ألجأك إلى ما أرى؟ قال: الجزية والحاجة والسن. فأخذ عمر بيده. وذهب به إلى منزله، وأعطاه مما وجده، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، وقال له: انظر هذا وضرباءه، فو الله ما أنصفناه، إن أكلنا شبيبته ثم نخذ له عند الهرم، ووضع عنه الجزية»[12].

وتتمتع تلك الأقلية إلى جانب ما أومأت إليه آنفًا، بالحرية الدينية، فالإسلام قد كفل لها الحرية في العقيدة والعبادة وإقامة الشعائر في الكنائس، كما أن لهذه الأقلية أن تجدد ما تهدم من كنائسها، وأن تبني جديدًا منها، ولها حق دق النواقيس إيذانًا بالصلاة، كما أن لها إخراج الصلبان في يوم العيد، ولها مع هذا حرية ما يتناولونه من أطعمة وأشربة يؤمنون بأنها أبيحت لهم، كالخمر والخنزير، وتعد أموالاً قيمية في حقهم، ومن تمتد يده إليها بالإتلاف أو السرقة من المسلمين أو غيرهم، فإنه يعاقب شرعًا.

وحدة الأصل تعني المساواة المطلقة في الحقوق والواجبات، وتنفي كل مزاعم العنصرية والطائفية والتفريق بين الناس بسبب العقائد واللغات والأوطان والألوان

كذلك لها فيما يتعلق بالأحوال الشخصية، حرية الزواج والطلاق وفقًا لأحكام النكاح فيما بينها، غير أنها إذا طلبت من القاضي المسلم أن يحكم بينها أجرى عليها أحكام الشريعة الإسلامية، دون غيرها.

هذا بإجمال ما يتصل بحقوق الأقليات التي تتمتع بالمواطنة، وتحمل جنسية الدولة الإسلامية، أما الأقليات التي تدخل البلاد الإسلامية، على غير نية الإقامة المستمرة فيها، ويسمح لها بذلك لمدة معلومة يجوز تجديدها، فإن الإسلام وهو دين الإخاء الإنساني، عامل الوافد على دياره معاملة كريمة، فهو مادام محافظًا على شروط الإذن بالإقامة المحددة في ديار الإسلام، له الحرية الكاملة في التنقل ومباشرة نشاطه الذي وفد من أجله، وهو آمن على نفسه وماله، حتى ولو كان ينتمي إلى دولة نشب قتال بينهما وبين المسلمين.

ويذهب جمهور الفقهاء إلى أكثر من هذا، فيرون أن مال الوافد أو المستأمن الذي اكتسبه في دار الإسلام، يبقي على ملكه، ولا تزول عنه ملكيته، ولو عاد إلى بلده وقاتل المسلمين[13].

قال ابن قدامة: وإذا دخل حربي دار الإسلام بأمان، فأودع ماله مسلمًا أو ذميًا أو أقرضهما إياه، ثم عاد إلى دار الحرب، نظرنا: فإن دخل تاجرًا أو رسولاً أو متنزهًا أو لحاجة يقضيها ثم يعود إلى دار الإسلام، فهو على أمانه في نفسه وماله؛ لأنه لم يخرج بذلك عن نية الإقامة في دار الإسلام، فأشبه الذمي في ذلك، وإن دخل (أي إلى دار الحرب) مستوطنًا بطل الأمان في نفسه، وبقي في ماله؛ لأنه بدخوله دار الإسلام بأمان ثبت الأمان لماله الذي معه، فإذا بطل الأمان في نفسه بدخوله دار الحرب بقي في ماله[14].

فمال المستأمن أو الوافد، بحكم الأمان مصون، ولو ترك الوافد دار الإسلام وحارب المسلمين، ويترب على هذا، أن مال المستأمن يبقى على ملكه ولو عاد إلى دار الحرب، ونوى الاستيطان بها، وأنه إذا مات أو

12. المصدر السابق ص61.

13. أنظر: العلاقات الدولية في الإسلام للشيخ/ محمد أبوزهرة ص65 ط دار الفكر العربي.

14. أنظر: المغني ج8 ص400 ط مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

قتل في دار الإسلام أو دار الحرب، فماله وديته لورثته، فإذا لم يكن له وارث صار المال فيئًا لبيت المال...

والوافد أو المستأمن، يتمتع بكل ما يتمتع به المواطن غير المسلم، أو الذي يقيم في دار الإسلام إقامة غير مؤقتة، اللهم إلا حق العمل والعلم، وما سوى هذين الحقين، فإن المستأمن لا يختلف عن المقيم إقامة مستمرة في الحقوق.

إن الوافد الذي يتمتع بالحماية والرعاية، وحرية التنقل في دار الإسلام، وممارسة نشاطه الذي وفد من أجله، كما يتمتع بحرمة ماله، يخضع لأحكام الشريعة فيما يتعلق بالمعاملات المالية، أما فيما يتعلق بالعقوبات، فيرى الإمام الأوزاعي، وجوب إقامة الحدود كلها على المستأمن[15].

وإذا كان بين الفقهاء اختلاف، بالنسبة لتطبيق الحدود على الوافدين إلى ديار الإسلام، وإذا كان الإمام أبو حنيفة يذهب إلى أن الوافد يجب أن يعامل معاملة ترغبه في دخول هذه الديار؛ ليرى محاسن الإسلام فيسلم، فضلاً عن أن العقوبات أساسها الولاية الكاملة، وليس للحاكم المسلم ولاية كاملة على المستأمن؛ لأن إقامته لمدة معلومة ـ فإن الرأي الذي أخذ به جمهور الفقهاء، هو أن المستأمن يخضع لأحكام الشريعة في جميع الحدود.

وهذا الرأي أكثر اتساقًا مع المبادئ الإسلامية، لأنه يتفق مع ما ينبغي أن تكون عليه أمور الدولة من منع الفساد، ومن كمال السيادة على كل من يقيم في ربوعها[16].

غير المسلمين في البلاد الإسلامية، لهم حق الحماية والرعاية وكفالة الحياة الكريمة، فضلاً عن الحرية الدينية وممارسة الشعائر الخاصة بهم

وبهذا يكون المستأمن كالذمي في وجوب تطبيق أحكام الشريعة عليه، فيما يتعلق بالمعاملات المالية والحدود، ولا فرق بينهما، إلا أن الذمي أمانه مؤبد، والمستأمن أمانه مؤقت، وبديهي أن له حريته الكاملة فيما يدين به دون أن يكون في هذا فتنة للمسلمين.

ومن الوافدين طائفة تتمتع ببعض المزايا الخاصة، التي تكفل لها القيام بمهمتها التي وفدت من أجلها، وهي طائفة الممثلين السياسيين، أو ما كان يطلق عليهم قديمًا الرسل.

هذه الطائفة أعطاها القانون الدولي المعاصر حصانة في أمور ثلاثة:

أولها: الحصانة لشخص الممثل، فلا يتعرض له ولا يعتدى عليه حتى يستطيع أداء عمله السياسي من غير حرج، ولا يتعرض لسكنه أو أمتعته الشخصية.

ثانيها: حصانة تتعلق بالمال، فيعفى من الضرائب والرسوم في حدود معينة.

ثالثها: الحصانة القضائية، ومن شأنها حماية البعوث السياسية من الملاحقات الجنائية، ومن الملاحظات المدنية الخاصة بعمله الرسمي[17].

فهل هذه الأمور الثلاثة، التي أعطاها القانون الدولي المعاصر للمثلين السياسيين، يقبلها الفقه الإسلامي أو يرفضها؟

إن تقدير العرف في منهج البحث الفقهي، يقضي بأن كل ما يتعارف عليه المجتمع الدولي من وسائل التعاون والتآلف، لا يرفضها الفقه ما لم يعارض نصًا

---

15. أنظر: الأم للشافعي ج 7ص 325ط بولاق.

16. أنظر: العلاقات الدولية في الإسلام ص 71.

17. أنظر: التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالتشريع الوضعي، للأستاذ/ عبد القادر عودة ج1 ص285.

أو قاعدة معلومة من الدين بالضرورة، فالحصانة الشخصية والمالية، ما دامت تقوم على أساس المعاملة بالمثل، ولا يوجد من أحكام الشريعة ما يعارضها، فإن تطبيقها على الممثلين السياسيين لا حرج فيه، ولكن الحصانة القضائية ليست كالحصانة الشخصية والمالية، فكل من يرتكب حدًّا في دار الإسلام، ينبغي أن يعاقب وفقًا للأحكام الشرعية، ولا يجوز أن يترك ليحاكم على أساس قانون آخر، ففي هذا تعطيل لأحكام الله في أرض الإسلام.

أما الذين يرتكبون ما يوجب عقوبة تعزيزية، وهي العقوبة غير المقدرة في الكتاب والسنة، ويتولى ولي الأمر تقديرها، أو يترك تقديرها للقاضي المختص، فهذه في نظر بعض المعاصرين، يصح أن تدخل ضمن حصانة الممثلين السياسيين، وحجته في ذلك أن تقديرها من حق ولي الأمر، أو من ينوب عنه كالقاضي، فيجوز أن يدع العقاب عليها لدولة الممثل أو الرسول، ولكن ما الذي يضمن أن تطبق دولة الممثل هذه العقوبة، وهل تطبيقها سيكون وفقًا لأحكام الله ؟.

إن التفاوت في القوانين، والتفاوت في النظر إلى أنواع الجرائم والعقوبات، يمكن أن يجعل ما هو جريمة في دار الإسلام، ليس جريمة في غير هذه الدار، وأن يكون العقاب مختلفًا في حالة وحدة الجريمة في الفقه الإسلامي والقوانين الوضعية، ولهذا أرجح الرأي الذي يذهب إلى أن الحصانة القضائية لا ينبغي أن تكون على حساب شرع الله، وأن العرف الدولي لا ينبغي أن يكون حاكمًا على هذا الشرع، وإنما يجب أن يكون محكومًا به[18].

إن الإسلام دين الإنسانية، يحترم الإنسان، لذاته دون نظر إلى دينه، ولهذا عاشت الأقليات في المجتمع الإسلامي حياة كريمة، ومن ثم كانت الوظائف في هذا المجتمع تعطى للكفء المستحق، بقطع النظر عن عقيدته ومذهبه، فلا غرو أن كان الأطباء غير المسلمين، محل الرعاية في الحضارة الإسلامية، وكان لهم الإشراف على مدارس الطب في بغداد ودمشق زمنًا طويلاً، وقد اعترف بسماحة الإسلام وعدالته ورعاية حقوق كل من يستظل براية هذا الدين، كل المنصفين من المؤرخين الغربيين قديمًا وحديثًا، يقول أحدهم: وكان المسيحيون والوثنيون واليهود والمسلمون على السواء، يعملون في خدمة الحكومة. ويقول آخر: إن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم[19].

واجبات الأقليات في البلاد الإسلامية:

إذا كان كل حق يقابله واجب، فإن الأقليات في البلاد الإسلامية، كما تتمتع بالحقوق التي سبق إجمال القول فيها، فإن عليها في مقابل ذلك بعض الواجبات والالتزامات، وإن تفاوتت بالنسبة للذين يقيمون إقامة دائمة، عن الذين يفدون إلى هذه البلاد لفترة محدودة.

فالذين يقيمون إقامة مستمرة فإن ما عليهم من

18. أنظر: العلاقات الدولية في الإسلام ص73.

19. أنظر: من روائع حضارتنا الدكتور/ مصطفى السباعي، فصل: التسامح الديني.

واجبات يجمعها الشرطان التاليان:

أولهما: أن يلتزم هؤلاء إعطاء التكاليف المالية على القادرين، لكي يسهموا في بناء الدولة ويشتركوا في تكوين ميزانها المالي.

ثانيهما: أن يلتزموا أحكام الإسلام في المعاملات المالية وفي الخضوع للعقوبات الإسلامية، ليكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين[20].

أما الشرط الأول، فإن غير المسلمين الذين يقيمون إقامة دائمة في البلاد الإسلامية، لا تجب عليهم الزكاة، كما تجب على المسلمين، ولأنهم جزء من المجتمع الإسلامي، ويتمتعون بالحقوق المشروعة التي تكلف الميزانية العامة أعباء ليست يسيرة كان عليهم أن يسهموا في تحمل جزء من هذه الأعباء، وكان هذا الإسهام في الماضي، في صورة فريضة مادية يسيرة، تجب على القادرين من الرجال، دون النساء والأطفال والكهول والفقراء والمرضى، وهي فريضة الجزية، وهذه الفريضة ليست بديلاً عن إسلامهم، وإنما هي مقابل ما يجب لهم على الأمة من الحماية وكفالة الحياة الإنسانية الكريمة، بحيث إذا عجزت عن تحقيق ما يجب عليها نحو أهل الذمة، ردت إليهم ما أخذته منهم، وقد روي أن المسلمين لما جمعوا جموعًا للقاء الروم، عند وقعة اليرموك. واضطروا إلى مغادرة جميع البلاد المفتوحة في الشام، ليستجمعوا قوتهم في مقام واحد، كتب أبو عبيدة ابن الجراح إلى أمرائه، أن يردوا إلى الذميين كل ما أخذوه منهم من الجزية والخراج، ويقولوا لهم: قد شغلنا عن نصرتكم والدفاع عنكم، فهذه أموالكم التي أخذناها، لذلك ترد إليكم[21].

فرد جميع أمراء الجنود، كل الذي جمعوه منهم من الأموال، وقد ذكر المؤرخ البلاذري في هذا المقام، ما غمر نفوس غير المسلمين من المشاعر، حينما رد المسلمون أموال الجزية إليهم، واعترفوا بعدل المسلمين، وأقسموا بالتوراة أن يدافعوا مع المسلمين، وألا يمكنوا الروم من دخول البلاد[22].

وهؤلاء الذين يحملون جنسية الأمة الإسلامية، من غير المسلمين لا يطالبون بالجهاد مع المسلمين، ولكنه ليس محظورًا عليهم، ولولي الأمر أن يشرك هؤلاء في صفوف الجيش، إذا رأى في ذلك مصلحة للأمة، وفي هذه الحالة لا يطالبون بفريضة الجزية، ولكن إذا اقتضت ظروف الأمة أن يفرض ولي الأمر على الأغنياء بعض الضرائب، علاجًا لمشكلة من المشكلات، فإن غير المسلمين الذين يقيمون في البلاد الإسلامية إقامة مستمرة، يسهمون في هذه الضرائب، فهم جزء من الأمة، وكما ينعمون بخيرها ورخائها، عليهم أن يتحملوا بعض أعبائها المالية.

التشريعات الإسلامية التي يرجع تاريخها، إلى أكثر من أربعة عشر قرنًا، هي عبر هذا التاريخ الطويل كانت للأقليات درع حماية ووقاية، لأن الالتزام بها جزء من العقيدة التي يؤمن بها المسلم

ويتعلق الشرط الثاني، بوجوب تطبيق التشريع الجنائي على كل من يقيم في دار الإسلام، وكذلك الالتزام بالأحكام الإسلامية في المعاملات المالية، والنصوص الفقهية في هذا كثيرة، منها ما قاله الإمام

---

20. أنظر: مقدمة تحقيق كتاب السير الكبير ص102 جامعة القاهرة.

21. أنظر: الخراج ص166.

22. أنظر: فتوح البلدان ص7 ط القاهرة.

السرخسي: الذمي ملتزم أحكام الإسلام فيما يرجع إلى المعاملات[23].

وجاء في مقدمات ابن رشد الجد: و لا يجوز بين المسلم والذمي في التعامل، إلا ما يجوز بين المسلمين[24].

فغير المسلمين في البلاد الإسلامية، والذين لهم حق المواطنة كالمسلمين، يخضعون للأحكام الإسلامية في الحدود والمعاملات المالية، ولا يتعارض هذا مع الحرية الدينية التي كفلها الإسلام لهم، لأنهم حين رضوا بالإقامة مع المسلمين، فقد أصبحوا جزءًا من الدولة الإسلامية، ولهم ما للمسلمين من حقوق الرعاية والحماية، ومن شأن هذا أن تجري المعاملات بينهم وبين المسلمين، وليس من المعقول أن ينحاز غير المسلمين إلى محلة يتعاملون فيها دون سائر الناس، الذين يجاورونهم أو يعيشون معهم، وإلا كانوا دولة داخل الدولة، وهو ما لا يتفق مع الاندماج الذي قبلته الأمة بالنسبة لهم، فهؤلاء ماداموا قد قبلوا أن يكونوا جزءًا من الدولة، وجب عليهم أن يعتبروا أنفسهم جزءًا من كيانها فيما يتعلق بالنظام المالي والاقتصادي والاجتماعي، ومن ثم كانت العقوبات الإسلامية واجبة التطبيق عليهم[25].

وإذا كان الوافدون على البلاد الإسلامية بإذن، لمدة مؤقتة، لا يجب عليهم الإسهام في ميزانية الأمة، لأنهم ليسوا جزءًا من كيانها، ولكنهم كغير المسلمين الذين يتمتعون بحق المواطنة في البلاد الإسلامية، يخضعون للأحكام الشرعية في العقوبات والمعاملات المالية.

وعلى غير المسلمين في البلاد الإسلامية، أن يحترموا تقاليد وعادات المسلمين، وألا يكون لهم سلوك تترتب عليه فتنة المسلمين في دينهم، وأن يكون لهم إسهام عملي في التنمية الاقتصادية، وألا يتعاونوا في صورة من الصور مع أعداء الأمة، بل عليهم أن يعملوا وفق القوانين الإسلامية للحفاظ على استقلال وكرامة البلاد التي يعيشون فيها، وأن يكون حرصهم على سلامتها من كل سوء، مبدءًا لا يفرطون فيه، ولا يقتصرون في العمل به.

عرفت البشرية في حروبها (حديثًا) انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان بوجه عام، وحقوق الأقليات بوجه خاص، مما كان سببًا في نشأة القانون الدولي الإنساني

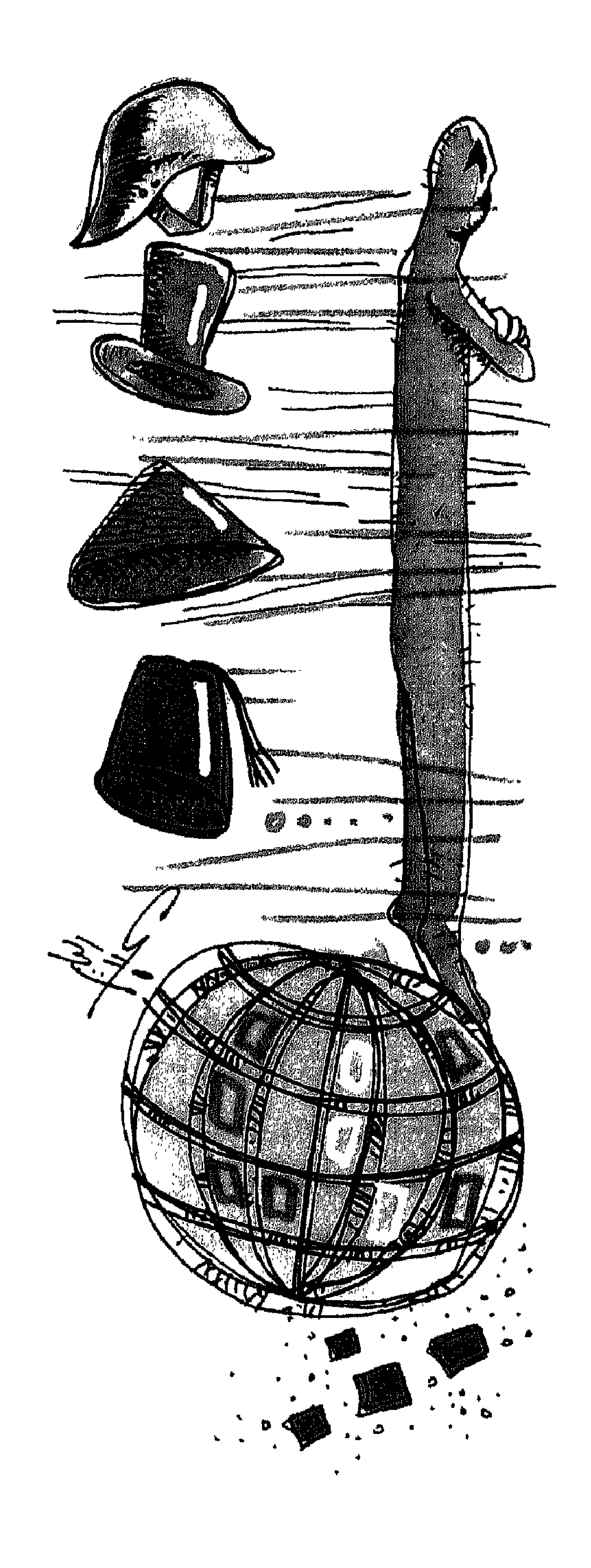
إن غير المسلمين في البلاد الإسلامية، لهم حق الحماية والرعاية وكفالة الحياة الكريمة، فضلاً عن الحرية الدينية وممارسة الشعائر الخاصة بهم، وحسن معاملتهم ومجاملتهم، وعليهم في مقابل ذلك واجب الإلتزام بحق المواطنة والإقامة، وهو حق يفرض عليهم أن يكونوا أمناء على كل ما يكفل للأمة استقرارها وأمنها واحترام تشريعاتها.

حقوق الأقليات بين التشريعات الإسلامية والقوانين الوضعية:

إن الموازنة بين موضوعين، تقتضي أن تكون هناك أوجه التقاء بينهما، في المصدر والخصائص

23. المبسوط ج10 ص84 السعادة.
24. مقدمات ابن رشد ج3 ، ص462 ط الغرب الإسلامي..
25. أنظر: العلاقات الدولية في الإسلام ص63.

العامة، ولكن لا مجال لهذه الأوجه بين التشريعات الإسلامية والقوانين الوضعية، لاختلاف المصدر من جهة، وللتفاوت الواضح في السمات والخصائص من جهة أخرى، فهذه التشريعات مصدرها الوحي الإلهي، بيد أن القوانين الوضعية، مردها إلى الفكر البشري، والتشريعات تتسم بالكمال والصلاحية الدائمة للتطبيق، فضلاً عن الجانب الروحي والأخلاقي الذي تنفرد به، ولكن القوانين الوضعية لا تتسم بالكمال، فهي عرضة للنسخ والإلغاء. كما أنها ليست صالحة للتطبيق الدائم، ولا تقيم، فيما تأمر به وتنهي عنه، وزنًا للأخلاق والقيم الروحية، ومع هذا جرى العرف المعاصر على عقد الموازنات بين التشريعات الإسلامية وغيرها من القوانين، لتأكيد أن هذه القوانين لا ترقى إلى مستوى تلك التشريعات، وأن هذه أجدى للإنسان من كل فكر بشري، وكان ذلك رد فعل لما كان يبذل من محاولات، لإقصاء التشريعات عن الحياة في كل مجالاتها المختلفة، وإحلال القوانين الوضعية محلها.



لمحة تاريخية عن قوانين الأقليات:

إن القوانين الوضعية لحقوق الأقليات وواجباتها، لم تعرف إلا في العصر الحديث، فقد صدرت بعد الحرب العالمية الأولى، في القرن الماضي، اتفاقيات بين بعض الدول، وكانت هذه الاتفاقيات - وإن لم تنص على حقوق الأقليات- هي بداية التنظيم الدولي لهذه الحقوق، ثم جاء ميثاق الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، ولم يرد في هذا الميثاق ذكر للأقليات، وإن وردت في الفقرة الثالثة من المادة الأولى، إشارة إلى حقوق الإنسان، والحريات الأساسية للناس كافة، وكانت دولة المجر،

قد قدمت مشروعًا لحماية الأقليات، في مؤتمر السلام الذي عقد في لندن سنة 1946مسيحي، ولكنه رفض، كذلك لم تنجح كل الاقتراحات الداعية إلى إدراج موضوع الأقليات في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كما لم تنجح المحاولات بالنسبة للاتفاقيات الإقليمية الخاصة بحقوق الإنسان.

وإذا كانت قد صدرت في ديسمبر (الكانون) سنة 1965مسيحي، عن الأمم المتحدة، اتفاقية دولية لإزالة جميع صور التمييز العنصري، إلا أن كل دول العالم لم تلتزم بها، وإن كان لها أثرها في محاربة هذا التمييز، وفي تحقيق المساواة بين الناس، دون نظر إلى اختلاف الأصل واللون والدين والوطن. وفي سنة 1992مسيحي، صدر عن الأمم المتحدة إعلان حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات قومية أو دينية أو لغوية.

وأصدرت الجمعية العامة في سنة 1993مسيحي، قرارًا بإعلان محاربة العنصرية والتمييز العنصري، وأنشأت في سنة في 1995مسيحي، مجموعة من خمسة أعضاء، لتنظيم الحوار بين الحكومات والأقليات، لبحث المشاكل وإيجاد حلول لها(26).

ويتضح من هذه اللمحة التاريخية، لتطور قوانين الأقليات، أن هذه القوانين حديثة النشأة، وأنه مع كثرة المواثيق والإعلانات والقرارات، التي تصدر عن الأمم المتحدة، لم يكن لها أثر في حماية الأقليات بوجه عام، فليس لها قيمة إلزامية للدول، ومن ثم يمكن تجاهلها أو الأخذ بها؛ ولكن التشريعات الإسلامية التي يرجع تاريخها، إلى أكثر من أربعة عشر قرنًا، وهي عبر هذا التاريخ الطويل كانت للأقليات درع حماية ووقاية، لأن الإلتزام بها، جزء من العقيدة التي يؤمن بها المسلم، فهو حريص على عدم التفريط فيها أو الاستهانة بها، فلا غرو أن عاشت الأقليات في البلاد الإسلامية، منذ فجر الإسلام وحتى الآن، حياة آمنة كريمة دون تعرض لأذى أو اضطهاد.

ومن الصور التي تكشف عن إنسانية التشريعات الإسلامية، ما سبق الحديث عنه، عن مال المستأمن إذا عاد مالكه إلى وطنه وحارب المسلمين، فإن أمانه في ماله باق، ولا تزول ملكيته عنه، كما أن المستأمن نفسه مادام محافظًا على شروط الأمان، إذا قامت الحرب بين وطنه والبلد الإسلامي الذي يقيم فيه لا يجوز طرده بمجرد نشوب الحرب أو اعتقاله، ولكن القوانين الوضعية كانت قبل القرن الثامن عشر، تبيح للدول اعتقال رعايا العدو الموجودين في إقليمها، بمجرد قيام الحرب، وتحجزهم كأسرى حرب، كما كانت تصادر أموالهم، ثم جنحت تلك التشريعات إلى منع أسر رعايا العدو، وكذلك إلى منع مصادرة أموالهم، ومع ذلك ظل القانون الدولي يجيز طرد رعايا العدو من إقليم الدولة بمجرد نشوب الحرب، حتى وإن لم تكن هناك جريرة منهم(27).

التشريعات مصدرها الوحي الإلهي، بيد أن القوانين الوضعية، مردها إلى الفكر البشري، والتشريعات تتسم بالكمال والصلاحية الدائمة للتطبيق، فضلاً عن الجانب الروحي والأخلاقي الذي تنفرد به، ولكن القوانين الوضعية لا تتسم بالكمال، فهي عرضة للنسخ والإلغاء

ولأن القوانين الوضعية، لا تقيم للأخلاق والقيم الروحية وزنًا، عرفت البشرية في حروبها (حديثًا) انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان بوجه عام، وحقوق الأقليات بوجه خاص، ما كان سببًا في نشأة القانون

26. أنظر: حماية الأقليات في القانون الدولي العام، للدكتور/ وائل علام ص35، 36.

27. أنظر: آثار الحرب في الإسلام للدكتور/ وهبة الزحيلي ص507. 520.

الدولي الإنساني[28]، ومع ذلك لم يقض هذا القانون، على ما تمارسه كثير من الدول، من امتهان لكرامة الإنسان؛ ولا مجال لتفصيل القول في تميز التشريعات الإسلامية، الخاصة بحقوق الإنسان، عن القوانين الوضعية، وفيما أومأت إليه آنفًا، دلالة على أن هذه القوانين، وإن أخذت في السنوات الأخيرة، تحاول التخلص من أوزار العنصرية، لكنها حتى الآن لم تحقق حماية للإنسان من الظلم والطغيان، إذ زال للقوة الباغية سلطانها الجائر على الضعفاء، وسعيها المدمر للشعوب، التي لا تخضع لإرادتها ولا تستجيب لما تمليه عليها.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فإنه لا سبيل للمقارنة بين حياة الأقليات الإسلامية، في الدول الأخرى، فما عاشت هذه الأقليات في الماضي والحاضر، إلا حياة الذل والقهر والتعصب والحرمان والصراع الدموي، في بعض الأحيان، والإسلام يرفض الإساءة والإهانة لغير المؤمنين به، ماداموا لا يسيئون إليه ولا يعادونه، ولهم حق الحياة الكريمة كالمسلمين، لا تمييز بين هؤلاء وهؤلاء، فالكل في حق الحياة الإنسانية سواء.

الخاتمة:

وبعد فما هي أهم النتائج، التي انتهت إليها هذه الدراسة المجملة، وما الذي توحي به من توجيهات وتوصيات؟.

أما النتائج فهي:

1 ـ إن مفهوم الأقليات في الإسلام يعول على القلة والكثرة العددية، دون اعتبار لشيء آخر.

2 ـ إن الإسلام لعالميته، كان دين الفطرة والأخوة الإنسانية، يحترم الإنسان لذاته ويجعل معيار التفاضل بين البشر هو التقوى فحسب.

3 ـ إن الأقليات في البلاد الإسلامية، سواء كانت جزءًا من الدولة أم وافدة عليها، تتمتع بالحرية الدينية، وكفالة الحياة الكريمة، وإن كانت الوافدة لا تتمتع بحق العلم والعمل.

4ـ على الأقلية التي تعد جزءًا من الأمة الإسلامية، أن تسهم في تحمل الأعباء المالية للأمة، وعليها وعلى الوافدة احترام قوانين البلاد الإسلامية، ويخضع الجميع لأحكام الشريعة، في الحدود والمعاملات المالية.

5ـ سبق الإسلامُ القوانين الوضعية، في تقرير حقوق وواجبات الأقليات، وكان بتشريعاته أهدى سبيلاً وأقوم قيلاً.

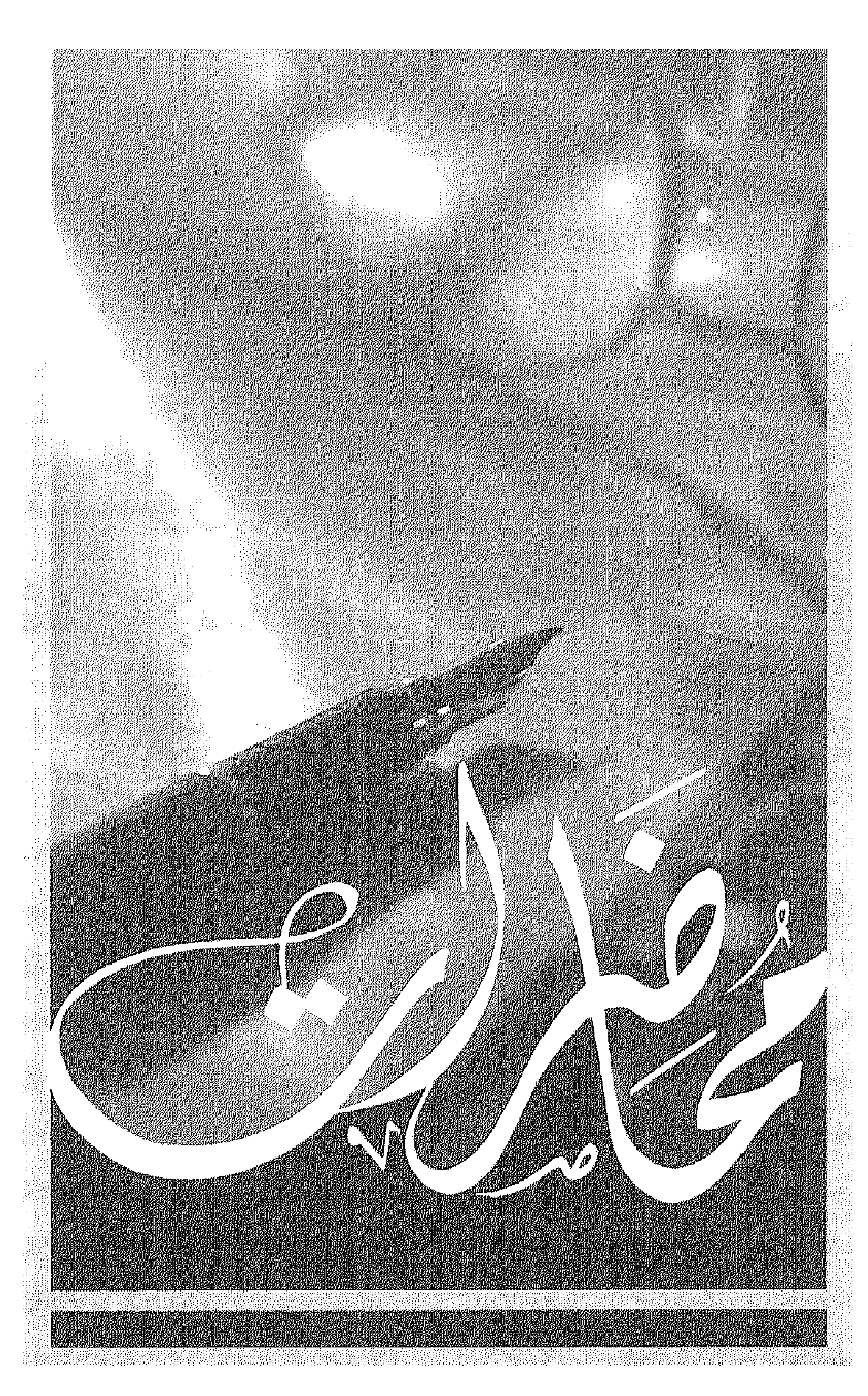
6ـ إن ما يثار من شبهات، حول امتهان حقوق الأقليات في البلاد الإسلامية، باطل من القول ويدحضه الواقع العملي منذ فجر الإسلام وحتى الآن.

7 ـ لا وجه للمقارنة بين حياة الأقليات في البلاد الإسلامية، وحياة الأقليات الإسلامية في البلاد غير الإسلامية.

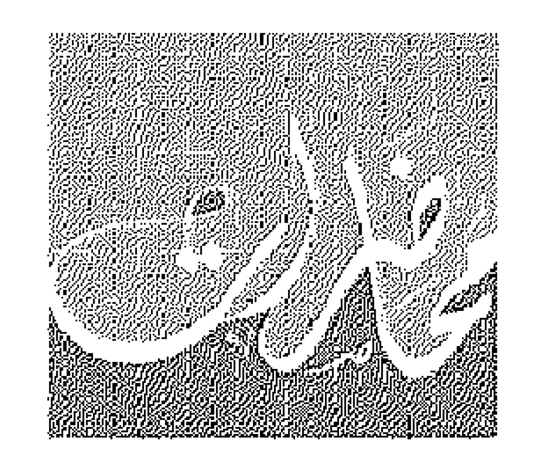
8ـ ليس الدفاع عن الحق المشروع إرهابًا، ولا صحة لما يزعمه الغرب من إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين.

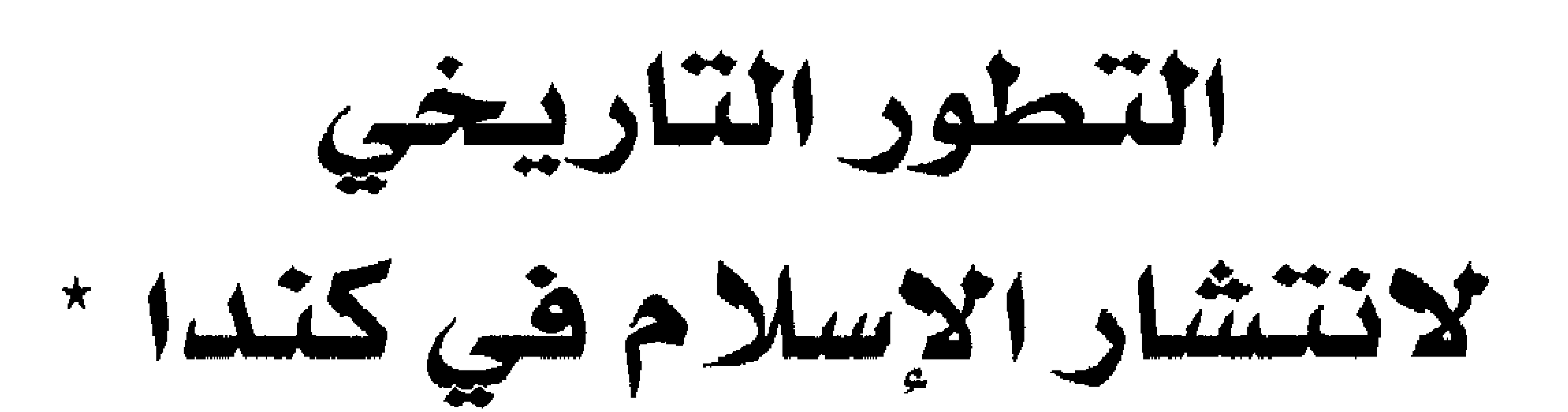
وما توحي به الدراسة من توصيات، يتمثل في وجوب أن تعد أبحاث موجزة، حول القضايا التي يتخذ منها الآخرون حجة، على التخلف الإسلامي في شتى المجالات، وتكون هذه الأبحاث علمية منطقية، تخاطب بالتي هي أحسن، ثم تترجم إلى اللغات العالمية الحية، وتوزع على كل المهتمين بالإسلام، وتاريخه وحضارته في الدول الأجنبية.

28ـ أنظر: القانون الدولي الإنساني في الدكتور/ عبد الغني محمود ط دار النهضة العربية ـ القاهرة .

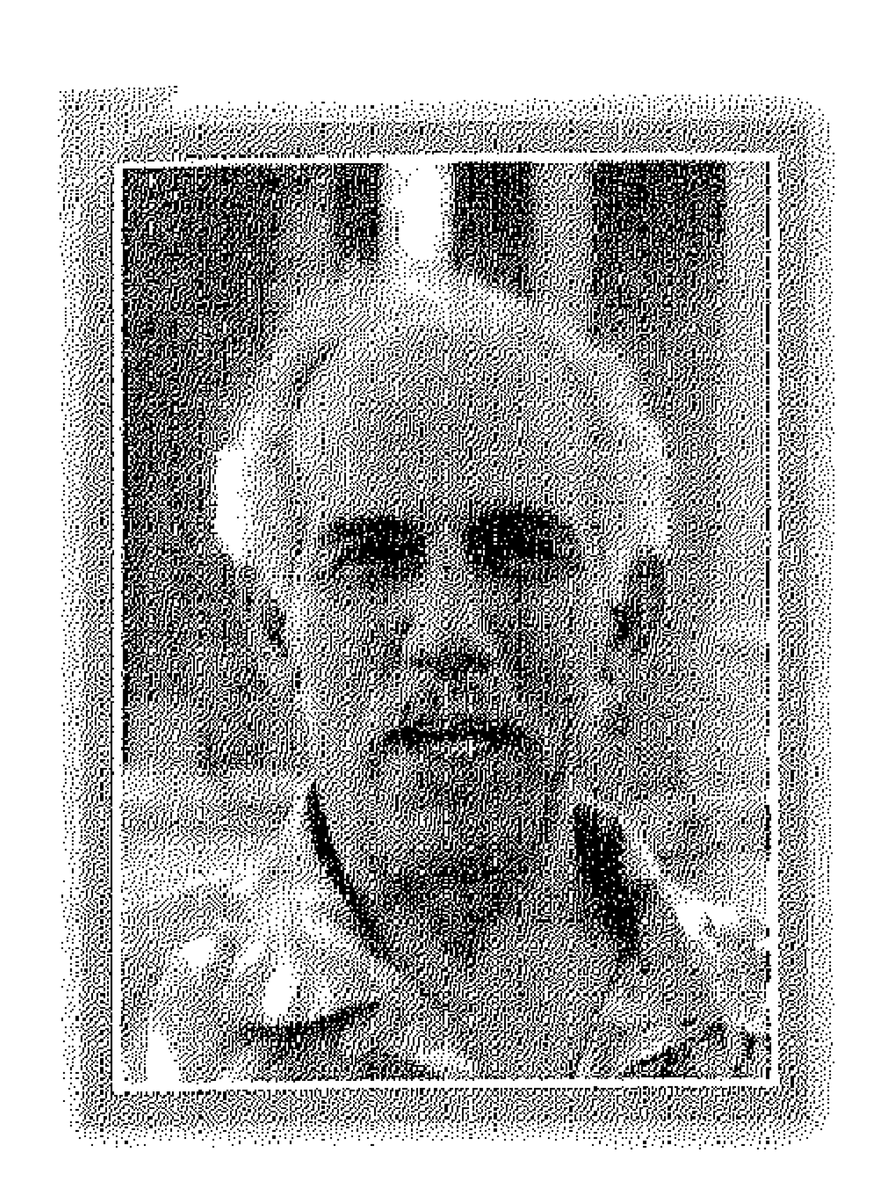


التطور التاريخي لانتشار الإسلام في كندا





التطور التاريخي لانتشار الإسلام في كندا *



الدكتور إبراهيم حيّاني **

أنا سعيد جداً أن أتيحت لي الفرصة لكي أكون في الجماهيرية، وفي رحاب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وسعيد بشكل خاص أن أتيحت لي الفرصة لأتحدث إليكم، لأنني أرى في وجوهكم مستقبل الإسلام في العالم، فأنتم مسؤولون عن تحمل هذه المسؤوليات، لأن الإسلام - فعلاً - يتعرض لهجمات شرسة جداً من أعدائه، لا لشيء إلاّ لأنه فعلاً هو الدين الصحيح، الدين الذي يعمل على تحرير الإنسان من عبودية الإنسان. وأحمل لكم في نفس الوقت تحيات إخوتكم وأخواتكم في كندا الذي يعملون جاهدين ليس فقط للحفاظ على الإسلام وإنما لنشر الدعوة الإسلامية في تلك البلاد القصية. والموضوع الذي سأتحدث إليكم حوله يدور عن (الإسلام والتحديات التي يواجهها المسلمون في كندا) وأعتقد أن التحديات ليست هي التحديات التي يواجهها المسلمون في كندا فقط، وإنما تنطبق على كثير من مناطق العالم التي يعيش فيها المسلمون كأقلية، أو حتى في المناطق التي يعيش فيها المسلمون كأكثرية.

احتمالات وتحديات

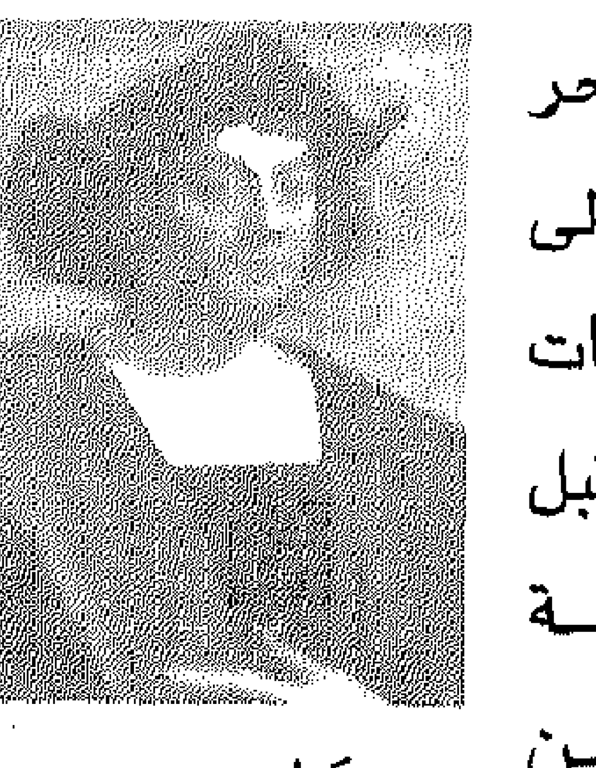
قصة الإسلام في كندا مليئة بالاحتمالات والتحديات، فصولها مكتوبة بحماس المغامرات وأحزان العبودية والعنصرية العرقية والدينية، وأفراح الحرية والانعتاق، بداياتها تكتنفها الكثير من الأسرار والتكهنات، إذ إن بعض المؤرخين من أمثال الأمريكي (ثيري فيلد) صاحب كتابي (أمريكا قبل الميلاد Amereca BC) و(الملحمة الأمريكية Sega Amerecana) قد ذهب إلى القول بأن المسلمين الأفارقة قد أبحروا عبر المحيط الأطلسي، الذي أطلق

---

* محاضرة ألقيت في كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس، بتاريخ : 25 الفاتح 1371 من وفاة الرسول ﷺ (2003/9/5 مسيحي).

** أستاذ بجامعة تورونتو / كندا.

عليه العرب والمسلمون إسم بحر الظلمات، ووصلوا إلى الأمريكيتين، وأقاموا علاقات تجارية مع السكان الأصليين قبل أن تطأ أقدام الكشافة (كولومبس) ومن جاء معه من البحارة الإسبان والإغريقيين


كولومبوس

قديما، إلى ما يسمى بالعالم الجديد عام 1492 مسيحي، وهو نفس العام الذي شهد سقوط مملكة غرناطة آخر الممالك الإسلامية في الأندلس، ورحيل أميرها عبد الله الأحمر الملقب بعبد الله الصغير آخر ملوك الطوائف.

ولكن التاريخ المكتوب والمسجل حول وصول الإسلام إلى أمريكا الشمالية هو تاريخ مأساوي، يرجع إلى عصر تجارة الرقيق، حيث إن غالبية الأفارقة الذين كان من سوء حظهم أنهم قُبض عليهم من مناطق غرب ووسط أفريقيا، ثم رُحِّلوا من أراضيهم ليُباعوا في أسواق العبيد الأمريكية؛ كانوا من المسلمين، وليس لديّ أي شك في أن هؤلاء المسلمين التعساء الذين مات الكثيرون منهم خلال عهود الأسر والعبودية؛ سيصابون بالدهشة المفعمة بالإعجاب والسرور لو أتيح لهم أن يروْا آلاف المساجد المنتشرة الآن على امتداد الأمريكيتين، وخاصة أمريكا الشمالية، بما في ذلك كندا، حيث يوجد الآن أكثر من ألف جامع في كندا، وفي تورنتو- البلد الذي أقيم أنا فيه - حتى الآن يوجد أكثر من أربعين جامعاً. ومنذ ثلاثين سنة كان هناك جامع واحد فقط، وأول جامع بني في كندا بناه المهاجرون من لبنان في 1938 مسيحي، واسمه (جامع الرشيد)، ولكم أن تتصوروا التقدم السريع في انتشار الإسلام في الأمريكيتين، وخاصة في كندا والولايات المتحدة.

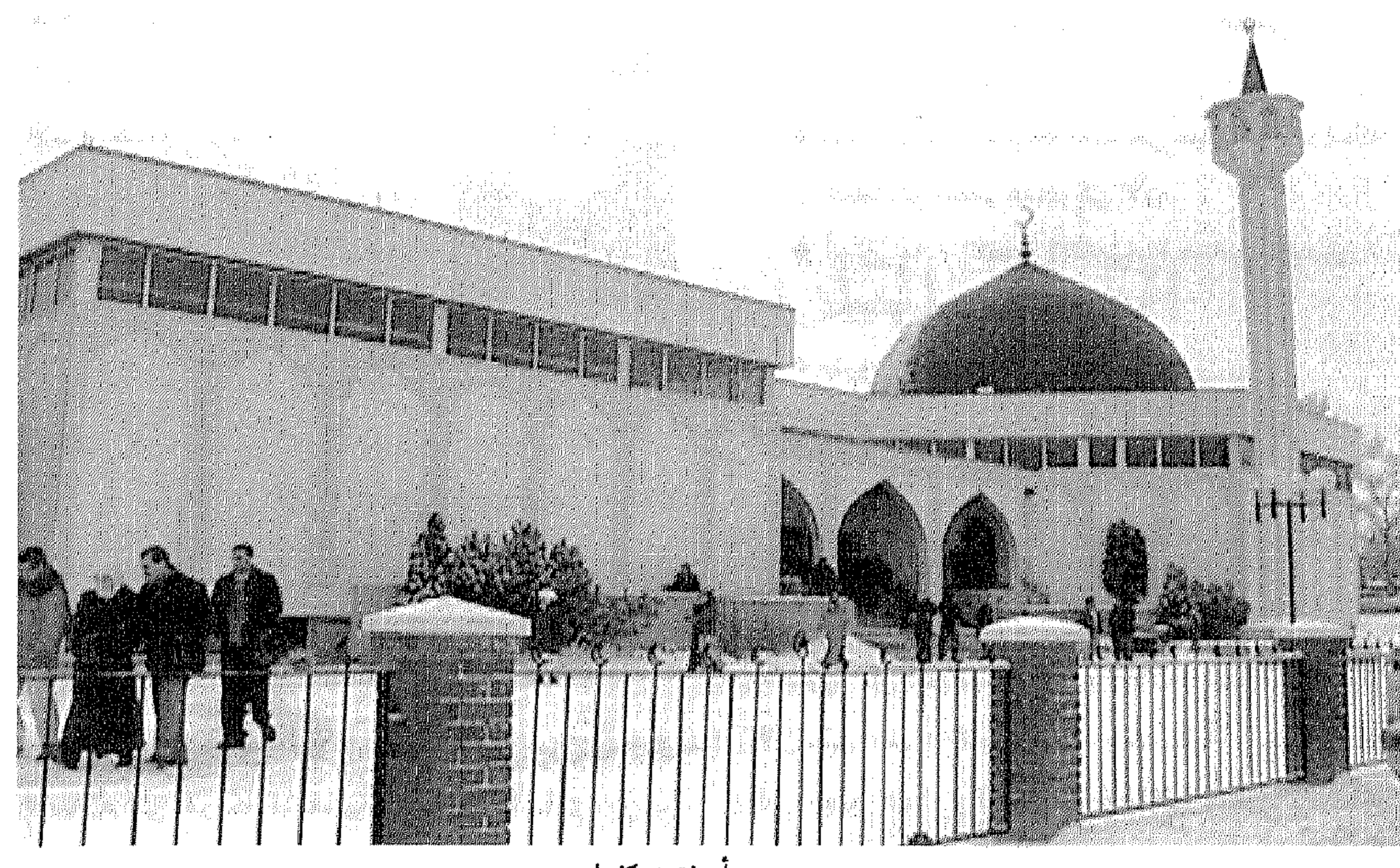
وأرجع إلى النقطة التي أتحدث عنها فأقول: إن أولئك الأوائل سيصابون بالدهشة المفعمة بالإعجاب

المحاضر الدكتور إبراهيم حياني

- ولد وترعرع بالشام.
- هاجر إلى كندا عام 1968 مسيحي حيث واصل دراساته العليا، ثم استقر هناك إلى الآن.
- أستاذ مادة التنمية الاقتصادية بجامعة رايسون / تورونتو.
- متزوج وله ولد واحد.
- له عدد من الإسهامات في المناشط الإسلامية بقارة أمريكا الشمالية.
- ناشط في مجال الحوار، وعضو في عدد من الجمعيات الفكرية والثقافية والدعوية.

والسرور لو أتيح لهم أن يروا آلاف المساجد المنتشرة الآن على امتداد الأمريكيتين، وخاصة أمريكا الشمالية التي فيها كندا، والتي بنتها وغذتها وما زالت تبنيها وتغذيها سواعد ومساعدات الموجات المستمرة من المهاجرين المسلمين، فضلاً عن إخوانهم وأخواتهم من الأمريكيتين الشمالية والجنوبية الذين اعتنقوا الديانة الإسلامية. تلك هي قصة البطولة الإسلامية، أو الملحمة البطولية للإسلام، الذي برهن دائماً وأبداً على قدرة فائقة على الصمود والانتشار والتأقلم ومجابهة التحديات، وذلك هو قدر الإسلام دين الفطرة التي فطر الله عليها الناس جميعاً.

حديثي إليكم اليوم ينقسم إلى قسمين: يعالج الأول التطور التاريخي لإنتشار الإسلام في كندا، بما في ذلك السمات الأساسية للمسلمين الكنديين من النواحي «الديموغرافية» والاجتماعية والتنظيمية. ويعالج القسم الثاني التحديات الأساسية التي يواجهها الإسلام والمسلمون في كندا خاصة، وفي أمريكا الشمالية عامة. وقد حاولت إيجازها في أربع تحديات: الأول: تحدي بناء المؤسسات بما في ذلك الجوامع والمؤسسات الاجتماعية والتعليمية الأخرى. والثاني: هو تحدي تفعيل دور المرأة المسلمة في المجتمعات الغربية. والثالث: هو تحدي الحوار مع معتنقي الديانات أو



مسجد أدمنتون بكندا

الشرائع الأخرى. والرابع هو التحدي الإعلامي ومواجهة الحملات المسعورة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين.

لمحة تاريخية

لعله من الصعوبة بمكان إعطاء تقديرات إحصائية دقيقة حول التطور التاريخي لأعداد المسلمين الكنديين، سواء خلال الفترة التي سبقت إنشاء كندا كدولة اتحادية فدرالية عام 1867 مسيحي (تاريخ إنشاء كندا كدولة اتحادية فدرالية) أو الفترات التي جاءت مباشرة بعد إنشاء الاتحاد، وذلك لأن التعداد السكاني آنذاك كان غالباً ما يشمل المسلمين ضمن قائمة ما يسمى المجموعات الدينية الأخرى غير المسيحية أو اليهودية. ومع ذلك فإنه بالإستناد إلى الإحصائيات والبيانات الموثقة والمنشورة فإن أول تعداد سكاني رسمي جرى في كندا الاتحادية كان في العام 1871 مسيحي، أي بعد أربع سنوات فقط من قيام الدولة الكندية ؛ يشير إلى وجود ثلاثة عشر مسلما فقط، ثم ارتفع هذا العدد إلى سبعة وأربعين مسلما حسب التعداد السكاني الكندي الذي جرى في بداية القرن العشرين أي عام 1901 مسيحي. (تجدر الإشارة إلى أنه في كندا يُجرى تعداد سكاني كل خمس سنوات: 1901.. 1906.... إلخ، كل خمس سنوات) ووصل عدد المسلمين الكنديين إلى 797 عام 1911 مسيحي (ثلثهم من العرب والثلثان الآخران من الأتراك). وبسبب دخول الامبراطورية العثمانية إلى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى ضد بريطانيا وفرنسا وروسيا، وباعتبار أن كندا كانت تابعة للتاج البريطاني ؛ فإن المسلمين الكنديين (الأتراك خاصة) قد تعرضوا للطرد والتعذيب بعد وصفهم بأنهم أعداء أجانب Enemy.. وهذا ما أدى إلى انخفاض أعداد المسلمين الكنديين إلى 478 عام 1921 مسيحي، وإلى 645 عام 1930، والزيادة من 478 عام 1921 مسيحي إلى 645 عام 1931 مسيحي، كانت بسبب الزيادة الطبيعية،

أي تفوق الولادات على الوفيات. وبقيت أعداد المسلمين الكنديين ضئيلة خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، بسبب القيود التي وضعتها السلطات الكندية آنذاك، والتي أدت إلى منع دخول المهاجرين غير الأوربيين بما في ذلك المسلمين وغيرهم من آسيا وأفريقيا. ومع ذلك فإن النمو الطبيعي للسكان المسلمين قد أوصل العدد إلى حوالي 2500 عام 1951 مسيحي، ولكن هذا العدد الضئيل يشير إلى أن التواجد الإسلامي في كندا حتى منتصف القرن العشرين كان تواجداً هامشياً إلى حد كبير، ولكن أنضر وأبهى جانب في هذا التواجد الهامشي، هو قدرة حوالي عشرين عائلة فقط من المسلمين الكنديين المنحدرين من أصول لبنانية وسورية على بناء أول جامع في كندا في مدينة (إدمنتون) العاصمة الإقليمية لمقاطعة ألبرتا في غرب كندا عام 1938، وهو نفس المسجد الذي أعلنت الحكومة الكندية عام 1978 اعتباره موقعاً تاريخياً في تلك المدينة، وجزءاً من التراث التاريخي الكندي، والآن يعتبر مركزاً للزوار، وهو قسم أو جزء من التراث الكندي التاريخي. وفي الواقع فإن إمرأة مسلمة هي التي كانت المحرك الأول لإنشاء هذا الجامع أولا، ثم لإقناع الحكومة الكندية باعتبار هذا الجامع قسماً من التراث الكندي، لأن هذا يعني أنه يستطيع الحصول على مساعدات من الحكومة الكندية من وزارة التراث من أجل الصيانة والتوسع والمكتبة وكل شيء يتعلق بتطور تاريخ المسلمين.

واعتباراً من عام 1967 مسيحي، ومن نفس العام الذي شهد مأساة حرب الأيام الستة، بين العرب وإسرائيل؛ فإن قوانين الهجرة الكندية قد تعرضت لتغيرات جذرية بحيث تم إلغاء أي تمييز قائم على أساس الأصل العرقي أو القومي للمهاجر. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه قبل 1967 كانت الهجرة إلى (الكندية) مبنية بشكل عام على أساس إعطاء الأفضلية للبيض للقادمين من أوروبا - سواء أوروبا

حوالي عشرين عائلة فقط من المسلمين الكنديين المنحدرين من أصول لبنانية وسورية عملت على بناء أول جامع في كندا في مدينة (إدمنتون) العاصمة الإقليمية لمقاطعة ألبرتا في غرب كندا عام 1938، وهو نفس المسجد الذي أعلنت الحكومة الكندية عام 1978 اعتباره موقعاً تاريخياً في تلك المدينة، وجزءاً من التراث التاريخي الكندي.

الغربية أو الشرقية -. وبعد 1967 تغير تماماً نظام الهجرة في كندا، بحيث تم إلغاء أي تمييز قائم على الأساس القومي أو العرقي للمهاجر، وأصبح هناك ثلاث فئات من المهاجرين أو المتقدمين للهجرة، وهي: أولاً: فئة المكفولين من قبل الأقرباء المباشرين المقيمين في كندا سواء كان أمّا أو أخاً أو أختاً أو زوجاً أو زوجة، أي فئة توحيد العائلات وهم يسمونه Unescation Family ثانياً: فئة المستقلين ويسمون Endependente الذين تُقيّمُ طلباتهم للهجرة على أساس نظام مبني على ما يدعى بنظام النقاط (Point system) والقائم على معايير موضوعية مثل التحصيل العلمي والخبرات والمهارات العلمية والعملية والفئات العمرية والمهارات اللغوية في اللغتين الإنجليزية والفرنسية وما إلى ذلك. وثالثاً: فئة اللاجئين الذين يسمح لهم بدخول كندا والإقامة فيها لأسباب إنسانية تتمثل بالهروب من الاضطهاد السياسي والاجتماعي، أو النجاة من العنف والإرهاب والحروب الأهلية.

إن هذه التغييرات الإيجابية في قوانين الهجرة الكندية، والتي واكبت الهزات أو النكسات والنكبات السياسية والعسكرية الكبرى التي عصفت وما تزال بدول العالمين العربي والإسلامي، سواء النكبة في فلسطين أو الحروب الأهلية في لبنان والجزائر وأفغانستان والصومال والسودان، وطبعاً الحرب

العراقية الإيرانية وحروب الخليج التي يبدو وكأنها بلا نهاية، أو مآسي الشعب المسلم في البوسنة والهرسك والشيشان وكشمير؛ كلها ساهمت في زيادة الهجرة العربية الإسلامية إلى كندا، وبوتائر متسارعة، ما أدى إلى تزايد سريع لم يسبق له مثيل في أعداد المسلمين الكنديين، إذ إن إحصائيات الهجرة الكندية تشير إلى أن 15٪ من المهاجرين إلى كندا خلال السنوات العشرة من عام 1991 إلى عام 2001 كانوا من معتنقي الدين الإسلامي. فكندا تسمح كل سنة بحوالي 250 ألفاً إلى 300 ألف من المهاجرين، 15 ٪ من هؤلاء كانوا من المسلمين أو من دول إسلامية. وهذه العوامل المجتمعة أدت إلى وصول أعداد المسلمين الكنديين - حسب إحصاء عام 2001 مسيحي وهو آخر إحصاء سكاني جرى في كندا - وصل هذا الرقم إلى (600 ألف). وفي الواقع فإن هذا رقم قليل، لأن الإحصاء السكاني فيما تعلق بالدين مبني على أساس عينة إحصائية مؤلفة من 20٪، فكل خامس بيت يستلم (استمارة) تسأل عن الدين، ولما كان المسلمون منتشرين وغير مركزين في مكان معين؛ لذلك فإن هناك اعتقاداً صحيحاً بأن أعداد المسلمين حالياً تصل إلى مليون أو مليون ومائتين ألف نسمة، بمعنى أنهم 4٪ من سكان كندا. ونتيجة لذلك فإن الإسلام يحتل حالياً المركز الثاني بعد المسيحية، ويكاد عدد المسلمين الكنديين يفوق ضعف اليهود الكنديين. في يوم من الأيام كان اليهود الكنديون يأتون مباشرة بعد المسيحيين، أما الآن فاليهود الكنديون - حسب الإحصاء السكاني الأخير - هم 330 ألفاً. وتجدر الإشارة هنا إلى أن إحصائيات التعداد السكاني - كما ذكرت - تنحو نحو تقليل عدد المسلمين لعدة أسباب. أما إذا أخذنا أعداد المهاجرين من الدول الإسلامية ؛ فعلى أساس هذه التقديرات فإن عدد الآن المسلمين لا يقل عن مليون ومائتي ألف.

التحديات التي يواجهها المسلمون في كندا متعددة ومختلفة، لعل أبرزها : بناء المؤسسات، وتفعيل دور المرأة، والحوار مع أتباع الديانات الأخرى، والإعلام والتشويه الإعلامي.

سمات وخصائص

فيما يتعلق بالخصائص أو السمات فإنني ألخصها فيما يلي :

❖ **أولاً** : إن الجاليات الإسلامية الكندية شابة نسبيا وذات هياكل عمرية تسودها الشرائح العمرية المنتجة، مقارنة ببقية سكان كندا، إذ أن متوسط العمر للمسلمين الكنديين حسب التعداد السكاني الأخير كان 28 سنة، وهو أقل من متوسط العمر لدى المجموعات الدينية الأخرى (بالنسبة للمسيحيين متوسط العمر بين 40 و46 سنة، اليهودية 42 سنة، البوذية 38 سنة، الهندوكية 32 سنة). وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن حجم العائلة المسلمة الكندية يفوق عادة حجم العائلة الكندية عموما، وأن متوسط عدد الأولاد الذي تنجبه المرأة المسلمة، أو معدلات الخصوبة لدى النساء المسلمات يزيد عادة عن معدلات الخصوبة لدى بقية المجتمع، وذلك لأسباب متعلقة بالقيم والتقاليد؛ فإنه من المتوقع أن تستمر أعداد المسلمين بالتزايد السريع، سواء عن طريق الزيادة الطبيعية أو عن طريق الهجرة. لذلك فمن المتوقع عند سنة 2020 مسيحي - حتى حسب التعداد - أن يصل عدد المسلمين إلى أكثر من مليون ونصف. وإذا كانت أعداد المسلمين الكنديين قد شهدت زيادة بنسبة 129٪ خلال السنوات العشر (بين عام 1991 وعام 2001) وهي أكبر معدلات زيادة شهدتها أية مجموعة دينية أخرى على امتداد كندا كلها ؛ فإن نسب الزيادة هذه ستستمر، وربما بوتائر عالية، لأن القوة الحركية (أو ما يسمى Dwmografek Montele)



نساء مسلمات في كندا يتلقين دروساً ومحاضرات دينية

للهياكل العمرية لدى المسلمين الكنديين كفيلة بتحقيق نمو سريع للسكان المسلمين حتى ولو جرى انخفاض ملحوظة في معدلات الخصوبة للمرأة الكندية المسلمة.

❖ ثانياً: تعكس الجاليات الإسلامية الكندية في خلفياتها الوطنية وتوجهاتها الفكرية وفئاتها الاجتماعية والثقافية وعاداتها وتقاليدها؛ كل ما يحتضنه العالم الإسلامي من التعددية والغناء الثقافي أو الحضاري، وبما أن كندا هي رسمياً وفعلياً دولة متعددة الثقافات، (أو Moltey Coltior Sosaity)؛ فإن المسلمين الكنديين ساهموا وما زالوا يساهمون في إغناء هذه التعددية - أو هذه الفسيفساء الكندية - ورفدها بالعديد من الألوان والأطياف والنكهات، ولحسن الحظ فإن تواجدهم في كندا قد أتاح للمسلمين الوافدين من شتى أرجاء المعمورة، أن يتقابلوا ويتعارفوا ويمارسوا شعائر دينهم معاً - كما هي الحال في هذه الكلية المعمورة - وأيضاً أن يقوموا بتنظيم نشاطات اجتماعية وثقافية يتعرفون من خلالها على بعضهم البعض، ويمارسون بحق قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

[سورة الحجرات، الآية:13]

ومثل هذه التعددية العرقية والوطنية والثقافية والاجتماعية مليئة بكل احتمالات التشدد والاختلاف والتسامح والتعاون معاً، بالإضافة إلى قدرتهم على إقامة علاقات مع غير المسلمين، وهذا ما يتيح لهم أن يعرفوا الآخرين بدينهم الحق عوضاً عن أن يتركوا الآخرين يطوروا أفكارهم غير الصحيحة عن الإسلام. وبهذا الخصوص فإنني إن نسيت فلا أنسى أبداً ذلك المنظر الجميل الذي يصنعه المسلمون كل عام عندما يتوافدون بالآلاف المؤلفة لتأدية صلاة العيد (عيد الفطر السعيد أو عيد الأضحى المبارك) في أكبر قاعة للمؤتمرات أو في أكبر ساحة ألعاب في مدينة تورنتو يسمونها: Stediom أو Combation Center والتي تظم نسبة كبيرة من المسلمين الكنديين سواء في مقاطعة أونتاريو أو في كندا عموماً. واسمحوا لي أن أقول لكم إنه في العيد الماضي كان في القاعة خمسون

ألف مسلم، صلوا صلاة العيد مع بعضهم، وكان النهار جميلا جدا، فعندما تنظر إلى صور ذلك الحشد، وكل آتٍ من خلفياتٍ مختلفة، نساء ورجال وأطفال وشيوخ يلبسون ألبسة مختلفة، وأشكال وألوان مختلفة ؛ فإن ذلك يعكس فعلا التمازج والتوهج الحضاري لوجود الإسلام في العالم.

❖ **ثالثاً**: هناك تحسن واضح وسريع في المكونات والمؤهلات المهنية والتعليمة والخبرات العملية والعلمية لموجات الهجرة المتعاقبة من المسلمين، وهذا يعود ـ بالدرجة الأولى طبعاً ـ إلى المستلزمات المطلوبة لتأهيل المهاجرين لدخول كندا والإقامة فيها، لأن الإسلام نفسه يحث أتباعه على طلب العلم والبحث على المعرفة من المهد إلى اللحد. إذ بينما كانت الغالبية العظمى من المهاجرين المسلمين الأوائل تتميز بمستويات تعليمية منخفضة، وكان أفرادها يمارسون مهنا تحتاج إلى القوة العضلية والمثابرة والذكاء الفطري، مثل البيع بالتجوال أو العمل اليدوي في المصانع أو إدارة البقاليات والمحلات التجارية الصغيرة؛ فإن موجات الهجرة العربية أو الإسلامية خلال العقود الثلاثة الماضية، بما في ذلك العقد الحالي، يتميز بمستويات تعليمية وكفاءات مهنية عالية نسبياً. ولهذا السبب فإن غالبية المسلمين الكنديين يعيشون في المدن الكندية الكبرى مثل (تورنتو) و(مونتريال) و(أوتاوا) عاصمة كندا حيث تعتبر اللغة العربية الثالثة ـ بعد اللغتين الإنجليزية والفرنسية ـ وكذلك (إدمنتون) و(لندن) و(هاملتون) و(كالجاري) (هاليفاكس)، وغيرها من الحواضر الكندية التي تستقطب المهاجرين من ذوي الكفاءات التعليمية والمهنية العالية، لأن أسواق العمل فيها تستدعي توفر مثل هذه الكفاءات. وبسبب هذه التغيرات الكمية والنوعية الهائلة التي شهدها الوجود الإسلامي في كندا؛ فإن تحديات الاندماج في المجتمع الكندي، وبناء المؤسسات القادرة على تفعيل دور المسلمين الكنديين في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ؛ قد ازدادت أهمية وحساسية وخطورة.

❖ **رابعاً** : إن عملية التأقلم الثقافي أو الحضاري للمسلمين الكنديين في المجتمع الكندي هي عملية معقدة، وليست وقفاً على المسلمين وحدهم، لأن كندا نفسها توصف عادة بأنها أمة المهاجرين أي (Elation of Emmegrinte) لأن الشعوب أو الأقليات الإثنية الكندية تتكلم العديد من اللغات. وعلى سبيل المثال ففي المدينة التي أعيش فيها (تورنتو) والتي يبلغ عدد سكانها تقريباً أربعة ملايين، توجد هناك مئة وخمسون لغة. وهنا طبعاً أعطيكم فكرة عن التعددية الثقافية الموجودة في كندا. كما أن قضية التأقلم الثقافي ترتبط بشكل مباشر بمسألة التواصل أو الامتداد الحضاري للجماعات الدينية والإثنية، ومدى إمكانية خلق نوع من التوازن المبدع بين الأصالة الثقافية والانتماء والتفاعل البنّاء مع المجتمع الكندي. وبهذا الخصوص فقد ميّز علماء الاجتماع بين أربعة أنماط من التأقلم الحضاري للأقليات الإثنية والدينية:

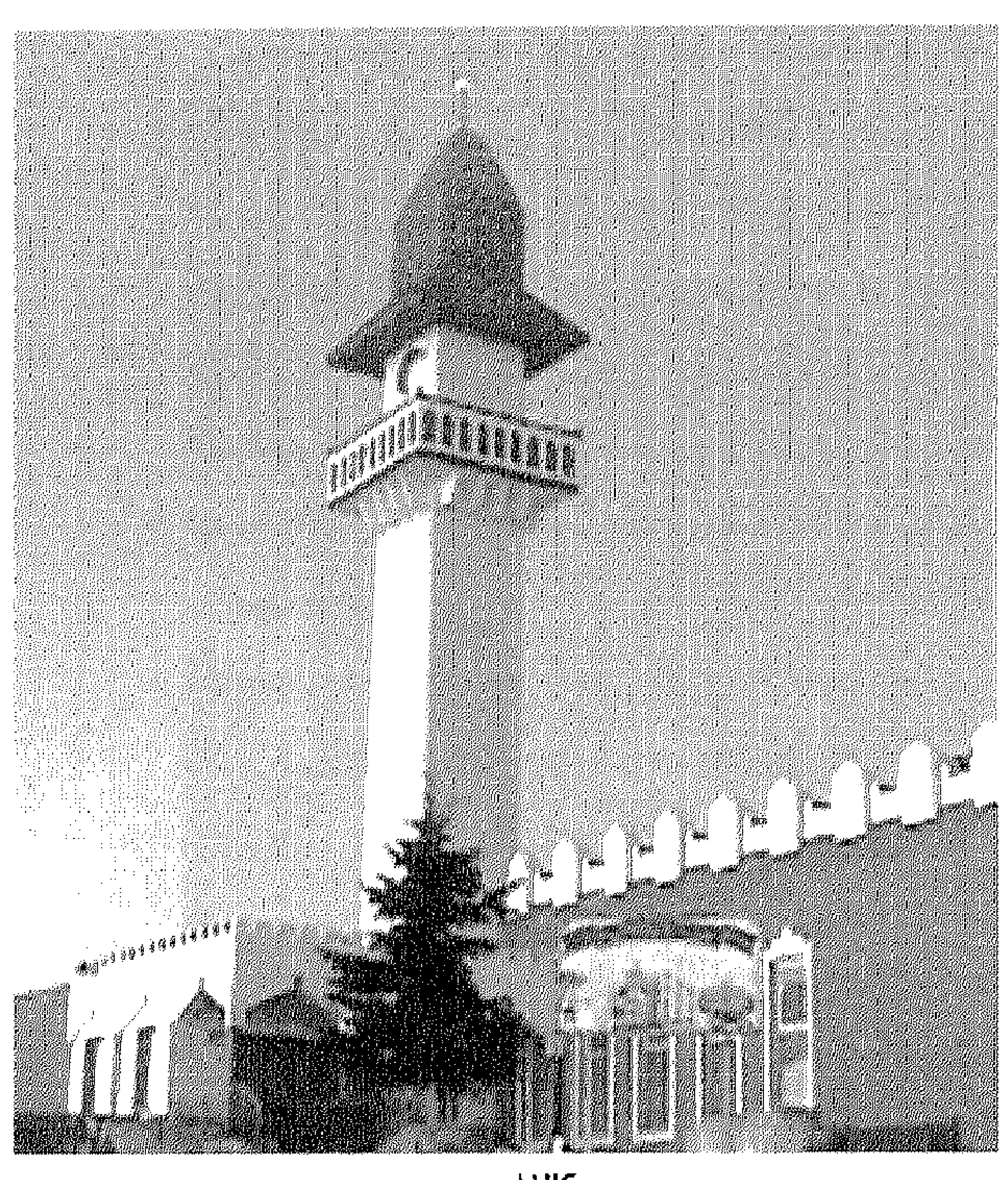
تعكس الجاليات الإسلامية الكندية في توجهاتها الفكرية والثقافية وعاداتها وتقاليدها ؛ كلما يحتضنه العالم الإسلامي من التعددية والغناء الثقافي أو الحضاري

النمط الأول: الذوبان، أو ما يسمى: Estemelation وسِمتُه الأساسية هي محاولة المهاجر الهروب من جلده واستبداله بجلد آخر، حيث يصبح (محمد = مايكل) و (فاروق = فرانك) و(عبد الله = ألبرت) وما إلى ذلك. فضلاً عن إقامة علاقات اجتماعية وعائلية بما في ذلك الزواج خارج المجموعة الدينية التي ينتمي إليها المهاجر أصلاً، والتحول من دينه أو دينها إلى دين آخر، وفي هذه الحالة اعتناق الديانة المسيحية والارتباط بطائفة معينة، كما حدث

وما يزال يحدث حالياً للعديد من المهاجرين وخاصة من الصين التي تعتبرها المؤسسات التبشيرية المسيحية في أمريكا الشمالية حالياً أكبر سوق أو خزان للتبشير المسيحي، بالإضافة إلى أفريقيا. ولذلك فأنتم - يا إخوان ويا أخوات - عليكم مسؤولية كبرى، ولأنني أعرف وأعيش هذه الحالة ؛ فلا تتصوروا مدى التركيز على الصين التي يوجد فيها خُمس سكان العالم، وإفريقيا لأنها القارة الوحيدة في العالم التي غالبيتها من المسلمين، ولذلك فإن البعثات التبشيرية تركز على هاتين المنطقتين (إفريقيا والصين). وما أشرت إليه (الذوبان) حدث للعديد من المهاجرين الأوائل من السوريين واللبنانيين، لأنه لم تكن هناك مؤسسات فتعرضوا لعملية الذوبان الكامل.

النمط الثاني: الإنعزال، أو ما يسمى: (Aizolation) وهو نقيض النموذج الأول، ويتميز معتنقوه بالانفصال الكامل عن المحيط الاجتماعي والثقافي والسياسي للمجتمع الكندي، ومحاولة العيش في قوقعة منعزلة تماماً، وفي مناطق خاصة لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالمجتمع الكندي الكبير، وعندما يحدث الانعزال بشكل اختياري فإن النتيجة هي الانفصال الكامل كما حدث بالنسبة للكثيرين.

النمط الثالث: التهميش والذي يتسم بإجبار المهاجر على اتخاذ موقف يشبه موقف المتفرج على مسرحية تجري فصولها ويتم إخراج أدوارها على نحو بعيد كل البعد عن حياة أو اهتمام المهاجر. ونتيجة لذلك يعاني المهاجر مما يمكن تسميته بأزمة الهُوية، حيث يتم تغريبه عن ثقافته وتاريخه وديانته، فضلاً عن تهميشه من قبل المجتمع الذي فُرض عليه العيش فيه. وتلك حالة العبيد عموماً الذين جاءوا إلى أمريكا الشمالية. وكما ذكرت فقد كانت نسبة كبيرة منهم؛ من المسلمين، لأن الغزاة الإسبان والبرتغاليين مارسوا عمليات التهميش العنصري ضد السكان الأصليين في أمريكا اللاتينية أيضاً، وكذلك الأوروبيين الذين جاءوا



مسجد كالغاري

من بريطانيا وألمانيا وفرنسا قاموا بنفس الشيء في أمريكا الشمالية (أي كندا والولايات المتحدة).

النمط الرابع: الاندماج (أو ما يسمى بـ Entegration) والذي يسمح للمهاجر بالمشاركة الفعلية والكاملة وعلى جميع الأصعدة والمستويات في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع الكندي، ويمكّنه - في نفس الوقت - من الاحتفاظ بثقافته - بل ويشجعه على تنمية الشخصية الحضارية للمهاجر، بما في ذلك اللغة ومنظومة القيم والدين والعادات والتقاليد المتعلقة بالهوية الإثنية أو الدينية للمهاجر.

وأذكر هذه الأنماط لأنني أجريت دراسة عن المسلمين فيما يتعلق بهذا الخصوص، واكتشفت من خلالها أن المسلمين عموماً يفضلون النموذج الرابع وهو الإندماج (Entgration) بمعنى أنهم يريدون التفاعل الكامل والفعال مع المجتمع الكندي، ولكنهم في نفس الوقت يحبون أو يحبذون الاحتفاظ بشخصيتهم الدينية. وهذا التوجه صحي، لأن الإنسان - من خلال

الاندماج ـ يعيش بشكل كامل في هذا المجتمع، ويساهم بشكل كبير على جميع المستويات، وكمثال على ذلك لدينا الآن في منطقة (كويبك ـ وغالبيتها من الفرنسيين) من أكثر النواب نشاطاً سيدة من أصل مغربي إسمها «فاطمة هدى ببان» كما يوجد في البرلمان الكندي عدد من المسلمين (ثلاثة نواب) ربما ليسوا كثيرين ولكننا نأمل أن يكون لدينا أكثر. ولذلك ـ أعود فأقول ـ إن هذا التوجه الذي يفضله غالبية المسلمين، هو توجه فاعل في المجتمع الكندي، ولكن في نفس الوقت الاحتفاظ بالشخصية والهُوية الدينية والثقافية، وهذا لا يعني أن الكندي المسلم يعكس في تصرفاته دائماً سمات وخصائص هذا النمط الاندماجي، أو أنه أميل تماماً لمضمونه، على العكس، فمن الممكن أن يعكس هذا المهاجر المسلم ـ خلال فترات مختلفة من حياته وفي تعامله مع المجتمع الكندي الكبير ـ بعضاً من سمات الأنماط الأربعة، ولكن الأمر الأساسي هنا هو أن التوجه العام للمسلمين الكنديين ـ بما في ذلك أنماط التفكير والتصرف المسيطر على حياتهم كأفراد وجماعات ـ تشير نحو توجه اندماجي فاعل ومتفاعل مع المجتمع الكندي. ومن هنا تبرز أهمية التحديات الأساسية التي يواجهها المسلمون في كندا عموماً، في سعيهم لتطبيق هذا النمط الاندماجي، وهذا ما سنناقشه في القسم الثاني.

تنوع التحديات وتعددها

التحديات التي يواجهها الإسلام والمسلمون في كندا متعددة ومختلفة كتعدد المسلمين الكنديين أنفسهم، ومع ذلك فأنا هنا سأركز على أربعة منها وهي : بناء المؤسسات، تفعيل دور المرأة، الحوار مع أتباع الديانات الأخرى، والإعلام والتشويه الإعلامي.

فيما يتعلق ببناء المؤسسات فإنه ليس من المبالغة القول: إن التعامل الفعال مع المجتمع الكندي ـ أو مع أي مجتمع ـ يستدعى بناء الهيكل المؤسساتي القوي والمتكامل، وبهذا الخصوص فإنه يمكن الإشارة هنا إلى أن أول عمل أو مشروع قام به الرسول محمد ﷺ بعد وصوله إلى المدينة المنورة مهاجراً مع أصحابه من مكة المكرمة، هو بناء جامع، مؤسسة، أي إقامة المؤسسة الأولى في الأمة الإسلامية الوليدة. ولقد كان الجامع منذ بداياته الأولى ليس فقط لممارسة أو أداء الشعائر الدينية فحسب؛ وإنما كان أيضاً مؤسسة تعليمية واجتماعية فاعلة ومتفاعلة مع المجتمع، لأنه كان مدرسة ومركزاً اجتماعياً وبرلمانا، أي جامعاً بكل النشاطات المتعلقة بحياة المؤمنين الاجتماعية.، وإذا كان هذا هو حال المجتمع في بدايات الدعوة الإسلامية؛ فإن إقامة مجتمع إسلامي فاعل ومتفاعل مع المحيط الكندي، يستلزم إقامة مؤسسات متعددة الأسماء متكاملة الوظائف إبتداء من رياض الأطفال وانتهاء بمراكز ثقافية وأكاديميات علمية لتخريج العلماء المحليين، ومروراً بمؤسسات رعاية الشباب، ومعالجة المشاكل والقضايا التي تواجه العائلات المهاجرة، بما في ذلك طبعاً بيوت لرعاية كبار السن أو العجزة، لأنه إلى حد الآن لا يوجد لدينا في كل كندا أي مركز للعجزة، وكأننا سنكون شباباً إلى ما شاء الله.. !!. وإذا كانت الأجيال الإسلامية الشابة حالياً هي التي ستقرر مصير الإسلام والمسلمين في كندا وغيرها من الأمصار التي يعيش فيها المسلمون كأقليات ناشطة ؛ فإنه من الضروري تزويدهم ببناء مؤسسي متكامل يتيح لهم توجيه طاقاتهم المبدعة واستخدامها لتعميق الوجود الإسلامي وتوسيع آفاقه، خاصة وأنه يوجد لدينا بعض الكنديين الذين أصبحوا مسلمين ـ رجال أو نساء ـ

هناك تحسن واضح وسريع في المكونات والمؤهلات المهنية والتعليمة والخبرات العملية والعلمية لموجات الهجرة المتعاقبة من المسلمين.



مسجد الرشيد أقدم مساجد كندا (1943م)

وهؤلاء يحتاجون إلى دعم مؤسسي، لأن هؤلاء يواجهون صعوبات عديدة جدا، عائلية واجتماعية وعملية؛ فلابد أن يكون هناك دعم، وهذا يستدعي بناءً مؤسسياً متكاملا على شكل ما أقامته الأقليات الأخرى.

وفي هذا السياق أشير إلى أن الجالية اليهودية استفادت من الأموال الهائلة التي أخذتها من ألمانيا كتعويضات عن ما يسمى (الهولوكوست) لبناء مؤسسات متكاملة، كي تتيح لأفرادها أن يكونوا أكثر فعالية في المجتمع الكندي. ومن ناحية أخرى فإن بناء أو وجود هذه المؤسسات لن يكفي في حد ذاته، لأن فاعلية هذه المؤسسات تعتمد على توافر عناصر أساسية أربعة:

أولاً : إدارة فيها كفاءة عالية.

ثانياً: الالتزام، لأنه دون الالتزام - في العمل الإسلامي خاصة وفي عمل فعال آخر - لن يكون هناك عمل مجد.

ثالثاً: المعرفة، ولا تتصورون كم رأيت في حياتي بكندا من أعداد لأبناء المسلمين، خاصة الجيل الشاب، لا يعرفون عن الإسلام أشياء كثيرة، وطبعاً هذا خطأ، فكيف يمكن أن تقاوم العلم الخبيث إذا لم يكن لديك علم جيد؟.

رابعاً: التمويل - وهذا مهم جداً - ففي ذلك المجتمع (الغربي بالذات) المال هو الذي يتكلم، طبعاً في كل العالم المال يعتبر مثل البنزين بالنسبة للسيارة، فمهما كانت السيارة جميلة والمحرك رائعا والكفاءة عالية ؛ فلا يمكن أن تتحرك السيارة دون بنزين.

وهذه العناصر الأربعة كلها متوفرة وإن بدرجات مختلفة. وبالنسبة للمسلمين فلكم أن تتصوروا كم من الأموال الهائلة والضخمة التي جُمعت من وفي البلاد الإسلامية، وذلك لمساعدة شعوب فلسطين والعراق والصومال والشيشان وكشمير.... الخ، ولولا وجود تلك المشاكل والأزمات لتمّ توظيف تلك الأموال لبناء مؤسسات ممتازة جدا.. !! ومع ذلك فقد استطاع المسلمون في كندا

بناء مؤسسات جيدة لكنها ما زالت ضعيفة نسبياً ولا تتناسب مع تطلعات المسلمين بشكل عام.

دور المرأة

وفيما يتعلق بتفعيل دور المرأة المسلمة فإنني أشير أولاً إلى أن من الأشياء التي يهاجم بها الإسلام دائماً أنه عدو المرأة. وأحياناً تبرز تصرفات بعض المسلمين - للأسف - هذا القول. ودعوني أشير أولاً إلى أن دور المرأة مهم جداً، وخاصة في الجامع الذي يعتبر مركزاً إسلامياً، في بلد مثل كندا أو الولايات المتحدة، بمعنى أن المرأة يمكن أن تلعب دورا مهماً جداً في الحياة الإسلامية. وفي هذا السياق إسمحوا لي أن أروي لكم ما يلي :

منذ حوالي خمسة عشر عاماً كان هناك أستاذ رياضيات إسمه بروفسور (جفري لانج) أصبح مسلما، ويعتبر من الشخصيات الإسلامية المعروفة، وكتب عدة كتب، منها كتاب إسمه (حتى الملائكة تسأل Even Angels Ask) وقد كتبه لبناته، ويذكر فيه أنه خلال أربعة عشر عاما، أي منذ أن أصبح مسلماً وهو يشاهد الأعداد الهائلة من الأمريكيين الذين لديهم الاستعداد فعلاً لتقبل الإسلام، والشيء الوحيد الذي منعهم من اتخاذ الخطوة الأخيرة (اعتناق الإسلام)



ملتقى لتعارفوا

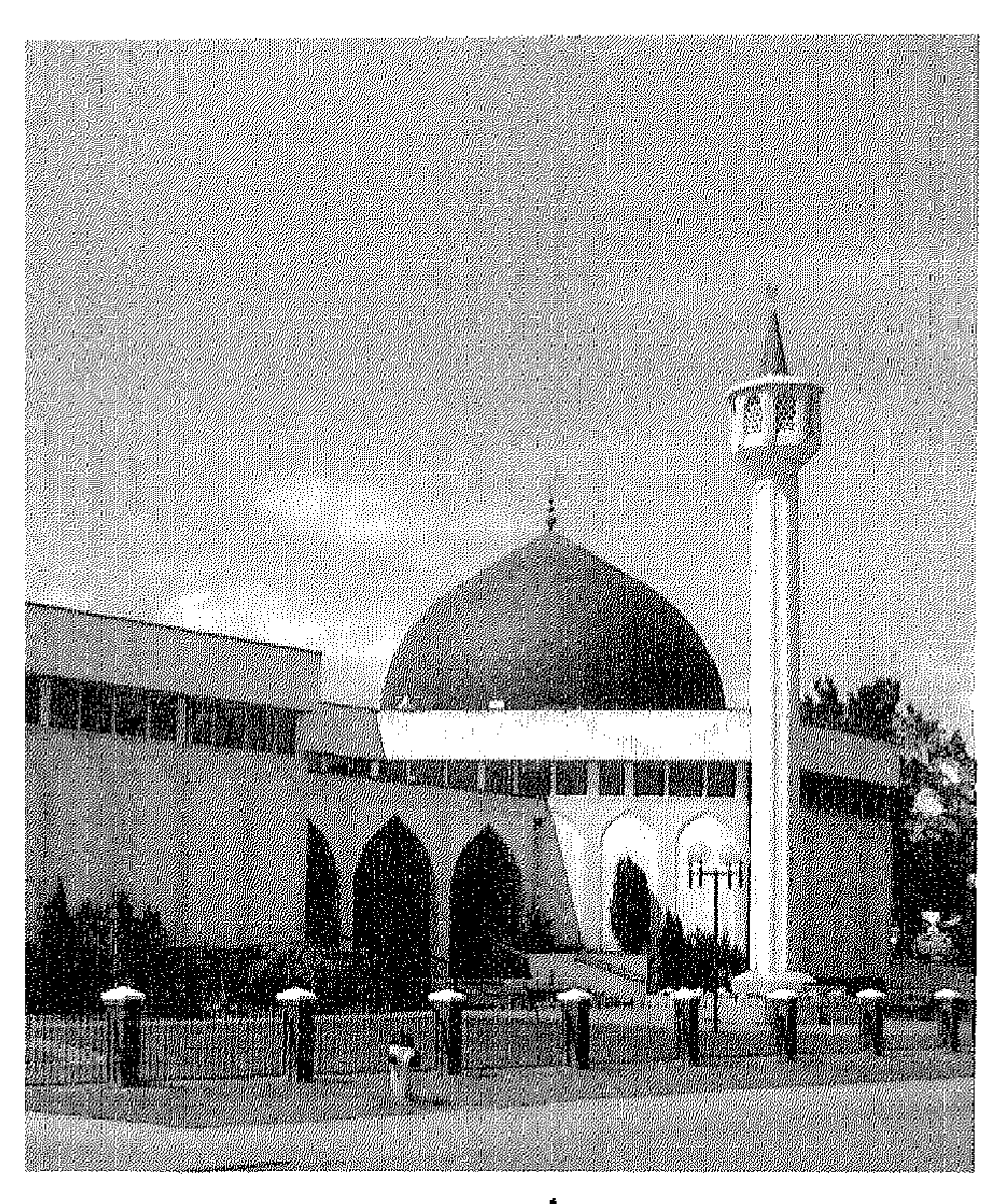
هو الوضع غير المرضي للمرأة المسلمة في المجتمع (في كندا والولايات المتحدة الأمريكية) أي أن دور المرأة المسلمة إلى حد الآن ليس دوراً فاعلاً، مع بعض الاستثناءات طبعا. نعم هناك حضور متزايد للمرأة مع الأيام - في المجتمعات الإسلامية - إلا أنه - إلى حد الآن - ليس فعالاً أو ليس كبيرا خاصة على مستوى الإدارة مثلاً، مع أنها في أمريكا الشمالية (كندا والولايات المتحدة الأمريكية) يمكن أن تلعب المرأة دورا هائلا ومهما جدا. وتاريخ الإسلام يثبت ذلك، لأن خديجة رضي الله عنها قامت بدور مهم جداً في دعم الرسول ﷺ، وفي دعم الدعوة الإسلامية. إذن لنا في تاريخنا أمثلة هائلة على نساء مسلمات قمن بدور فعال في تنشيط الدعوة الإسلامية.

العلاقة مع الآخر

وفيما يتعلق بالعلاقة مع الآخر (أتباع الديانات والعقائد الأخرى) فإن كندا - كما ذكرت - هي بلد متعدد الثقافات والأعراق، وباعتبار أن الإسلام أصبح الديانة الثانية ؛ فهناك جمعيات مختلفة، وأنا مسرور جداً من أن الشعار العام أو الموضوع الأساسي للقاء الفكري العالمي الذي نظمته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في طرابلس خلال شهر الفاتح 1371 من وفاة الرسول ﷺ (2003/9/25 مسيحي)؛ كان شعاره ﴿لتعارفوا﴾. فهذا ما نحاول القيام به، وقد نجحنا لأول مرة في إقناع الكنيسة الرسمية في كندا بأن تصدر وثيقة في شهر النوار (فبراير) 2003 مسيحي، تعلن فيها وبصراحة كاملة، وحتى تعتذر، عن الحروب الصليبية، وعن التشويه الذي قامت به الكنيسة في تاريخها الطويل، سواء في الأندلس أو أثناء الحروب الصليبية ؛ تعتذر عن كل هذه الحروب، وتعلن أن الإسلام هو دين سماوي، وأن الرسول محمد ﷺ هو نبي مرسل. وهذا يعتبر تقدماً كبيراً، طبعاً هذا لا

يكفي، ونحن مستمرون في هذا السبيل. وأنا عضو في جمعيتين: (جمعية إسمها MLSOM NAITSERK (GOLAID الحوار الإسلامي المسيحي وجمعية أو مؤسسة ثانية إسمها (C. L. G. M جمعية التواصل بين المسلمين واليهود).

وفيما يتعلق بالتشويه الإعلامي فإنه من الأهمية بمكان الإشارة والتأكيد على أن الإسلام هو دين الفطرة، الإسلام جاء ليسود لا لكي يساد، الإسلام جاء للسيادة لأنه دين الفطرة، أراده الله أن يكون دين الإنسان، لذلك فإنه من الطبيعي أن هناك قوى - سواء داخل العالم الإسلامي أو خارجه - تعمل جاهدة لمنع الإسلام من السيادة وممارسة دوره في تحرير الإنسان من الظلم والعبودية لغير الخالق ونشر العدل والإخاء بين الشعوب، سلاح الإسلام هو العقل واليقين، أما سلاحهم فهو التزوير والتشويه والتشهير. إن الحرب الإعلامية الدائرة ضد الإسلام تحاول إبراز هذا الدين السمح والمتسامح على أنه دين معادٍ للمرأة، دين معادٍ للحرية، ودين يشجع الإرهاب. هذه هي النقاط الثلاثة التي دائماً تركز عليها حملات التشهير بالإسلام. دين معادٍ للمرأة. فبعد زوال الخطر الشيوعي كان لا بد من اختلاق عدو جديد، لذلك قرّ القرار على الخطر الأخضر وهو الخطر الإسلامي، ولهذا تم استبدال الخطر الأحمر بالخطر الأخضر، وجاءت الأحداث المأساوية التي جرت في نيويورك وواشنطن يوم 11/ 9/2001 لتعطي دفعاً جديداً وزخماً قوياً لحملات إعلامية مسعورة ضد الإسلام ديناً وحضارة، وضد المسلمين أفرادا وجماعات. فالحملة الإعلامية الموجهة ضد الإسلام والمسلمين في أمريكا الشمالية، والتي تمولها وتقوم بها أصلاً المنظمات اليمينية متمثلة باليمين المسيحي والمنظمات الصهيونية؛ قد اتخذت من أحداث الحادي عشر من سبتمبر تبريراً لكي تضرب بعرض الحائط كل الضوابط الأخلاقية والأدبية، بل وحتى الضوابط القانونية التي كانت تمنعها سابقاً من الكشف عن



مسجد في أدمنتون

حقدها الدفين وعدائها المزمن نحو الإسلام والمسلمين وأنا أعيش هذا أربعة وعشرين ساعة في أمريكا الشمالية وكندا، وأرى التشويه والتزوير والحقد وخير دليل على ذلك هو العداوة اللامتناهية للإسلام التي أبرزتها بعض المنظمات المسيحية التبشيرية، وخاصة البروتستانتية في أمريكا الشمالية، بما في ذلك الكنائس الإنجليكانية التي ينتمي إليها ويتحدث باسمها أمثال القس (فرانكلين غراهام) و(جيري فالويل) و(باث روبرتسون) إذ وصلت الصفاقة بالقس (فرانكلين غراهام) وهو إبن (بل غراهام) الذي يعتبر أكبر شخصية دينية في أمريكا، وكان الصديق الحميم لثلاثة رؤساء متعاقبين في أمريكا، والآن (فرانكلين غراهام) هو الذي يقوم بالصلاة في البيت الأبيض مع الرئيس بوش. بعد أحداث سبتمبر مباشرة وصف ذلك القسُّ الإسلامَ بأنه دين شرير. وهذا غير مسموح، أقصد أن أي إنسان غير مسموح له أن يتكلم عن أي دين بالدنيا بهذا الشكل، وخاصة أن في أمريكا

يوجد حوالي عشرة ملايين مسلم، بينما هناك فقط ستة ملايين يهودي. إذن نحن عددنا أكبر. كما أنه وصف الرسول محمد ﷺ بأنه إرهابي، والأكثر من ذلك فإن وزير العدل الأمريكي السابق (أشكروفت) الذي يعد أحد الأركان الأساسية للنظام القائم حالياً بالولايات المتحدة الأمريكية قد وصل به جهله وصفاقته إلى القول (بالحرف الواحد) إن ربهم - أي رب المسلمين - يطلب منهم الاستشهاد والموت من أجله، بينما ربنا يسوع المسيح قد مات من أجلنا.

وفي مواجهة هذه الحرب الإعلامية المسعورة والضاربة يحاول المسلمون في كندا والولايات المتحدة مكافحة الجهل بالعلم، وتحدي ما يمكن وصفه بالفكر القذر أو الرديء بفكر نظيف ومبدع. ويسرني أن أقول لكم إن هناك أعدادا كبيرة من المسلمين يقاومون، وخاصة النساء المسلمات، يقومون بعمل رائع للدفاع عن الإسلام والمسلمين والقضايا الإسلامية، لكننا لا نملك الإمكانيات الإعلامية التي يملكها الآخرون.

الخلاصة والإستنتاج

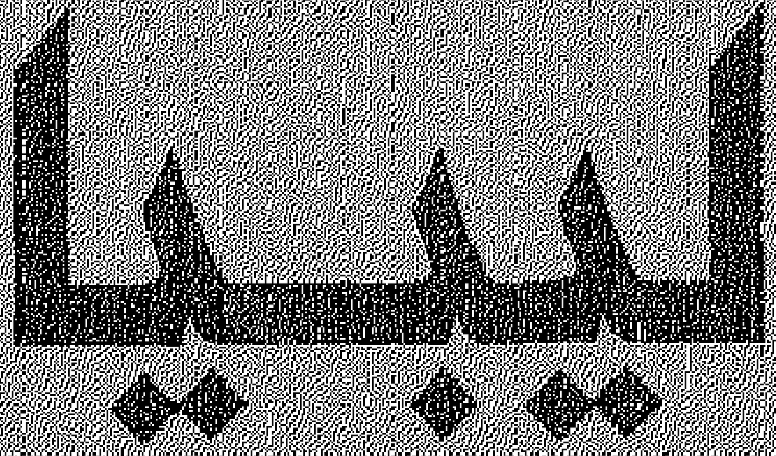
إن العوامل التي دفعت العديد من المهاجرين المسلمين إلى مغادرة بلادهم والتوجه نحو شواطئ كندا وأمريكا الشمالية، هي نفس العوامل التي كانت وما تزال تدفع بالآلاف من أبناء العالمين العربي والإسلامي للرحيل عن أوطانهم، إما سعياً وراء آفاق أوسع للرزق، وفرص أكثر للعمل والعيش، وأملاً بالاستقرار في مجتمعات يفترض أنها تحترم حريات الإنسان وكرامة المواطن (أي عوامل الجذب) وإما هرباً من الظلم والاحتلال، وقلة الاستقرار والأمن، وضيق سبل الكسب (أي عوامل الدفع). ومن هنا تبرز أهمية معالجة - أو بالأحرى مواجهة - التحديات التي تواجه الوجود الإسلامي في كندا أو الولايات المتحدة أو في أي بلد توجد فيه أقليات إسلامية. وبالنسبة لكندا بالذات فإن الوجود الإسلامي هو وجود مليء بالاحتمالات: احتمالات تأسيس قرطاجنة جديدة، أو أندلس جديدة، جنباً إلى جنب مع احتمالات تحطيم قرطاجنة وضياع الأندلس!! وبالتالي ضياع الهُوية الحضارية والدينية للمسلمين الكنديين. وأنا واثق تماماً من أن الإسلام لديه قدرة ذاتية على الصراع وعلى البقاء، ومثلما قال بعض المفكرين المسلمين في أوروبا، أنا لا أخشى على الإسلام، لأن الإسلام تكفل ربنا سبحانه وتعالى بحفظه، لكنني أخشى على المسلمين وليس على الإسلام، وكما أثبتت تجربة الحضارة الإسلامية في الأندلس على امتداد ما يقرب من ثمانية قرون؛ فإن العطاء الحضاري للمسلمين كان يرتكزا أساساً على قدرتهم على الانفتاح والتسامح وبناء المؤسسات التي ترفد التوهج الحضاري، كما أن غياب شمسهم من سماء الأندلس كان نتيجة لسيادة القبيلة السياسية متمثلة بممالك الطوائف المتناحرة، وانحسار التسامح، وبالتالي انحسار التفاعل الإنساني المبدع والخلاق، وسيادة التعصب القبلي أو الطائفي الأعمى الذي يحوّل الإخوة إلى أعداء، ويوجه طاقات الشعوب لتحطيم مقدراتها، وما يترتب على ذلك من فقدان الحرية والأمن والاستقرار والعيش الكريم - كما حدث في أفغانستان، وللأسف - كما يحدث حالياً في العراق وفي فلسطين -.

التأقلم الثقافي يرتبط بمسألة التواصل أو الامتداد الحضاري للجماعات الدينية والإثنية، ومدى إمكانية خلق نوع من التوازن المبدع بين الأصالة الثقافية والانتماء والتفاعل البناء مع المجتمع الكندي

إن وجود المسلمين في كندا وفي الولايات المتحدة يحتوي على كل هذه الاحتمالات كما أن نجاحهم أو إخفاقهم - في التحليل الأخير - هو رهن بمدى قدرتهم على استخدام طاقاتهم البشرية والمادية والفكرية المتاحة بكفاءة وذكاء وحكمة، لما فيه خيرهم وخير الإسلام وخير المجتمع الذي يعيشون فيه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

استطلاعات



بعيون اسبانية

ليبيا بعيون إسبانية

خوليو هرنان*

* مصور وجيولوجي / إسبانيا

ن

نظمت مجلة التواصل، بالتعاون مع المكتبة القومية المركزية بطرابلس، ليبيا، معرضًا للصور (الفوتوغرافية)، للمصور الإسباني (خوليو هرنان)، وذلك خلال الفترة من الثاني عشر إلى العشرين من شهر النوار (فبراير) 1374 من وفاة الرسول (2006 مسيحي). وقد اشتمل المعرض على أكثر من خمسين صورة - لوحة . وبعد انتهاء المعرض قام السيد خوليو هرنان بزيارة لمقر صحيفة التواصل بجمعية الدعوة الاسلامية العالمية. وفي أثناء هذه الزيارة كانت له انطباعات استعاد خلالها وقفات ومحطات في مسيرته الفنية الإبداعية.






بداية علاقتي مع آلة التصوير، وكيف نمَتْ هذه الموهبة ؟ فيمكنني القول:

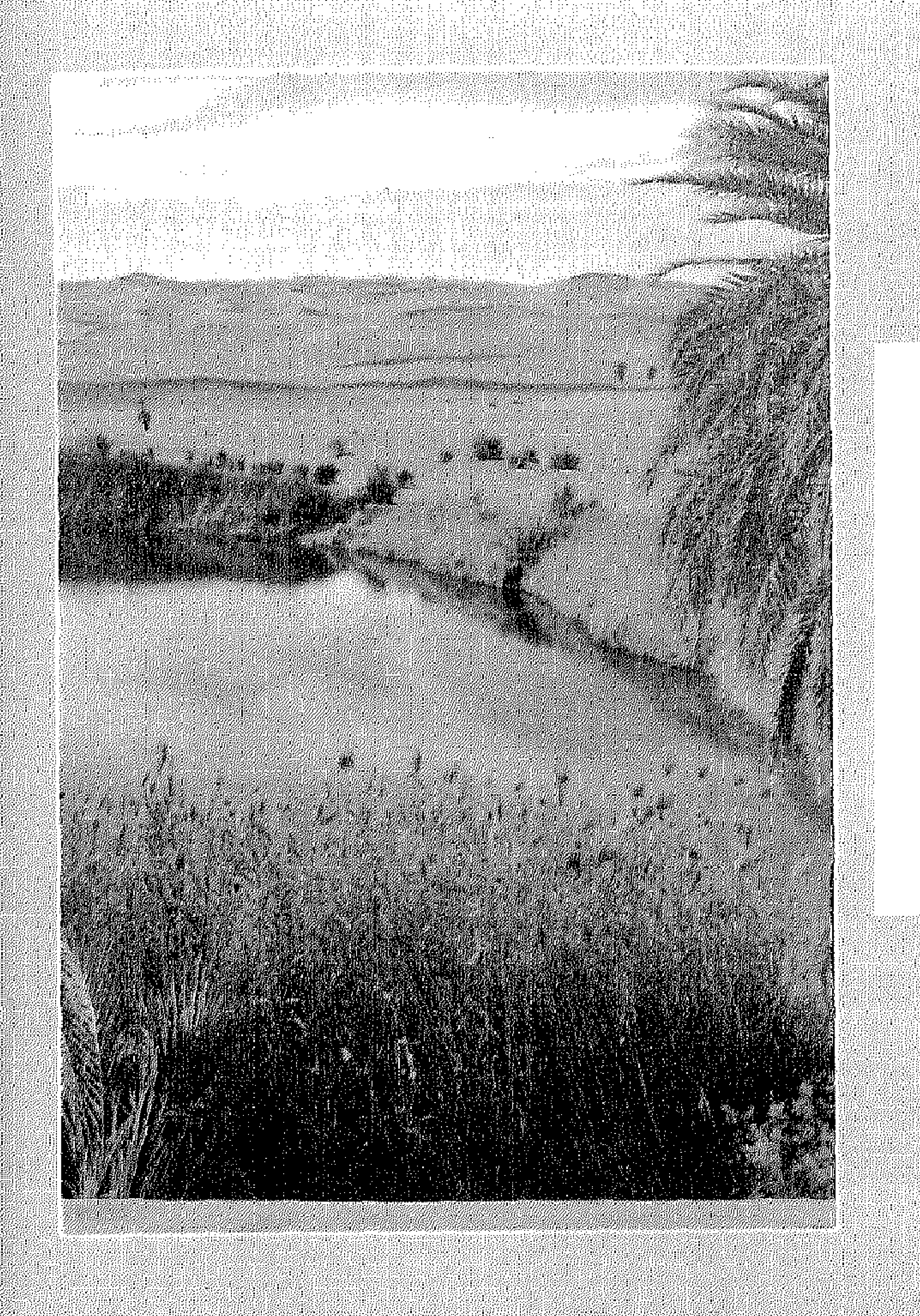
إن التصوير بالنسبة لي هواية وليس مهنة، وأتذكر أنني مذ كنت صغيرا استهوتني هذه الآلة العجيبة، فكنت أحملها معي أينما توجهت، وألتقط صورا لما تقع عليه عيناي من مناظر، خاصة الطبيعية، وهكذا ظلت آلة التصوير رفيقتي حيثما كنت وأينما حللت، ونمت هذه الهواية بشكل تلقائي.

مضى على وجودي في ليبيا أربع سنوات. وقبل أن أحضر إلى هنا للعمل في إحدى شركات النفط. لم تكن ليبيا معروفة بالنسبة لي. وقد اغتنمت فرصة وجودي في ليبيا لكي أتعرف عليها وعلى شعبها عن قرب. فكنت أخرج من حين لآخر إلى الشارع لألتقي بالناس. ليس في طرابلس فقط. بل سافرت إلى أماكن أخرى. فوجدت الليبيين طيبين جدا. منفتحين. كرماء. يحبون إقامة صداقات وعلاقات جديدة مع الآخرين.

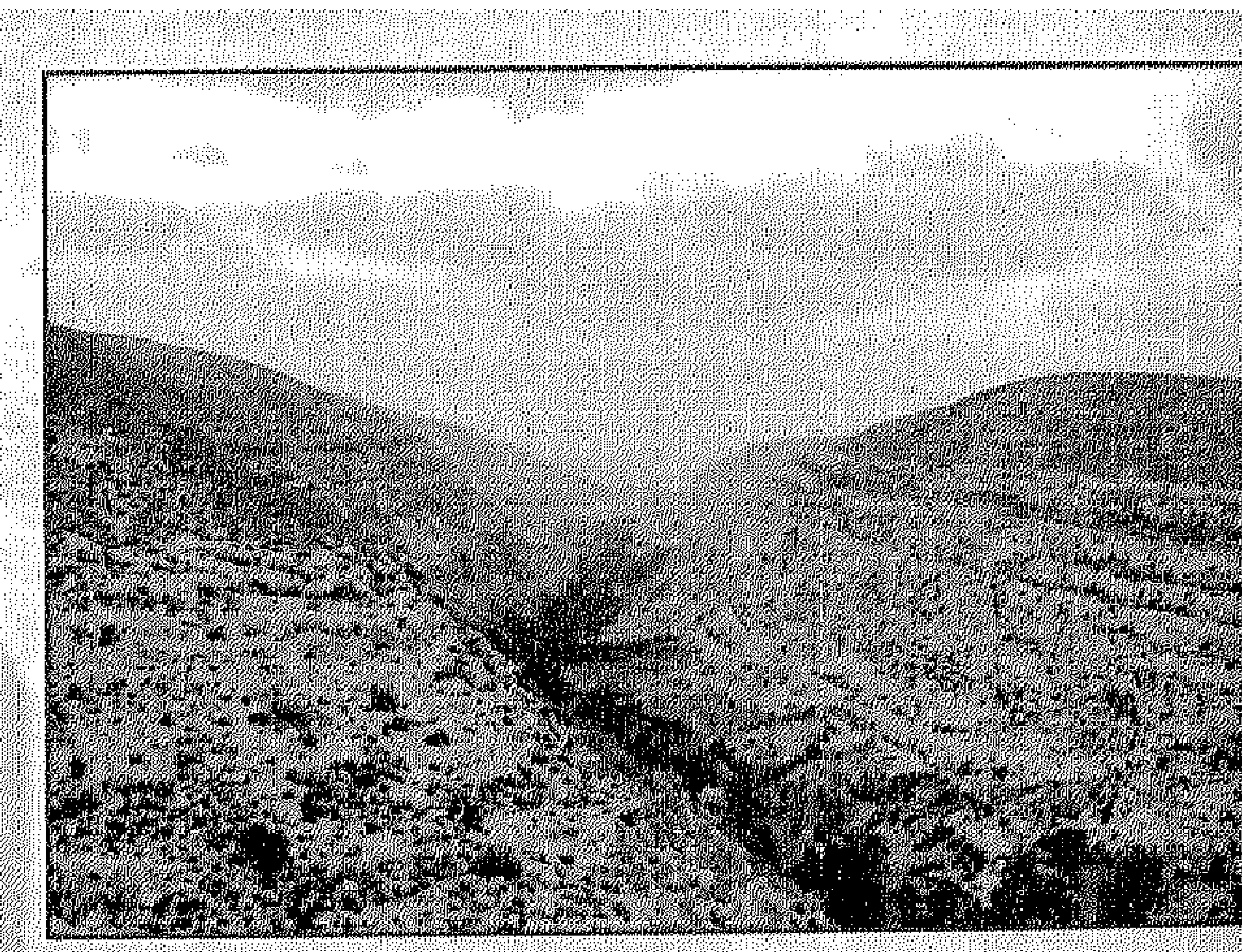






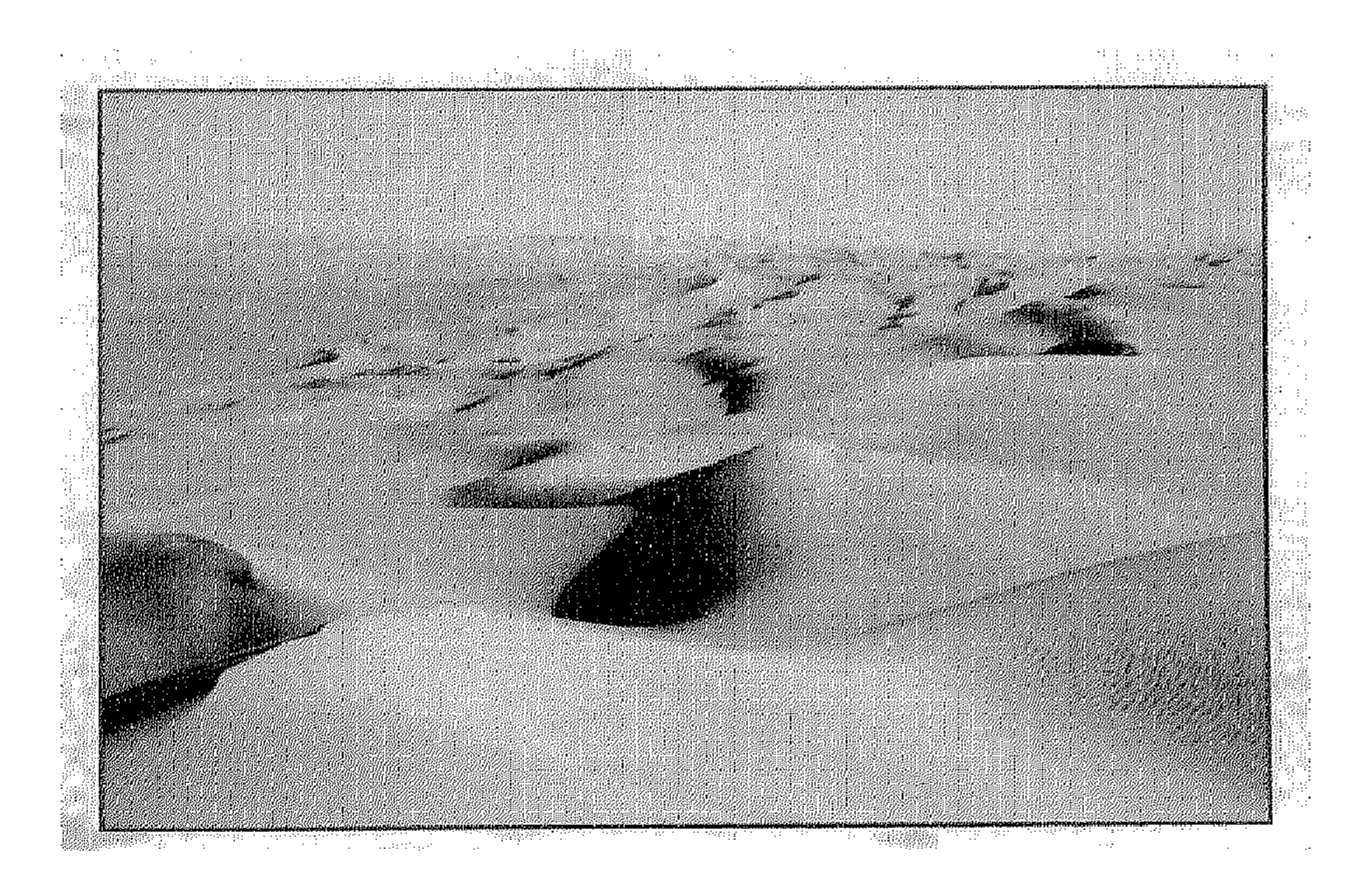


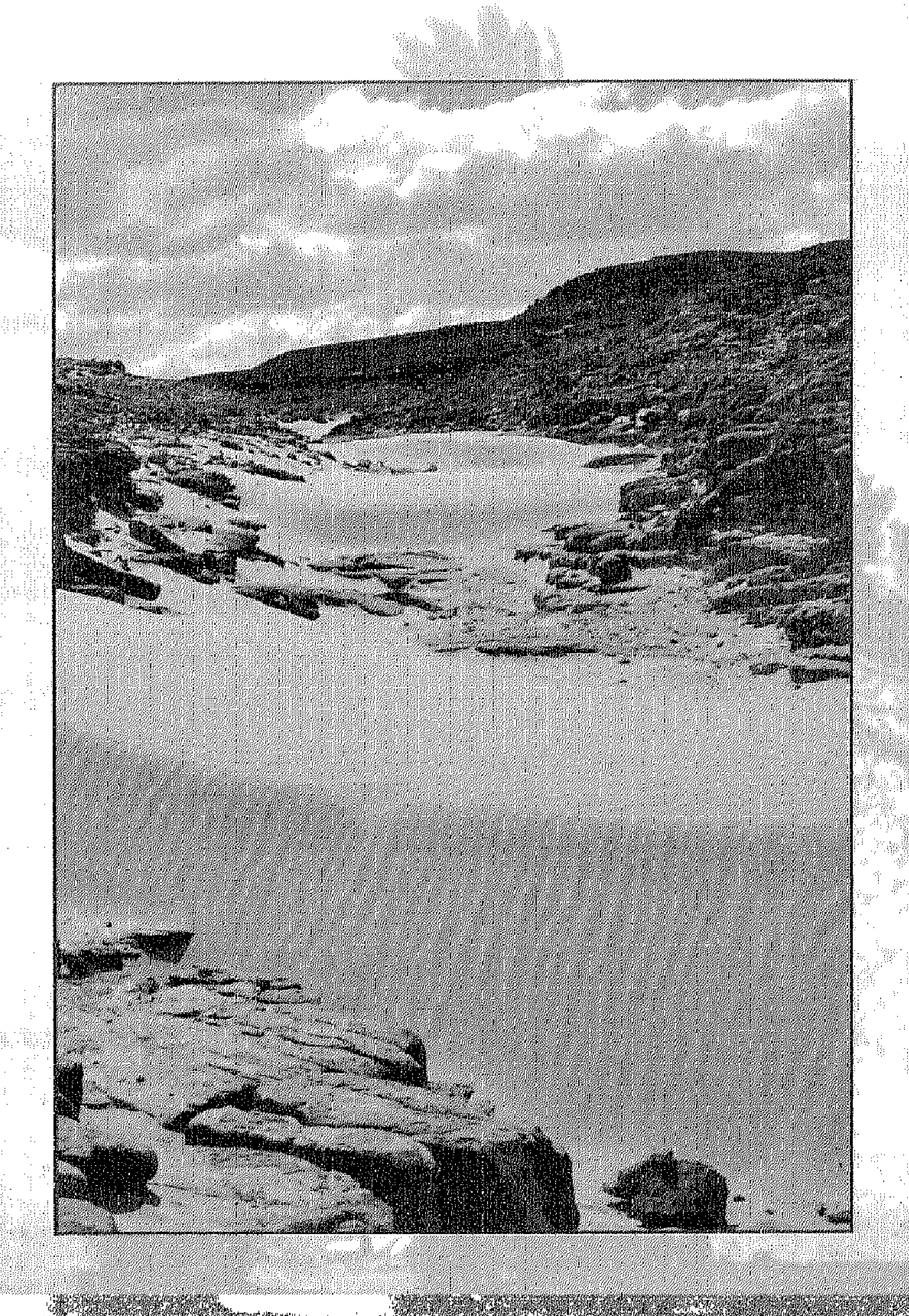
لم تكن في ذهني أية صورة عن ليبيا. عندما التحقت للعمل بالشركة قبل عشر سنوات. وعندما أتيحت لي فرصة العمل بأحد فروع الشركة خارج إسبانيا ؛ خُيِّرتُ بين عدة بلدان. فاخترتُ ليبيا لأنني لا أعرفها. وكل ما كنت أعرفه عنها أنها بلد عربي منتج للنفط. سكانه عرب مسلمون. وعندما أتيت إلى ليبيا وجدتها بلدا هادئا جذابا. أهله كرماء وطيبون.



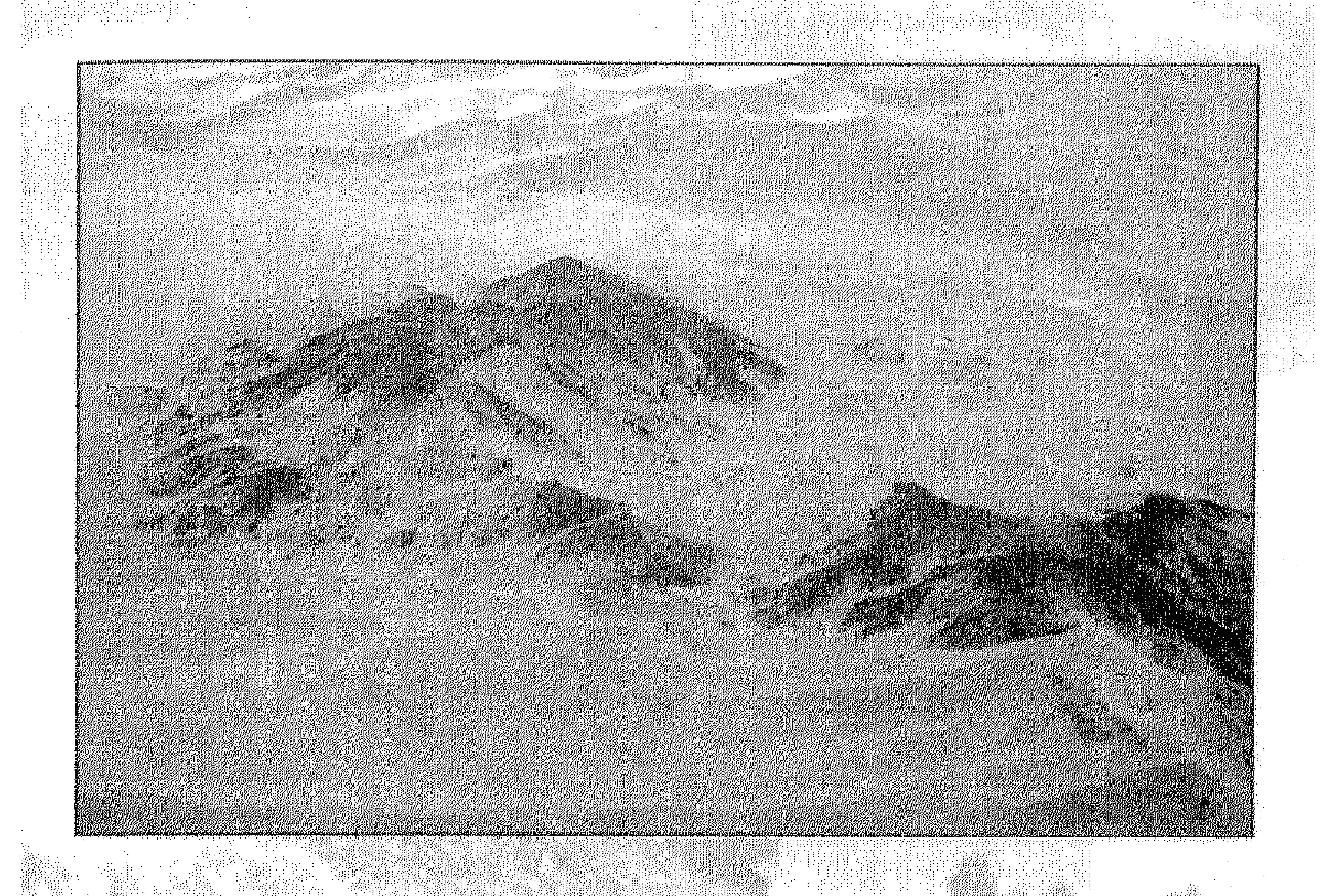
أهم ما أثار اهتمامي. وشد انتباهي هو الصحراء. والمساحات المفتوحة. ربما لأنني مدريدي. ولدت ونشأت في مدريد. وهي مدينة مزدحمة لا تعطيك فرصة الانطلاق ببصرك وأفكارك نحو الفضاء المفتوح. وقد أتاحت لي الصحراء الليبية الرائعة ما تتوق إليه نفسي.

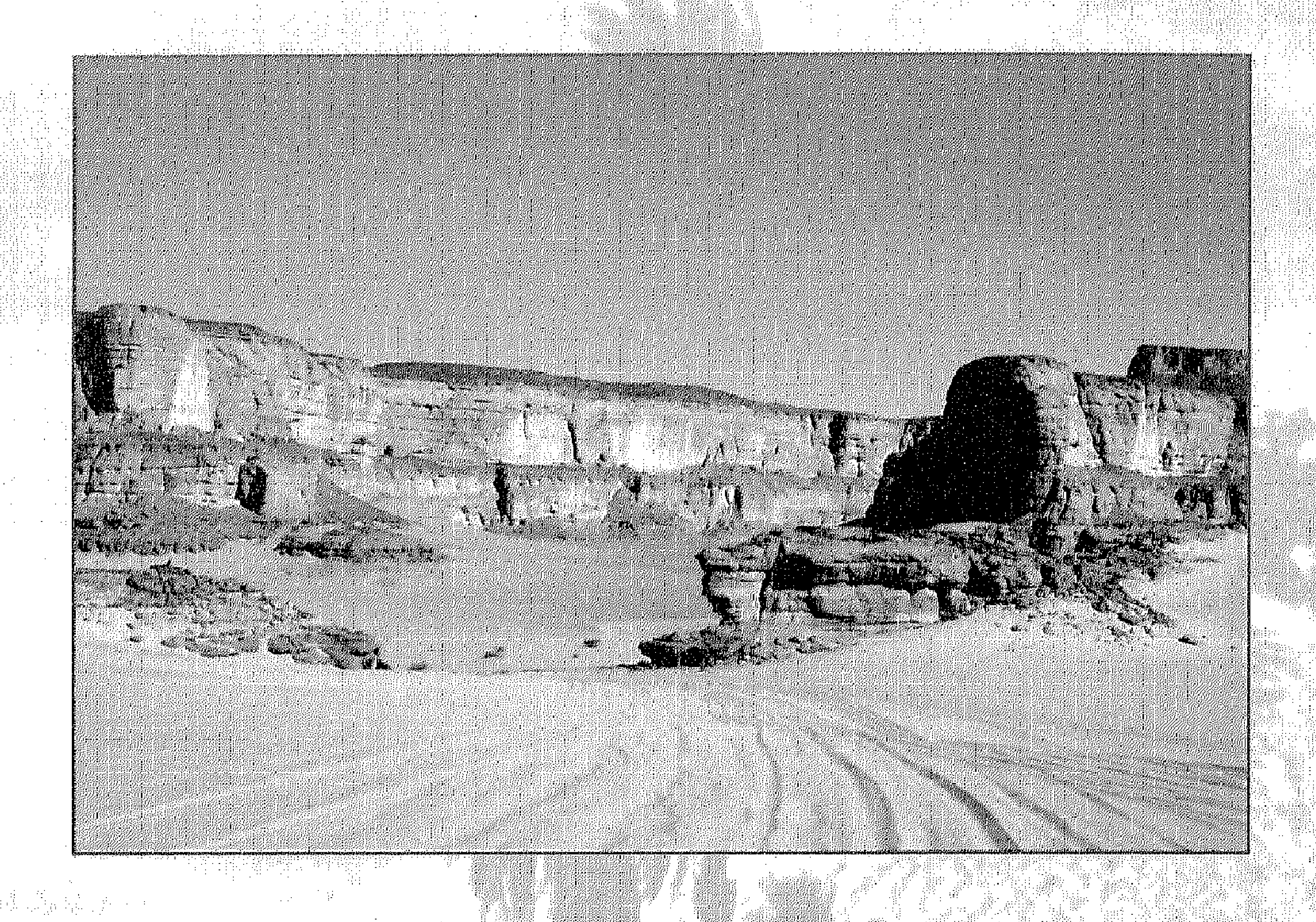
صدقوني عندما أقول إن منتهى متعتي وغاية نشوتي عندما أكون في الصحراء. حيث الفضاء المفتوح أمام بصري وأفكاري. لاشيء يحجب الأفق. لا صوت يعكر صفو مزاجك.

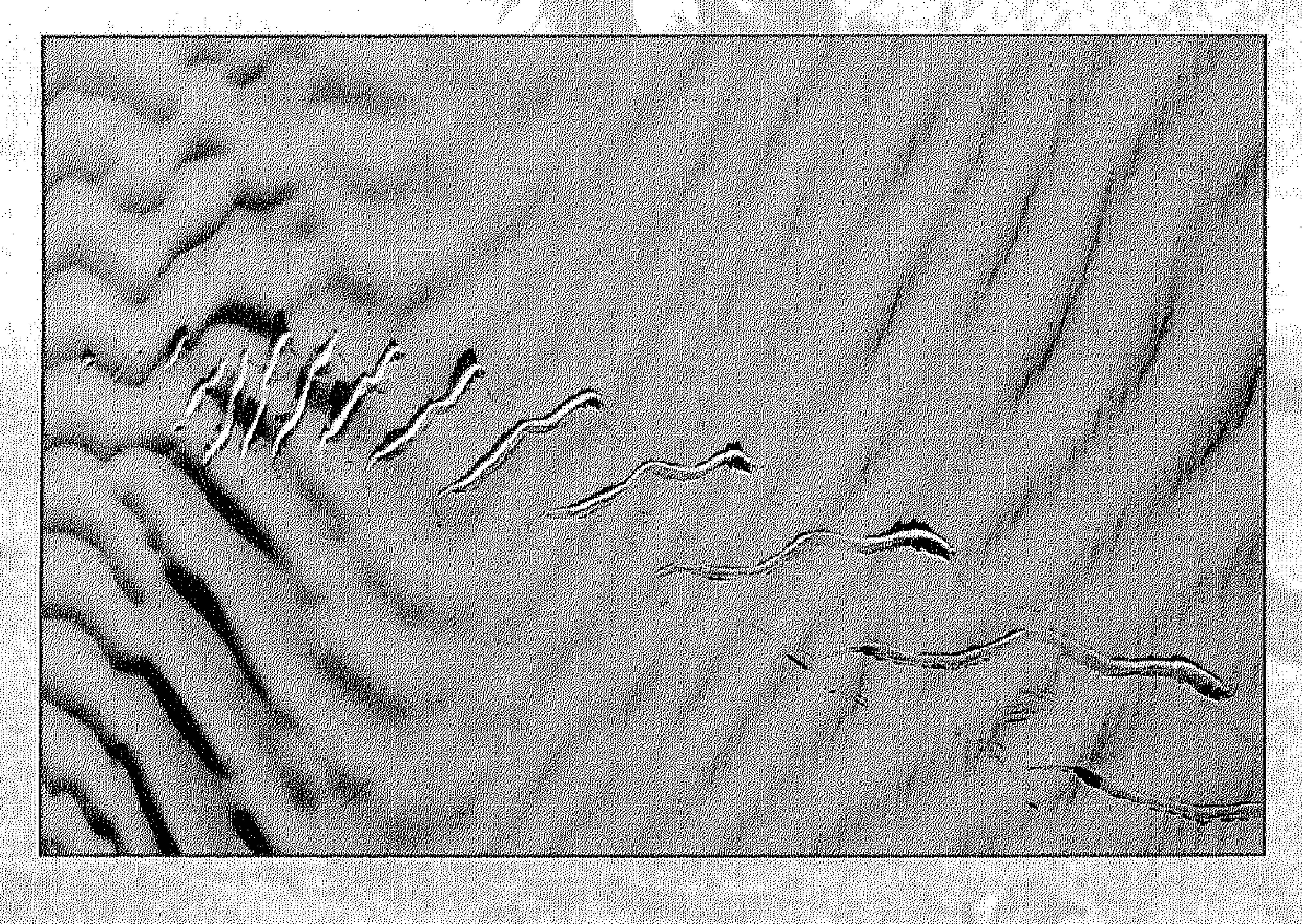




عندما أذهب ـ مثلاً ـ إلى منطقة (واو الناموس) أو (الكُفرة) أو غيرها من مناطق الصحراء الشاسعة الجميلة؛ فإنني أجد نفسي في بحر من الرمال عظيم ورائع. خصوصا في الليالي المقمرة الجميلة. وهذا يعطيني الإحساس بالأمان. وتملأ كياني السكينة والطمأنينة. وأشعر بالنشوة وراحة النفس.

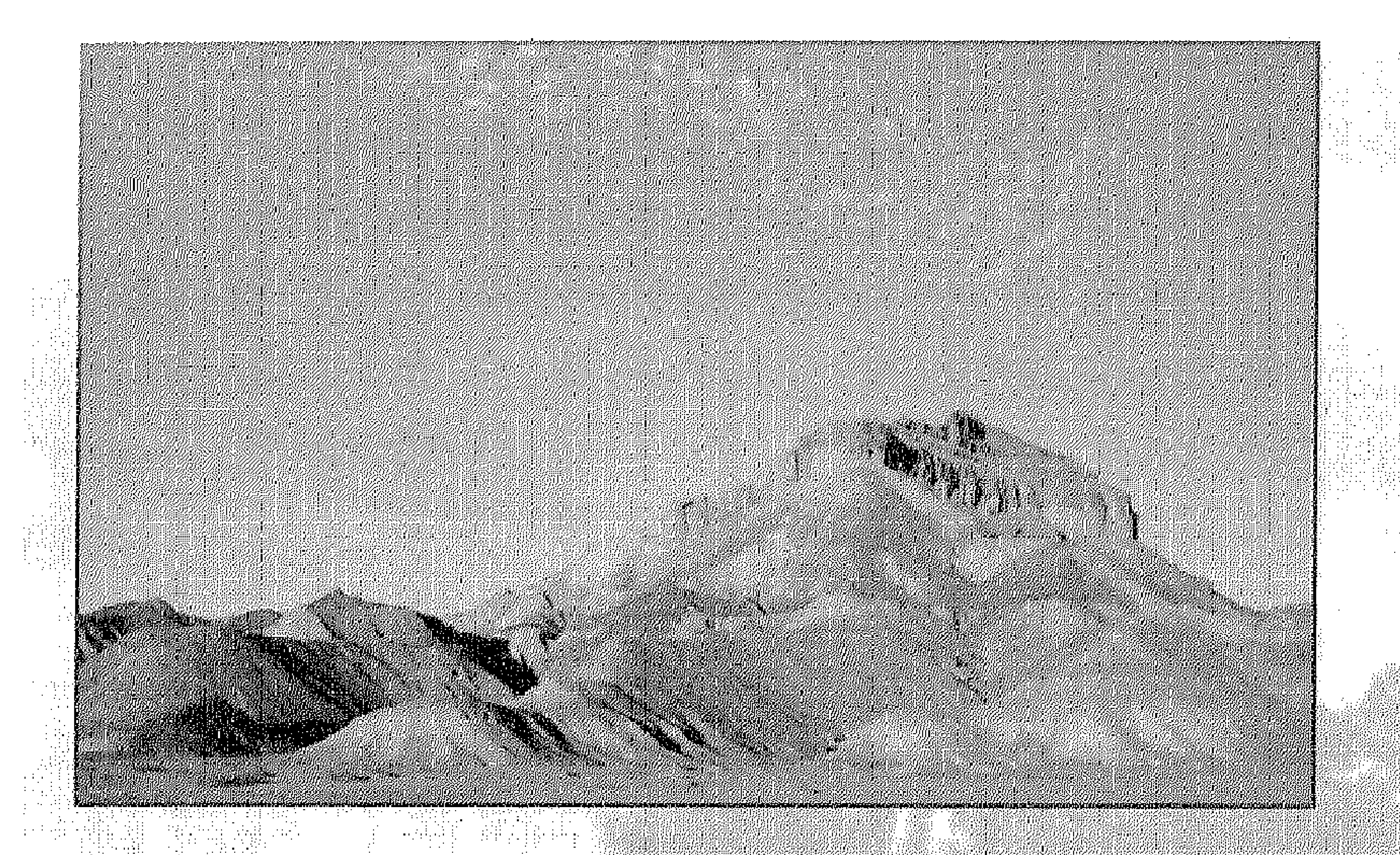




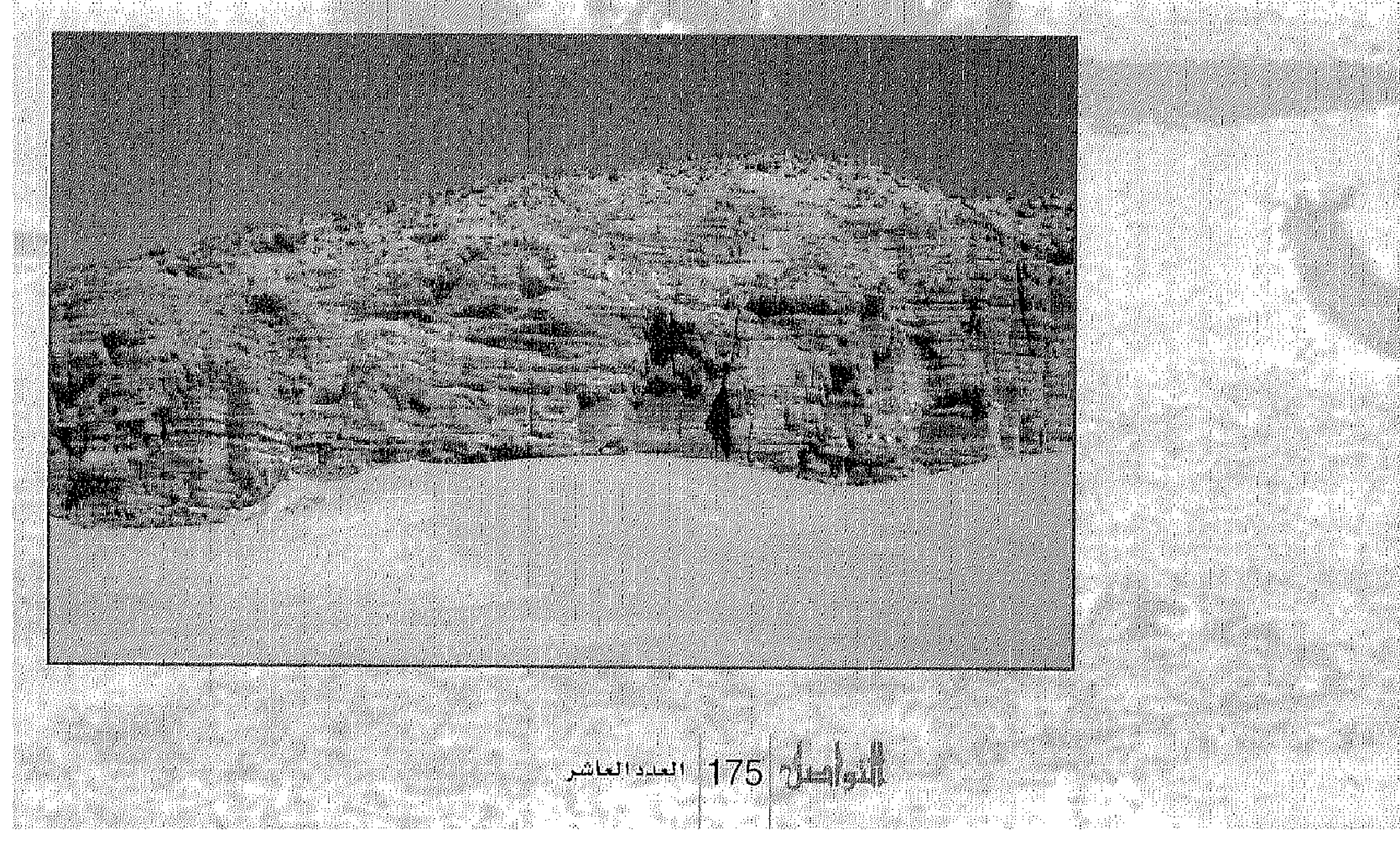




أقمت ـ في السابق ـ عددا من المعارض بالاشتراك مع مصورين آخرين. وفيما يتعلق بالصور التي التقطتها في ليبيا فقد أقمت ثلاثة معارض. وكانت كلها في مدريد. في مقر الشركة التي أعمل فيها. وفي مقر جمعية الجغرافيين الإسبان. في أحد هذه المعارض لاحظت مدى استغراب الزوار ودهشتهم وإعجابهم بالصور المعروضة. وأغلبهم ـ إن لم أقل كلهم ـ لا يعرفون إلا القليل عن ليبيا. ومنهم من لا يعرف شيئا عنها. وربما استطعت أن أنقل إليهم عبر عدسة التصوير ما كوّن لديهم فكرة هي مزيج من الدهشة والإعجاب. ثم الرغبة في زيارة هذا البلد. خاصة صور الصحراء. حيث بحر الرمال العظيم. والكثبان الرملية. والصخور السوداء... الخ.

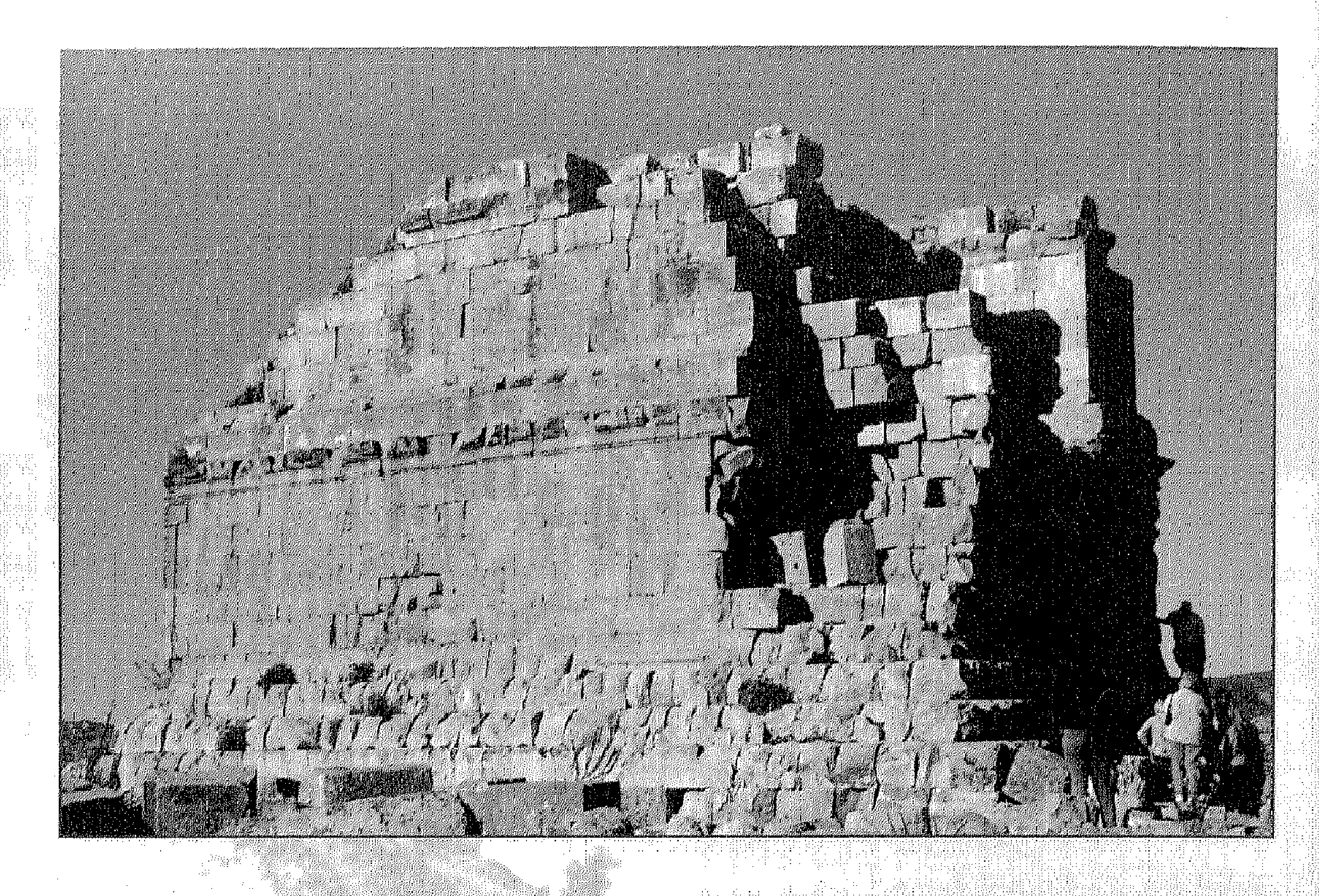




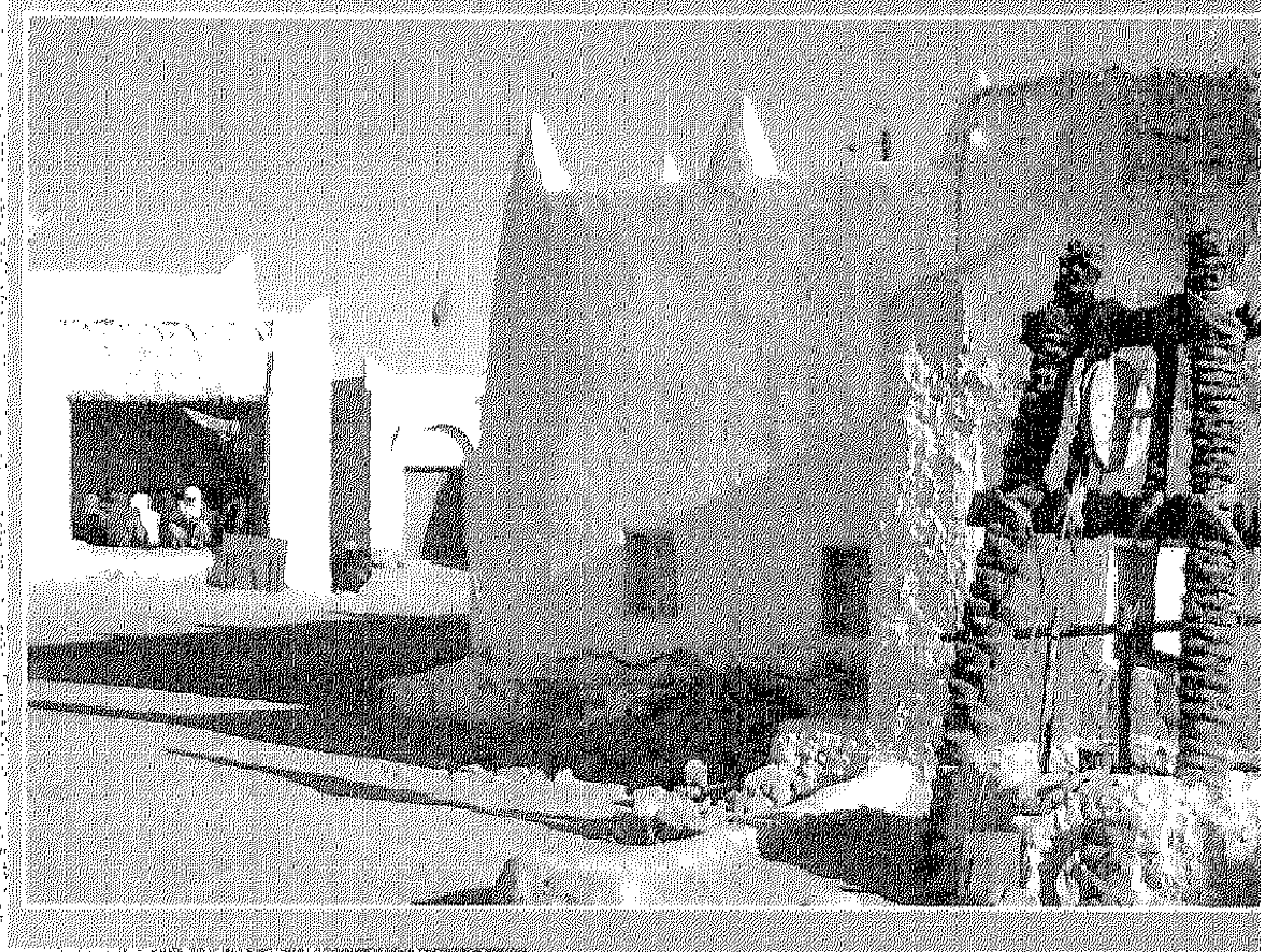




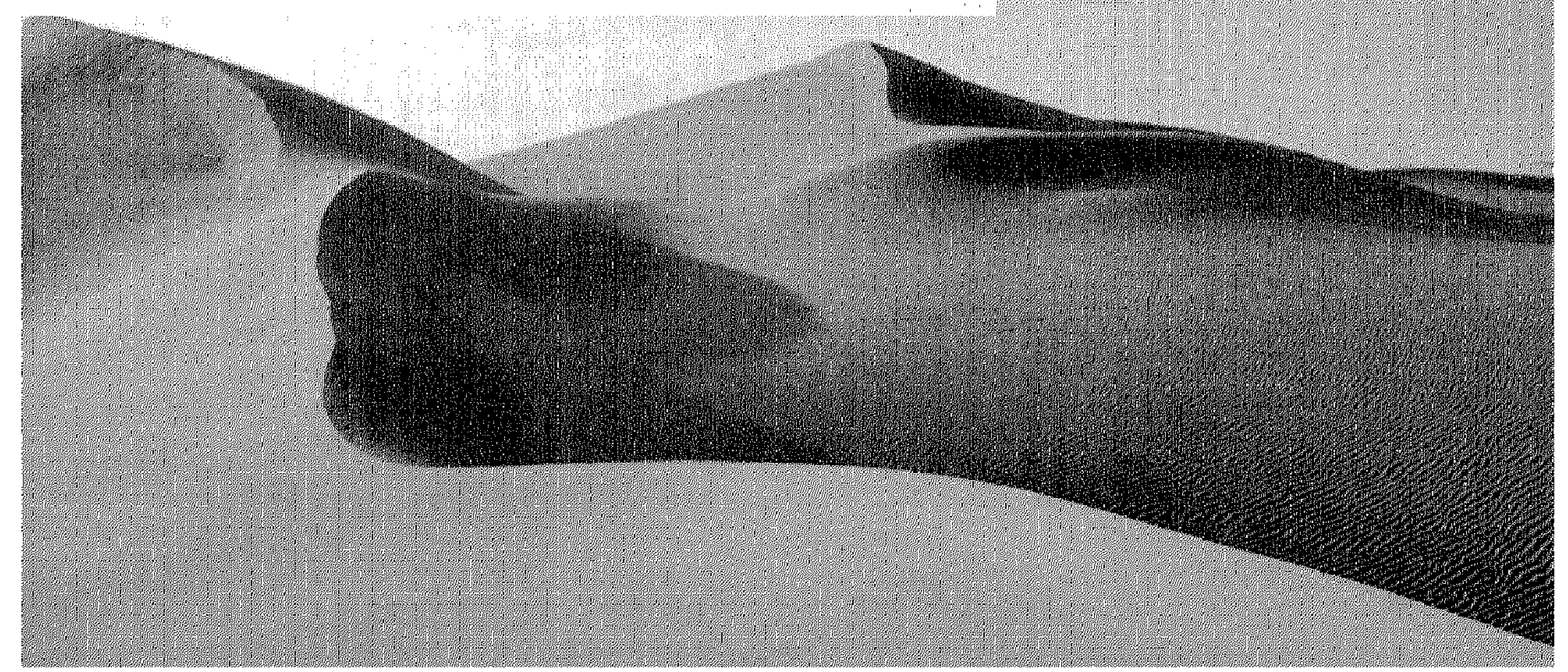
وفضلا عن هذا، فهناك أشياء رائعة نقلتها بالعدسة، وهي تلك المتاحف الأثرية وما تضمه من كنوز ومقتنيات ولقيات لحضارات شهدتها الأرض الليبية، عمرها آلاف السنين، ومنها الآثار الفينيقية والإغريقية والرومانية والإسلامية، وهناك حضارة (الأكاكوس) التي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ البعيد جدا.

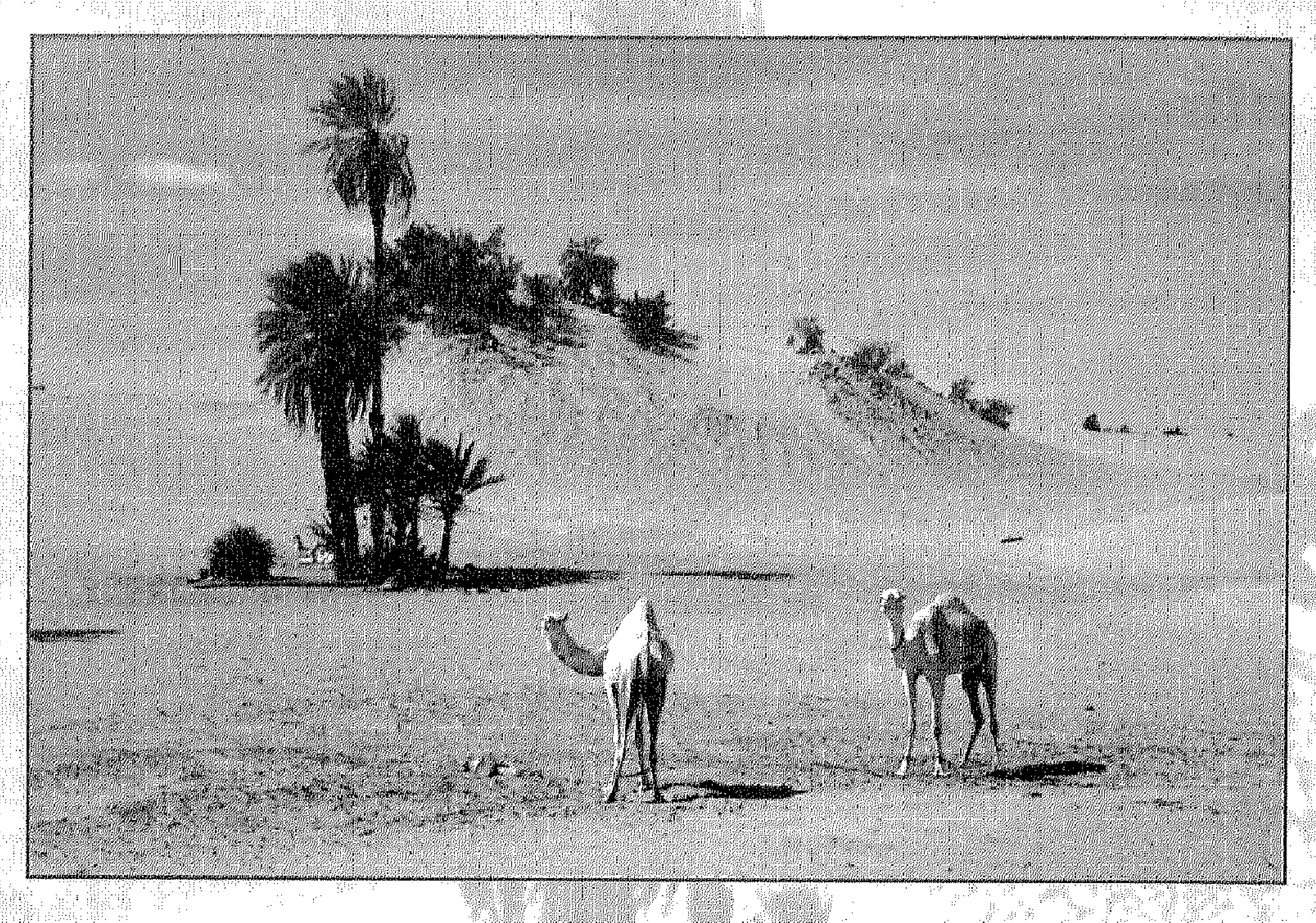


الناس في ليبيا وجدتهم كرماء جدا، وطيبين. ومن السهل أن ترتبط بعلاقات ودّ ومحبة، وصداقات مع عدد من الناس. وأنا أتحدث من خلال تجاربي الكثيرة. فقد كانت لي ما يمكن أن أسميها (مغامرات) من خلال السفر وحيدا (أقصد الأجنبي الوحيد بين مجموعة من المسافرين الليبيين، في السيارة أو في الطائرة). فأتعرف على واحد أو اثنين، وأحيانا أكثر. فتنشأ صداقات بيننا. ويضيفونني في بيوتهم، أتناول الأكل الليبي، والشاي الليبي. ويكون التعامل بيننا في منتهى الرقة والأدب والاحترام.

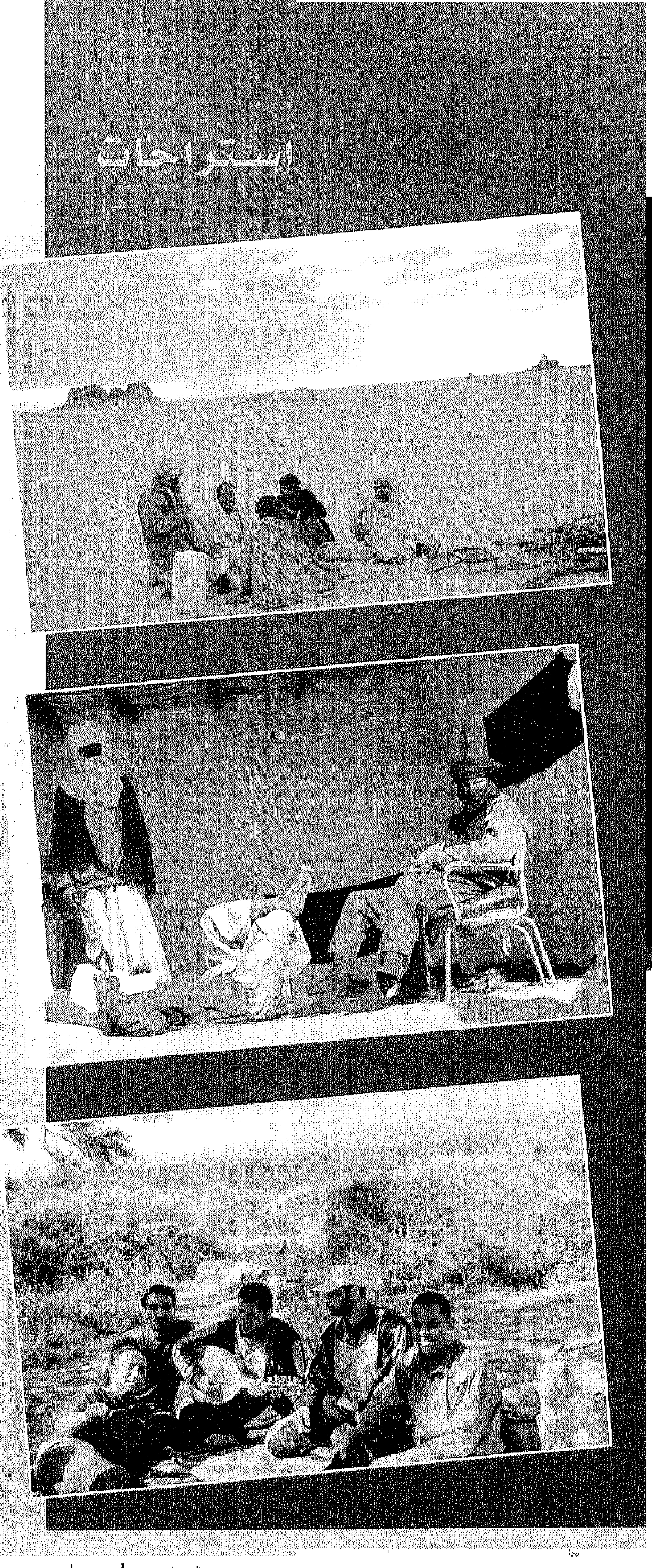


هناك تجارب عديدة لي من هذا النوع، في المدن والقرى، وفي المناطق والواحات في الصحراء، وفي عدد من المدن في ليبيا. وأذكر هنا مثالين : مرة كنت مسافرا بالطائرة إلى بنغازي فتعرفت على رجل ليبي، وتحول التعارف إلى صداقة، فأخذني إلى بيته واستضافني، وتجولنا معا في المدينة وما حولها عدة مرات، وامتدت صداقتنا إلى اليوم. ومرة أخرى توقفت في مدينة سبها للراحة كي أنطلق بعدها إلى موقع عملي في الصحراء. فتعرفت أثناء ذلك على إنسان في منتهى الرقة والأخلاق، ونشأت بيننا صداقة متينة. وصادف ذلك مناسبة عيد الأضحى، فأخذني الرجل إلى بيته حيث تعرفت على إخوته وأقاربه، وقضيت معهم كل أيام العيد، حيث الذبح والنحر، وكالعادة وثّقت كل ذلك بآلة التصوير.









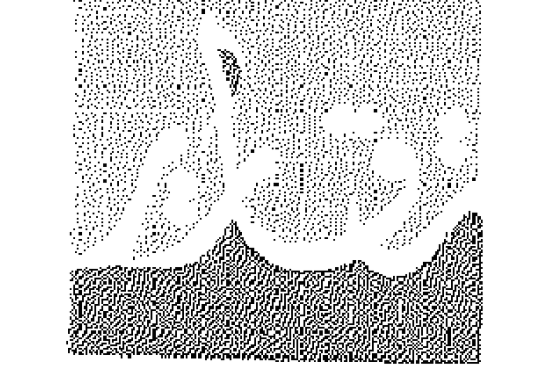
فعلا. ودون مجاملات أو تزلف؛ الليبيون شعب طيب ورائع وكريم. وسأنقل كل هذه الانطباعات، وأكثر. إلى الشعب الإسباني، وإلى كل الذين يزورون معارضي الفنية من الأوروبيين وغيرهم.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى مجلة التواصل، والمكتبة القومية المركزية، على إقامة هذا المعرض، الذي كنت - قبل مبادرة التواصل بإقامته - حائرا ومرتبكا حول إقامته، لأنه أمر مهم جدا بالنسبة لي.



❖ العاصمة البريطانية لندن تشهد اجتماعات المجلس العالمي للدعوة الإسلامية ..

❖ لماذا تمبكتو؟



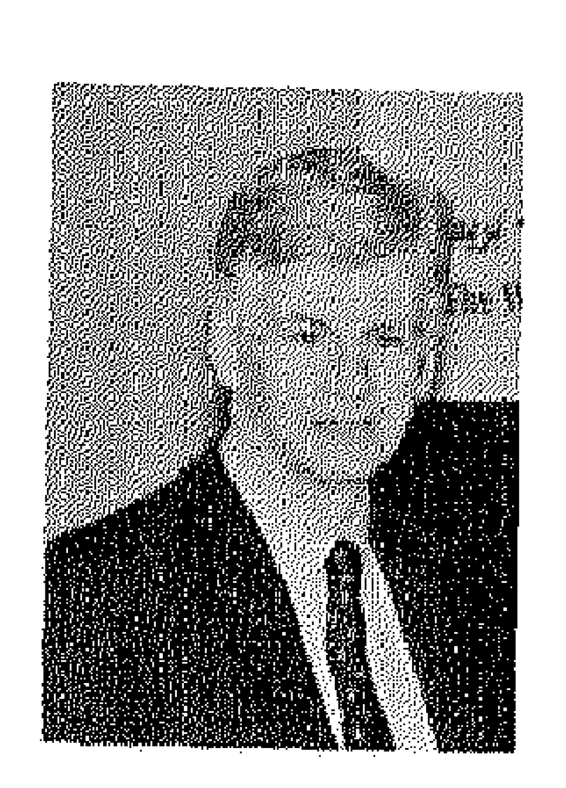
العاصمة البريطانية لندن تشهد اجتماعات المجلس العالمي للدعوة الإسلامية ..

ضيوف من أوروبا وآسيا وأمريكا والوطن العربي وإفريقيا يحضرون اجتماعات المجلس

إعداد: **التحرير**



باسم الحكومة البريطانية أشاد مستشارها القانوني المحامي (مايكل أوبراين) باختيار المجلس العالمي للدعوة الإسلامية العاصمة لندن لعقد دورته العادية السابعة عشرة، وقال في كلمته بالجلسة الافتتاحية مرحباً بأعضاء المجلس وضيوفه: إن هذا الجمع من العلماء والمفكرين ومسؤولي المؤسسات الإسلامية في لندن، في



مايكل أوبراين

اجتماعهم الدوري السنوي، يعد إسهاما في بناء جسور التفاهم والحوار، ويعزز التواصل الديني والثقافي بين أتباع الديانات المختلفة.. ونوه المستشار (أويراين) في كلمته بإسهامات المسلمين البريطانيين في الحياة العامة بالمجتمع البريطاني بكل قطاعاته الاقتصادية والعلمية والدينية، وهو ما أثرى التعددية التي تمثل سمة هذا المجتمع، معدداً في كلمته المظاهر والسلوكيات التي أنتجت أشكالا من الإرهاب، وأشاعت ثقافة الكراهية والصدام الحضاري، ومع ذلك كان هناك تقدير من الحكومة البريطانية للموقف الإسلامي الرافض للأحداث المؤسفة التي تعرضت لها لندن في السابع من شهر ناصر (يوليو) 2005 مسيحي، الذي تمثل في إدانته الإرهاب وبراءة الإسلام منه..

وفي ختام كلمته تقدم مستشار الحكومة البريطانية (مايكل أو براين) بشكره وتقديره لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومجلسها العالمي، على تأبين الراحل: محمد أبو الخير زكي بدوي،، عضو المجلس الذي كان رمزا للعالم المسلم، العامل من أجل تفاهم إنساني وحوار ديني يؤدي إلي أن يعيش الجميع بسلام وحرية وأمن..

وكانت هذه الدورة عقدت خلال يومي السابع عشر والثامن عشر من شهر الربيع 1374 من وفاة الرسول ﷺ (مارس 2006 مسيحي) بمشاركة عدد من الضيوف، من أوروبا، وأمريكا، والوطن العربي. وقدم الأخ المقرر العام للمجلس في كلمة افتتاحية معلومات عن هذه الدورة والموضوعات التي ستناقشها، مبينا موقع المجلس العالمي للدعوة الإسلامية في الهيكلية التنظيمية للجمعية، والمهام المناطة به، والتي تتمثل أساسا في برمجة التوصيات والقرارات التي يصوغها المؤتمر العام للجمعية..

الاعتزاز بالهُوية ومتطلبات المواطنة

السيدة (البارونة أودين) الناشطة في الحوار بين



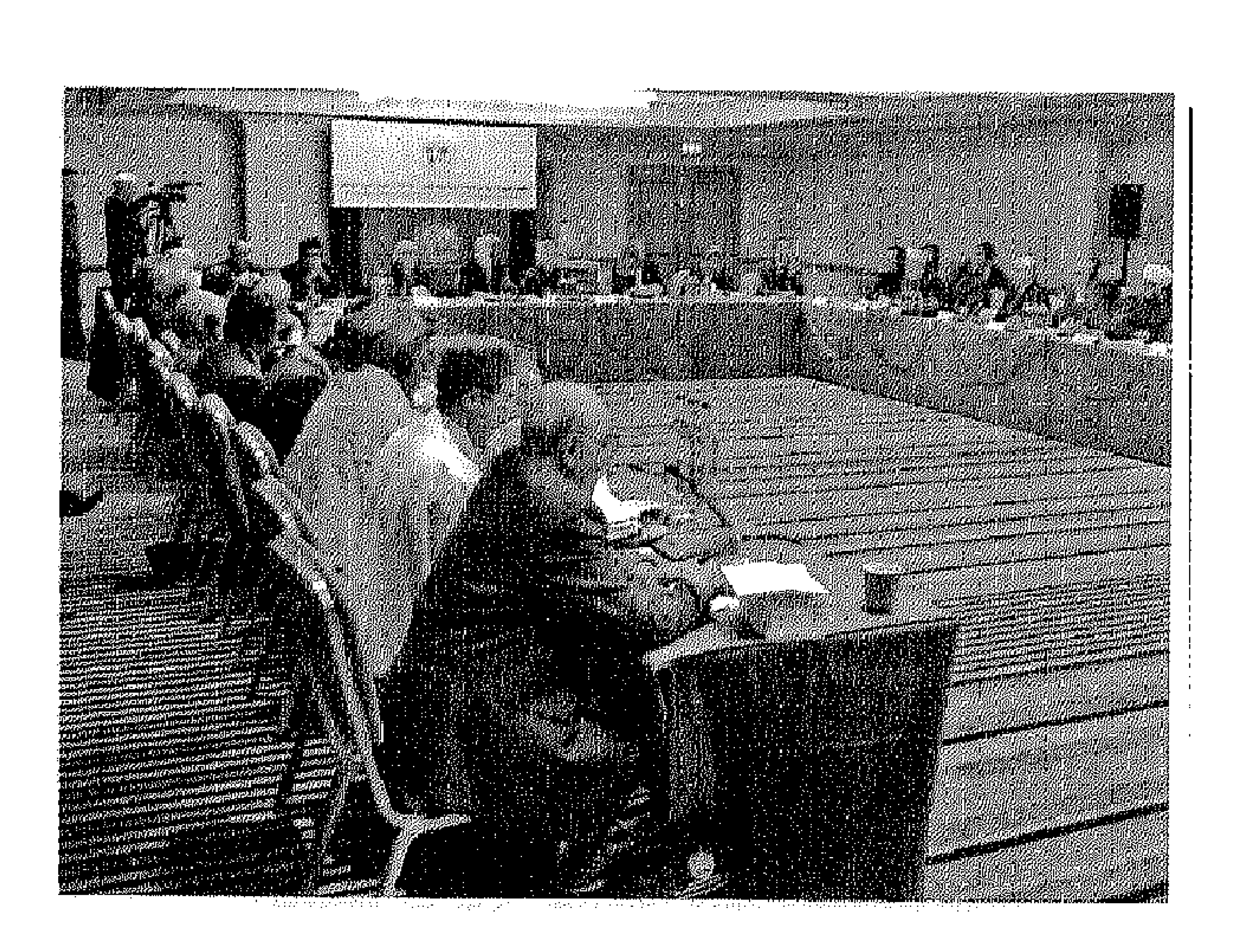
السيدة البارونة أودين (يمين) ويوسف اسلام (يسار)

الأديان، تقدمت في مستهل كلمتها بالجلسة الافتتاحية بالشكر والتقدير للجمعية ومجلسها العالمي على اختيار لندن مكانا لهذا الاجتماع، وهو ما أتاح لها فرصة اللقاء بأعضاء المجلس وضيوفه الذين جاءوا للمشاركة في تأبين المرحوم الدكتور محمد أبو الخير زكي بدوي، وعبرت عن تقديرها للعمل الثقافي والإنساني الذي تضطلع به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، مشيرة إلى أنها حظيت بالمساهمة في بعض فعالياتها ومناشطها، ومنها مشاركتها في ملتقى (لتعارفوا) الذي نظمته الجمعية بطرابلس في شهر الفاتح (سبتمبر) 2003 مسيحي، وأكدت في كلمتها علي أهمية التربية في أوساط المسلمين البريطانيين، بما يمكّن أبناءهم من معرفة حقيقة دينهم والاعتزاز بهويتهم، والقيام بكل متطلبات المواطنة في إطار المجتمع البريطاني المتعدد الثقافات، مشيدة بأجواء الحرية التي يتمتع بها مسلمو بريطانيا، وإسهامهم في التنمية الشاملة لبلدهم، مذكرة بأن ذلك الإسهام لا بد أن يتعزز بانخراط المسلمين في العمل المؤسساتي والمشاركة الفاعلة في الحياة السياسية البريطانية، وأثنت في ختام كلمتها على المرحوم، «الدكتور زكي بدوي»، لخدماته الجليلة للإسلام والمسلمين في بريطانيا على مدى عقود، وعلى دوره في بناء جسور التفاهم والحوار بين مختلف الأديان والثقافات..

وتحدث بعد ذلك الداعية المسلم (يوسف إسلام) فشدد على ضرورة فهم الدين فهماً مبنياً على ثوابت وأسس العقيدة، والإسهام في تنمية المجتمع في المناحي الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وأشار إلى أنه وجد في الإسلام القيم التي تؤسس للخير وتؤكد على كرامة الإنسان، وأشاد في ختام كلمته بجهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ودروها التربوي في بريطانيا من خلال الكلية الإسلامية والتي تولى عمادتها المرحوم،، زكي بدوي،، مشيراً إلى أنه استفاد كثيراً من علمه وانفتاحه وإسهامه في إثراء الحياة الثقافية في بريطانيا..

أهمية الدين في حياة الناس

تناول الكلمة بعد ذلك الأخ الأمين العام للمجلس فرحب بالمستشار (مايكل أوبراين) الذي يمثل الحكومة البريطانية في افتتاح هذا الاجتماع، وتقدم من خلاله بشكر وتقدير جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومجلسها العالمي إلى بريطانيا : ملكة وحكومة وشعباً، لترحيبها بعقد دورة المجلس في هذه العاصمة الأوروبية الكبرى وقال الأخ الأمين العام : إن ضيوفا من أوروبا، وآسيا، وأمريكا، والوطن العربي، وإفريقيا، يحضرون معنا أعمال اجتماعنا هذا، الذي استعرضت فيه العديد من التقارير عن نشاط الجمعية، في المجالات التعليمية والثقافية والإنسانية.. وإن الجهل بالدين يقدم نماذج لا تمثل الإسلام في بعده الإنساني،



ويقتطع من الدين ما يتناسب مع الميول السياسية أو الطائفية أو المذهبية، وهو ما يقود إلى التطرف والعنف والانكفاء على الذات وحجب الحقيقة عن الناس، وفي ختام كلمته شدد الأخ الأمين العام للمجلس على أهمية الدين في حياة الناس فهو مصدر المنظومة القيمية التي تعزز ثقافة التعاون من مختلف الأديان على عمل الخير. مؤكدا على أن الإسلام يرفض الإرهاب والعنف والتطرف، ويتعارض مع فكرة الصدام بين الحضارات والثقافات، ويحث على التعاون في المشاريع الإنمائية لتطوير المجتمعات التي تمس حاجتها للمساعدات، وهو في ذات الوقت يقف ضد العدوان والحروب الظالمة، وتضليل الرأي العام بتزييف الحقائق والتعدي على حرية الفكر.. ورحب بضيوف المجلس شاكراً لهم إسهاماتهم في مجال الفكر والثقافة، والتعريف بالإسلام في بعده الإنساني.

ثلاث جلسات عمل

في جلسة العمل الأولى تم عرض مشروع جدول الأعمال الذي اعتمد على النحو التالي :

1 ـ تقرير اللجنة التنفيذية عن أنشطة الجمعية عن الفترة من الفاتح (سبتمبر) 2005 مسيحي إلى النوار (فبراير) 2006 مسيحي ..

2 ـ تقرير عن كلية الدعوة الإسلامية وفروعها..

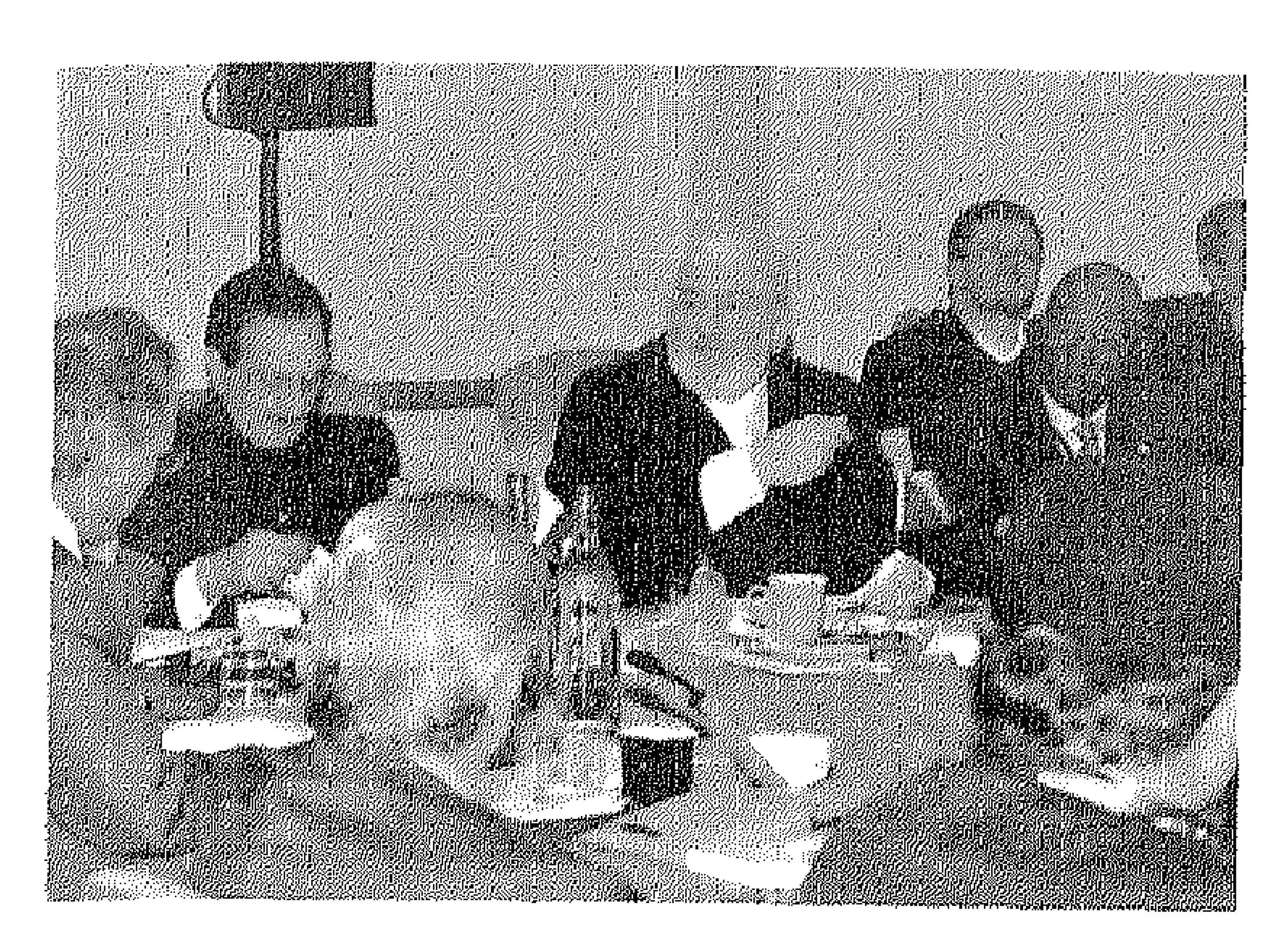
3 ـ تقرير عن برنامج تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في دول الساحل الإفريقي (ما بعد كانو)..

4 ـ عرض لبرامج وأنشطة الحوار الديني والثقافي..

5 ـ متابعة خطة عمل الجمعية لعام 2006 مسيحي..

6 ـ تقارير الأعضاء عن العمل الثقافي والإنساني في مناطقهم..

وتم الاتفاق على أن يصدر عن الاجتماع بيان يسمى بيان لندن، يوضح موقف المجلس حيال بعض المستجدات على الساحة الإسلامية والعالمية.



جانب من اجتماعات المجلس

ووفقاً لذلك فقد استعرض المجلس تقرير لجنته التنفيذية عن أوجه النشاط المختلفة في الفترة الواقعة بين شهر الفاتح (سبتمبر) 2005 مسيحي، والربيع (مارس) 2006 مسيحي، وبعد مناقشات مستفيضة من قبل جل الأعضاء تم اعتماد التقارير المدرجة في جدول الأعمال، مع التأكيد على ما يلي :

1 ـ العمل على تحقيق التوازن الجغرافي في أنشطة الجمعية وخاصة في القارة الإفريقية، والتنسيق في أنشطتها الدعوية والثقافية والإنسانية مع المؤسسات الإسلامية التي تعمل في تلك الساحة..

2 ـ إيلاء مزيد من الاهتمام بتأهيل الأئمة من خلال المؤسسات التربوية والثقافية التابعة للجمعية بما يوسع مداركهم ويجعلهم أكثر قدرة على الإسهام في تنمية مجتمعاتهم وإشاعة ثقافة الحوار والتعارف فيها، والانفتاح على المستجدات العالمية والتعامل معها بروح إسلامية تعيش العصر وتتمسك بالهوية..

3 ـ الاستمرار في الجهود الهادفة إلى تنظيم حوارات إسلامية ـ إسلامية، تهدف إلى التقريب بين المذاهب، وتعزز الالتقاء على الثوابت المرجعية للإسلام وهي القرآن الكريم والسنة الصحيحة، والتعاون في كل ما من شأنه أن يحول دون إثارة الفتن الطائفية والمذهبية..

4 ـ استثمار الرصيد الحضاري والثقافي والتاريخي

الكبير الذي يجمع المسلمين بالمسيحيين الشرقيين ومؤسساتهم الدينية والثقافية من أجل تفعيل الحوار مع الغرب وتقديم نماذج للتعايش والتعاون من أجل غد أكثر أمنا وسلاما للمجتمع الإنساني..

5 ـ تفعيل قنوات الاتصال والتعاون مع المؤسسات الإسلامية في منطقة المحيط الهادئ ومنطقة الكاريبي بما يساهم في تعزيز الهوية الإسلامية لسكان تلك المناطق ويوصل فيهم روح الانتماء للأمة ويمكنهم من الإسهام الثقافي والحضاري في مجتمعاتهم..

6 ـ الاستمرار في العمل على تطوير عمل الجمعية في مختلف مناحيه والاستفادة من كل ما تطرحه تقنية المعلومات والاتصالات لتحقيق ذلك الهدف واستثمار خبرات الأعضاء في هذا الشأن..

7 ـ مضاعفة الاهتمام ببرامج كفالة الأيتام ودعم المؤسسات الأهلية والحكومية التي تضطلع بمثل تلك البرامج وخاصة في المناطق التي تتعرض للحروب والصراعات الطائفية.

ضيوف الدورة

في بداية جلسة العمل الثانية تحدث الإخوة الذين حلوا ضيوفاً على المجلس العالمي للدعوة الإسلامية في دورته هذه، وهم :

- الدكتور فوزي الزفزاف الكاتب الإسلامي والرئيس السابق للجنة الحوار بالأزهر (مصر).
- الشيخ راشد الفرحان العضو السابق للمجلس العالمي وأحد الباحثين في الفكر الإسلامي (الكويت)
- الشيخ صلاح الدين المستاوي من علماء تونس المعروفين والباحثين في التراث الإسلامي.
- الدكتور تشارلز باترسون العميد الأكاديمي بجامعة نورث بارك (شيكاغو / أمريكا).
- الدكتور دونالد واجنر مدير مركز دراسات الشرق الأوسط جامعة نورث بارك (شيكاغو/ أمريكا).
- الدكتور عبد الله الأشعل الخبير القانوني والمتخصص في العلاقات الدولية (مصر).
- الدكتور محمد عبد الحليم عضو مجلس الكلية الإسلامية في لندن وأستاذ الدراسات الإسلامية في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن..



الشيخ تاج الدين الهلالي ـ مفتي استراليا — الشيخ صلاح الدين المستاوي

وقد حيا جميعُهم أعضاءَ المجلس، وأثنوا على الجدية في مداولاته، وعبروا عن غبطتهم لدعوتهم حضور أعمال هذه الدورة للمجلس، وهو ما مكنهم من أن يطلعوا على أنشطة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في مختلف أنحاء العالم، مبدين استعدادهم للتعاون معها في شتى ميادين الثقافة والتربية والحوار والعمل الإنساني في مناحيه المختلفة..

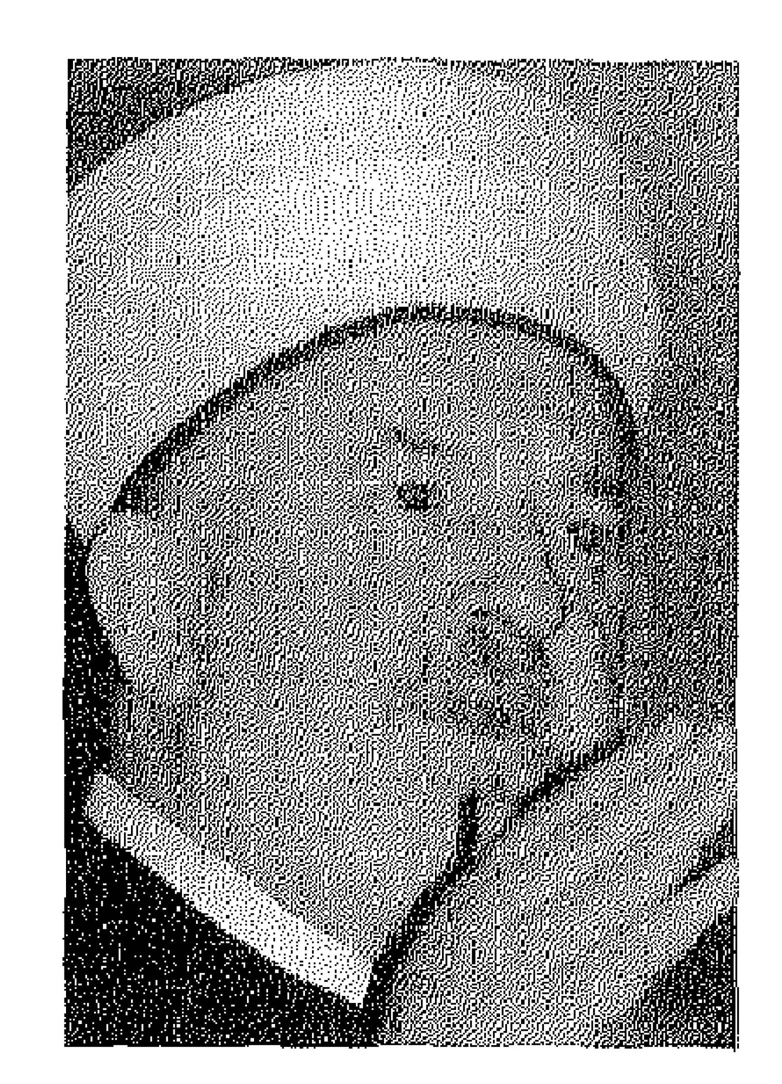
متابعة خطة عمل الجمعية

بعد ذلك شرع أعضاء المجلس في مناقشة البند الخامس من جدول الأعمال وهو متابعة خطة عمل الجمعية لعام 2006 مسيحي، حيث جرت مناقشات معمقة حول عناصر تلك الخطة، وتم على إثرها اعتماد خطة الجمعية مع العمل على التركيز من خلالها، ومن خلال خطة عام 2007 مسيحي على القضايا التالية :

- الاستمرار في تنظيم دورات في اللغة العربية والدراسات الإسلامية لاختصاصيين في العلوم التطبيقية من خلال كلية الدعوة الإسلامية

وفروعها، حتى يضطلع هؤلاء بمهام التعريف بالإسلام، إضافة إلى ما يقدمونه من خدمات إنسانية..

- دراسة إمكانية تأسيس فرع لكلية الدعوة الإسلامية في شرق إفريقيا على غرار فرعي الكلية في غربها، وذلك خدمة للدعوة والثقافة الإسلامية في المنطقة..
- مضاعفة الاهتمام بالشأن التعليمي وخاصة في منطقة القرن الإفريقي ودوله الكبرى، وتشجيع المبادرات التي تحيي الإسهام التاريخي الحضاري للإسلام في هذه المنطقة..
- توسيع دائرة الحوار لتتجاوز الحوار مع المسيحية إلى أتباع الديانات الأخرى وخاصة الشرقية منها، وذلك للتعريف بالإسلام من ناحية، وللوصول إلى (قواسم مشتركة) بشأن المشكلات الكبرى التي تواجه عالمنا المعاصر، مع دراسة إمكانية تكوين لجنة للحوار تنبثق عن هذا المجلس..
- توسيع دائرة الاهتمام بالشأن الإعلامي، وإعداد



الشيخ،، مصطفى شيرتس

الآمير تشارلز

حفل تأبين المرحوم الدكتور محمد زكي بدوي

جرى حفل تأبين المرحوم الدكتور زكي بدوي في (قاعة بروتاي) بمركز الدراسات الإفريقية والشرقية بجامعة لندن.

وقد حضر حفل التأبين ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز، ووزير الداخلية تشارلز كلارك، وكبير أساقفة كانتربري، وأعضاء المجلس العالمي، وعدد من القيادات الدينية والأكاديمية والفعاليات الإسلامية في بريطانيا والمئات من أصدقائه وطلابه الذين غصت بهم القاعة..

وتحدث في الحفل الأخ أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، فنقل إلى أسرة المرحوم وأصدقائه وإلى أعضاء المجلس العالمي للدعوة الإسلامية - الذي اختير عضوا فيه منذ عام 1982 مسيحي، واستمر كذلك إلى حين وفاته - نقل لهم تعازي الأخ القائد معمر القذافي الذي تعرف على المرحوم في عدد من



المناسبات، وناقش معه العديد من القضايا الإسلامية والعالمية..

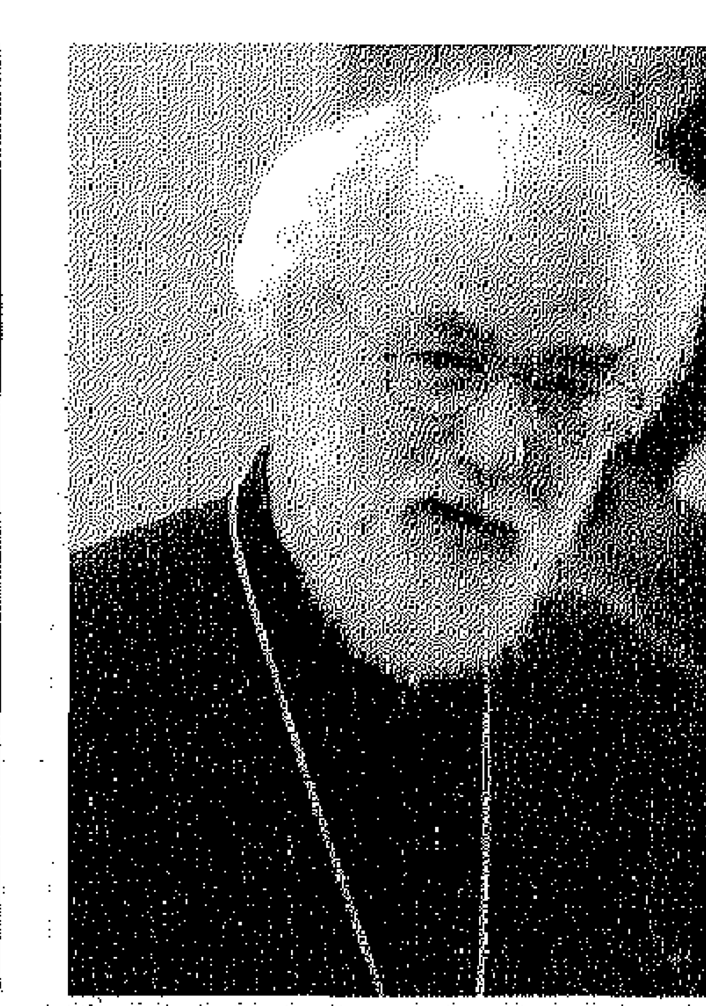
وأشار الأخ الأمين إلى الإرث الكبير الذي خلفه،، الدكتور بدوي،، في مجال العلم والحوار، وإلى دوره في إثراء الحياة البريطانية ثقافياً ودينيا، كما أشاد الأخ الأمين بدور الراحل في المجال الأكاديمي، وذلك من خلال تكليفه بعمادة الكلية الإسلامية بلندن التي أنشأتها الجمعية عام 1986 مسيحي، وكلفه المجلس العالمي بإدارتها والتي كانت منبراً إسلاميا تخرّج فيه العشرات من طلاب الدراسات العليا، وساهم في الحياة البريطانية من خلال تنظيم عدد من الدورات التأهيلية للعشرات من العاملين في مجالات الخدمات العامة..

وقدم الأخ أمين الجمعية للحضور،،الأمير تشارلز،، ولي عهد بريطانيا، الذي حث المسلمين

البرامج المسموعة والمرئية والكتيبات والمطويات التي تشرح مبادئ الإسلام، وتوضح بعض المصطلحات التي يثار لغط كبير حول مضامينها، على أن يكون ذلك في إطار فهم معاصر للإسلام، وإدراك واعٍ لمستجدات العصر..

في جلسة العمل الثالثة تم الاستماع إلى تقارير أعضاء المجلس عن العمل الثقافي والإنساني في مناطقهم، حيث غطت عروضهم المناشط الثقافية والاجتماعية، وتواصلهم مع المكونات الثقافية والسياسية في بلدانهم، وتقدم بعضهم بمقترحات وأفكار ضمنت جلها في التوصيات التي أشير إليها. وقد عبر أعضاء المجلس في ختام أعمالهم عن شكرهم للمملكة المتحدة التي التقوا في عاصمتها لندن، وشاركوا في عدد من المناشط الثقافية والاجتماعية والتي يأتي في مقدمتها التأبين الذي نظمته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لعضو مجلسها العالمي وعميد كليتها في لندن المرحوم ،،الدكتور زكي بدوي،، بحضور ولي العهد البريطاني،، الأمير تشارلز،، ووزير الداخلية،، تشارلز كلارك،، والعشرات من القيادات الدينية والأكاديمية، ورجال الصحافة والإعلام، والفعاليات الإسلامية في بريطانيا..

وقد فوض المجلس أمينه العام لتوجيه رسائل شكر إلى كل الذين ساهموا في إنجاح اجتماعاته من الأوساط الرسمية والشعبية في المملكة المتحدة، كما تقدم المجلس بالشكر لعضوه فضيلة الشيخ،، مصطفى شيرتس،، مفتي البوسنة لدعوته استضافة المجلس في دورة قادمة في البوسنة..



كبير أساقفة كانتربري

جانب من حضور التأبين

البريطانيين على عدم تضييع إرث المرحوم «الدكتور زكي بدوي»، وأكبر فيه انفتاحه على قضايا الحوار والعمل الثقافي المشترك.

وأشار،، الأمير تشارلز،، إلى زيارته السنة الماضية إلى الكلية الإسلامية بلندن، وإعجابه بالدور الثقافي الذي تضطلع به.

وألقي وزير الداخلية البريطاني كلمة أوضح فيها جانبا من الجهود التي تبذلها وزارته، خدمة للقضايا الإسلامية والوطنية البريطانية على حد سواء، مشيراً إلى أن الحكومة كانت تستشيره حول الكثير من القضايا المتعلقة بالجالية الإسلامية.

كما تحدث في حفل التأبين عدد من الضيوف من بينهم مفتي استراليا، ومفتي البوسنة عضوا المجلس العالمي للدعوة الإسلامية، وكبير أساقفة كانتربري، وعدد من قيادات الجالية الإسلامية في بريطانيا.

وقد أثنى المتحدثون على الجمعية لتنظيمها هذا الحفل، معبرين عن تقديرهم لدورها في ترسيخ قيم الحوار والتعارف، وإشاعة ثقافة الحوار، وإبراز الإسهامات الحضارية للإسلام.

لماذا تمبكتو؟

إعداد: التحرير

في كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس، نظم عدد من طلاب الدراسات العليا من جنسيات وقارات متعددة، ندوة موسعة بعنوان (أبعد من تمبكتو.. رسالة عالمية جديدة) حول خطاب الأخ معمر القذافي في التظاهرة الإسلامية الكبرى، التي عاشتها مدينة تمبكتو، بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف..

خلص الباحثون، بعد الحوار، إلى أن هذه التظاهرة، تشكل حدثاً سيكون له مردوده في تاريخ هذه الواحة. بموقعها المتميز في غرب أفريقيا. وفي المنطقة بعمومها، التي تتفاعل بحكم خصوصيتها الإسلامية وتميزها بتجاوب ملوك وسلاطين القبائل وقادة وزعماء الطرق الصوفية، مع طرح معمر القذافي التجديدي والتنويري للخطاب الديني..

وقامت عمادة وهيئة التدريس بالكلية، بتأطير الندوة، ومشاركة الطلاب في أوراقها البحثية، وكان السؤال المتداول بين الطلاب: لماذا تمبكتو؟ وما هو الأبعد من تمبكتو؟ ولماذا وقع اختيار معمر القذافي على هذه المدينة، دون غيرها من الحواضر الإفريقية الأخرى؟ ليشارك، ويُفعل احتفاءها بالمولد النبوي الشريف، ويؤم في صلوات جامعة الرؤساء وجموع المسلمين، الذين توافدوا على تمبكتو من دول الجوار ومن خارج القارة الإفريقية، حين علموا بوصول الأخ معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية إلى جمهورية مالي، تواصلاً مع مسيرته وقيادته ومواكبة لرحلاته الدعوية، لاستنهاض همم المسلمين وفتح آفاق جديدة للحوار الحضاري نبذاً للجمود والتعصب، واستناداً للثوابت الإسلامية..

ويجمع الباحثون في محاوراتهم بالندوة، على أن زيارة ،، معمر القذافي،، تعد لفتة حضارية تعيد لهذه الحاضرة الإسلامية مجدها، ولأهل تمبكتو شرفهم التاريخي، من أجل استئناف دورها الحضاري، مشيدين بما تضمنه الخطاب الذي ألقاه بمدينة تمبكتو، ومعالجته لقضايا حاول البعض لحين من الوقت التعامل معها كمسلمات، من بينها قضية المناهج الغربية، وما تتضمنه من مغالطات ساهمت في حجب الحقيقة عن أبناء المجتمعات الغربية، وأعاقت بناء علاقات تعاون وتوسيع آفاق الحوار بين أبناء المجتمعات الإنسانية..

كما نوه المتحدثون في مداخلاتهم بالأسلوب الدعوي للخطاب، الذي فند مزاعم المتربصين والمغرضين، عارضاً بالتحليل العلمي وبالحجة والبيّنة: أن الإسلام رسالة نسخت الرسالات السماوية السابقة.



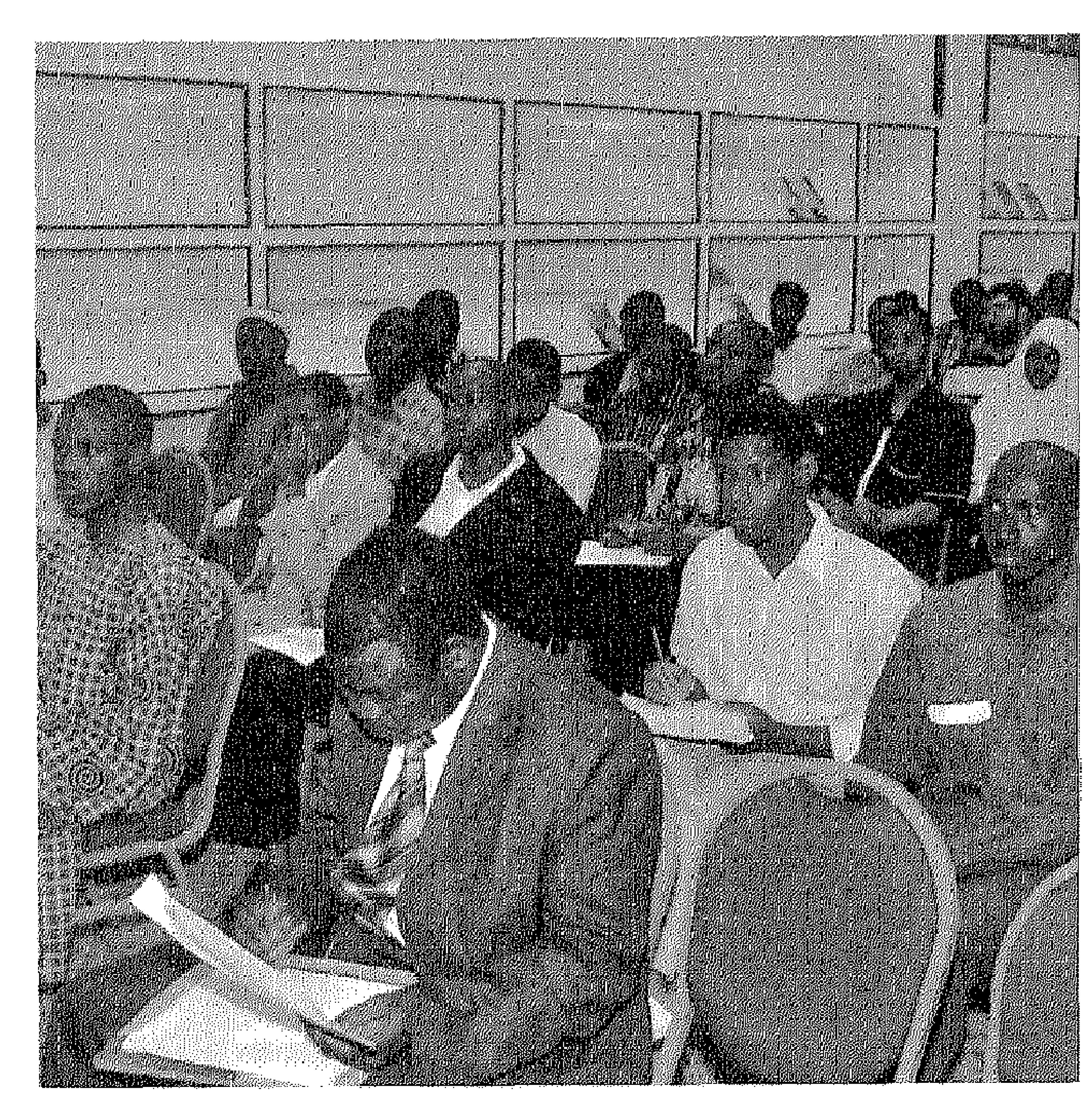
المناهج الخاطئة للمؤسسات التعليمية في الغرب

وكان الأخ عميد كلية الدعوة الإسلامية، قد افتتح أعمال الندوة بكلمة أكد فيها، على أن هذه الندوة تأتي في حينها المناسب، لاتصالها بحدث الملتقى الإسلامي الكبير، الذي التأم بمدينة (تمبكتو) على مستوى العالم الإسلامي قيادة وقاعدة، واتصالها كذلك بخطاب القائد معمر القذافي، الذي طرح فيه رؤاه لمستجدات الواقع الإسلامي الراهن، وعلاقة المسلمين بالآخر، التي تسعى بعض القوى إلى حصرها في دائرة الصراع والعداء وارتباط الخطاب بذكرى مولد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، الذي اقترن زماناً مع حدث وفاته، كما أن هذا الحدث اكتسب بعداً آخر، لتزامنه مع جريمة التطاول والإساءة إلي شخص خاتم النبيين محمدﷺ، أما اختيار مدينة تمبكتو لتكون المكان للملتقي، فإن ذلك هو أحد المحاور التي تنعقد عليها الندوة..

استمع المشاركون بعدها إلى ورقة بحثية، حول وسائل الإعلام وتوظيفها في تطوير الخطاب الإسلامي والرقي به إلى مستوى هموم الأمة الإسلامية، وتطلعات الغيورين من أبنائها، ومن هنا جاءت الورقة مستعرضة المناهج الخاطئة، التي اعتمدتها المؤسسات التعليمية في الغرب، وما يكتنف الإنسان الغربي من جهل عن صلة الديانة المسيحية بالديانات الأخرى، ومن ثم اختلطت مفاهيم النبوة، ومسؤوليتها عن الإنسانية، في الدنيا والدار الآخرة، وموقعها الحضاري المتميز في سياق التاريخ الإنساني.

وجاءت الورقة الثانية حول «موقع الحج في المنظور الإسلامي» ومن خلال طرح معمر القذافي، الذي وضع الحج في سياقه التاريخي، من حيث خاتميته وعالميته، ومن مراجعة كتب التراث وآراء الفقهاء، رجحت هذه الورقة، أن الإسلام شرط صحة وليس شرط وجوب.

ثم توجت هذه الورقات بتعليقات مستفيضة من قبل عدد من الأساتذة والباحثين، وقد استمع المشاركون إلى ورقة بحثية، اشترك في تقديمها الباحث: سيسي سليمان من غينيا كوناكري، والباحث سعيد حمدوص من الكاميرون، والباحث عثمان حسن من تشاد، استعرض الباحثون في مقدمتها منطلقات



الفكر الغربي تجاه الإسلام والمسلمين، منبهين إلى خطورة المزاعم التي تقوم عليها هذه الرؤية الغربية، ومحاولتها إلصاق كل ما هو سلبي بالإسلام، من خلال نعته، بالإرهاب والعنف والقسوة والتخلف، بهدف تصويره بشكل منحرف، وتقديمه كنقيض للتقدم، ومن ثم عدم صلاحيته لمواكبة ركب العلم والتقدم، وهي المزاعم التي تنطلق منها، دعاوى المطالبة بضرورة تغيير المناهج الدراسية في العالم الإسلامي، على أساس أن الفكر المنحرف، منبثق من مصدره، ومنهج التفكير المنحرف، وبالتالي إذا أريد لهذا العالم، أن يعيش في أمن وسلام وطمأنينة واستقرار، يستلزم القيام بتغييرات جذرية وأساسية، لبنية المناهج الإسلامية؛ إما بحذف بعض النصوص وإبعادها عن التداول نهائياً، أو بتأويلها وتفسيرها تفسيراً يتواءم مع الفكر الغربي وثقافته، أو وضعها في واجهات المتاحف على أحسن الأحوال، ليتفرج عليها الزوار، إن ذلك يعني القيام بمثل ما فعل أهل التوراة والإنجيل، بتحريف نصوص الكتاب المقدس، وإخفاء بعضها، وهو ما لا يمكن أن يقبله المسلمون بأي حال، حيث لا يقبل المسلمون، التصرف بالحذف أو التحريف أو التأويل الباطل، المبني على الهوى والمصالح الذاتية، أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، وهو ما أكده معمر القذافي، في خطاب تمبكتو في إشارته، أن موسى لعلمهم مذكور في القرآن 136 مرة، لماذا نحن لم نشطب على هذا..؟؟ هذا كلام الله لا نستطيع شطبه وإلا نصبح كفاراً، لكن هم شطبوا على كل ذكر لمحمدﷺ في التوراة والإنجيل.. نتحداهم أن ينشروا إنجيل القديس برنابا.. مريم عليها السلام مذكورة في القرآن 33 مرة، لماذا لم نشطب على هذا..؟؟ هذا كلام الله لا نقدر أن نغيره.. عيسى عليه السلام مذكور 25 مرة في القرآن لا نستطيع أن نشطبه لأن هذا كلام الله،،...

وهذا محفوف بكل الاحترام والتقدير والاعتراف، والإيمان بهم رسل الله إلى الخلق، لإخراجهم من الظلمات وهدايتهم، إلى طريق الحق والخير والسعادة في الدارين.

دوافع وأسباب رؤية الفكر الغربي تجاه الإسلام والمسلمين

ونبهت الورقة البحثية إلى أن هناك تساؤلات تحوم حول مغزى وحقيقة مطالبة الغرب للعالم الإسلامي، بتغيير مناهجه مع التساؤل: هل إذاً تمت الاستجابة لهذا التجاوز، ستتوقف الحملة ضد الإسلام والمسلمين؟؟ هل يتركون العالم الإسلامي، يعيش في أمن وأمان وسلامة وحرية وكرامة واستقلال؟؟ ثم هل الأزمة بدأت من جانب المسلمين، أم أن موقفهم كان مجرد رد فعل على الحملة الغربية؟؟ أليست مناهجهم التعليمية وخطابهم السياسي أيضاً في أمس الحاجة إلى المراجعة وإعادة النظر؟.

ولاحظت الورقة أن الغرب له مرام بعيدة المدى، لا تتوقف عند المطالبة بتغيير المناهج التعليمية العربية والإسلامية، وجاء في الورقة: وعند التدقيق وإمعان النظر في دوافع الفكر الغربي، نجد أن نزعة كراهية الآخر ورفضه وعدائيته، هو المستحوذ والمتجلي في سلوكياته ونزعاته العدوانية، لأنه لا يوجد مبرر غير

ذلك، وهذا ما أكده معمر القذافي بالقول: «.. على أي حال منهج الغرب، أوروبا وأمريكا منهج يدعو للكراهية ما في ذلك شك، وهو منهج فاسد ولا إنساني، ومنهج مبني على الخطأ، وما يسمى بالعهد القديم والعهد الجديد ليس بالعهد القديم ولا بالعهد الجديد، لأن هذين العهدين منسوخان مزوران..».

وبعد أن تساءلت الورقة عن سبب هذه الكراهية، أوضحت أنه بات معروفاً، أن المجتمعات الغربية بقيمها الاجتماعية والروحية، وظروفها الاقتصادية والسياسية، على خلاف ما هو شائع، تعاني من مشاكل داخلية، تهدد بنيتها الاجتماعية ونظمها، ما يهدد بانهيار تلك البنية وتفككها، كما تتخوف من دعايات إعلامية غربية، تلوّح بوجود مخاطر خارجية، قد تداهمهم في عقر ديارهم، وتهدد وجودهم، وهذا الخطر المزعوم، يتمثل في النمو المتعاظم للمد الإسلامي، على الرغم من واقع العالم الإسلامي، بما يكتنفه من تخلف وفقر، ويتم التعتيم على أن سبب تعاظم مد الإسلام، هو أن هذا الدين يمثل القيم الإنسانية، ومبادئ العدالة الاجتماعية، والتوازن والتكافؤ، كما أن منظومته العقدية والأخلاقية والتشريعية، تكفل للإنسان السعادة الشاملة والعدالة، العاجلة والآجلة، الدينية والدنيوية، وهو ما جعله يمثل قوة صلبة وصارمة، لا مجال للغرب بقيمه أمامها، ولا قبل لهم بها، وليس لديهم وسيلة لمقاومتها وردعها، فالقوة الحضارية للإسلام، تؤهله لكسب الريادة، بمعنى أن روح العداء في جانب منها، هي حالة من الشعور بالضعف والخوف، على الذات والهُوية والقيم والشخصية، وأمام هذه الحالة من العداء، كان لا بد أن يؤكد الخطاب على روح الطمأنينة، موضحاً أن المسلمين ليسوا في حاجة للقنبلة أو السيف لنشر الإسلام، «لسنا محتاجين للسيف أو القنبلة لنشر الإسلام»، عندنا الآن خمسون مليون مسلم في أوروبا، وهناك علامات أخرى، تدل على أن الإسلام سيظهره الله في أوروبا بدون سيف، وبدون بندقية، وبدون فتح: هذا ماجاء في خطاب «معمر القذافي» لدينا إحصائية تبين عدد المساجد بالآلاف في أوروبا، عندنا آلاف المنظمات الإسلامية والجمعيات الإسلامية في أوروبا، أوروبا الآن في ورطة وكذلك أمريكا: إما أن تقبل بأنها ستصبح مسلمة بمرور الزمن، أو تعلن الحرب على المسلمين.

تحكمت مرجعيات فكر التثقيف والتعليم في توجيه أجيال أمم الغرب وجهة غير آمنة على حياة البشر طوال قرون حتى تعايش معها الناس فكونت مزاجهم العقلي.

مصطلح المناهج ودور المسلمين في بنائها وتطويرها

كما قدمت الورقة البحثية لمحة عن المنهج وتطوره، ومدى مساهمة المسلمين في بنائه وتطويره، متتبعة معاني مصطلح المنهج، من الناحية اللغوية والاصطلاحية، في التراث العربي الإسلامي، والغربي الأوروبي، الأمريكي، مبينة أن المنهج في اللغة العربية، حسب الاشتقاق يأتي على ثلاث صور: نهج، والمنهج، والمنهاج، أما النهج، فيعني: الطريق المستقيم الواضح، والمنهاج هو الخطة المرسومة، والمنهج: هو الطريق البين إلى الحق في أيسر سبله، وردت في القرآن الكريم:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾

[سورة المائدة، الآية:48]

فالمنهج هنا يعني الطريق الواضح المحدد لمعرفة دين الله، فمن الناحية اللغوية هذا هو مفهوم المنهج في التراث الإسلامي.

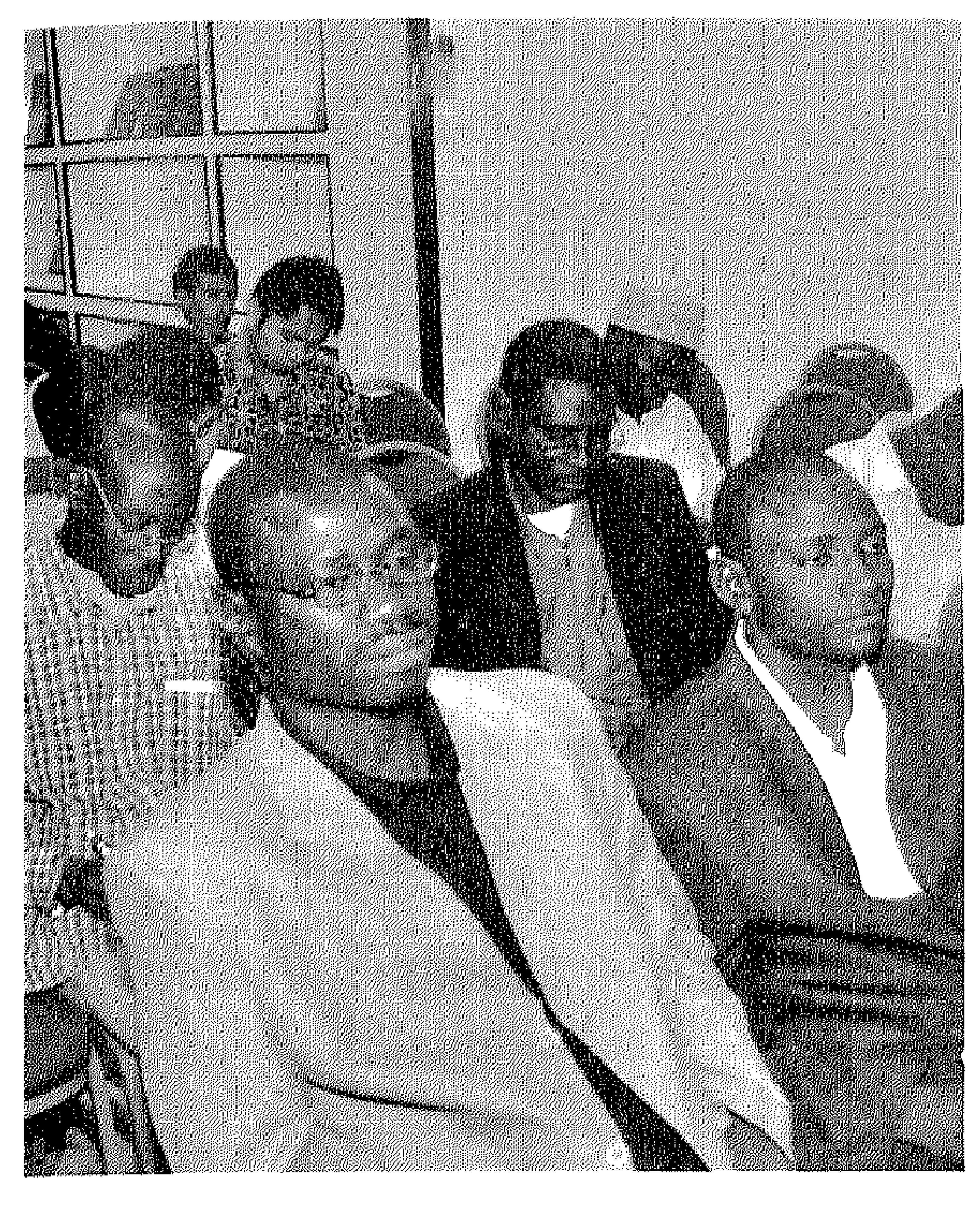
وأما مفهوم المنهج عند الغربيين، فلا نجد عندهم إلا مادة واحدة وهي: المنهج وتكتب باللاتينية: (Method)، ولها صور متقاربة في الكتابة، وهي مأخوذة في الأصل من اليونانية، وكان أفلاطون يستعملها بمعنى: البحث أو النظر، أو المعرفة. وأرسطو أراد بها: البحث، ومعناها في الأصل: «الطريق أو المنهج الذي يؤدي إلى الهدف المقصود، بعد التغلب

على عقبات ومصاعب، أو إجراء أو عملية لإحراز شيء أو لتحقيق هدف، أو خطة نظامية لعرض مادة للتعلم أو التوجيه، أو فرع من المعرفة والدراسة؛ إن الغربيين استعملوا المصطلح لعدم وجود كلمة غير (Method) لتدل على المنهج، وهكذا تكونت فكرة المنهج بالمعنى الاصطلاحي المتعارف عليه اليوم، ابتداء من القرن السابع عشر على يد (فرنسيس بيكون، وجون ستيوارت ميل، ودور كايم ورسل، وجون ديوي، وديكارت، وموريتو) وغيرهم، فأصبح المعنى الاصطلاحي طريقا يؤدي إلى الكشف عن الحقيقة..

ومن هنا تأتي أهمية خطاب معمر القذافي في بمدينة تمبكتو، لما يتضمنه من كشف عن مخططات استراتيجية استشراقية، استعمارية خطيرة، تُتخذ من أجل طمس هُوية الشعوب المسلمة كافة، ومن هنا تتم مواجة العالم الغربي، ولأول مرة في العصر الراهن، بالعيوب المنهجية في منطلقاته الفكرية، و بأن المساعي الغربية (أوروبا وأمريكا) في مطالبة الدول العربية والإسلامية، ليست إلا مغالطات تتستر خلفها هذه الدول، خشية انكشاف أمرها، وأن مظاهر الكراهية والعدائية والعدوانية، هي نتيجة الخطأ الذي ينبني عليه المنهج الغربي في التفكير، بينما ينطلق الفكر الإسلامي، من مبادئ إنسانية سامية، ويسعى نحو السمو بالإنسان، إلى أعلى مراتب القيم النبيلة التي خلق من أجلها.

تطوير علماء المسلمين للمناهج الغربية

ومن هذا المنطلق اهتم العرب والمسلمون، بالبحث العلمي، لأن الحكمة ضالة المؤمن، يأخذها أني وجدها، فقرؤوا منطق أرسطو وترجموه، وقاموا بشرحه وتلخيصه في مصنفات عديدة، حتى اهتدوا إلى أن القياس المنطقي الأرسطي، قياس رياضي، حيث يبدأ من العام إلى الكلى ويطلبه، في المفردات الجزئية، فتطرد صحته تلك في الرياضيات، أما في العلوم الطبيعية والإنسانية، فلا بد من الانتقال العكسي، أي من الأفراد والمفردات، إلى الكلي العام لكي يكون



القياس صائباً، وكان لهذا أثره البعيد إذْ عد الاستقراء والملاحظة أصلين أساسين في العلوم العربية، وضمت إليهما العلوم الطبيعية والتجريبية، وتمكنت العلوم الطبيعية من أن تنهض نهضتها الكبرى في كل مجال، وهي نهضة أعادت ازدهار علوم الطب والصيدلة، بفضل التجارب الكثيرة التي كان يجريها الصيادلة والأطباء، وكذلك في علوم الكيمياء والفلك.

وتساءل الباحثون في ورقتهم، حول دور الكنيسة السلبي في إحياء العلوم الإنسانية والطبيعية، وما حدث لبعض العلماء المسيحيين، الذين حاولوا أن يبدعوا أو يبتكروا أو أن يبدوا رأياً في قضية كونية طبيعية، من منظور علمي، يقدم الإجابة عن هذا الافتراض أو غيره، حيث عارضت الكنيسة، ولم تكتف بإجهاض تلك المحاولات، وإنما تعدى الأمر إلى قتل البعض، فقد اتخذت السلطات الدينية الكنسية من العالم (كوبر نيكوس) موقفا عدائياً، لقوله بدوران الأرض حول الشمس، كما أحرقت الكنيسة بروما، عالماً إيطاليا هو (جيوداً نويرونو) عام 1700 مسيحي، من أجل إصراره على أن الأرض تدور حول الشمس، ومن هنا نجد

بداهة أن الكنيسة لم تسهم في تطوير المناهج العلمية ولا في توجيهها..

«إذا كانوا يريدون السلام معنا، يجب أن تشكل لجان لإعادة النظر في المنهج الغربي، وفي الأناجيل نفسها لأنها مزورة» نعم إن الكتب السماوية ينبغي أن تكون، كما قال النجاشي، ملك الحبشة، عندما وفد إليه الصحابة بقيادة جعفر بن أبي طالب، فسألهم عما جاء به النبي المصطفى ﷺ فقرأ عليه آيات من سورة مريم، فقال النجاشي: إن هذا، والذي جاء به عيسى، ليخرج من مشكاة واحدة، ففعلاً يدرك الإنسان هنا مدى أهمية موضوع المنهج، الذي أشار إليه معمر القذافي منذ بداية خطبته: « للأسف إن التاريخ والمنهج الذي نقرؤه الآن مغلوط.. غير صحيح».

من يتصدى لمهمة أفلاطون أو ديكارت في العصر الراهن؟!

إذا كان المسلمون بحاجة إلى تجديد المناهج فان الغرب هو الأشد حاجة إلى تغيير مناهجه، لأن الشأن بالنسبة للعرب والمسلمين أخف: فالقرآن الكريم يبقى محفوظاً إلى قيام يوم الدين:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر، الآية:9]

أما الأحوج في الحقيقة، فهو الغرب، الذي تلح حاجته إلى إثبات صحة مصادر معتقداته، وإلا كيف يصح أن نفتح لهم مناهجنا العلمية لكي يصلحوها، مع أن المسلمين هم من نقلوا منابع الفكر اليوناني بترجمتها وتلخيصها للغرب، مع ازدهار الحضارة الإسلامية، في كل مجالات المعرفة، وإذا كانت العلاقة كذلك، فان تشكيل لجان لإعادة النظر في المناهج الغربية تبدو مسألة منطقية، فكما كانت هناك حاجة في عصر سالف، إلى أفلاطون والأخذ بالأقيسة الأرسطية، فإن الحاجة اليوم تبدو ماسة، إلى من يكون أفلاطون هذا العصر، ليقود اللجان المشكلة «لقد شكلت لجان أمريكية لإعادة النظر في المنهج المدرسي في البلاد الإسلامية، ويجب أن تشكل لجان إسلامية أمريكية لإعادة النظر في المنهج الأمريكي الأوروبي » هذا ما يقترحه معمر القذافي.

تشكيل لجان لإعادة النظر في المناهج الغربية تبدو مسألة منطقية

ترسيخ الفكر الغربي وتضليل الرأي العام

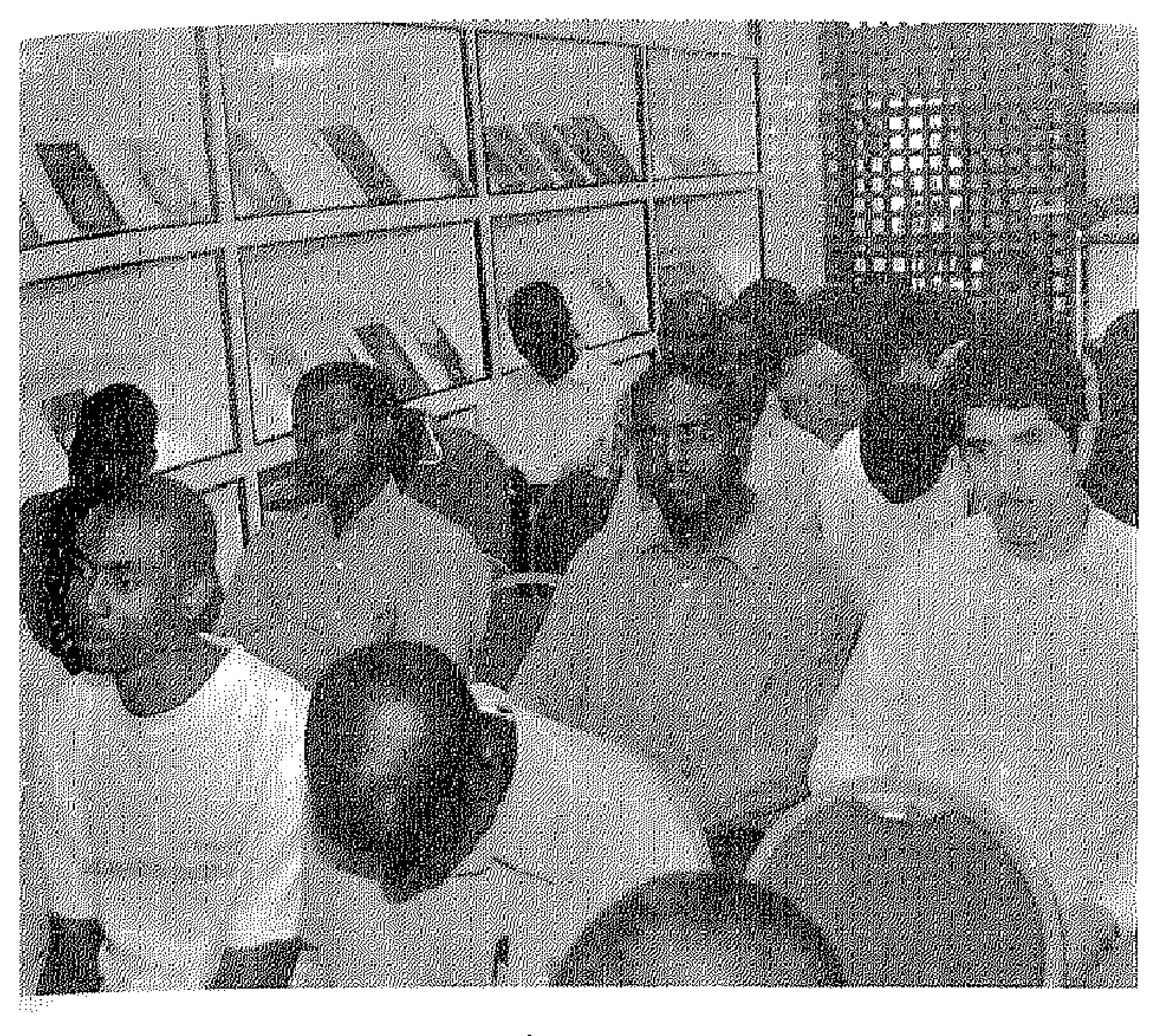
واستعرضت الأوراق البحثية في مجملها بعض طرق تضليل الرأي العام، مشيرة إلى أن الغرب استعمل وسائل منوعة وأساليب مختلفة، لصد الناس عن الإسلام وتشويه صورته، ومن أبرز تلكم الوسائل:

أولاً: وسائل الإعلام بأصنافها الثلاثة المقروءة والمسموعة والمرئية، بما فيها شبكات المعلومات الدولية (إنترنت)، والتي تم من خلالها التركيز على القيام بمهمة الدعاية والترويج، للفكر السياسي الغربي المعادي للإسلام والمسلمين، بصور متلونة وأشكال متعددة، ونشر تلك الأفكار، وبث سمومها في أوساط الرأي العام، وهذه الوسيلة من أخطر الوسائل بحكم سرعة انتشارها وسهولة تداولها، وقدرتها على التأثير في الرأي العام، بالإضافة إلى العمل على توجيه الرأي العام و (تضليله) طبقاً لأهداف النخبة القليلة المتحكمة في زمام الدولة، والعمل على ترسيخ تلك الأفكار المشوهة وتدعيمها، بهدف توظيف الرأي العام وتسخيره لتحقيق مخططات سياسات النخبة القليلة المتحكمة في الثروة والقرار، وذلك من خلال ترويع الرأي العام، باختلاق عدو وهمي على شكل حيوان متوحش، متمثل في الإسلام والمسلمين، والذي يُسمى في الغرب (الإسلاموفوبيا) أي الخوف من الدين الحق

ثانياً: أسلوب اختلاق الذرائع للوصول إلى أهداف ذاتية نفعية عاجلة، ومن أبرز تلك الذرائع المستحوذة على الساحة العالمية اليوم، ما صار يُعرف بالحرب على الإرهاب، يُضاف إلى ذلك عرض صورة مشوهة للإسلام في كتب التاريخ، حيث يقدم للتلاميذ

منذ المراحل الدراسية الابتدائية، صورة الإسلام والرجل المسلم في صور وأشكال تعكس الكراهية المتأصلة في الفكر الغربي، والعدائية المتجذرة في النخب المتسلطة، من خلال التشويه المباشر أو إخفاء الحقائق، وتزوير التاريخ، بهدف ترسيخ صورة سيئة ومشوهة عن الإسلام والمسلمين، في أذهان الناشئة ليتربوا على هذا منذ نعومة أظفارهم، وتتعدد مظاهر الكراهية للإسلام في المناهج الغربية من خلال تجاهل الغرب للطرف الآخر ونبذه، وإغماض العين عن دوره وانجازاته، ولعل من أكثر المظاهر تجهيلاً، أن كُتّاب الغرب لم يتخلصوا من ربقة الأنانية والعنصرية، ليعترفوا بفضائل الغير، فكتبهم ممتلئة بذكر ما قام به المستشرقون الأوائل، تحت عنوان اكتشاف إفريقيا، الذي أعقبه الاستعمار والاحتلال ونهب الخيرات، بينما لا يتطرقون إلى ذكر من كان لهم فضل الأسبقية في ذلك، وهم الرحالة الجغرافيون والمؤرخون العرب المسلمون، الذين بسبب كتاباتهم عرف الأوروبيون مدينة إسلامية تسمى (تمبكتو)، فلا يذكرون أمثال: إبن بطوطة، وابن حوقل، وليون الإفريقي، مع أنهم يرجعون إليهم في مصادرهم التاريخية والجغرافية.

ومن بين أكثر الأمثلة دلالة، على ظاهرة الاحتقار والإغفال المتعمد، عدم اعتراف المناهج الدراسية الأوروبية بفضل الفلاسفة والعلماء العرب والمسلمين، على النهضة الأوروبية، في القرن الخامس عشر مسيحي، حيث يلاحظ أن المناهج الدراسية الأوروبية نادراً ما تذكر اعتراف أوروبا بعلماء المسلمين، والذين كانوا منذ القرن التاسع مسيحي، أساتذة ومعلمي أوروبا بأسرها، كما تُبيّن دراسة عن صورة الإسلام في المناهج الدراسية في الغرب، أن كتب التاريخ المدرسية للمرحلتين الإعدادية والثانوية الأوروبية، تهتم بالإسلام في العصر الحديث وخاصة بظاهرة الصحوة الإسلامية، لتمهد لمفهوم الخطر الإسلامي، كما تعتمد على تصوير الفرائض الإسلامية، كالصلاة والحج والصوم وغيرها، على أنها مضيعة للوقت، وإسراف للمال، في غير مواضعه الصالحة له، ألم يكن من



الأجدر بالكتاب المدرسي الغربي، أن يتحدث عن أهمية أداء فريضة الحج بالنسبة للمسلمين، وروحانية هذه المناسك، التي يتحرر خلالها المسلمون من كل القيود والأرقام والتكنولوجيا والبذخ، وأن الحاج يطوف ويسعى في الأماكن المقدسة عارياً إلا من إزاره حباً في الله.

القرآن الكريم في المناهج الغربية

كما تعرضت تلك الحملات المعادية للقرآن الكريم من عدة زوايا، ففسروا القرآن الكريم طبقاً لما يتماشى مع أهوائهم ومصالحهم، وهذا ما يسميه البعض بالحرب على القرآن، وفي الحقيقة أن هذه الحرب ليست جديدة، وإنما هي قديمة متجددة، فقد بدأت منذ عهد النبوة، ولكن إعجاز القرآن ظل صامداً في وجه أعدائه، بعد ما استخدموا كل الحيل والسُبل المتاحة لهم، ثم أعقب ذلك موجات متلاحقة ومكثفة شرسة، فظهر ما يُعرف بمدعي النبوة أمثال مسيلمة الكذاب، وسجاح بنت الحارث.

ثم تبع ذلك حملات المستشرقين أمثال (تيودور نولدكه) في كتابه (تاريخ القرآن)، و(اجينتس جولدتسيهر) في كتاباته: (مذاهب التفسير الإسلامي) و(دراسات محمدية)، وآيات شيطانية لسلمان رشدي وغيرهم.

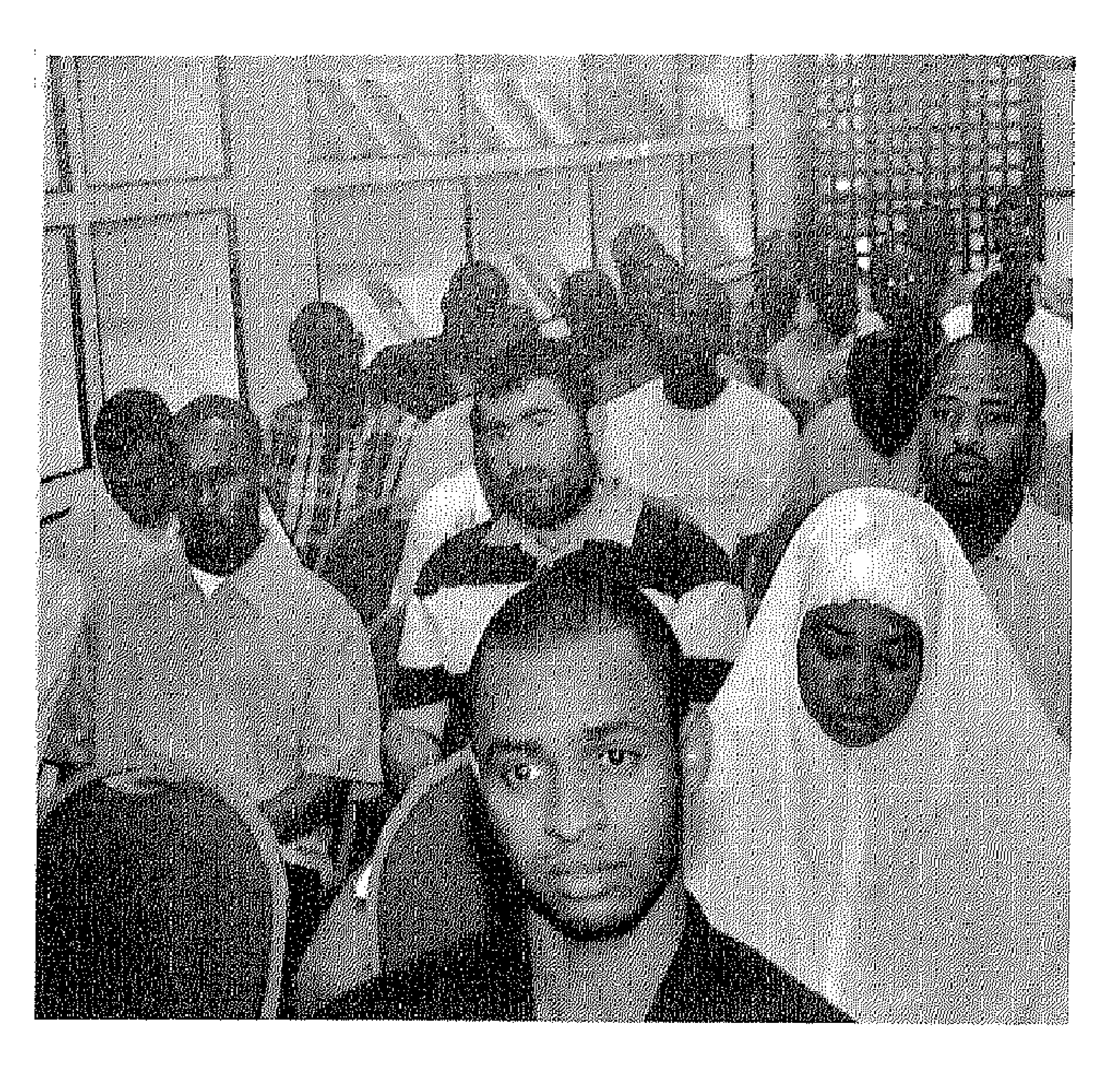
إضافة إلى الكتب المدرسية، في كثير من الدول الأوروبية، ومن الإنصاف أن نقول: إن الحضارة العربية والإسلامية تعرض في بعض الأحيان، في تلك الكتب المدرسية بشيء من التقدير والاعتراف، وتحمل صوراً إيجابية، حيث تقدم تلك الحضارة العربية والإسلامية، على أنها حضارة ساطعة دامت لعدة سنوات، فهي لم تستطع فقط، أن تحتفظ بالتراث الثقافي والعلمي اليوناني والفارسي، وإنما قامت أيضاً بتطويره، وتذكر هذه الكتب أن كثيراً من المصطلحات مأخوذة عن العلماء العرب والمسلمين، وإذا كانت صور الحضارة إيجابية فإن صورة الإسلام تظل سلبية، ففي جميع كتب التاريخ المدرسية الفرنسية، نجد الكثير من الأخطاء والتفسيرات السلبية، مستندة بصفة خاصة على آيات قرآنية مترجمة ترجمة خاطئة أو مقتضبة.

كما أنها تقدم للطالب تاريخ ظهور القرآن، من خلال مجموعة من الأساطير، غير المنطقية مستوحاة من صور الطبيعة كصورة النبي محمدﷺ بين أجنحة سيدنا جبريل عليه السلام، كتاب «هاتيه» للصف الخامس، عام 2001 مسيحي، الصفحة رقم 31.

ونستطيع أن نستخلص الصورة السيئة السلبية عن القرآن، من خلال ما يقولونه عن الوحي، على أساس أنه حالة مرضية، وإنكار أن يكون منزلاً من الله تعالى، ويستتبع ذلك إنكار نبوة محمد ﷺ: ،، أما في مسائل النسخ والآيات المنسوخة، وجمع القرآن وكتابته، فيرمون من وراء ذلك، إلى إلصاق تهمة التدخل والتحريف للقرآن من قبل كتابه ونساخه، ووضع الشبهات والمغالطات حول القراءات الشاذة، والزعم بتعدد المصاحف والادعاء بتناقض القرآن، ووجود أخطاء تاريخية...،،

صورة الرسول ﷺ في المناهج الغربية

أما عن خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلي الله عليه وسلم، فهو مقدم في تلك الكتب وغيرها على أنه محارب، وليس رجل سلام، متناسين أن النبيﷺ



وكافة المسلمين لم يلجأوا إلى الحرب إلا للدفاع عن النفس:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 190]

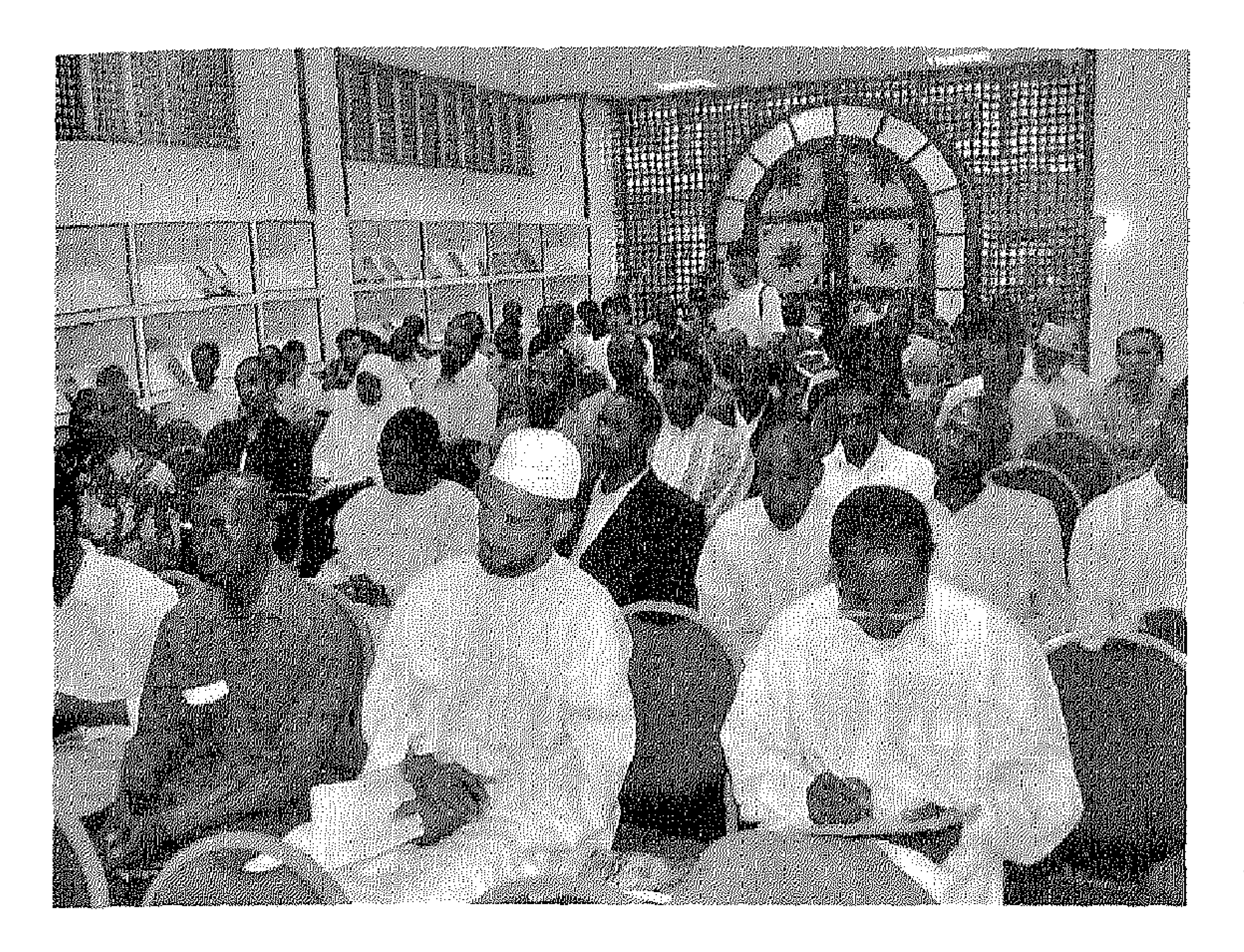
وهكذا يُعمد إلى إعطاء صورة للإسلام متطرفة، بينما الإسلام يُدين العنف ويعتبر من يقتل بشراً :

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [سورة المائدة، الآية: 32]

أحدث هذه الصور، ما حصل في الرسوم الساخرة (الكاريكاتورية) التي نشرت في بعض الصحف الدانماركية، وتبعتها بعض نظيراتها الأوروبية، حيث صوروا النبي ﷺ وعلى جبهته قنبلة..

الشريعة الإسلامية

أما الشريعة، فهي مقدمة على أن مصدرها الوحيد هو القرآن والسُنة، فهي تعتبر إذن، كقانون جاهلي قديم، أو تعاليم مأخوذة من اليهودية والنصرانية أو الصابئة، فالصلاة والصوم والحج، وحتى لفظ الإله، والله، معروف لدى الناس في الجاهلية ولدى الأديان المختلفة، فقالوا بأن محمداً ﷺ اطلع على الكتب المقدسة، ومما جاء فيها صاغ تعاليم دينه الجديد، فهؤلاء يتجاهلون المصادر الأخرى، كإجماع الفقهاء، والقياس، والاستحسان، والعُرف، والرأي، والاصطلاح.



رؤية مغلوطة للجهاد

أما الجهاد فيصورونه، على أنه يعني فقط الحرب المقدسة عند المسلمين، للدفاع عن الإسلام أو نشره، ويبدو أن مؤلفي هذه الكتب المدرسية، قد نسوا أو تجاهلوا أن الجهاد في اللغة العربية وفي الإسلام هو في الأصل نضال داخلي، ضد الذاتية بهدف أن يصبح الإنسان نافعاً لوطنه، بالإضافة إلى ذلك تُحرّم الآيات القرآنية العنف، وتحلل الدفاع ضد المعتدين بصفة فردية، أو على مستوى المجتمع، وذلك باستخدام الوسائل الملائمة:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 190]

كما تقدم المناهج الدراسية في الغرب، آيات قرآنية يتم تحريفها، وهنا يجب أن نذكر أيضاً، أن المسلمين لا يعرفون الحرب المقدسة، وهو المصطلح الذي درج المسيحيون على استخدامه أثناء الحروب الصليبية، فالكتب المدرسية، تُعرّف الجهاد بشكل خاطئ على أنه الحرب المقدسة.

ويساعدنا التعريف العربي لكلمة (إسلام) على فهم معناه الصحيح، حيث يرجع أصل كلمة (إسلام) إلى الجذور العربية السامية (سلم) والتي تعني بكل اللغات السامية، سلام وأمن، أيضا كلمة (سلام) هو اسم من أسماء الله الحسنى، كما أن الليلة التي نزلت فيها الآيات القرآنية تُعرّف في القرآن بليلة (السلام) هذا بالإضافة إلى أن أحد مسميات الجنة هي (دار السلام) ويوضح الإسلام أن مبدأ العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين يستند على السلام، وليس على الحرب، كما يُحرّم القرآن العنف، خاصة فيما يتعلق بالدين:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [سورة البقرة، الآية: 256]

أما وضع المرأة فيصورونه أيضا بطريقة سلبية، إذ يستند الكتاب الغربي، على الآية القرآنية الخاصة بالميراث:

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [سورة النساء، الآية: 11]

دون الأخذ في الاعتبار وضع المرأة قبل ظهور الإسلام، إذ لم يكن للإناث أي حق في الحصول على الميراث، وكان الأب له الحق في بيع بناته أو قتلهن أو تزويجهن رغماً عنهن، إذن الإسلام هو الذي حرر المرأة بمنحها الحقوق مثلما فرض عليها الواجبات.

كذلك يتم تحريف مصطلح تعدد الزوجات فهو أيضا يُفسر بطريقة خاطئة، مع تجاهل الظروف التاريخية والجغرافية والاجتماعية والثقافية والدينية، التي نزلت فيها الآيات، التي تتصل بوضع المرأة كما قاموا بحذف كل تعليق عن وضع المرأة قبل وبعد الإسلام..

وإذا كانت هذه المبادئ الأساسية للحضارة العربية والإسلامية، لا تزال تفسر في الكتب المدرسية الغربية الحالية بطريقة خاطئة وسلبية، لذا أصبحت هناك حاجة ملحة لتصحيح تلك الأخطاء، في إطار من الاحترام المتبادل والحوار المشترك، من أجل تصحيح هذا المفهوم والفكر الخاطئ، الذي يخرج به الطلاب في الغرب، ويُسيء إلى الطلاب العرب والمسلمين المهاجرين.



أطباء ومهندسون.. ولكنهم شعراء

أطباء ومهندسون.. ولكنهم شعراء

إعداد: التحرير



علي محمود طه
(1901 - 1949م)

ولد علي محمود طه في الثالث من هانيبال «أغسطس» سنة 1901 في مدينة المنصورة عاصمة الدقهلية لأسرة من الطبقة الوسطى وقضى فيها صباه . حصل على الشهادة الابتدائية وتخرج في مدرسة الفنون التطبيقية سنة 1924 م حاملاً شهادة تؤهله لمزاولة مهنة هندسة المباني . واشتغل مهندساً في الحكومة لسنوات طويلة، إلى أن يسّر له اتصاله ببعض الساسة العمل في مجلس النواب .

وبصدور ديوانه الأول «الملاح التائه» عام 1934 احتل علي محمود طه مكانة مرموقة بين شعراء الأربعينات في مصر. وفي هذا الديوان نلمح أثر الشعراء الرومانسيين الفرنسيين واضحاً لا سيما لامارتين شاعر الحب والجمال . وتتابعت دواوين علي محمود طه بعد ذلك فصدر له: «ليالي الملاّح التائه» (1940)، «أرواح وأشباح» (1942)، «شرق وغرب» (1942)، «زهر وخمر» (1943)، «أغنية الرياح الأربع» (1943)، «الشوق العائد» (1945)، وغيرها.

وعلي محمود طه من أعلام مدرسة «أبولو» التي أرست أسس الرومانسية في الشعر العربي.. وهو شاعر مفعم بالعاطفة، مسكون بالجمال، ترك أثراً واضحاً في الشعر العربي الرومانسي، وهو، فضلاً عن ذلك، مهندس الشعر العربي الحديث . و لا يخلو شعره من أثر الصنعة التي قد تعكس العقل الهندسي الذي يتمتع به ، وترى ذلك جليّاً في النسيج الشعري الذي يقوم عليه بناء قصائده، حيث إنك تكاد تجزم بأنك تنشد لشاعر تملكته الحرفة من جهة وأرخى العنان لخياله الجامح الطبّع والسّجيّة، وليس مهندساً تملّكته الأرقام والمقاييس.

الأمسية الحزينة

من ديوان (الملاّح التائه)

جدّدتِ ذاهِبَ أحلامي وليلاتي ... فهل لديك حديثٌ عن صَباباتي

يا كعبة لخَيالاتي وصومعةً ... رتّلتُ في ظِلّها للحُسنِ آياتي

للحبّ أوّلُ أشعارٍ هتفتُ بها ... وللجَمَالِ بها أولى رِسَالاتي

عليكَ واديَ أحلامي وقَفتُ أرى ... طيفَ الحوادثِ تمضي بعد مَأساتي

آوي إلى جَنَبَاتِ الصّخر مُنفرداً ... أبكي لأمسيةٍ مرّت وليلاتي

قد غيّرتنا الليالي بُعدها سِيَراً ... وخلّفتنا العوادي بعْضَ أشتاتِ

تَلَفّتَ القَلبُ في ليلاءَ باردةٍ ... يبكي لياليكَ الغُرَّ المُضيئاتِ

وذِكرياتٍ من الماضي يُطالعُها ... بين الحُقولِ وشُطآنِ البُحيراتِ

يا طولَ ما نَغمتْ للصخرِ أنّاتي ... وشدّ ما رجّعت للموجِ آهاتي

يا قَلبُ وادي الصّبا حالت مَسارحه ... وأقفرَت مِن صباياه الجَميلاتِ

فلا الجداولُ تحدوها مُسلسَلةً ... ولا الخَمائِلُ تهفو بالنّضيراتِ

صَوّحن من مشرقِ الوادي لِمغربِه ... فَما بِهنّ مُطيفٌ من خَيالاتي

ما في حيَاتِكَ مِن سَلوى تلوذُ بها ... لكِنّه الحُبُّ ذاك القَاهِرُ العاتي

قد فاجأتكَ غَواشيهِ التي سكَنَتْ ... إنّ الليالي ملأى بِالمُفاجاتِ

يا للبُحيرةِ: مَن يَرتادُ شاطِئَها ... وَمَن يُسيرُّ إلى الوادي مُناجاتي

وَمَن يُعيدُ لنا أطيَافَ ليلَتِهَا ... وما غَنِمْنَا عليها من أُوَيْقاتِ

وخُلْوةٍ في حَفَافِها وقد عَبَثَتْ ... يَدُ الصَّبَا بِحواشيها المُوشّاةِ

يَضُمُّنا بَاسِقٌ في الشّطّ مُنفردٌ ... ضَمَّ الشّتيتينِ في علْيَاءِ جَنّاتِ

ولِلقلوبِ أحاديثٌ يُجَاويها ... تَنَاوحُ الطّيْرِ في ظِلِّ الخميلاتِ



ولد الشاعر إبراهيم ناجي في حي شبرا بالقاهرة في شهر الكانون (ديسمبر) عام 1898، وكان والده مثقفاً مما أثّر كثيراً في تنمية موهبته وصقل ثقافته، وقد تخرج الشاعر من مدرسة الطب في عام 1922، وعُيّن بعد تخرجه طبيباً في وزارة المواصلات، ثم في وزارة الصحة، ثم مراقباً عاماً للقسم الطبي في وزارة الأوقاف.

قرأ الشعر العربي القديم وتأثر بفحوله، مثل: المتنبي، وأبي تمام، وابن الرومي، وأبي نواس، وآخرين غيرهم. كما عبَّ من ينابيع الشعر الغربي، فهام بأشعار (بايرون)، و(شيلي)، و(كيتس)، من أعلام الشعر الرومانسي الإنكليزي.

وتأثر بالشعر الرومانسي الفرنسي حيث شرع في بواكير حياته الشعرية في ترجمة أشعار (ألفريد دي موسيه) و(توماس مور) حوالى عام 1926، وقام بنشرها على صفحات «السياسة الأسبوعية». وفي عام 1932 انضم إلى جماعة أبولو التي كان لتأسيسها أثرٌ كبيرٌ في الشعر العربي الحديث.

ولفرط اهتمامه بالاتجاه الشعري لمدرسة أبولو أصبح وكيلاً لها، كما تولّى رئاسة رابطة الأدباء في مصر. وقد عُرِف الشاعرُ عند العامّة بقصيدته الشهيرة «الأطلال» التي غنتها كوكب الشرق أم كلثوم، فذاع صيتها في الآفاق، وظلّ يترنم بها الناس حتى اليوم.

وقد خلّف إبراهيم ناجي وراءه عدداً من الدواوين الشعرية، هي :

«وراء الغمام» (1934)، «ليالي القاهرة» (1944)، «في معبد الليل» (1948)، «الطائر الجريح» (1953)، ودواوين أخرى. كما صدرت أعماله الشعرية الكاملة في عام 1966 بعد وفاته عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر.

السّرابُ على البحر

من ديوان (ليالي القاهرة)

لا القومُ راحوا بأخبارٍ ولا جاءوا ... ولا لقلبِكَ عن ليلاكَ أنباءُ

جفا الربيعُ ليالينا وغادرها ... وأقفرَ الرّوضُ لا ظلٌّ ولا ماءُ

يا شافيَ الدّاءِ قد أودَى بيَ الدّاءُ ... أما لِذَا الظّمأ القتّال إرْواءُ

ولا لطائرِ قلبٌ أن يستقرّ ولا ... لِمركَبٍ فَزِعٍ في الشّطِ إرساءُ

عندي سَماءُ شِتاءٍ غيرُ مُمطِرَةٍ ... سَوداءُ في جَنَبَاتِ النّفسِ جَرْداءُ

خرساءُ آونةً، هوجاءُ آونةً ... وليس تَخدعُ ظنّي وهي خرسَاءُ

وكيفَ تخدَعني البيْداءُ غافيةً ... وللسّواقي على البَيْداءِ إغْفَاءُ

أأنتِ نادَيتِ أم صوتٌ يُخيّلُ لي ... فلي إليكِ بِإذْنِ الوَهْمِ إصْغاءُ

لبّيكِ لو عند روحي ما تطير به ... وكيفَ يَنهضُ بالمجروحِ إعيَاءُ

تفرّق الناسُ حول الشّطِ واجتمعوا ... لهم به صَخَبٌ عَالٍ وضَوضاءُ

وآخرون كُسالى في أماكنِهم ... كأنهم في رِمالِ الشّطِ أنْضاءُ

هم الورى قبل إفسادِ الزمان لهم ... وَقبْلَ أن تتحدّى الحُبَّ بغضَاءُ

ضَاقت نفوسٌ بِأحقادٍ ولو سَلِمَتْ ... فإنها كسماءِ البحرِ رَوْحاءُ

تألّقت شمسٌ ذاك اليوم واضطرمت ... كأنها شُعَلٌ في الأفقِ حمراءُ

ما لي بهم، أنتِ لي الدنيا بأجمعها ... وما وعَتْ ولقلبي منكِ إغضَاءُ

لو أنه أبدٌ ما زاد عن سَنةٍ ... ومُدّةُ الحُلْمِ بالجفنينِ إغْفَاءُ

أرنو إليكِ وبي خوفٌ يُساورُني ... وأنثني ولِطَرْفي عنكِ إغْضاءُ

إذا نطقتُ فما بالقولِ مُنتفعٌ ... وإن سَكتُّ فإنّ الصّمتَ إفشاءُ

يا مَن تنفّسَ حرُّ الوجدِ في عُنُقي ... كما تنفّسَ في الأقداحِ صَهْباءُ

[illegible] خاطري بالبُعْدِ مبتعدِ ... ولن تُواريكِ عن [illegible]

ولِد الشاعر الدكتور عدنان علي رضا النحوي في صفد بفلسطين سنة 1928. تحصّل على دبلوم في التربية والتعليم وأصول التدريس من فلسطين، ثم تحصّل على درجة البكالوريوس في هندسة الاتصالات من مصر. وفي التخصّص نفسه تحصّل على درجتي الماجستير والدكتوراه من الولايات المتحدة الأميركية.

إلى جانبِ عمله الهندسيّ عمِلَ في حقلِ الدّعوةِ الإسلامية قرابة نصف قرن. وقد عُرِف بشعرِه الإسلاميّ والوطني. وقد خلّد مدينته (صفد) في أشعاره الجميلة، ولا يكاد ديوانٌ من دواوينه يخلو من ذكرها.


3
عدنان علي رضا النحوي
(1928 -)

وهو شاعر الملاحم بحقّ، لطولِ نَفَسِه الشّعريّ الذي يميزهُ عن غيرِه من الشعراء. ولعلّ ملحمته الرائعة (دويّ التاريخ) في ديوانه «جراحٌ على الدرب» التي تقع في 273 بيتاً تعكس هذه الحقيقة، وكذا ملحمة (فلسطين) و(ملحمة الأقصى)، وملحمة (الغرباء) وجميعها تشكّل دواوين مستقلة. وعدنان النحوي شاعر متوهّج، تملّك ناصية اللغة، فأسلمت له قيادها، وهو ذلك الشاعر الذي يشدك إليه ويأسرك بفيض إيمانه وحبه لدينه وذوده عن وطنه وأمته. وهو فضلاً عن ذلك ناقدٌ متميّز تشهد لذلك دراساته النقدية في الأدب الملتزم، مثل : (النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء)، و(الحداثة في منظور إيماني)، و(تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها)، و(الأسلوب والأسلوبية)، و(الشعر المتفلّت. بين النثر والتفعيلة وخطره). وفي دراسته (الشعر المتفلت) يكشف النحويّ عن ناقدٍ حصيفٍ ذي خبرة واسعة في نقد الشعر. وللنحوي عدا الشِعر مؤلفاتٌ عديدة تتجاوز الأربعين مؤلّفاً، وقد تُرجمت بعض تآليفه إلى التركية، والإنكليزية، والأوردية.

بغداد

«بـغـداد»! أسـفـاه! هـذا حـالُـنا ... لـمّا ابـتُـليت! فمنْ تُراهُ الجاني؟

ضاعت معالـمهُمْ! وكلٌّ يدّعي ... شَرفَ البطولةِ أو يَدَ الإحسانِ

ضاعَتْ موازينُ العَدالةِ واختفتْ ... ويحي! فأين عدالةُ الميزانِ

لَهْفي عَلى «بَغْدادَ» بَيْنَ ديارِها ... حممٌ تفجَّرُ في لظىً ودخانِ

لهفي على بغدادَ وهي أسيرةٌ ... من ظالمٍ عادٍ ومن خوّانِ

هذا العَدوُّ عَرفتِ شِدَّةَ مَكره ... ما بال أهلكِ في شتاتِ هَوانِ

كم من بَنيكِ تألّبوا وتناثروا ... فِرَقاً مشتّتةً وهوجَ أمانِ

ومذاهباً وعصائباً وطوائفاً ... شتّى ممزَّقةً بغيرِ أمانِ

لا الدينُ يجمعها ولا وطنٌ يلُـ ... ـمُّ شتاتها! نَفَروا إلى طغيانِ

ضمّوا صُدورَهُمُ عَلى أحقادهم ... وعلى مُراوغةٍ، على كتمانِ

فإذا هُمُ ساحٌ لكلِّ منافقٍ ... مُتَسلِّلٍ عادٍ خفيِّ الشانِ

يَرمي شِباكَ خَديعةٍ فيلُمُّ من ... شَتَتِ الهوى بزخارفِ الألوانِ

فَسَلِ «المُسَادَ» وكم رمى بِشِباكِه ... وكم الذين هوَوْا إلى قيعانِ؟

وسَلِ القُوى الكُبرى؟ فكم من جاهلٍ ... ألقى إليهمْ حُزمَةَ الأرسانِ؟

فتسلّلوا فِتناً تثورُ وخُطّةً ... تسري على مكرٍ لها فتّانِ

وسَرَوا بأرْضِكِ خُفْيةً! كمْ ثعلبٍ ... مُتَربّصٍ ومُداهِنٍ ثُعبانِ

بغدادُ مَهْلَكِ! والكنوزُ غنيّةٌ ... والمجرمون تحفّزوا لطِعانِ

فعلى رباكِ من الكنوز ذخائرٌ ... تهَبُ الوفاءَ لسائلٍ ومُعانِ

وعلى مدى التاريخ كفُّكِ جودُه ... بِرُّ اليقينِ وصَفْوةُ الإحسانِ

حتّى تفجَّرَ بطنُ أرضكِ نعمةً ... كُبرى وفيضاً من يدِ الرحمنِ

نُعمى أحَلّتِ لهيبَها نوراً بفضـ ... ـلِ اللهِ! نُعمى الواحدِ الديّانِ

فأبى عَليكِ المجرمون ليجعلوا ... منها لظىً متوقّدَ النيرانِ

بغدادُ جُنَّ المجرمون فأقبلوا ... زحفاً على جَشَعٍ وغَدْرِ جبانِ

واحسرتاه عليك يا بغدادُ كَمْ ... حَرْبٍ تُشَنُّ عليكِ أو عُدوانِ

يتفجَّرُ التاريخُ بَيْنَ ملاحمٍ ... دارتْ ودَفْقٍ من دمائكِ قانِ



عبد المعطي الدالاتي شاعرٌ جمع بين الطب، والأدب، والشريعة. وُلد في حمص سنة 1961، ونال شهادة دكتوراه في (الطب البشري) من جامعة دمشق عام 1985م. ونال شهادة ماجستير في (الأحياء الدقيقة) من جامعة دمشق عام 1989م، وشهادة الاختصاص في (الدمويات) من دمشق عام 1996م. وتحصّل على شهادة الإجازة في (اللغة العربية وآدابها) من جامعة حلب عام 1993م. كما درّس (الشريعة الإسلامية) في كلية الشريعة بجامعة دمشق، ودرّس (اللغة الإنجليزية وآدابها) في كلية الآداب بحمص، وهو يعمل الآن طبيباً مخبرياً في مدينة حمص.

له عدد من المؤلفات،منها: «ربحت محمداً ولم أخسر المسيح»، و«عطر السماء»، و«أحبك ربي، نجاوى شعرية»، و«إليك حواء: قصائد للمرأة المسلمة»، «لحن البراءة» و«عيون القمر» وهما ديوانا شعر للأطفال.

عبد المعطي الدالاتي، شاعرٌ رقيقٌ يتدفّق شعره عاطفةً وإيماناً .

أرويْتُ أم دمعي روى؟

يا ليلُ! ما عندي سوى ... أحزانِ قلبٍ قد هوى

ويحَ النَّوى. لم أحتمل ... يا ليلُ! آهاتِ النوى

يا ليلُ! طالتْ محنتي ... طالَ انتظارُ هدايتي

في غربتي عن إخوتي ... يا ليلُ عمري قد ذوى

لما دَنَا منا السَّنا ... وأحاطَتِ البشرى بنا

ورجعتُ أبغي موطِنَنا ... عادت حكاياتُ الهوى

عادت رواياتُ اللقا ... عادت نجاوى المُلتقى

والدمعُ قبلي أشرقا ... أرَوَيْتُ أم دمعي روى؟

لما ابتدا دربُ المدى ... في رحلتي نحو الهدى

وبَدا لروحي ما بدا ... قلبي على النّعمى استوى

حببتِ الجمال

أتــدرينَ أنكِ بُــشـرى لـنـا ؟!
وأنكِ خـيـرٌ يـفـيضُ هـنـا ؟!

أتـدرينَ أنكِ نـبـعُ الـحـياةِ
يـجـوبُ الـزمـانَ ويـروي الـدُّنـا ؟!

أتـدرين أنّك أمُّ الـجـمالِ
وبـنتُ الـدلالِ و أختُ السّـنـا؟!

وأنكِ حـين ارتـديّـتِ الـحـجابَ
سـموتِ ، عـلوْتِ عـلى الـمـنـحـنـى!

حـجبتِ الـجـمالَ فـحُـزتِ الـجـلال
وحُـسـنك لـلـطّـهر قـد أعـلـنـا

صـنـعتِ الـرجـولـةَ، أمَّ الـرجالِ
بـنـيتِ .. فـأعـلـيتِ مَـنْ قـد بَـنـى!

حضـنتِ الـطـفولـةَ فـي مـهـدهـا
وكـنتِ الـخـمـيلـةَ والـمَـسـكـنـا

فـقـلـبكِ يـنشـرُ دفءَ الـحـنانِ
وكـفّـكِ تـمسحُ عـنّـا الضَّـنـا

إذا مـا رضـيتِ سـترضـى الـحـياة
وتضـحكُ إذ تضـحـكـينَ لـنـا

لأجـلكِ غـنّـى وطارَ الـنشـيـدُ
يـرفـرفُ حـولكِ حـتى دَنا

إلـيك تـهاجـر كـلُّ الـحـروفِ
وتـهوي عـلـيك كرامُ الـمُـنـى

تـحـومُ عـلـيكِ .. وتـأوي إلـيكِ
وتـبـغي لـديكِ هُـنا مـوْطـنـا

تـعالـيّ لِـنـبـنـيَ بـيتَ الـقصـيدِ
بشـطـرينِ: مـنكِ.. ومـنّـي أنا

تـعـالـيّ نصـلّـي لـربِّ الـوجودِ
لـيـغـمُـرَ بـالـدين أعـمـارَنا

لأنـكِ أنـتِ .. لأنـي أنـا
تسـيرُ الـحـياةُ رخاءً بِـنـا

ظـلـمـناكِ دهـراً فـهـل تـغـفـرينَ ؟!
ومِـثـلُـكِ يصـفحُ عـمَّـنْ جَـنـا

مَن أخبرَ الروحَ أن المصطفى فيه ؟!

أُهدي إليكَ نشيداً رحتُ أخفيهِ ... بين الدموع ، حلاواتٌ الهوى فيهِ

أهدي إليك فؤاداً راح يسكنهُ ... عطرُ الحبيب، فما أزكى معانيهِ

بين الصِّحاح تجوبُ الروحُ سائلةً ... عنه الحروفَ ، وكم جلّتْ مغانيهِ

لو كنتُ أدري حديثَ الركب إذ رحلوا ... نحو الحجاز هوىً .. لو كنتُ أدريهِ

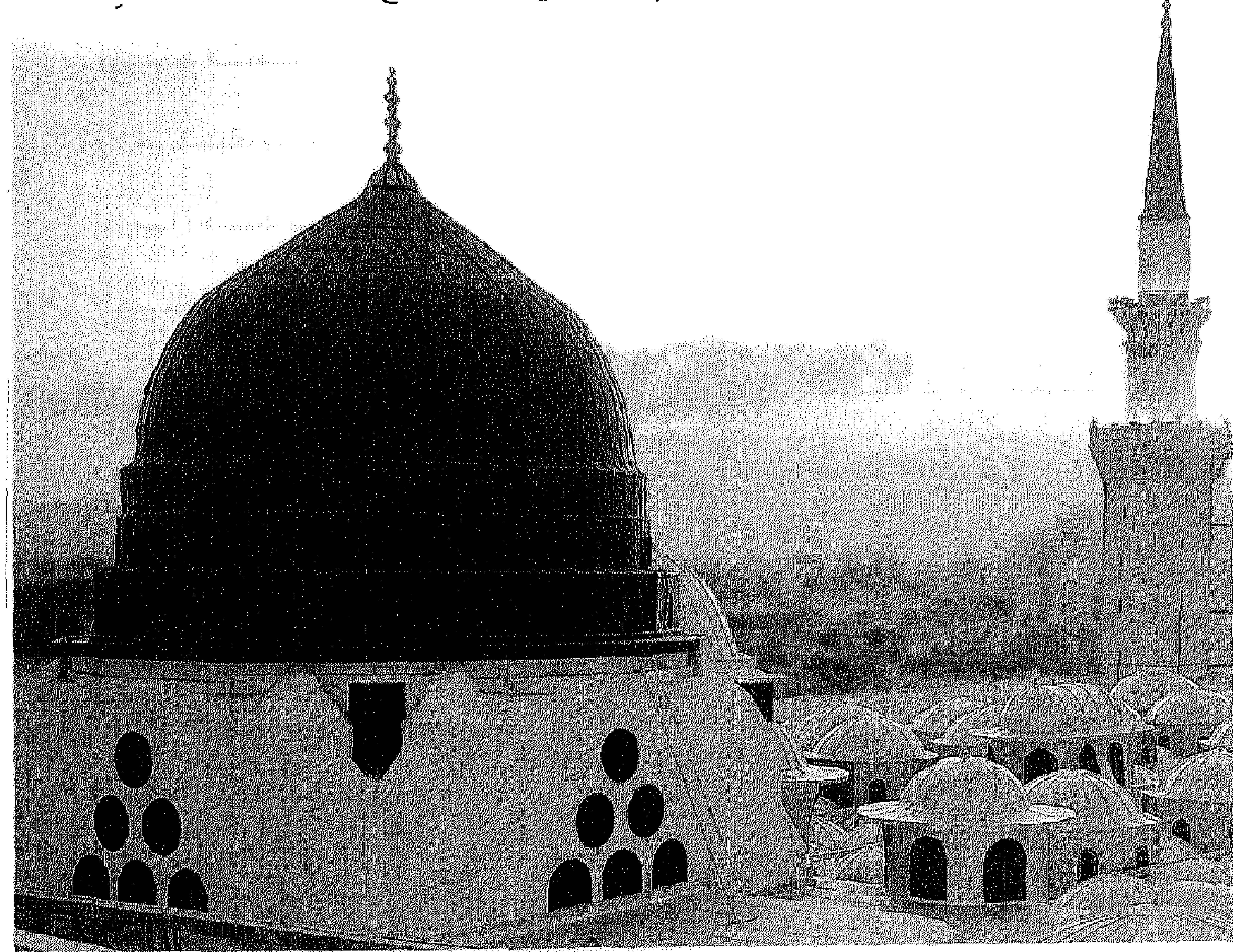
شدوا الرحالَ وفي أرواحهم طربٌ ... يحدو الجِمالَ ، فيطوي الدربَ حاديهِ

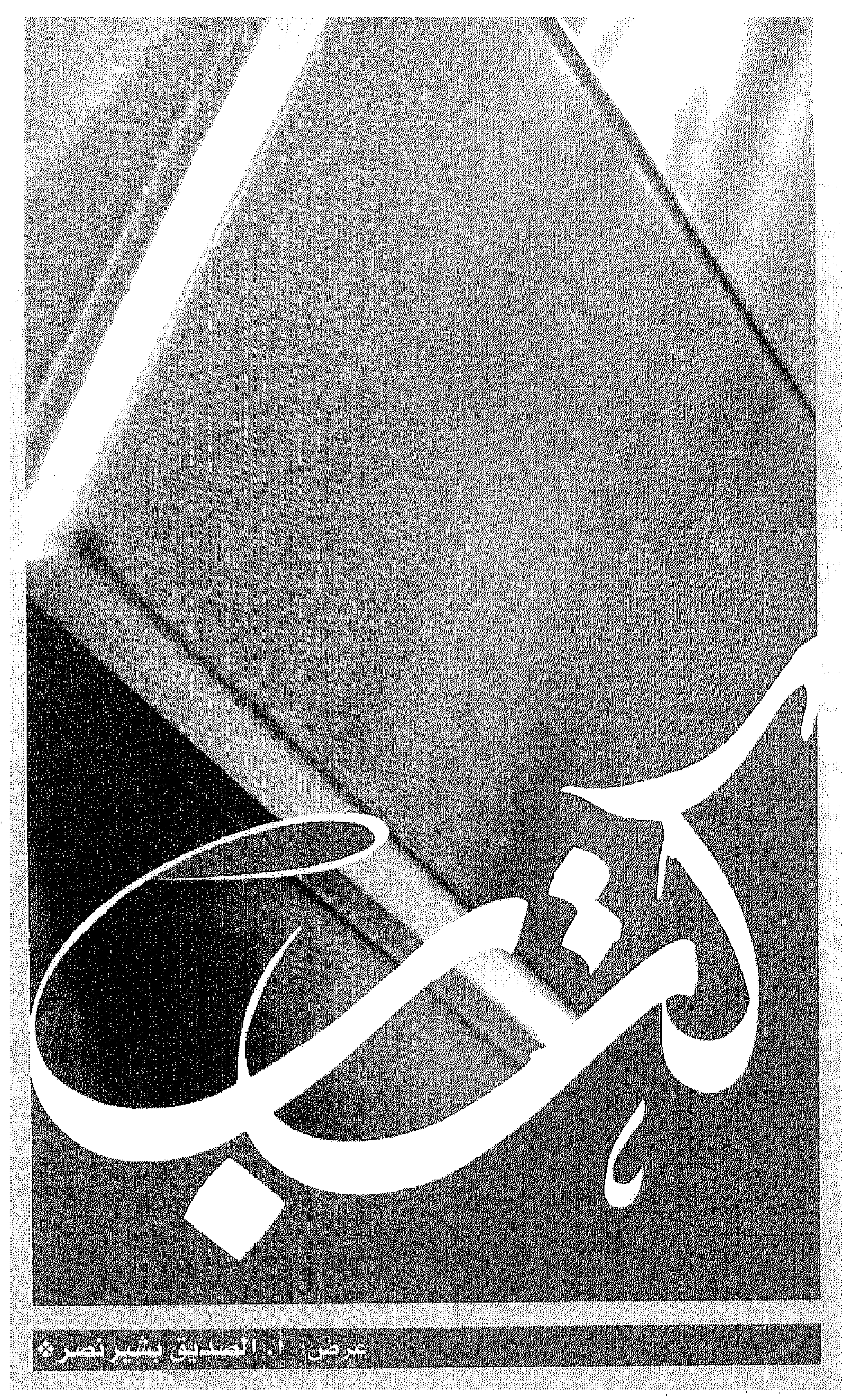
ساروا إليكَ وكان الشوقُ يحملهمْ ... لكنّ شوقي أنا حارتٌ أمانيهِ

ساروا إليكَ وراح القلبُ يسألهمْ ... لو يعلمُ القلبُ أن الدربَ يبغيهِ !

أوَ يعلمُ الركبُ أن الروحَ تَسبقهمْ ... نحو الحبيبِ ، فهل حقاً تلاقيهِ !

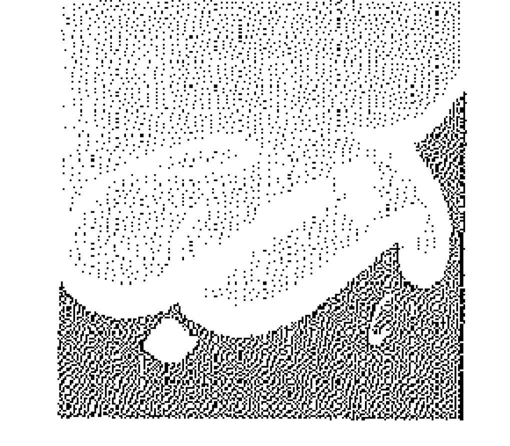
روحي تطير وتهوي عند مسجدهِ ... من أخبرَ الروحَ أن المصطفى فيهِ !؟



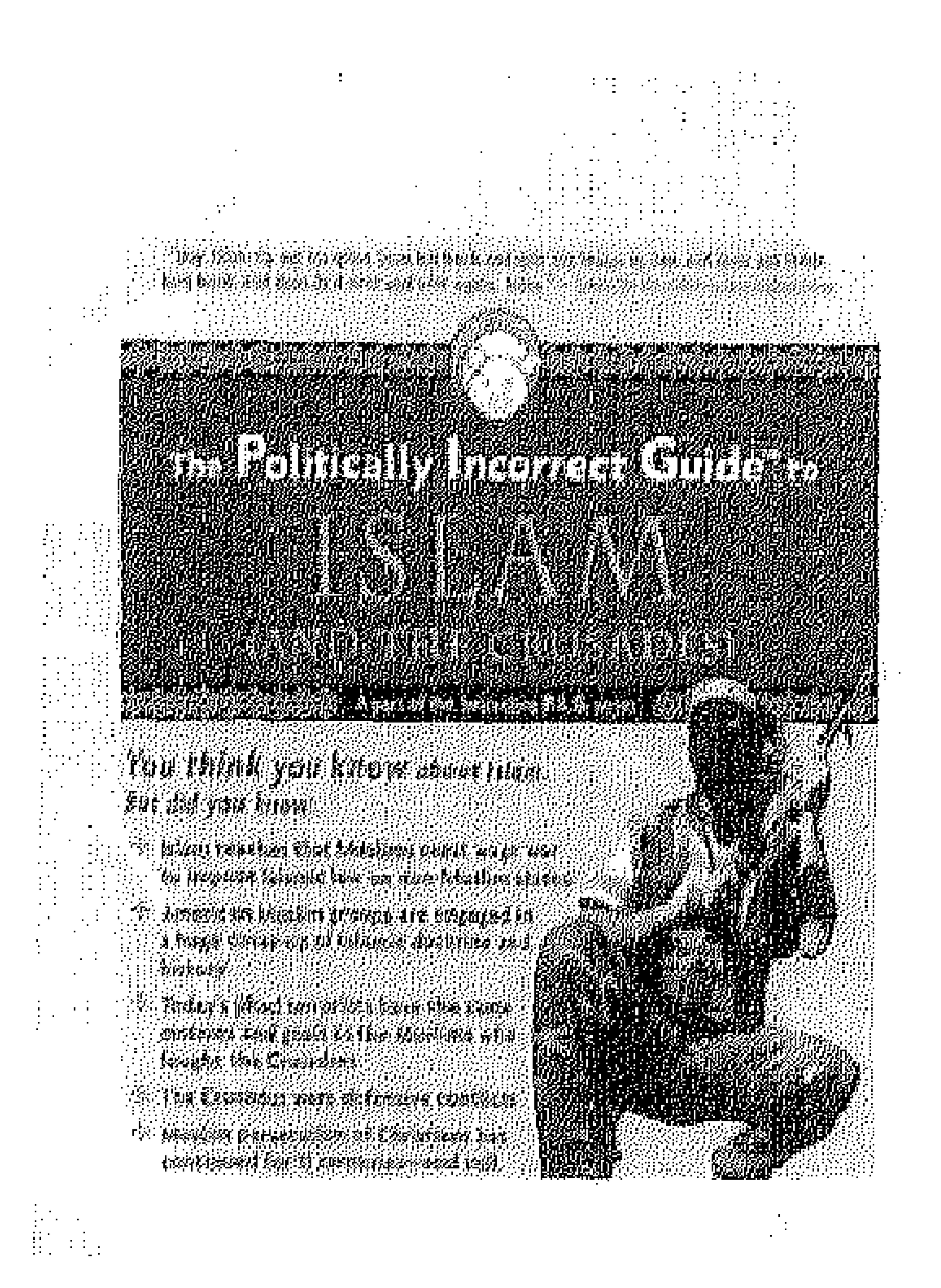


* المرشد الباطل سياسياً إلى الإسلام
* بعث المقبور.. أحوال المرأة في الإسلام
* المكتبة

* باحث وأستاذ جامعي / ليبيا



المرشد الباطل سياسياً إلى الإسلام



المرشد غير الصحيح (المشوب)
سياسياً إلى الإسلام

The Politically Incorrect
Guide to Islam

كتاب من تأليف روبرت سبنسر

Robert Spencer

قامت بنشره مؤسسة

Regency Publishing, Natl Book Network

في أغسطس 2005، ويقع في 270 صفحة.

يتكون الكتاب من مقدمة و قسمين، ويحتوي كلّ قسم على تسعة فصول، مرتبة على النحو الآتي:

❖ المقدمة

❖ القسم الأول: الإسلام

ـ الفصل الأول: محمد. نبي الحرب

ـ الفصل الثاني: القرآن: كتاب الحرب

ـ الفصل الثالث: الإسلام: دين الحرب

ـ الفصل الرابع: الإسلام دين التعصب

ـ الفصل الخامس: الإسلام يضطهد المرأة

ـ الفصل السادس: الشريعة الإسلامية: كذب، سرقة، قتل

ـ الفصل الثامن: كيف قتل الله العلم

ـ الفصل التاسع: هل انتشر الإسلام بالسيف؟ أتراهن؟

❖ القسم الثاني: الحملات الصليبية

ـ الفصل العاشر: لماذا كانت الحملات الصليبية؟

ـ الفصل الحادي عشر: الحملات الصليبية: الأسطورة والحقيقة.

ـ الفصل الثاني عشر: الحملات الصليبية: ماذا حققت؟ وفيم أخفقت؟

ـ الفصل الثالث عشر: ماذا لو لم تحدث الحروب الصليبية؟

- الفصل الرابع عشر: الإسلام والمسيحية: تراث متكافئ؟
- الفصل الخامس عشر: الاجتهاد يتواصل.
- الفصل السادس عشر: الإسلاموفوبيا والجهاد الأيديولوجي اليوم.
- الفصل السابع عشر: نقد الإسلام قد يكون خطراً على حياتك.
- الفصل الثامن عشر: الصليبية التي ينبغي أن نقاتل بها.

ومؤلف الكتاب معروف بكراهيته للإسلام، ومعاداته للمسلمين، وترويجه للمفاهيم الفاسدة عن الإسلام التي تفصح عن جهله به. وهو يدير موقعاً على الشبكة الدولية اسمه جهاد ووتش Jihad Watch ينضح حقداً وتحريضاً وتشويهاً لكل ما يتصل بالإسلام ونبيه.


مؤلف الكتاب روبرت سبنسر

والنظر في عناوين كتابه هذا يكاد يكشف عن مضمونه.

وقد سبق كتابه الأخير هذا عدة كتب أخرى هي: (إماطة اللثام عن الإسلام: مسائل مزعجة عن أسرع عقيدة نمواً في العالم)، و(الجنود المسلمون يتقدمون: كيف يهدد الجهاد أمريكا والغرب)، و(خرافة التسامح الإسلامي: كيف تهدد الشريعة الإسلامية غير المسلمين).

وقد قوبل هذا الكتاب، شأنه شأن الكتب الأخرى المعادية للإسلام، بالتقريظ والثناء.

وفي مقابلة مع المؤلف روبرت سبنسر أجرتها معه Frontpage يقول إنّ كتابه الأخير هذا هو ردّ على من يزعم أنّ الإسلام دين التسامح أمثال: جون ايسبوسيتو John Esposito في كتابه: (التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة؟)، و كارين ارمسترونغ Karen Armstrong في كتابها: (مختصر تاريخ الإسلام)، ويحيى إميريك Yahiya Emerick في كتابه: (الدليل الكامل لفهم الإسلام). ومن عنوان كتاب إيميريك استمد روبرت سبنسر عنوان كتابه الأخير.

ويقول في هذه المقابلة: «أخبرني كثير من المحافظين المعروفين أن التركيز على عناصر الإسلام سيزيد من حدّة العنف والتعصب، وأنني بذلك سأنفّر المسلمين المعتدلين الذين يمكن أن يكونوا حلفاءنا في محاربة الإرهاب الإسلامي. وهم بقولهم ذلك يزعمون أنّ الإسلام في جوهره دين سلام، وعلى أمل أنّنا سنكسب بهذا الخطاب بعض الأصدقاء في العالم الإسلامي.

ونحن إذا رفضنا الاستكشاف الصحيح لما يدفع المسلمين اليوم نحو العنف بمعرفة بذوره في الإسلام فإننا بذلك لا نقدّم عوناً للمعتدلين من المسلمين.

نحن في الواقع نكسر الأرضية التي يقفون عليها بإنكار أنه لا شيء في دينهم يستحق أن يحاربوا من أجله إذا شاءوا أن يقيموا إطاراً لوجود سلميّ بين المسلمين وغير المسلمين.

وسئل أيضاً: «إذا كان الإسلام دين سلام وتسامح حقاً فلماذا هو خطير إلى حدّ أن تقول فيه ما قلت؟ فأنت مثلاً تعرضت للتهديد بالموت قبل سنوات. هل لك أن تحدثنا قليلاً عن ذلك؟» فأجاب: «نعم. كانت تلك التهديدات تريد مني أن أقول إن الإسلام دين تسامح وسلام، وإلا سأقتل. ولكنني لن أتوقف عن قول الحقيقة بسبب تهديداتهم، وإذا امتنع المرء عن قول الحق لأن الآخرين لا يريدون ذلك فماذا سيكون شكل العالم؟».

إنّ موقع Jihad Watch الذي يديره المؤلف يلخّص بوضوح المدرسة الفكرية والسياسية التي

ينتمي إليها روبرت سبنسر.

إنّ الكتاب، موضوع العرض، هو من أسوأ ما خرج من كتب وأردأها، إن لم يكن الأسوأ، في منظومة الكتب المعادية للإسلام.

والمؤلف تنتابه مجموعة من الهواجس، ويخيّل إليه أنه متهم من القرّاء بسبب تحامله المفضوح في كتاباته، وهو بذلك يعبّر صراحةً عن مدفون صدره. فتحت عنوان (أسئلة متكررة) في موقعه يوجّه أسئلةً إلى نفسه ويجيب عنها. وهذه الأسئلة والأجوبة خير مفتاح لفهم عقلية هذا الكاتب الذي يقول إنه درس الشريعة والفقه الإسلامي وتاريخ الإسلام بعمق في جامعة نورث كارولاينا في Chapel Hill منذ سنة 1980.

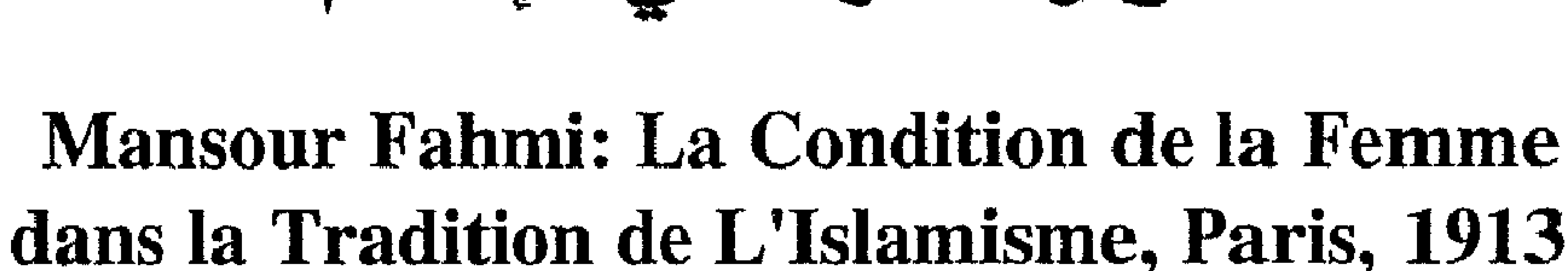
يقول المؤلف: «لقد طُلِبَ مني بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر أن أميط اللثام عن الإسلام من أجل تصحيح سوء الفهم للإسلام الذي انتشر في ذلك الوقت، وجواباً عن أحد (الأسئلة المتكررة) التي يفترضها ويجيب عنها، قال:

«ليس لي أجندا دينية. والناس يظنون أن مسيحياً لا يمكنه الكتابة عن الإسلام بدقة، مع أنهم لا يستطيعون إظهار المواضع التي لا تتسم بالدقة في كتبي. فـ (جهاد ووتش) فرصة لكل ضحايا الجهاد والمضطهدين من اليهود، والنصارى، والهندوس، والبوذيين، والمسلمين العَلْمانيين، والملاحدة لأن يتجمعوا من أجل الدفاع عن حقوق الإنسان العالمية. وربما كانت هنالك مسائل كثيرة نختلف فيها، ولكننا عند هذه المسألة (محاربة الجهاد) ينبغي أن نتحد من أجل البقاء، ويمكننا أن نسوي خلافاتنا فيما بعد. وأكثر الناس نشاطاً في (جهاد ووتش) هم من الكاثوليك واليهود والملاحدة». وسئل: «قرأنا أنك يهوديّ بالفعل» أجاب: «كلا. الجهاديون يصفون خصومهم بأنهم يهود. ويشرفني أن أقف مع اليهود والآخرين من أجل الدفاع عن حقوق الإنسان ضد الفكر الشمولي وأيديولوجيا الجهاد».. وسئلَ: «لماذا يتحوّل كثير من الناس إلى الإسلام ؟» فأجاب: «هنالك عناصر كثيرة جذابة في الدين (لاحظ أنه استنكف أن يقول في الإسلام) وأظن أن حقائقه الصلبة تروق لكثيرين من الناس الذين اشمأزوا من واقعية العالم الغربي وأخلاقياته. وثمة كذلك مظاهر كبيرة وغنية في التاريخ الإسلامي والثقافة الإسلامية ما يجعل الدين اليوم جذاباً. والجهاد العالمي ضد الغرب اليوم يساعد الإسلام في جمع مهتدين من الغرب من بين مجموعات تشعر بأنها مضطهدة أو مهمّشة. وقد نشط التحوّل إلى الإسلام بفعل الجهود الإسلامية في تقديم الإسلام باعتباره ديناً خالياً من آثام الغرب وخطاياه ولا سيما التمييز العنصري.وسئلَ: «قرأنا أنك تؤيد التهجير القسري للمسلمين الأمريكان» أجاب: «ليس صحيحاً إذا كانوا ملتزمين بالدستور الأمريكي، والتعددية الأمريكية، والدفاع عن أمريكا عن تعرضها لأي هجوم».

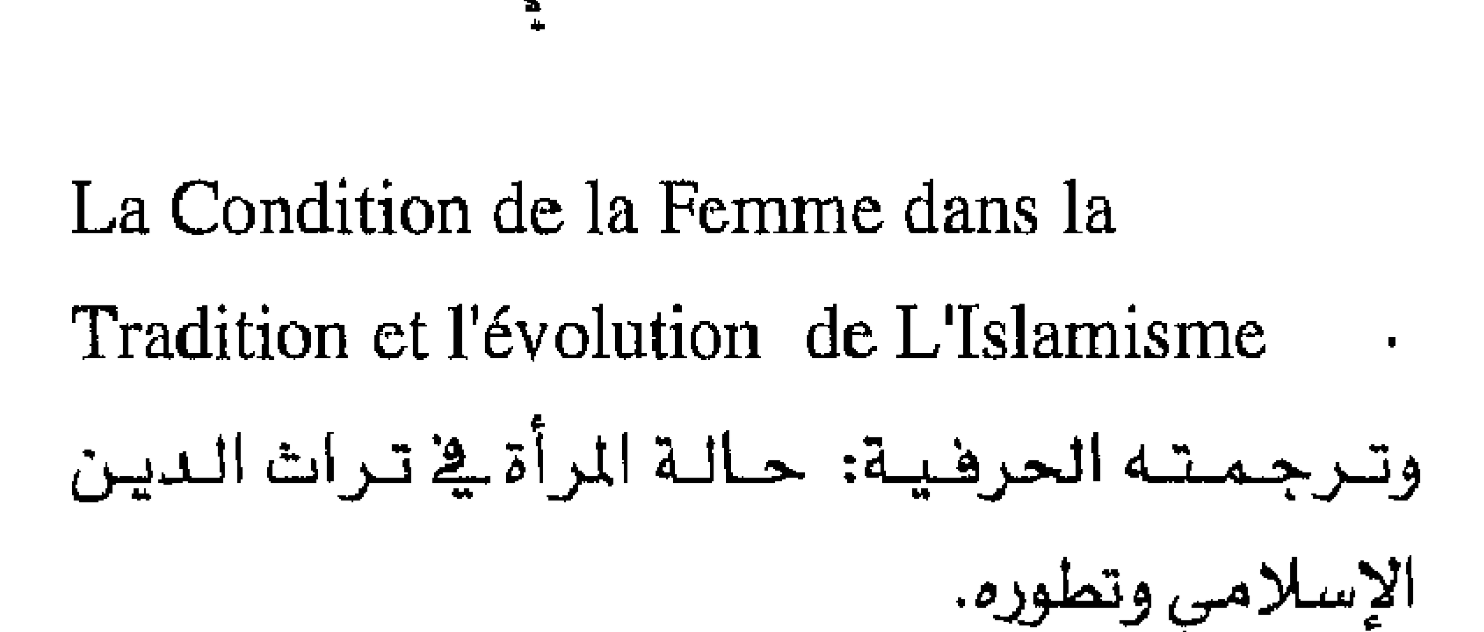
ان هذا الكتاب لا تتوفر فيه أدنى معايير المنهجية ولا البحث العلمي لأنه باختصار يقوم على فلسفة النفي المطلق التي ما أصابت مؤلفاً أو كتاباً إلا قضت عليهما.

تلك الأسئلة المفترضة التي كانت تدور في ذهن المؤلف، وأجابته عنها في موقعه، تنفع أن تكون مفاتيح لدراسة كتابه. ولعله ليس من غلوّ الكلام أن نقول ها هنا إن هذا الكتاب لا تتوفر فيه أدنى معايير المنهجية ولا البحث العلمي لأنه باختصار يقوم على فلسفة النفي المطلق التي ما أصابت مؤلفاً أو كتاباً إلا قضت عليهما. فكل محاسن الإسلام مساوئ، مع أنه يصرح في كلامه عن المهتدين إلى الإسلام في الغرب بخلاف ذلك، اللهم إلا إذا كان أولئك المهتدون من البله والسذج والأغبياء الذين يستبدلون الإسلام بدياناتهم.

بعث المقبور..
أحوال المرأة في الإسلام



Mansour Fahmi: La Condition de la Femme dans la Tradition de L'Islamisme, Paris, 1913



أصل الكتاب رسالة دكتوراه بجامعة السوربون قدمها منصور فهمي بإشراف ليفي بريهل Lévy Bruhl سنة 1913.

وهي رسالة أثارت في حينها زوبعة فكرية كبيرة في الجامعة وعلى صفحات المجلات والصحف وأشهرها (المؤيد) التي كان يرأسها الشيخ علي يوسف.

أسفرت تلك الزوبعة على رفض الجامعة المصرية الاعتراف بدرجة الدكتوراة التي تحصل عليها منصور فهمي، ومنعه من التدريس فيها، ليعود إليها في سنة 1921.

ظلّ كتاب منصور فهمي مقبوراً من سنة 1913 إلى سنة 1990 حتى جاء من أخرجه من لحده ونشر نصه الفرنسي عن Post de H. Manna, Allia, Paris, 1990 أي بعد سبع وسبعين سنة من الطبعة الجامعية التي نوقشت في السوربون، وليس لها ناشر. ثم أعاد الناشر طبع الكتاب سنة 2002. قدّم لهذه الطبعة الفرنسية الجديدة شخص يُدعى محمد حربي. وتقع هذه الطبعة في 144 صفحة.

والمثير للانتباه أن عنوان الرسالة في الطبعة الأخيرة قد حُرّف بشكل مخالف للأمانة العلمية، حيث إن عنوان الرسالة الأصلي هو:

La Condition de la Femme dans la Tradition et l'évolution de L'Islamisme

وترجمته الحرفية: حالة المرأة في تراث الدين الإسلامي وتطوره.

فأصبح La Condition de la Femme dans L'Islam وترجمته: حالة المرأة في الإسلام.

ولا ريب أن الفرق كبير عند من له عناية ومعرفة عميقة بالإسلام والتراث الإسلامي.

كما أنّ القارئ قد يقف كثيراً أمام غلاف الكتاب الذي يصور هلالاً وصليباً ليتدبّر في مغزاه.

وفي سنة 1997 قامت دار (منشورات الجمل) ومقرّها في كولونيا، بألمانيا بنشر ترجمة عربية له على يد سيدة تسمى (رفيدة مقدادي) يقول الناشر إنها من مواليد برلين سنة 1937، وتقيم الآن في فلسطين المحتلة. وهذه السيدة مغمورة فلا نعرف هل هي عربية أم يهودية؟. وقد راجع الترجمة المدعو هاشم صالح وهو سوري يقيم في باريس له عناية بترجمة أعمال محمد أركون.

وأما الناشر العربي فهو (خالد المعالي) شاعر وناشر عراقي مقيم في ألمانيا، اضطرته الظروف إلى أن يغادر بلده ومدينته السماوة إلى لبنان في عام 1979،

ثم إلى فرنسا غير أنه لم يستقر فيها، فغادرها إلى ألمانيا وحطّ رحاله في مدينة (كولونيا) وهناك أسس داراً للنشر أطلق عليها اسم (منشورات الجمل) عام 1983. وقد قامت هذه الدار بنشر كتب في الأدب والشعر، وعناوين في الفكر الإسلامي لكتّاب لهم مواقف فكرية مناوئة للإسلام، مثل:

عبد الكريم خليل، صاحب المؤلفات المثيرة للجدل. وقد نشرت له دار (منشورات الجمل) كتابه (النصّ المؤسس) الذي روّج فيه لأفكار فاسدة ومفاهيم منحرفة عن القرآن.

المواقع المعادية للإسلام ترحب بالكتاب

ما معنى أن تحتفي بالكتاب مواقع على الشبكة الدولية معروفة بمعاداتها للإسلام؟

إنّ الترويج لهذا الكتاب في ترجمته العربية وتوزيعه مجاناً في مواقع صليبية حاقدة، ومواقع أخرى تجاهر بالإلحاد، أمر يدعو إلى الريبة. ولا يمكن بحال من الأحوال، أن يتم ذلك دون الحصول على الإذن من الناشر، وإلا جرّ تلك المواقع إلى المقاضاة القانونية، كما هو معروف، لا سيما أن كثيراً من دور النشر، تسعى إلى تحقيق أكبر ربح من منشوراتها، وهي بالتأكيد لا تقوم بطبعها حسبةً ونيلاً لرضوان الله.

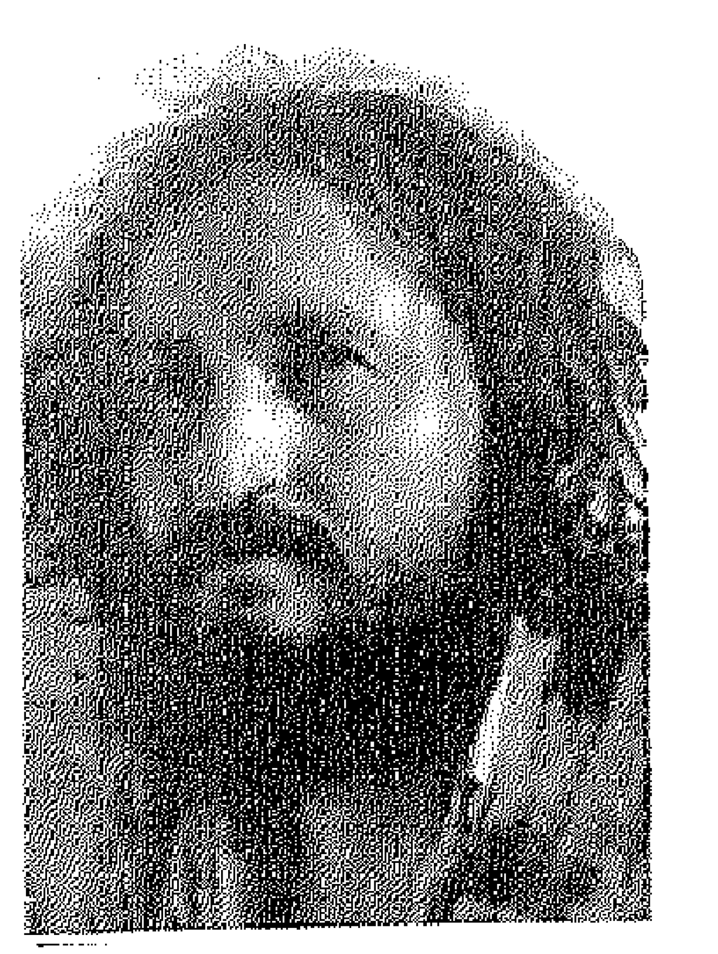
ومن المواقع الصليبية والإلحادية والعلّمانية التي تروّج للكتاب:

- http://www.answering-islam.org
- http://www.yassar.freesurf.fr
- http://atheisme.free.fr.

يقع الكتاب في أربعة فصول:

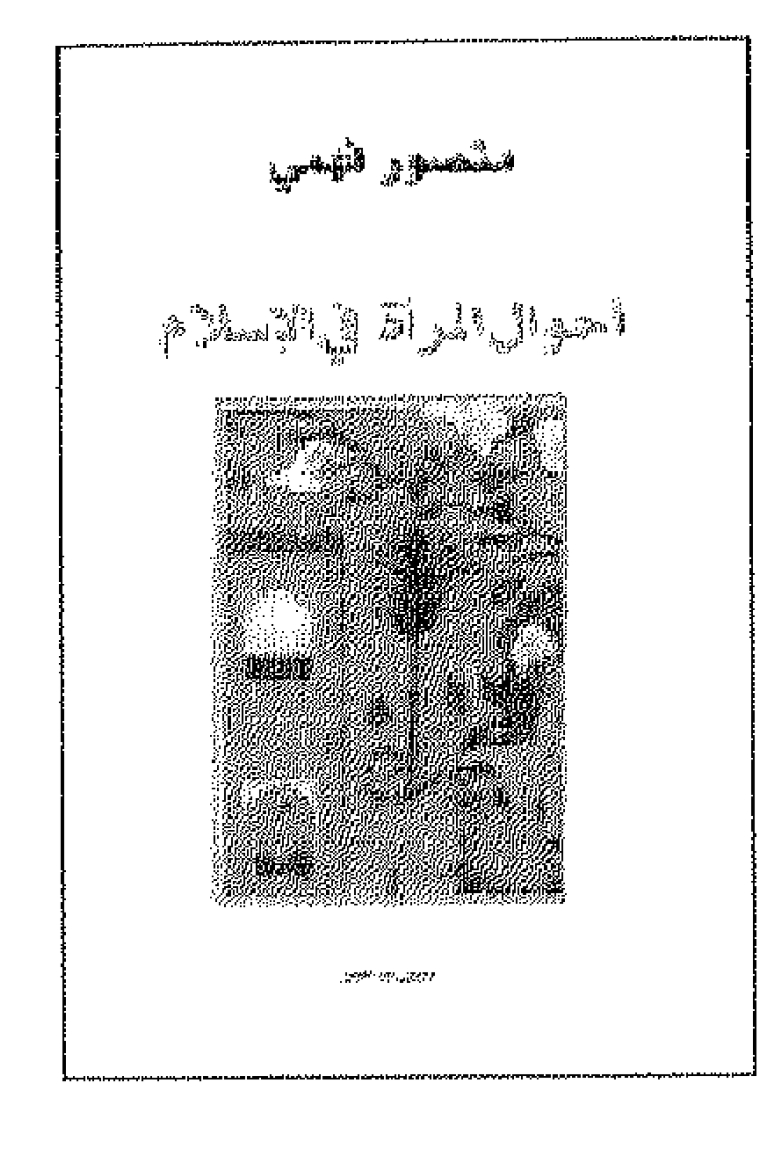
- التمهيد
- المقدمة.
- الفصل الأول: محمدﷺ والمرأة.
- الفصل الثاني: الحجاب والعزلة.
- الفصل الثالث: العبودية في القانون.
- الفصل الرابع: المرأة ومبادئ القانون الإسلامي.


د. منصور فهمي


خالد المعالي
صاحب منشورات الجمل

حكاية كتاب منصور فهمي

ولد منصور فهمي في محافظة الدقهلية بمصر عام 1886، ودرس في كتّاب القرية.وعندما أتم دراسته الابتدائية بالمنصورة التحق بإحدى المدارس الفرنسية بالقاهرة، وحصل منها على شهادة البكالوريا عام 1906، ثم التحق بكلية الحقوق. وبعد عامين من الدراسة بها وفي سنة 1908 اختير ضمن أحد عشرة طالباً للدراسة بالجامعات الأوروبية،



وهم الدفعة الأولى التي أريد أن تكون نواة الجامعة المصرية التي تأسست في ذلك العام.

لم ينل منصور فهمي حظاً من المعرفة بالشريعة الإسلامية، فكان فريسة سهلة لتأثير المفكرين الماديين في فرنسا، وعلى رأسهم عالم الاجتماع الفرنسي اليهودي، ليفي لوسيان بريل Lévy Lucien Bruhl، وهو الأستاذ الذي اختاره ماسبيرو orebsaM, عرّاب جامعة فؤاد ليكون مشرفاً على منصور فهمي. وكان ليفي بريل متأثراً بالفيلسوف الفرنسي أوجست كونت Auguste Comte، ويظهر ذلك في كتابيه: العقلية البدائية، و(الميثولوجيا) البدائية. واختير لمنصور فهمي أن يدرس الفلسفة بدلاً

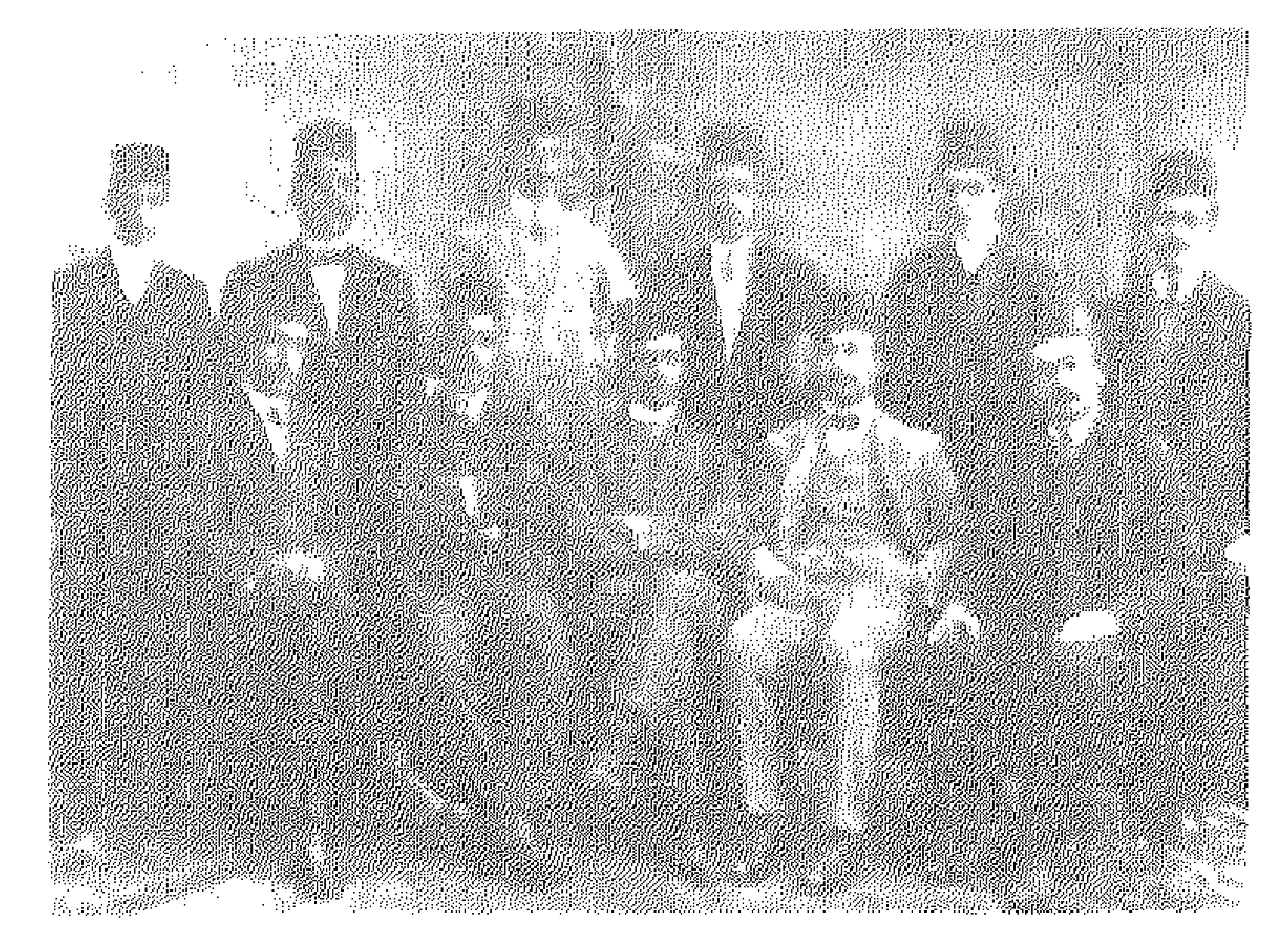
من الحقوق، ثم انتهى به المطاف إلى دراسة الإسلام على يد رجل ينكر الأديان ويعدّها أساطير.

قدّم منصور فهمي أطروحته المذكورة للدكتوراة، ونوقشت في سنة 1913 بجامعة السوربون وأجيزت بالرغم من اعتراض جامعة القاهرة على موضوعها. ويتحدث الباحث دونالد مالكولم ريد Donald Malcolm Reid في بحثه القيم عن دور المستشرقين في جامعة القاهرة (Cairo University and the Orientalists) والمنشور بالمجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط International Journal of Middle East Studies عدد فبراير 1987، فيقول:

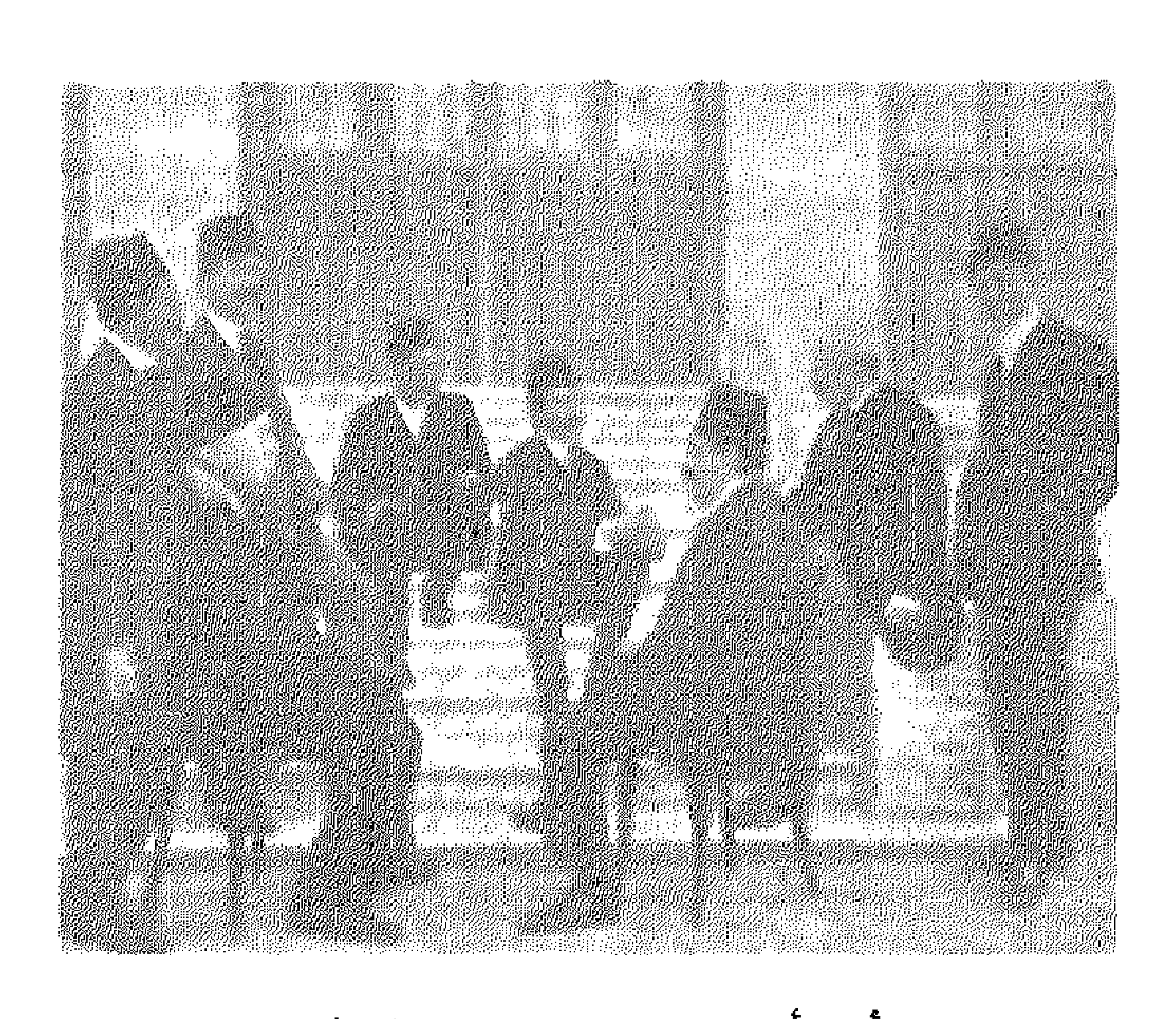
«بلغَ جامعة القاهرة أن أطروحة منصور فهمي عن (حالة المرأة في التراث الإسلامي) شوّهت الإسلام، فأبرقت إدارة الجامعة المصرية إلى باريس لتعليق مناقشة الأطروحة، التي حُدّد لها اليوم الأول من شهر ديسمبر 1913 لمناقشتها. ولكن المناقشة تمت في موعدها المحدد، ونال فهمي درجة الدكتوراه بامتياز. وبعد أربعة أيام اجتمعت هيئة الجامعة لتقويم الضرر الحادث. وكان من بين الحاضرين في الاجتماع السيد ماسبيرو وعالم الآثار الإسلامي علي بك بهجت، وغاب عن الاجتماع حسين رشدي الذي أصبح رئيساً للوزراء بعد ذلك، وعبد الخالق ثروت.

وتقرّر في الاجتماع الإبراق إلى باريس تطلب فيها إرسال ما تبقى من نسخ الأطروحة إلى جامعة القاهرة مباشرة وهي التي أنفقت على بعثة منصور فهمي وطباعة أطروحته. وأصدرت أمرها بعودة فهمي إلى مصر. كما أصدر مجلس الجامعة أمراً يوجب ضرورة الحصول على موافقة الجامعة المصرية مستقبلاً على موضوعات البحوث، واطلاع الجامعة على الأطروحات قبل أن يقدمها الطلاب المصريون إلى الجامعات الأوروبية. وفي يناير سنة 1914 فصلت الحكومة المصرية منصور فهمي من خدمتها، وألغت قرار تعيينه الوظيفيّ».

ويُقرّ هذا المستشرق في هذه الدراسة بأن منصور فهمي اتبع في تحليلاته مناهج غربية صنعها



المجموعة الأولى من طلبة جامعة فؤاد (القاهرة) المبعوثين إلى أوروبا سنة 1908 وعددهم 11 طالباً ويظهر منصور فهمي في الصورة وهو الثاني من الواقفين يميناً



ماسبيرو أحد أعضاء المجلس الإداري بالجامعة المصرية القديمة يبدو في الصورة واقفاً (الثاني إلى اليمين) ويبدو الأمير فؤاد جالساً (إلى اليمين)

مستشرقون عُرِفَ بعضهم بعدائه للإسلام، أمثال: رينان، ولامانس، وغيرهما.

يقول منصور فهمي في مقدمة كتابه واصفاً بحثه هذا: «وهذا البحث، بالنسبة لنا، هو مناسبة للإشارة إلى التأثيرات الإيجابية التي أثرت على دراستنا العلمية: وُلدت مسلمًا، ونشأت في وسط مسلم وبعدها جئت إلى باريس لإتمام دراستي. وفي باريس، وتحت إشراف الأستاذ القدير ليفي بريهل، اكتسبت المناهج الضرورية للبحث الدقيق. وبحثنا هذا توخّى الحقيقة ولا شيء آخر».

ويبدو أنّ المؤلف كان يتوقع ابتداءً ما ستحدثه دراسته من أثر سلبي في نفوس المسلمين، فقال:

«ولهذا آمل من أهلنا وأصدقائنا أنْ لا يستاءوا منّا وأنْ لا يثير عملنا هذا ابتسامات السخرية والتعليقات اللاذعة بسبب غرابة دراستنا المطبقة على بعض التقاليد والمؤسسات، فلا مبرّر للتهكّم أو للغضب الذي إنْ دلّ على شيء فهو يدلّ على عقليّة ضيّقة أو مُغلقة. فالعالم يتجاهل هؤلاء لأنّه يبحث عن الحقيقة. فهل هناك من شعب يخلو من تقاليد شاذّة أو غريبة، إنْ حكمنا عليها من وجهة نظر عصرية أو حديثة؟».

كما لم يفت منصور فهمي أن يتوجّه في مقدمة الكتاب بالشكر للأساتذة الذين انتفع بتوجيهاتهم، فقال:

«.. وأنْ نذكر سني الدراسة في السوربون، وذكرياتنا الحلوة في الحي اللاتيني والانتظام المفيد الذي خلق منا عقولاً متفتّحة، فإننا ننتهز الفرصة لنقدّم خالص شكرنا وتقديرنا للجامعة المصرية، وإلى سمو الأمير أحمد فؤاد الذي شجّعنا كثيراً، وأرتن باشا، والبروفيسور ماسبيرو الذي عرّفنا إلى البروفسور ليفي بريهل الذي أظهر اهتمامًا كبيرًا بعملنا.

ولقد أشرنا سابقًا للتأثير الإيجابي الذي مارسه ليفي بريهل على تطوّرنا العلمي ولهذا نحن له شاكرون. و شكرًا أيضًا للسيد Picaet الذي اهتمّ في الماضي في عملنا لنيل الدبلوم.

وأخيراً لا ننسى البروفيسور Snouck-Hurgronje المستشرق الهولندي اللامع لنصائحه المفيدة أثناء إقامتنا في Leyden وعرفاننا بالجميل لمكتبة هذه البلدة».

> **لقد ابتلاني الله بالانحراف الذي سميته ردّة، ولكنّ الله الذي اختبرني بالانحراف هداني بالإيمان.**
> **منصور فهمي**

منصور فهمي
يتراجع عن الآراء الواردة في أطروحته

بالرغم من أن منصور فهمي تراجع عما جاء في كتابه، ولم يأذن بطبعه في حياته إلا أنه يُطبع ويوزّع مجاناً.

جاء في مجلة لواء الإسلام (عدد شوال 1378 هـ) بمناسبة وفاة الدكتور منصور فهمي:

«ولقد ذاكرناه مرّةً: كيف دخل الإيمان قلبك؟ فقال: لقد ابتلاني الله بالانحراف الذي سميته ردّة، ولكنّ الله الذي اختبرني بالانحراف هداني بالإيمان، ولقد كان انحرافي فكرياً، ثم اشتدت بي اللجاجة عندما رُميتُ بالكفرِ، واستمررت على ذلك حتى لقيتُ المرحوم الشيخ الأكبر حسونة النواوي حيث زرته في بيته في سنة 1925».

وبفضل نصح ذاك الشيخ أخذ منصور فهمي يقرأ القرآن والسنن فاكتشف مبلغ ما وقع فيه من خطأ. ولذلك لم يؤلف كتاباً بعد أطروحته تلك إلا كتاباً صغيراً بعنوان (أبحاث وخطرات)، ودراسة صغيرة عن مي زيادة.

وقد كتب في مجلة (حياتك) في ديسمبر 1958، يقول:

«.. وكانت رسالتي في الدكتوراة عن المرأة في الإسلام، واندفعت أكتب بحرارة الشباب المندفع، ويظهر أني انحرفت قليلاً حيث كانت معلوماتي عن الإسلام طفيفة. وحين قوبلت، في مصر، بضجة كبرى ازددت عناداً، ولكن الله كتب لي أن أجلس طويلاً مع بعض مشايخ العلماء من ذوي الأفق الواسع والصدر الرحيب، من أمثال: الشيخ حسونة النواوي، والشيخ مصطفى عبد الرازق، والشيخ علي سرور الزنكلوني. هؤلاء الذين يمثّلون «عالِمَ» الدين الحقيقيّ في عقولهم وعلومهم، فبدأت أتخلّص من الزيغ لأعود إلى حظيرة الدين».

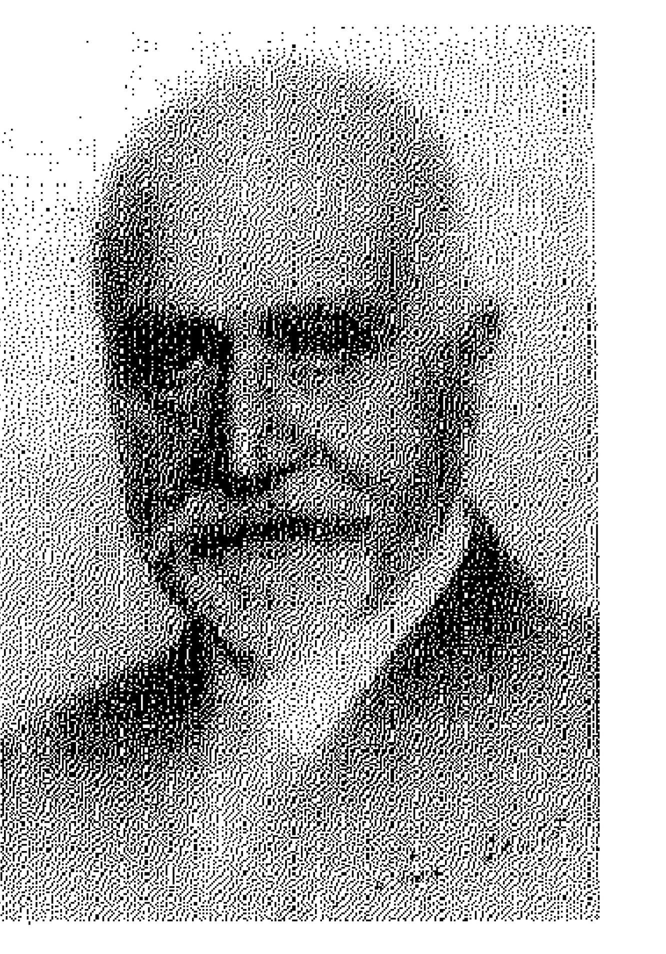
وقد استفاض الأستاذ المؤرخ أنور الجندي في بسط هذه الحقيقة في كتابه الرائع (المعارك الأدبية).

هل ورد في كتاب منصور فهمي ما يسيء للإسلام؟

يزعم بعض العَلْمانيين، أنّ منصور فهمي لم يوجه إساءةً في كتابه للإسلام. ويزعم فريقٌ آخر منهم، أنه لم يتجاوز الحقيقة، وكلّ ما ذكره حقٌّ وصواب. فما حقيقة ما جاء في هذا الكتاب؟ وما الذي دعا أعداء الإسلام إلى الترويج له؟

الكتاب، للأسف، مملوء بالأوهام والأخطاء. وليس من رأى كمن سمع. فبعد ترجمة الكتاب إلى العربية ظهر ما فيه من أخطاء وزلل.

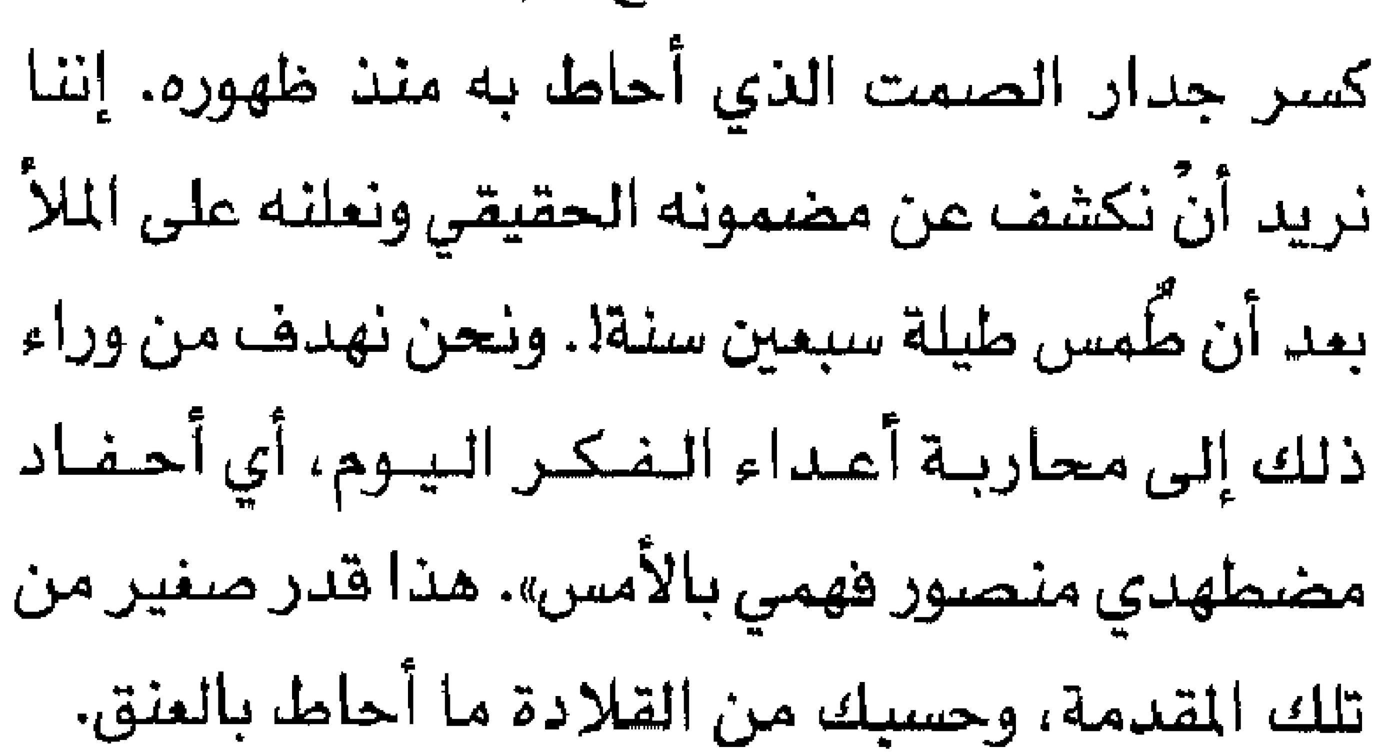
ولعلّ التقديم الذي وضعه المدعو محمد الحربي للكتاب في طبعته الفرنسية الثانية يفصح عن هذه العقلية المعادية للإسلام باسم الدفاع عن حرية التفكير. فاقرأ قوله:



ليفي بريهل
أستاذ منصور فهمي

«هذا الكتاب ليس مقالة هجائيّة موجهة ضد وضع المرأة في المجتمعات الإسلامية من أجل إدانته والتشهير به أمام الغرب. وإنّما هو عبارة عن أطروحة دكتوراة نوقشت في السوربون عام 1913 وقت كانت فيه أطروحات الدكتوراة تمثل عملاً علميًّا جادًّا يتمتع بكل مواصفات الدراسات الأكاديمية الصارمة. وكان يمكن لهذه الأطروحة أن تختفي تحت أنقاض الدراسات الجامعية الأخرى، لولا أنّ حراس النظام التقليدي القديم قد هاجموها وصبّوا عليها جام غضبهم. وهم بذلك أشهروها على غير علمٍ منهم، وأتيح لها بالتالي أنْ ترى النور وتنتشر بين الناس.

في الواقع إنّ منصور فهمي كان قد تعرّض للهجوم فور عودته إلى مصر. فقد شهّر به بعض الصحفيّين الذين لا ضمير لهم. وحرّضوا عامة الناس عليه لكي ينتقموا منه. وممّا يؤسف له أنّ السلطات الجامعية قد انحنت بكل عار أمام هذه الحملات الصحفيّة الكاذبة، ولم تفعل شيئًا للدفاع عن أحد أعضائها: الدكتور منصور فهمي. وقد تمّت محاكمته بناء على تقرير لئيم ومغرض يقول ما معناه: إنّ المدعو منصور فهمي قد ناقش في فرنسا أطروحة دكتوراة مضادة للإسلام ونبيّه، وذلك تحت إشراف «أستاذ يهودي» يُدعى ليفي بريهل! وهكذا اضطهد منصور فهمي وأزيح عن التدريس الجامعي في مصر، ولم يعد إلى الجامعة إلا بعد ثورة 1919. ولكن يمكن القول بأنّه قد نسي من قبل الناس ولم يعد موجودًا كمفكر بعد عودته تلك. فقد حطمته الرقابة الصارمة والضغوط الاجتماعية وقضت على آماله وأحلامه في التقدم والبحث العلمي. إنّ من يجهل الإكراهات اليوميّة الممارسة على الوعي في المجتمعات الإسلامية لا يمكنه أنْ يفهم مسار منصور فهمي ولا مصيره. والواقع أنّه تأثّر كثيرًا من الناحية النفسية بعد أنْ أنكروا عمله واحتقروه ولم تقم له قائمة بعدئذ. نقول ذلك على الرغم من أنّه كان باحثًا صاعدًا يعد بعطاء كبير. إننا ننبش هذا الكتاب من تحت الأنقاض اليوم وننشره باللغة الأصلية التي كتب بها: أي الفرنسية.ولكننا نرفق هذه الطبعة الفرنسية بترجمة عربية سوف تصدر قريبًا. إننا ننشره ليس فقط كنموذج على



الفكر النقدي المطبق هنا على وضع النساء المسلمات في المجتمع، وإنّما نهدف أولاً إلى كسر جدار الصمت الذي أحاط به منذ ظهوره. إننا نريد أنْ نكشف عن مضمونه الحقيقي ونعلنه على الملأ بعد أن طُمس طيلة سبعين سنة!. ونحن نهدف من وراء ذلك إلى محاربة أعداء الفكر اليوم، أي أحفاد مضطهدي منصور فهمي بالأمس». هذا قدر صغير من تلك المقدمة، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

والحقيقة التي غابت عن المدعو محمد الحربي أن ترجمة هذا الكتاب كشفت عن مخبأته ولم يعد الكلام فيه مجرد ظنون كما كان قبل أكثر من سبعين سنة. وإذا كان حظه من معرفة الإسلام لا يبلغه القدرَ الذي يحكم به للكتاب أو عليه فإن في الأمة علماء قادرون على ذلك.

وها هو ذا بعض مما جاء من أباطيل في كتاب

منصور فهمي:

يقول منصور فهمي: «فيما بعد جاء الإسلام، بمؤسساته المختلفة، وقوانينه الثيوقراطية والعواقب التي أسفرت عنها، جاء وغيّر المفاهيم والسلوك وهكذا شُلّت حركة المرأة».

ويقول: «وعلى الرغم من أنّ محمداً ﷺ أراد حمايتها، أي المرأة، إلا أنّ الإسلام ساهم في انحطاط المرأة». ويقول: «فقبل مجيء الإسلام، كانت المرأة خاضعة لسلطة الأب أو الابن أو الزوج، وهذه السلطة، كما قلت سابقًا، كانت تُلطفها المحبة والعاطفة. أمّا الآن، ومع الإسلام، فقد وجدت المرأة نفسها خاضعة لسلطة الله، الله العادل، الذي حسب عدالته الفائقة، راح يصفع المرأة بالدونيّة».

ويقول: «نظريًا، أراد محمدﷺ أنْ ينهض بشأن المرأة، هذه التي بمفاتنها، أثّرت على إحساسه الشاعريّ، إلا أنّ الإسلام على نقيض نواياه حطّ من مكانة المرأة».

ويقول في الفصل الأول من كتابه:

«شرّع محمدﷺ القوانين للجميع واستثنى نفسه. فبينما يقدّم الدين المسيحيّ بطله يسوع في إطار مقدس، طبيعة فوقيّة عن البشر، فإنّ الإسلام يقدّم نبيهﷺ في شكل مختلف. فهو إنسان بكلّ ما في الكلمة من معنى: رجل حسّاس طيّب. رجل ذو نزوات وعواطف ورجل اجتماعي من الطراز الأوّل. لكن محمداًﷺ، الرجل الذي سنّ القوانين ليخضع نفسه والآخرين لها، منح لشخصه بعض الامتيازات. ففي اللحظة التي كان يسترجع وعيه فيها أدرك محمدﷺ أنّه من الصعب عليه أنْ يُلزم نفسه بالقوانين الصادرة عن الله، ومع هذا كان عازمًا كرسول أنْ يفرض هذه القوانين على الأمّة التي أراد تأسيسها، وبسرعة وجد حلاً للمعضلة: الاحتفاظ للرجال المبشرين برسالة سماوية حق التمتع بامتيازات لا تتمتّع بها عامّة الناس».

ويقول أيضاً: «وكل زواج يجب أنْ يعقد بوجود شهود ودفع المهر للزوجة. وأما محمدﷺ فإنّه تزوّج أكثر من أربع وأعفى نفسه من الشهود والمهر».

وزعمه أن رسول الله ﷺ لم يمهر نساءه فذلك محض افتراء، ففي الجزء الرابع من سيرة ابن هشام ذِكْرٌ لأزواجه ﷺ، وفيه أنه قدّم صداقاً للسيدة خديجة رضي الله عنها قدره عشرين بكرة، وأصدق عائشة أربعمائة درهم، وأصدق سودة بنت زمعة، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وزينب بنت جحش، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وميمونة بنت الحارث، وجويرية بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة بمثله، وأصدق أم سلمة (رضي الله عنهم جميعاً) فراشاً حشوه ليف، وقدحاً، وصحفة، ومجشة.

> **آفة منصور فهمي التي لم ينبهه اليها أستاذه الفذ ليفي بريل اعتماده على روايات تاريخية تالفة، لا تقوم بها حجة و لا ينبغي لطالب علم أن يستشهد بها، ولو فعل ذلك تلميذ مبتدئ لما سلم من النقد والتعنيف**

وعن الوحي، يقول منصور فهمي: «في سنّ النبوّة ـ أربعون عامًا ـ كان محمدﷺ يحبّ الانفراد بنفسه وغالباً ما كان يذهب إلى الوديان البعيدة باحثاً عن العزلة. وفي يوم وكان بعيداً عن بيته، تقول الأسطورة(!!)، يرى النبي في عزلته الملاك جبريل (عليه السلام) الذي يحجب عنه الأفق. «جعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته».

ويقول عن ما أسماه نزوات النبي: «فمحمد، مُشرّع القوانين الكبير، كان ينقاد لنزوات وتقلبات عائشة، فكان يعمل جهده ليرضيها فينزل إلى مستواها الطفولي، يركض ويلعب معها. والمثل الآتي يكفي للإشارة إلى مدى تأثيرها على القوانين القرآنيّة. كانت عائشة برفقة زوجها النبي في طريق عودتهما من غزوة عسكرية، وكانت الطريق التي عبروها ممراً قاحلاً جافاً وهناك تفقد عائشة قلادتها ويبدأ مرافقوا النبي بالبحث عنها لأن عائشة أصّرت على إيجاد القلادة. وطال البحث وأخذ المؤمنون يشعرون

بالقلق بسب قرب موعد الصلاة وتواجدهم في مكان لا ماء فيه، وهنا يبادر محمد يطمئن مرافقيه المؤمنين بعد أنْ طلب الإذن من الله أنْ يسمح لمرافقيه بالصلاة دون الوضوء. كل هذا لخاطر عائشة وهذه الحادثة هي أصل القاعدة القرآنيّة التي يعمل بها في الظروف حيث يتواجد المؤمنون في مكان بلا ماء فيه.»

ويقول أيضاً:

«ومحمد الرجل غاو (كذا في الترجمة العربية) النساء والعطور كان غالباً يستقبل الوحي السماوي في عزلته مع ابنة أبي بكر.

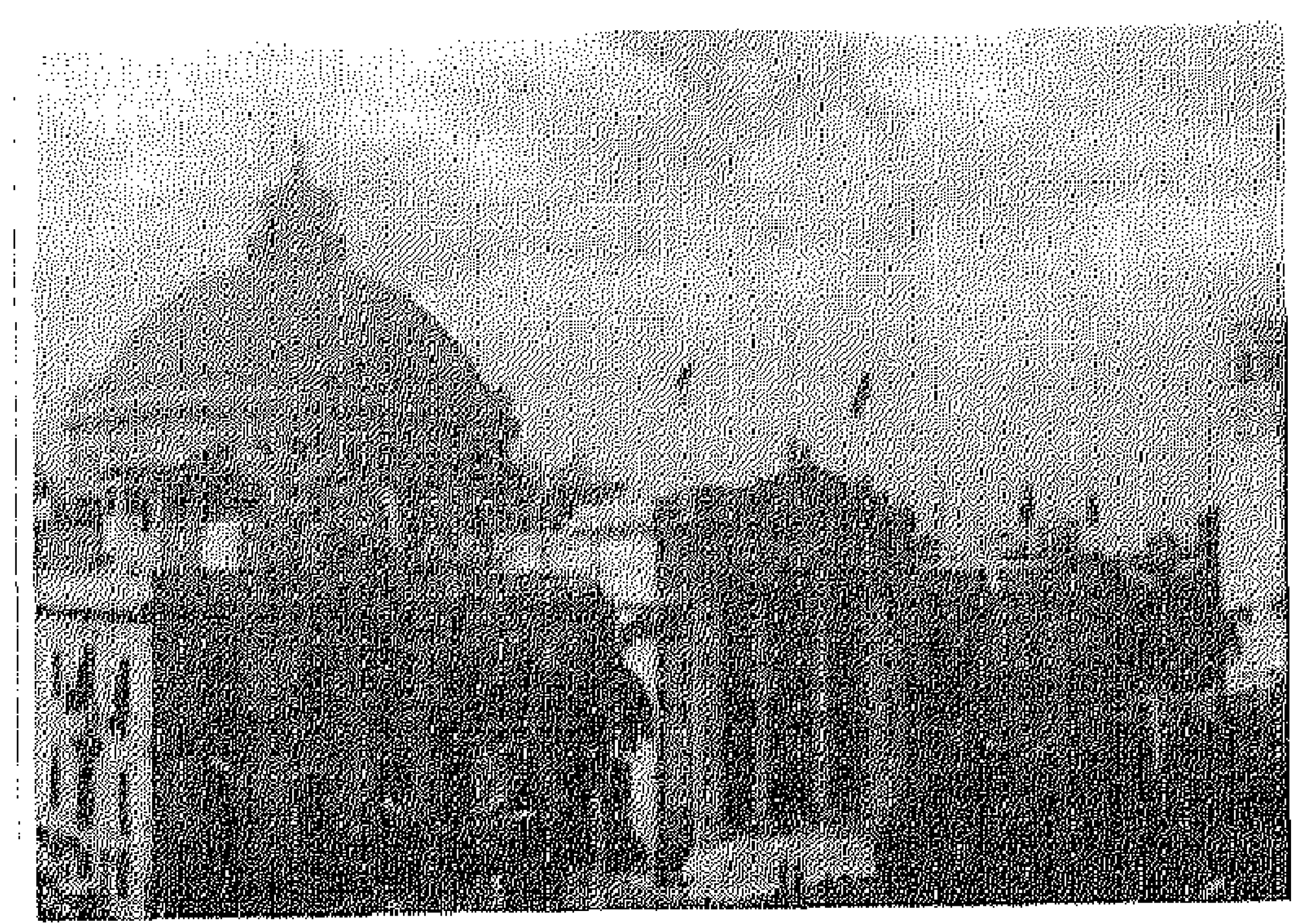
ويقول: «تمّ زواج محمد بزينب دون مهر أو شهود ودون تصريح من أحد. وما من شكّ فيه أنّه كان حقًّا فريدًا أنعمه الله به على رسوله وإنّ زينب كانت فخورة باهتمام العناية الإلهيّة بشخصها».

وقد رأينا بطلان هذا الكلام وأنه محض افتيات، وأن النبي ﷺ أمهر زينب صداقاً قدره أربعمائة درهم.

ويقول: «وحسب الروايات المتناقضة والغامضة التي تقول إنّ الرسول تزوج من ريحانة التي اختطفت كأسيرة حرب ولكنه ليس من الثابت عن ماهيّة العلاقة بين محمد وريحانة، البعض يقول إنّه فعلاً تزوجها والآخرون يقولون إنّها كانت خليلته فقط».

لم يَقُل أحدٌ من المؤرخين قط أن ريحانة هذه كانت خليلة للرسول، وهذا افتراء لا يليق بتلميذ، والمصدر الذي أشار إليه وهو طبقات ابن سعد لم يرد فيها ما ذكر. بل إن ابن سعد ساق كل الروايات التي تتعلّق بريحانة هذه وهي إمرأة يهودية وقعت في السبي، فاعتقها الرسول ﷺ وتزوجها. وقد صرّح ابنُ سعد بأن هذه الرواية هي أصح الروايات، وأن الروايات الأخرى التي تقول بأن الرسول كان يطأها بملك اليمين ضعيفة. يقول ابن سعد في الطبقات الكبرى: «وهذا ما روي لنا في عتقها وتزويجها وهو أثبت الأقاويل عندنا وهو الأمر عند أهل العلم» (8: 131). وواضحٌ أن مقصود المؤلف الإساءة إلى النبي ﷺ.

وآفة منصور فهمي التي لم ينبهه إليها أستاذه الفذ ليفي بريل اعتماده على روايات تاريخية تالفة، لا



جامعة القاهرة 1945

تقوم بها حجة و لا ينبغي لطالب علم أن يستشهد بها، ولو فعل ذلك تلميذ مبتدئ لما سلم من النقد والتعنيف، خاصةً وأن بحث منصور فهمي يقوم على الروايات التاريخية وتحليلها، وهذه أقلّ ما يُطلب فيها الصحة. ولكنه مع ذلك يُصرّح في موضعٍ من الفصل الأول تحت عنوان فرعي: حياة محمد العائلية، بفساد رواياته ومع ذلك لا يرى ضرراً من الاستشهاد بها فيقول: «ولكن علينا أنْ لا ننسى أنّ هذه الحكايات لا تملك دقة الحقائق التاريخية إلا أنّها تعطي فكرة عن البيئة الحياتية التي في نظر المؤمنين كانت المثل الأعلى لأنْ يقتدوا بها». والطريف أنّ منصور فهمي إذا وجد أحاديث نبوية ترفع من مقام المرأة عدّها موضوعة، وإذا وقف على أحاديث في ذم المرأة وهي مكذوبة نسبها إلى النبي، ولذلك يقول:

«لا شكّ أنّ جميع هذه الأقوال تكفي لتبرهن على وجود تراث آخر يظهر فيه النبي كحام للمرأة. لكن هذه الشواهد هل هي فعلاً أصيلة وهل نطق بها النبي؟ لقد سبق وأن لاحظنا أنّ ظاهرة التاريخ المقارن تعرض لنا عدّة أمثلة وأنّ الروايات تنسب إلى النبي أعدادا كبيرة من الأحاديث والتصرّفات التي من المؤكّد أنّه ليس بصاحبها أو قائلها. وهذه – أي الروايات – إنْ عبّرت عن شيء فإنّها تعبّر عن المجتمع الإسلامي في حقبة تأسيسه».

وهكذا يمضي المؤلف في كلّ أطروحته التي لا تتجاوز 160 صفحة يخبط خبط عشواء، أو كمن يضرب في بيداء مقفرة من غير هادٍ يهديه. وأما الترجمة فحدّث ولا حرج!!

الحضارة العربية الإسلامية

المؤلف : شوقي أبو خليل
الناشر : كلية الدعوة الإسلامية
448 صفحة / قطع متوسط



التواصل والعطاء قديم بين الحضارات، فما من حضارة قامت إلا وأخذت ممن سبقها، ثم أضافت وأبدعت، فحركة الحضارة حركة تناوبية، تأخذ وتعطي، تتأثر وتؤثر، وشرقنا أول من أعطى، ثم أخذ، ثم أعطى.

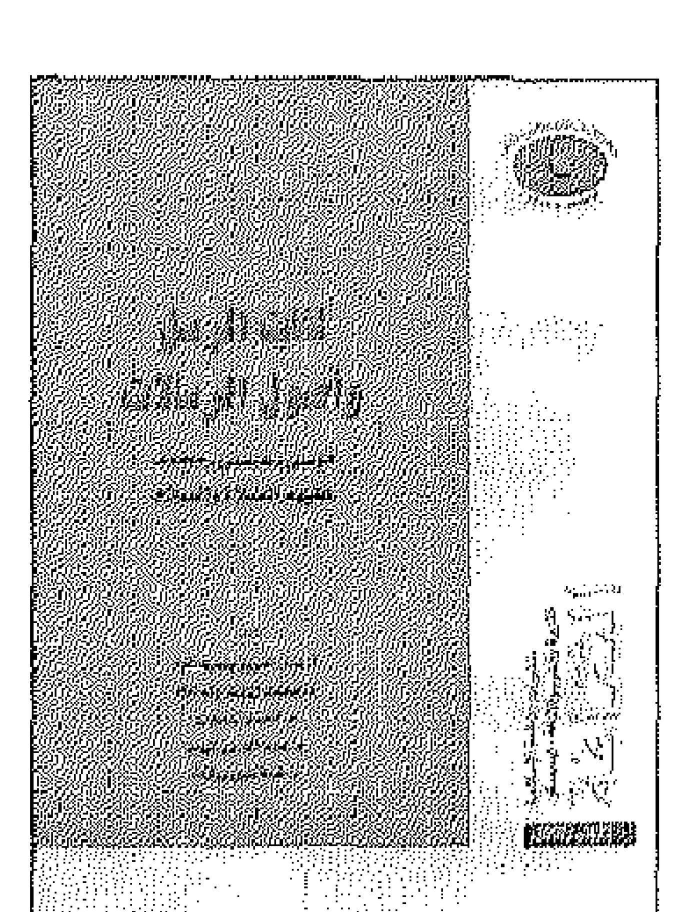
ولمّا جاء دور أمتنا في بناء صرح الحضارة قامت بالدور المطلوب منها بإتقان، قامت بعمل إنقاذي له مغزاه الكبير في تاريخ الإنسانية، فترجمت وصححت وصوّبت، ثم أضافت وأبدعت، كل ذلك بدقة وأمانة، ولو وجد الأوروبيون انتحالاً لفضحوا وهولوا، مستصرخين الأمانة العلمية، مع أنهم لم يكونوا أمناء على تراثنا عندما ترجموه واقتبسوه، لتبدأ نهضتهم العلمية بعدها مباشرة، فنسبوا قسما مما نقلوه إلى أنفسهم.

وللحضارة رموز تُعرف بها، وركائز تقاس عليها، وأهمها الجانب الأخلاقي والإنساني والروحي، لذلك جعلت حضارتنا العربية الإسلامية أهم وأثمن ما تملكه (الإنسان) فهو غاية في ذاته، سُخّرت له المادة، وضمنت له حريته وطمأنينته وكرامته :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [سورة الإسراء، الآية: 70]

والكتاب في الأصل مجموعة محاضرات ألقيت على طلاب كلية الدعوة الإسلامية / فرع دمشق، يقدم المؤلف فيها لمحات سريعة عن الحضارات التي سبقت الحضارة العربية الإسلامية، ثم يدرس حضارتنا من جميع جوانبها تقريباً، ويتوقف مع أثر هذه الحضارة في النهضة الأوروبية وقنوات انتقالها وتسربها إلى أوروبا.

لغات الرسل وأصول الرسالات



تأليف: مجموعة مؤلفين
الناشر: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)
237 صفحة / قطع متوسط

يتضمن الكتاب خمسة أبواب تتناول: الوحي في حياة البشر، لغة موسى عليه السلام ورسالته، لغة عيسى عليه السلام ورسالته، لغة محمدﷺ ورسالته، وخاتمة تقدم إجابة عن التساؤلات التالية: من أين جاء التناقض فيما بين أيدينا من علم بالرسالات السماوية؟ بأي لغة بلغت الرسل؟ وماذا دوّن الناس عنهم؟ لماذا نبحث عن تلك الأصول؟. كما يتضمن الكتاب نماذج من المصاحف والمخطوطات القرآنية.

ولا يخفى ما ترتكز عليه هذه الموضوعات من أهمية، ذلك أن البحث في أصول الرسالات السماوية وتوثيقها هو حق للناس كافة، لأن الوثائق التي تمثل أصول الرسالات التي نزلت على الأنبياء تهم شعوب الأرض جميعاً، وكذلك الحفاظ عليها هو فرض على البشرية، إذ أن ضياع أصول تلك الرسالات يؤدي إلى ضياع معالم الدين، وتفرق الناس عن الصراط المستقيم. ولكي تكون الأصول لبلاغ الرسل ذات فائدة بين الناس؛ يجب أن تكون قد سجلت خطاب الرسل مباشرة وكاملاً كما بلغوه، وأن تكون اللغة التي دونت بها تلك الأصول لا تزال من اللغات الحية، كي لا يكون على الناس مشقة في فك رموزها والتعرف على مضمون المكتوب.

ولا يخفى أن مرور الزمن وما ينتاب المجتمعات من ظروف متقلبة ؛ أدى إلى فقدان الوثائق الأصلية الأولى للرسالات السماوية قبل الإسلام، ولم يبق لرسالات السماء وثائق أصلية مدونة سوى الأصول القرآنية، فالقرآن يمثل أصح وأكمل وثيقة لرسالة سماوية دونت مباشرة كما سمعها الكتّاب من الرسول محمد ﷺ الذي بلغها، بل غنه يمثل الوثيقة الأصلية الوحيدة الباقية لنص سماوي لم يصبه تغيير بزيادة أو نقصان. تلك هي الرسالة الخاتمة التي هي ملك للإنسانية كلها وتخاطب كل الناس والمجتمعات..

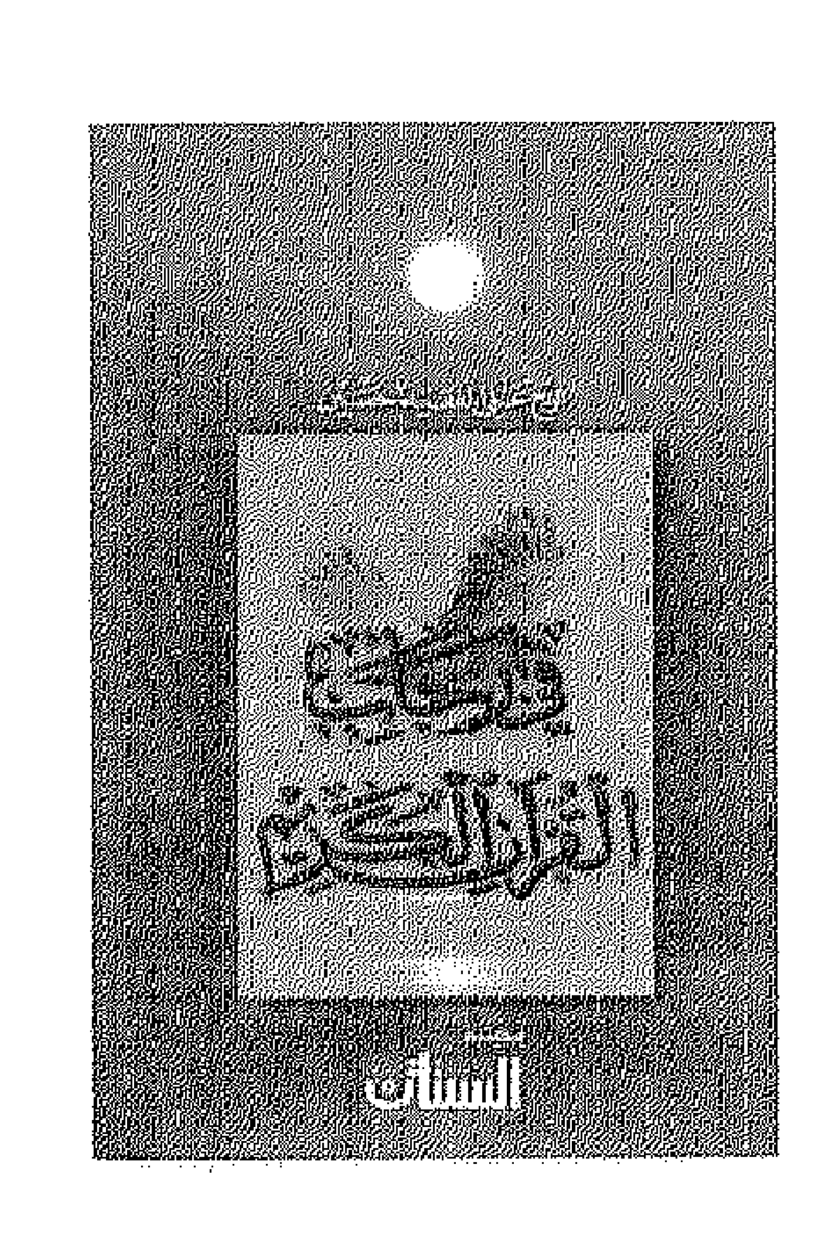
خَلْقُ الإنسان.. بين العلم والقرآن

المؤلف: د. حمد الرقعي
الناشر: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
136 صفحة / قطع صغير

شهد علم الأجنة تطوراً ملحوظاً خلال العقود الأخيرة، ويرجع هذا التطور إلى ظهور العديد من الأجهزة السمعية والبصرية، التي ساعدت العلماء في الوصول إلى حقائق جديدة، إلا أن السبب الرئيسي وراء هذا التطور كان رغبة الإنسان الدائمة في الوصول إلى حقائق جديدة، ودأبه المتواصل في سبيل الربط بين ما يتوفر له من هذه الحقائق. ولا يخفى أن الاهتمام بدراسة الأجنة وتطورها، ليس حديث عهد، بل إنه يرجع إلى القرن الخامس قبل ميلاد المسيح، فأبو قراط ألف كتاب (الأجنة)، الذي احتوى على ثلاث مقالات، في تكوين الجنين وأعضائه، كما أن أرسطو اهتم بالموضوع، وبعده بأزمنة أتى ابن طبري، والأهوازي، وابن سينا، والقرطبي، وابن مسكويه؛ الذين قدموا الكثير للحضارة الإنسانية، وساروا على هدي القرآن الكريم، الكتاب الذي تحدث عن العديد من الحقائق العلمية قبل أن يطالها العقل الإنساني بما يُجاوز الأربعة عشر قرنا، فكان علم الأجنة أحد العلوم التي طالها هذا الإعجاز، حيث احتوى القرآن الكريم على الكثير من حقائق هذا العلم، إلا أن الإعجاز الأكبر تمثل في أن القرآن وما احتواه من حقائق حول خلق الإنسان؛ قد أنزل على النبيﷺ في وقت سادت فيه الخرافة، والنظريات التي تفتقر إلى أساس علمي، إذ أن المرحلة الحاسمة من علم الأجنة لم تبدأ إلا بنهاية القرن السادس عشر من ميلاد المسيح عليه السلام، وفي هذا الكتاب (خلق الإنسان بين العلم والقرآن) يحاول المؤلف أن يبين أن العلماء الذين ساروا على هدي القرآن الكريم تجنبوا نظريات الأسبقين التي افتقرت إلى الأسس العلمية، وفي ذلك إعجاز للقرآن، سواء من حيث إدراكه لعلم الأجنة، أو من حيث ما احتواه من حقائق توافق ما توصل إليه العلم بصدد خلق الإنسان، والمراحل التي يمر بها أثناء تكونه.

في رحاب القرآن الكريم

المؤلف: فرج علي الفقيه حسين
الناشر: مكتبة البستان / طرابلس
224 صفحة / قطع صغير

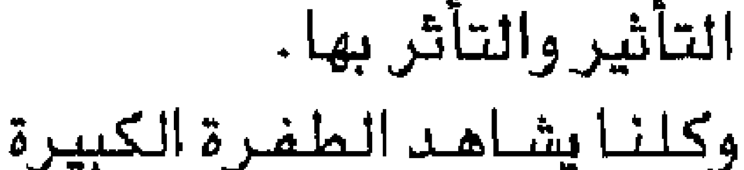


منذ أن خلق الله الأرض، وأنزل إليها آدم ليعمرها، أرسل - سبحانه وتعالى - الأنبياء والرسل لهداية الناس، مدعمين بمعجزات مختلفة تتناسب مع الزمان وحالة وطبيعة القوم، فمنهم من صدّق وآمن، ومنهم من زاد في غيه. آخر هذه المعجزات القرآن الكريم الذي أنزل على خاتم الأنبياء والرسل محمدﷺ ولكنه يتميز عن غيره من المعجزات بأنه عام للبشر كافة، ثم هو معجزة قائمة دائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها. في هذا الكتاب إشارات إلى بعض وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ابتداءً من معجزة الإخبار بالغيب، إلى معجزة أسلوبه وبلاغته، إلى انسجامه مع ما وصل إليه العلم الحديث من اكتشافات، كما يحتوي الكتاب على بعض الأدعية في القرآن الكريم والمأثورة عن النبيﷺ، إلى جانب الدروس والعبر المستخلصة من قصص القرآن الكريم. وقد أراد المؤلف - كما يقول في المقدمة - أن يكون الكتاب صغير الحجم لسببين: أولهما: أننا في عصر نسابق فيه الزمن، ويكاد الكثيرون منا ممن يرغبون في الاطلاع لا يجدون وقتاً كافياً للرجوع إلى المطولات، فيكتفون بكتاب صغير الحجم يستطيعون قراءته في وقت قصير. وثانيهما: أن القراء صنفان: صنف يكتفي بما يجد من إشارات سريعة موجزة، وصنف يطلب أشمل مما يقرأ وأوسع وأعمق. وكلا الصنفين يستفيد من هذه التأملات في الكتاب. وفي هذا الكتاب إشارات إلى بعض وجوه الإعجاز في القرآن، ابتداءً من معجزة الإخبار بالغيب، إلى معجزة أسلوبه وبلاغته، إلى انسجامه مع ما وصل إليه العلم الحديث من اكتشافات. يدرس المؤلف موضوعه في خمسة فصول فضلاً المقدمة والتمهيد والخاتمة.

نحو إعلام إسلامي فاعل ومؤثر

المؤلف: مجموعة مؤلفين
الناشر: القيادة الشعبية الإسلامية العالمية
463 صفحة / قطع كبير

إن عصرنا هو عصر الإعلام، الكلمة فيه تكمن في تكوين الرأي العام وتعميم الأفكار والقيم والأفكار (الأيديولوجيات)، فبقدر تطور وتقدم وسائله المختلفة يكون انتشار هذه الأفكار (الأيديولوجيات) وقوة التأثير والتأثر بها.



وكلنا يشاهد الطفرة الكبيرة التي يعيشها الإعلام المعاصر في ضوء التطور التقني العلمي، وكلنا يلمس دور الإعلام في حملات التضليل والغواية التي يمارسها الإعلام الغربي على العالم الثالث عامة، وعالمنا الإسلامي خاصة، لغرس قيمه ومثُله، وتسفيه قيم ومثل وعقيدة الآخرين، في محاولة محددة الأهداف والمسار، ومحكمة الحلقات، لاستلاب هوية الأمم، وفرض الهيمنة والتبعية عليها، وسلبها ثرواتها وأرضها.

تدرس أوراق الكتاب وبحوثه إمكانية وضع استراتيجية إعلامية موحدة وتتناول المحاور والنقط التالية:

❖ مجالات الإعلام الإسلامي وإمكانات الإبداع:

دور الإعلام الإسلامي في توعية المسلمين وترشيد صحوتهم الإسلامية.

دور الإعلام في مواجهة حملات التغريب.

دور الإعلام الإسلامي في مجال توحيد رؤى المؤسسات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية.

❖ منهجية الإعلام الإسلامي في ضوء التقنيات الحديثة:

الثورة التقنية (التكنولوجية) في الإعلام وأثرها على تطور الأداء الإعلامي.

كيفية الاستفادة من هذا التطور في إرساء دعائم إعلام إسلامي فاعل ومؤثر.

العقيدة الإعلامية في ضوء التقنيات الحديثة.

تقنية (تكنولوجيا) الاتصال والإعلام الإسلامي في مواجهة العولمة.

الإعلام الإسلامي وتقنية (تكنولوجيا) الاتصال.

❖ مهمة الإعلام الإسلامي في ضوء التقنيات الحديثة:

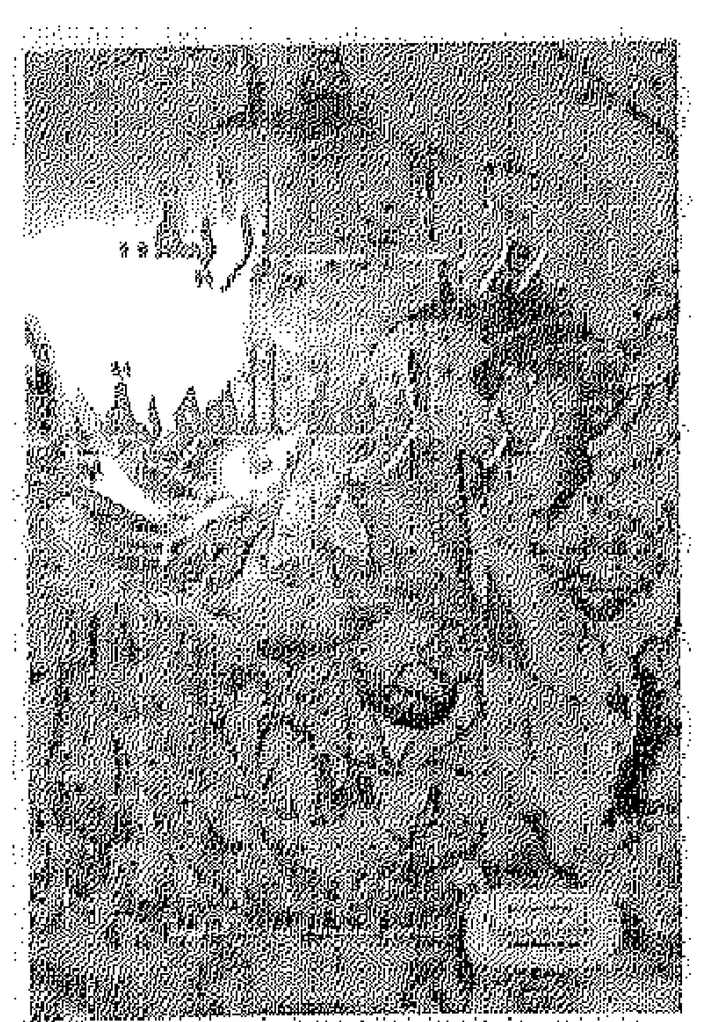
الإعلام الإسلامي في القرن الحادي والعشرين.

الفصحى ووسائل الإعلام.

استخدام الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) في مجال الدعوة الإسلامية.

رؤية حضارية في أزمة الهُوية

تأليف : مجموعة مؤلفين
الناشر : القيادة الشعبية الإسلامية العالمية
160 صفحة / قطع متوسط



ارتبطت نشأة التقاويم في التاريخ الإنساني ومسارات الحضارات البشرية؛ بسعي الذاكرة الإنسانية إلى ضبط وتنظيم الزمن، ومخزون التاريخ، وسبل المعاش، ومواقيت الشعائر الدينية، وغيرها من شؤون العمران. وهذا الكتاب يضم بين دفتيه أعمال ندوة (التقويم وأزمة الهوية.. رؤية حضارية) التي عقدتها القيادة الشعبية الإسلامية العالمية بالقاهرة، وشارك فيها عدد كبير من العلماء والباحثين، وكان الهدف هو بلورة الرؤية الحضارية العامة للتقاويم المختلفة، أي إلقاء الأضواء على الأبعاد الحضارية، والرسالات الحضارية لكل تقويم من التقاويم التي عرفتها الأمم والحضارات، قديماً وحديثاً. وذلك - وهذا هو المقصد الأهم - لتوظيف هذه الرؤية الحضارية للتقاويم، في الإجابة عن سؤال معاصر ومستقبلي يقول: ما هو التقويم الأنسب لأمتنا العربية الإسلامية؟ اليوم.. وغداً؟

وأهم الأفكار التي طُرحت في الندوة، والتي يتضمنها الكتاب:

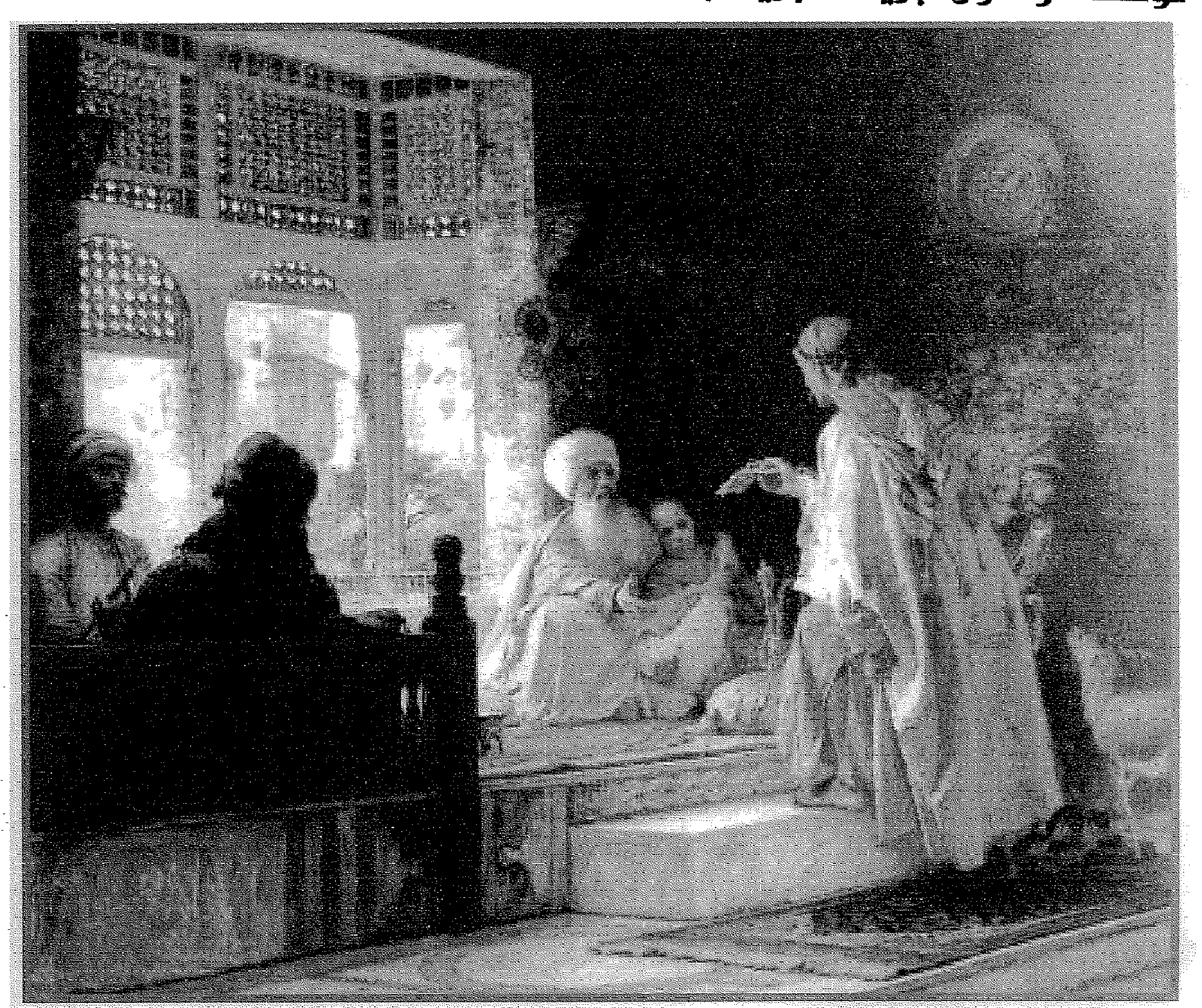
❖ التقويم هو تعبير عن هوية الأمة ورمز ثقافتها وتاريخها وحضارتها.

❖ ضرورة إحياء التقويم القمري لأنه جزء من الهوية الثقافية للأمة، ولأن عليه وبه تقوم الشعائر الدينية.

❖ أصبح من الضروري اليوم إيجاد تقويم يعبر عن هوية الأمة وثقافتها، وأن تكون بدايته مناسبة إسلامية عظيمة، وأن تختار أسماء الأشهر من مناسبات وأحداث تعبر عن مواقف الأمة وأمجادها وتاريخها.

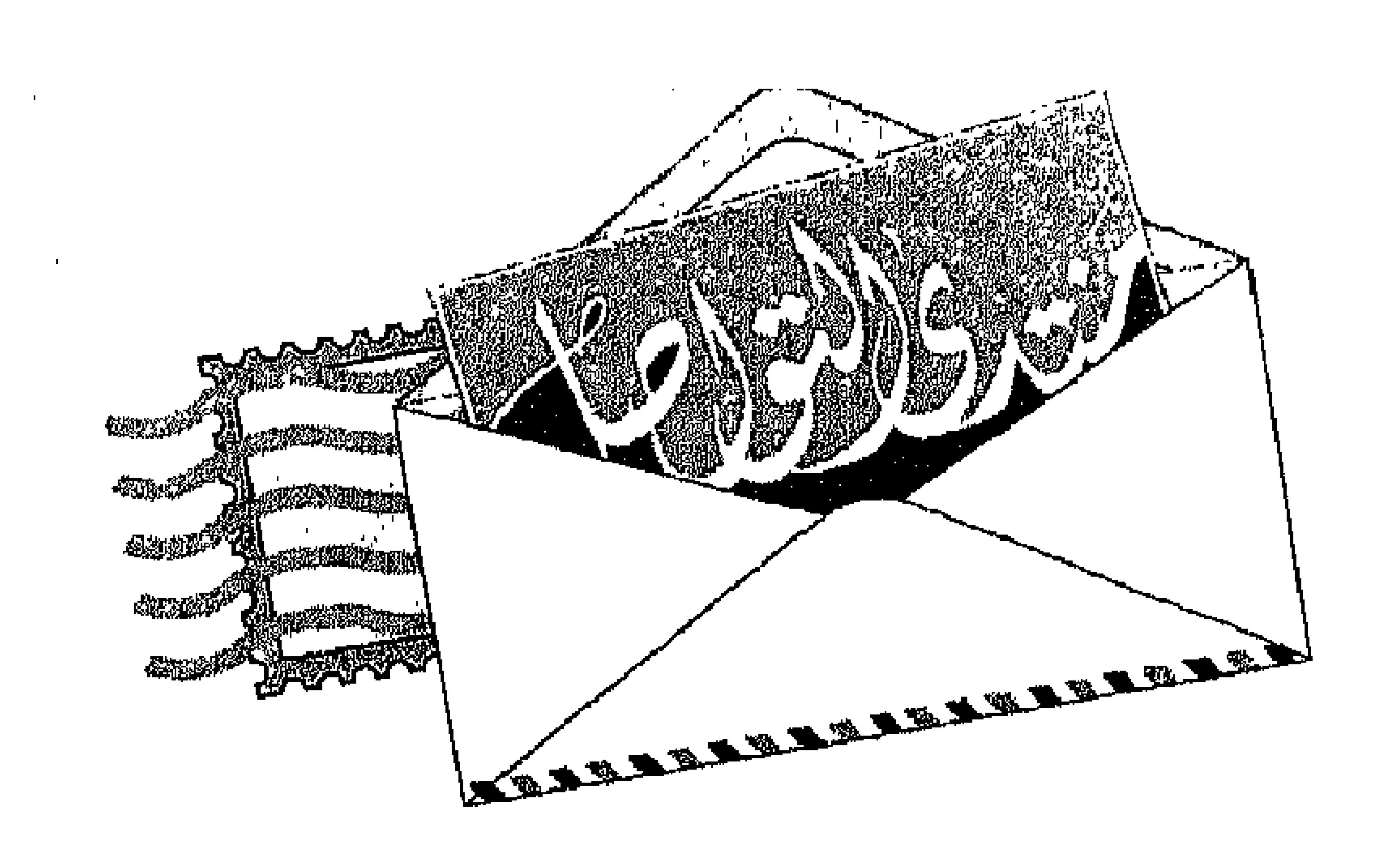
❖ أخذ النموذج الليبي في استحداث تقويم كمثال يمكن الأخذ به، أو تطويره، بما يتناسب مع حاجة الأمة واتفاق علمائها.

لوحة الرسول بريشة بريدجمان



فريدريك آرثر بريدجمان Frederick Arthur Bridgman رسام أمريكي ولد في الأباما في العاشر من نوفمبر سنة 1847. وعمل متدرباً بقسم النقش في الشركة الأمريكية لأوراق العملة. وفي سنة 1866 سافر إلى باريس وكان من أوائل الذين دخلوا إلى محترف الرسام الفرنسي الشهير جيروم Gerome متدرباً. ودرس في مدرسة الفنون الجميلة Ecole des Beaux Arts بباريس لمدة خمس سنوات. في سنة 1873 سافر إلى مصر وعمل هناك بعض الوقت، وأوحت له إقامته في مصر بلوحته الرائعة جنازة مومياء).

تحوّل بريدجمان إلى الفن الاستشراقي وترك بصمة واضحة فيه حتى عُدّ واحداً من أكبر رموزه الفنية. ولوحته (الرسول)، و(ساحة القضاء)، و (القاص النوبي)، و(زهرة الحريم) تعكس الروح الشرقية الصافية.



مجلة الإبداع والحوار الجاد

الأخ أمين هيئة التحرير:

كان من دواعي سروري وامتناني أن اطلعت على أحد أعداد مجلة كل الليبيين، بل كل المسلمين (التواصل).

وباسمي شخصياً، وباسم كل متطلع إلى تنمية الثقافة لديه ؛ أتقدم إليكم وإلى كل أسرة التحرير بهذه المجلة، بتحية حب وتقدير، معبراً عن إعجابي بإصداركم هذه المطبوعة، التي سمعت بها وعنها من خلال الإذاعة المرئية الليبية.

وليس بالغريب أن تصدر مجلة الإبداع والحوار الجاد في قضايانا عامة، عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وأستسمحكم عذرا وأطلب منكم أن تبعثوا لي مصحف الجماهيرية، وكتبا ومنشورات ومطبوعات من إصدار هذه الجمعية المباركة، وإن إسهامها في نشر العلم والمعرفة يأتي من اسمها الرائع (جمعية عالمية .. وللدعوة الإسلامية).

كما أطلب منكم تزويدي بأعداد مجلة التواصل .

أبو بكر محمد الأمين

مصراتة / ليبيا

المحرر :

الأخ الكريم: نبادلك التحية بمثلها، ونشكرك على المبادرة بالكتابة إلينا . وفيما يتعلق بما طلبت فنفيدك بأننا سنرسل إليك هذا العدد، وبإمكانك الحصول على الأعداد السابقة والقادمة من أحد مراكز توزيع المطبوعات، وإن أردت أن تصلك (التواصل) على عنوانك البريدي، وبشكل منتظم، فعليك ملء قسيمة الاشتراك، مرفقة بقيمة الاشتراك، وإرسالها إلى إدارة التحرير .

وفيما يتعلق بطلبك الحصول على بعض منشورات الجمعية فبإمكانك مراسلة مكتب البحوث والإعلام والنشر بالجمعية.

الحقيقة من شأنها أن يُشاد بها

الإخوة / أسرة تحرير مجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في البداية أتقدم إليكم بأسمى آيات الشكر والعرفان، وأقدم لكم أزكى التحيات على ما تبذلونه من رعاية كاملة وفوائد جمة متنوعة تقدمونها على صفحات مجلة التواصل، داعياًالله عز وجل أن يمدكم بتوفيقه وعونه، ويزيدكم من فضله وكرمه، وأن يوفقنا وإياكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين .

إن الحقيقة من شأنها أن يشاد بها، ويعلَنَ عنها، لكي يتعرف عليها سائر الناس . ومن هذه الحقيقة الثابتة لدى الكثيرين، ولا بد أن يعرفها المتبقون، هي أن مجلة التواصل ليست إلا جزءاً من كل، وقليلاً من كثير، من الشواهد القاطعة، والأدلة الساطعة، على الاهتمام الكبير والجهود العظيمة التي تبذلها الجماهيرية من أجل خدمة الإسلام والمسلمين .

ومن هنا أتقدم إليكم بطلبي هذا راجياً منكم أن تكرموني بمداومة إرسال مجلة التواصل بشكل منتظم، وأن أكون موزعاً لها في نيجيريا، نظراً لأهميتها الثقافية والدينية .

وجزاكم الله خيراً عن الإسلام والمسلمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يوسف أحمد معاذ / كادونا / نيجيريا

المحرر :

نشكرك على ما تفضلت به من كلمات طيبة عبرت فيها عن شعورك نحو (التواصل) وأسرتها، وإذ نشكرك على اقتراحك القيام بتوزيع (التواصل) في نيجيريا، فإننا نطلب منك تزويد إدارة التحرير بالمستندات الرسمية التي تخولك القيام بذلك، حتى تتولى مهمة التوزيع بشكل رسمي وقانوني .

جهد متميزة في نشر الثقافة الإسلامية

الأخ / أمين تحرير مجلة التواصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يطيب لي أن أتقدم إليكم بعاطر التحية، وفائق الاحترام والتقدير، مثمنا جهودكم الكبيرة والمتميزة في نشر الثقافة الإسلامية، من خلال مجلة (التواصل) التي ذاع صيتها في مختلف ربوع العالم، وأبدي رغبتي الأكيدة في نيل شرف المشاركة في مجلتكم الكريمة بموضوع عنوانه (الثقافة العربية في إفريقيا الغربية وآليات إحيائها وتطويرها) ونشره في أي عدد ترونه مناسباً.

د . عبد الرحيم شئت ثاني

الجامعة الإسلامية بالنيجر

المحرر: نشكرك على ما تفضلت به من كلمات طيبة تجاه التواصل وأسرتها، ونرحب بك كاتبا في التواصل، مساهما في إثراء مادتها .

ونفيدك بأن الموضوع الذي بعثت به إلينا قد أحيل إلى لجنة المراجعة والتقييم، ومتى أجيز سيُنشر في الأعداد القادمة.

ردود قصيرة

الأخ / معالي عبد الحميد حمودة

الإسكندرية / مصر

نرحب بك كاتباً على صفحات التواصل، ونحن في انتظار ما سترسله إلينا للنشر، سواء عبر البريد المسجل أو عبر البريد الإلكتروني . مرحباً بك، ونرجو دوام التواصل.

الأخ / أبو بكر محمد تيرا

سان سيقو / مالي

نرجو الاتصال بمكتب الجمعية في مالي لتسهيل عملية الاشتراك ولك الشكر.

الأخ / بدر الدين المعداني

كعام / المرقب / ليبيا

سنعمل على تلبية طلبك قريباً، ونرجو دوام التواصل .

خدمة الواقع والعمل الإسلاميين

الإخوة بمجلة التواصل

تحية الإسلام الخالدة

يشرفنا أن نبلغكم بأن مجلتكم (التواصل) قد نالت إعجابنا بما تطرحه من أفكار عميقة تعالج جملة من حاجات عصرنا الملحة، وليس غريباً أن تصدر هذه الفصلية الفكرية الثقافية الشاملة عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي نذرت نفسها ـ فيما يزيد عن ثلث قرن ـ لخدمة الواقع والعمل الإسلاميين .

وعليه فإننا نأمل أن تزودوا معهدنا بالأعداد التي سبقت، والأعداد التي ستصدر لاحقاً، حتى نستفيد من هذا البعد الحضاري الذي دُشّنَ في رحاب الجمعية .

وفقكم الله وسدد على درب الخير خطاكم

أخوكم / شمس الدين عمر إلياس

مدير معهد الإيمان الإسلامي

كانو / نيجيريا

المحرر: شكراً على كلمات الإطراء والإعجاب التي جاءت في رسالتك، ونفيدك بأننا لن نتمكن من تزويدكم بالأعداد السابقة، أما لاحقاً فسنرسل إلى مكتبة معهدكم ثلاث نسخ من كل عدد مساهمة منا في إثراء محتوياتها، وحتى تكون (التواصل) بين أيدي طلبة المعهد ورواد مكتبته .

..ونتواصل

(التواصل) بين: التوثيق والتحكيم..

❖ تتسلم (التواصل) بين الحين والآخر بحوثاً ودراسات ومقالات ذات صبغة تخصصية تصلح لأن تنشر في مجلات ومطبوعات ذات تخصص محدد، مثل المجلات ذات الصبغة البحثية من اللغة العربية وعلومها والمجلات ذات الصلة بالقانون وفروعه وعلومه أو تلك التي تهتم بالطب أو الجغرافيا أو التاريخ..

وأحياناً تصلنا مقالات وبحوث ودراسات تدور حول جزئيات دقيقة تهم باحثين دون غيرهم..

في الوقت ذاته تصلنا مقالات وبحوث ودراسات تبتعد وبشكل واضح عن مفهوم (التواصل) الثقافي والحضاري إما لأنها تغرق في قضايا فقهية أو لغوية أو قانونية، وإما لأنها لا تراعي أن قراء (التواصل) متنوعو الثقافات والعقائد...

ولذا نجد أنفسنا أمام خيار صعب، فإن نحن نشرنا تلك المقالات والبحوث والدراسات فإننا سنحول (التواصل) إلى مطبوعة ثقافية خاصة ومتخصصة وهو أمر لا ينسجم مع كونها (ثقافية شاملة).. وإن نحن أهملنا تلك المساهمات فان بعض الكتّاب سيفكر في أن (التواصل) لا تتواصل معهم..

إلاّ أنَّ الأغرب من كل ذلك أنَّ بعض الكتّاب وهم قليلون لحسن الحظ. يرسل لنا انتاجاً أو يتجشم مشاق السفر وعناء الطريق ليسلمنا إياه لنشره بهدف وظيفي ضيق خاص..

❖ لكن ما يلفت الإنتباه أنَّ قارئاً للتواصل التقيته، سألني: إذا كانت (التواصل) ليست (محكّمة) فهل يمكن أن تُنقل عنها معلومات في بحث جامعي؟!

❖ لا أخفي عليكم، استغربت كثيراً، وجال بخاطري تساؤل عميق وكبير.. تساؤل جعلني أتوقف كثيراً أمام ظاهرة باتت تتصاعد وتنتشر على مستوى الكتابة والنشر وعلى مستوى البحث والإنتاج العلمي والأدبي.. هل من الضرورة أن يكون (المصدر) محكّماً حتى يعتمد عليه في توثيق معلومة أو رأي؟!

وجدت مفتاح المعضلة بعد زمن ليس بالقصير، ما حجم الفرق بين (التوثيق والتحكيم)؟!


هل كانت (المصادر) كلّها محكّمة؟ وهل ينبغي أن تكون كذلك حتى تكون لها مصداقية علمية؟!

إلا أن (التحكيم) أقرب إلى (الوظيفة) منه إلى (الثقافة)، ولا أظنّ - بل ولا أقبل - أن (التواصل) مطبوعة غير موثقة وإن كنت أقبل أن تكون غير (محكّمة)..

ومع كل ذلك فإننا نصرّ على (التواصل) الثقافي والفكري والحضاري مع كل من يرى أن الكلمة مسؤولية قبل أن تكون وظيفة، ومع كل من يؤمن بأن الإنتاج العلمي والأدبي قضية ولم يكن وظيفة ولن يكون..

لنتواصل معكم كيفما شئتم شرط أن لا نغرق في خضم حوار حول (التحكيم) و(التوثيق).

أمين هيئة التحرير



صحيفة
الدعوة الإسلامية
الآن بـ5 لغات
AD-DAAWA AL-ISLAMIYA
AL-DAWA AL-ISLAMIYA
Ad-daawa Al-Islamia
Une année de réalisations dans les divers domaines concretisées par la Révolution Islamique d'Al-Fateh
Sri Lanka : estime et gratitude pour le Guide
Les masses musulmanes célèbrent la Révolution d'Al-Fateh
El presidente de Bosnia Herzegovina visita la AMDI
A fresh year of achievements to add up to a continuous march of providence by Islamic al-Fateh Revolution







تنفيذ وطباعة : شركة الآن للطباعة والنشر